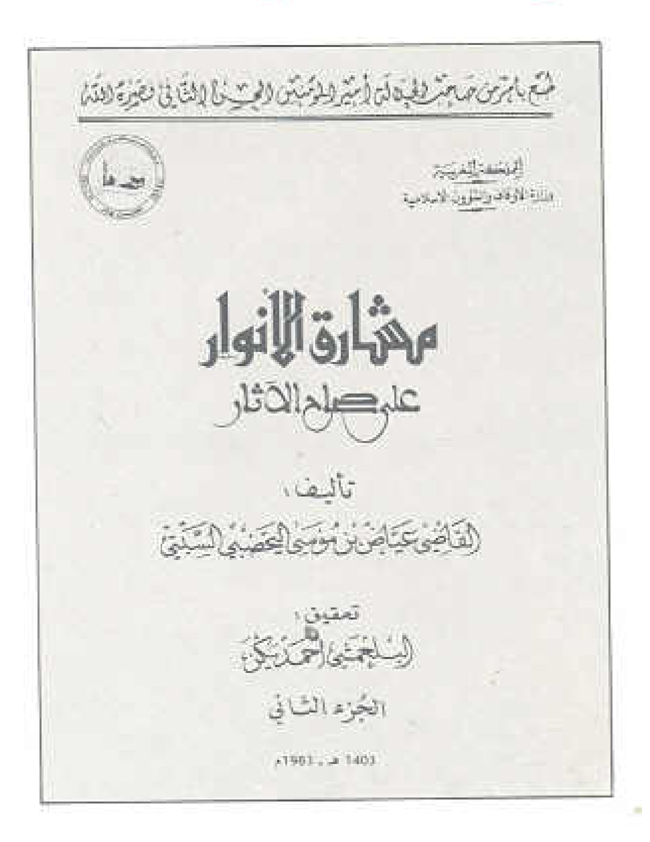
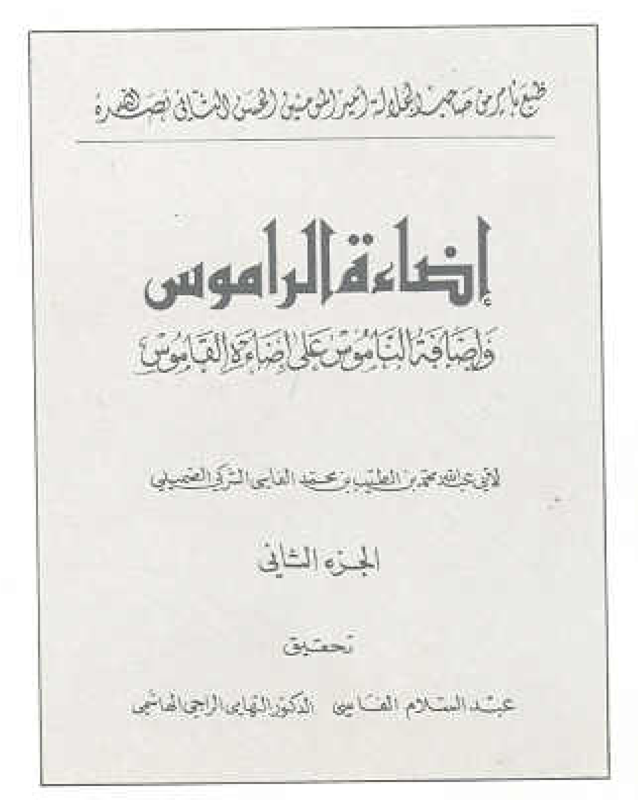
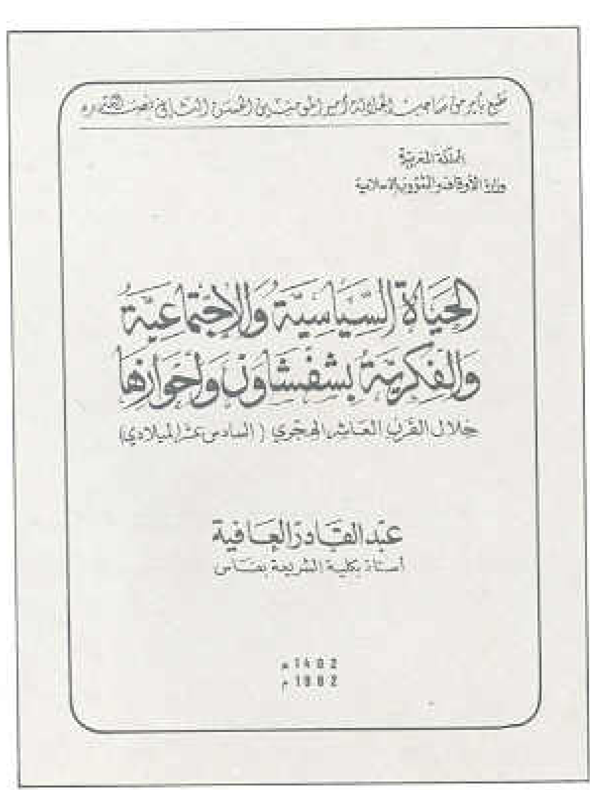

عدد ممتاز خاص بعيد العرش
دعوة الحق
نشرة تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط المغرب
عرش القمم
عيد مبارك سعيد وعهد مجيد
الادوار البطولية للعرش المغربي في الدفاع عن العروبة والإسلام
العدد : 234 ● جمادى الاولى/جمادى الثانية 1404 - مارس 1984 ● الثمن : 5 دراهم.

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية









التوزيع: مكتبة الأوقاف، 5 زنقة بيروت، ساحة المامونية، الرباط



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها:
جلالة المغفور لـه
محمد الخامس
قدس الله روحه

سنة
1376 هـ — 1957م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

*

الاشتراكات:
في المملكة المغربية: 55 درهماً
في البلاد العربية: 67 درهماً
في العـالـم: 77 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

هذا العدد

●● هذا عدد خاص بمناسبة عيد العرش المجيد... وقد اعتادت المجلة على إصدار أعداد خاصة في مثل هذه المناسبة مشاركة منها في الاحتفالات التي تقام تخليداً لذكرى جلوس جلالة الملك الحسن الثاني على عرش أجداده المنعمين.

● وتبرز المقالات القيمة والممتازة التي يتضمنها هذا العدد مكانة العرش في الفكر السياسي الوطني، وفي ضمير الشعب المغربي، وفي تاريخ وحضارة وتراث هذا الوطن. فالعرش - وحسب ما تظهره هذه الدراسات الجادة الهادفة - هو مشعل الحرية ولواء المقاومة وقائد العمل الوطني عبر الحقب والأزمان. وهو الرمز المجسد لعظمة هذه البلاد، والمجسم لجلال تاريخها والمعبر عن روح هذا الوطن وخصوصيات هذا الشعب. وهو الأمل والرجاء عندما تدلهم الخطب، وتسوء الأوضاع، كما حدث في غابر الأزمان، وفي عهد الحماية حينما تكالبت الخطوب لتنال من المغرب ملكاً وشعباً فكان العرش هو الهادي في ليل الاستعمار وهو البوصلة التي تضبط عليها مسيرة الكفاح.

●● و «دعوة الحق»، وهي تحيي هذه الذكرى المجيدة، إنما تحيي، في الواقع، حدثاً تاريخياً كان له ما بعده في المغرب الحديث ألا وهو اعتلاء جلالة الملك الحسن الثاني عرش المغرب الذي اقترن بانطلاق عهد جديد لما بعد الاستقلال تميز في مقدمة ما تميز به بالتحدي الجسور، وبالعمل الدؤوب الأمر الذي تبلور في أوضح صورة في المسيرة الخضراء المظفرة.

● وفي حياة جلالة الملك، نصره الله ثلاثة محاور أساسية نرمز إليها بما يلي :

- السدود.
- المسيرة.
- المؤتمرات.

ولذلك فإن الوصف الأمين الصادق لجلالة الملك أعزه الله، هو أنه ملك السدود، ورائد المسيرة، وقائد المؤتمرات. وكلها حلقات متماسكة يكمل بعضها البعض.

●● والسدود رمز للخير وللنماء وللتقدم وللازدهار ورفاهية الشعب المغربي. والمسيرة عنوان على استكمال التحرر ومواصلة الكفاح الذي بدأه جلالة والد المغاربة أجمعين محمد الخامس من أجل تحرير الصحراء دعماً وتعزيزاً وتقوية للوحدة الترابية وجمعاً وتوحيداً وتعضيداً للصف المغربي سياسياً وإدارياً ووطنياً وفكرياً واجتماعياً. والمؤتمرات إنما هي رمز للسعي المتواصل في سبيل وحدة العرب والمسلمين وحماية وجودهم وصيانة كياناتهم.

● وهكذا، هو الحسن الثاني: قيادة شاملة، ورؤية جامعة، ونضال موصول الأسباب متعدد الجبهات وهذا هو المعنى بواضح الدلالة من احتفالنا بالذكرى 23 لجلوس جلالته على عرش أجداده العظام...

وهو المعنى الذي نسعى إلى إبرازه من إصدارنا لهذا العدد الممتاز الخاص بالذكرى...

رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

عرش القمم

• • أصبح العرش المغربي عرش القمم، منذ أن تصدى للمهام العربية والإسلامية الصعبة، واختار أن يكون وكيلاً عن الأمة في القيام بأعباء القيادة الرشيدة الواعية المسؤولة للمسيرة السياسية، في أجواء دولية شديدة الاضطراب، بالغة الخطورة، عاصفة المناخ، كثيرة التقلبات على مدى ثلاث وعشرين سنة، من المؤتمر التأسيسي لمنظمة الوحدة الإفريقية، إلى مؤتمر القمة الإسلامي الرابع بالدار البيضاء.

• ولقد قاد المغرب العمل العربي والإسلامي والإفريقي على المستوى الدولي ومن موقع التميُّز والتمكّن والاقتدار، وسار أشواطاً بعيدة في هذه الطريق، وحقق للأمة وللقارة من المكاسب والإنجازات ما لم يكن ليحققها سواه، وخلق إطاراً للتعاون المشترك في المجالين (العربي الإسلامي) و (الإفريقي) وأعطى للجهود المبذولة في هذا النطاق نفساً قوياً، ورفع بها من المستوى الثنائي غير المستقر، إلى المستوى الجماعي المخطط له والقائم على أساس الإدراك الواعي للمصالح والمنافع والمقاصد والأهداف المشتركة، وبذل من الجهد والسعي والعمل على مختلف الأصعدة ما جعل جميع المؤتمرات، سواء تلك التي انعقدت فوق أرضه، أو شارك فيها بالحضور في أقطار أخرى، مناسباتٍ لتقوية شعور التضامن، وعقيدة الإخاء، ومبدأ العمل الجماعي. وتواصلت مساعي المغرب في هذه الحقول، فكانت أرضه منطلقاً للوحدة الإفريقية، وميلاداً للتضامن الإسلامي، ومبعثاً للإجماع العربي حول شرعية منظمة التحرير الفلسطينيَّة وتمثيلها الذي لا ينازع فيه للشعب الفلسطيني. ذلك أنه مهما تكن الموضوعية التي ننظر بها إلى دور المغرب في هذا السياق، فإنه لا يمكننا أن نغفل أن منظمة الوحدة الإفريقية تأسست في المغرب سنة 1961، وأن منظمة المؤتمر الإسلامي ولدت على أرضه سنة 1969، وأن القرار التاريخي باعتبار منظمة التحرير الفلسطينيَّة الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني صدر عن مؤتمر القمة العربي بالرباط سنة 1974، بالإضافة إلى عشرات القرارات المصيرية والمواقف الحاسمة، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر أن من المغرب انطلق أول جيش عربي شارك

في حرب رمضان سنة 1973، قبل موعد الحرب بستة أشهر. كل هذا يؤكد لنا، بجلاء تام، المكانة الشامخة التي يتبوأها المغرب في الساحة العربية والإسلامية والإفريقية، في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ العالم قائداً ورائداً للعمل التضامني الوحدوي المشترك سعياً وراء إقرار الحق والعدل والسلام، وإنقاذ البشرية كافةً مما يهددها من شر مستطير.

● ● وإذا كانت القمة الأولى التي يعتليها العرش المغربي هي قمة المغرب شعباً وأرضاً وكياناً ونظاماً وحضارةً وتاريخاً، فإن القمم الأخرى التي يحتل مكانته فوقها هي الوطن العربي الإسلامي في المقام الأول، والقارة الإفريقية، باعتباره من الدول ذات السبق في ارتياد الآفاق الإفريقية من أجل استكمال تحرير شعوبها وبناء نهضتها وإقامة صرح ازدهارها. وهي كلها قمم لا تطال، بعضها إلى جانب بعض، مما جعل العمل لها ومن أجلها عملا متكاملا يكمل بعضه بعضا.

● فهو، إذاً، عرش القمم، بكل ما في ذلك من معاني البطولة والجسارة والقدرة على الاقتحام والتحدي ورد الفعل الذي لا يرقى إلى مستوى الفعل فحسب وإنما يفوقه مضاء وعزماً، الأمر الذي يشد الأفئدة والعقول إلى المغرب، ويجعله قبلة للعاملين للعروبة وللإسلام، وللأمن والسلام العالميين، ومحجاً لكل الإرادات الخيِّرة التي تنشد الخير للإنسانية جمعاء.

● وقيمة العرش وأهمية دوره من وزن الجالس عليه وثقله على الصعيد العالمي. وجلالة الملك الحسن الثاني، من القلة النادرة في العالم المعاصر التي تتصف بسجايا ومزايا قلما تجتمع في القائد الواحد، فجلالته إلى كفاءته العالية في إدارة العمل السياسي الدولي، ومقدرته الفائقة على التحكم في مسار هذا الضرب من الكفاح السياسي والنضال الفكري، أتاه الله من القدرات والملكات والمواهب ما جعل منه رجلَ دولةٍ ليس كرجال الدول، وقائد شعبٍ وأُمة يضاهي قادة الشعوب والأمم حنكة وتجربة ودربة، وحكمة وعلماً وبصراً بالسياسة الدولية، ووعياً وإدراكاً وإحساساً وتقديراً للمسؤوليات الثقيلة التي تنوء بها العصبة أولو البأس من القادة والرجال.

● ● إن عرش المغرب يضع نفسه دائما في خدمة العروبة والإسلام، وفي تعزيز الجهود الدولية لإقرار الأمن والسلم ولتوفير الرخاء والرفاهية والتقدم للإنسان. فهو بهذا الاعتبار عرش قائد ومجاهد، في تبصر وحكمة، يعمل من أجل الأمة العربية الإسلامية، ويناضل في سبيل الحرية والخلاص لشعوب إفريقيا وللبشرية جمعاء. وهو بذلك يحتل المكانة التي هو أهل لها وجدير بها.

عبد القادر الإدريسي

الأدوار البطولية للعرش المغربي

في الدفاع عن العروبة والإسلام

بقلم: الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

توارث ملوك المغرب، عبر الأزمان والأحقاب، رسالة الدفاع عن العروبة والانتصار للإسلام، إحقاقاً للحق، وإزهاقاً للباطل، وإقراراً للعدل وتثبيتاً للأمن، وترسيخاً للوئام والإخاء، وتوطيداً للتآلف والمحبة، وسعيا متواصلاً من أجل إعلاء كلمة الحق، ورفع راية التوحيد، وفي سبيل أن تسود مبادىء الإسلام وتعاليم الدين وقواعد الشريعة الغراء.

ولقد اقترن هذا العمل الذي نذر ملوك المغرب أنفسهم له بظروف وملابسات كان الشعب المغربي خلالها نعم النصير، حتى التحم العرش والشعب، في أروع صور الالتحام، وقادا معاً مسيرة الحياة كأقوم وأرشد ما تكون القيادة السياسية والشعبية على هدى من كتاب الله ومن رصيد النضال الشاق والطويل الذي خاضه الشعب المغربي ممتزجاً بالعرش في ولاء متبادل قل نظيره وعز مثيله. واستمر الحال على هذا المنوال عبر عصور تاريخ المغرب منذ الفتح العربي الإسلامي في القرن الثاني للهجرة مروراً بالدول المتعاقبة على عرشه وانتهاء بالدولة العلوية الشريفة التي قيضها قدر هذه البلاد لتكون دولة الإسلام على أرضه تجاهد لنصرته وتناضل لعزته وتحمل لواء المقاومة المستمرة زهاء ثلاثة قرون ونصف قرن على وتيرة واحدة من الإخلاص لشؤون الوطن وعلى نسق واحد من التفاني في العمل الدؤوب الذي لا ينقطع له أثر.

وبحلول القرن التاسع عشر الميلادي الذي اقترن بتصاعد المد الاستعماري العسكري والصليبي والسياسي والفكري والاقتصادي للبلاد العربية والإسلامية كان على العرش العلوي المغربي أن يستأنف أداء الرسالة في الذود عن حوزة البلاد والدفاع عن بيضة الإسلام والعمل لحماية المصالح والحقوق والمكتسبات التي حققها الشعب المغربي منذ أن اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون شعباً مجاهداً وراء قيادته المؤمنة مرابطاً في هذا الثغر من ثغور الإسلام.

وتوالت مواقف العرش معززاً بتلاحم وترابط الشعب على مدى العقود الأولى من القرن الماضي إلى أن ولي الحكم في هذا البلاد واعتلى عرشها الدائم السلطان المولى الحسن الأول، الذي أبلى البلاء العظيم في حماية وصيانة الوحدة الترابية للمملكة. فكان الملك المجاهد، والوطني المناضل، والقائد الإسلامي الذي اختار أن يقف إلى الصف المناهض لمطامح الاستعمار الغربي الرافض لمخططات التنصير والتوغل في البلاد العربية الإسلامية باسم مصالح الدول العظمى تارة وبدعوى التجارة تارة أخرى وبدافع الغزو والاحتلال في معظم الأحيان. ويعتبر عصر السلطان المولى الحسن الأول عصر التنوير والتجديد والتحديث بالنسبة لما سبقه من عصور عاشها المغرب في ظلمات بعضها فوق بعض، إلى حد يمكن القول معه إن السلطان الحسن الأول وضع ـ بحق ـ اللبنات الأولى في صرح المغرب الحديث لو لم تتحرك الأعاصير العاتية العاصفة ضد هذه البلاد لتطالعها مع مطالع القرن العشرين ضروب من التحدي وصنوف من الاختبار وأنواع لا تحصى من العسف والظلم امتدت آثارهما طوال النصف الأول من هذا القرن، وكانت من دواعي انطلاق الجهاد الحديث المتمثل آنئذ في قيام الحركة الوطنية المتشبتة بالإسلام منهجا وعقيدة وانتماء، وبالعرش اختياراً وموقفاً وولاء.

وتبلورت رسالة العرش المغربي في خضم هذا المحيط الذي يعج بالجهاد ويموج بالوطنية ويفور بالعمل السياسي المنضبط والقائم على التخطيط. وانتصب العرش مركزا للقيادة ومصدرا للإلهام والتوجيه ومثالاً للقدوة والاعتبار. فكان المغرب كله من أقصاه إلى أقصاه على قلب رجل واحد، يعمل لهدف واحد، ويدين بالطاعة والولاء والحب والإخلاص لملك واحد، ويخضع لخطة مدروسة صاغتها الحركة الوطنية من مبادىء وقيم الشعب المغربي المتوارثة عبر الأجيال. وبهذه الروح ساد الانضباط الفكري والتنظيمي الحركي، فكنا، بالعرش ومع العرش جنودا لهذا الوطن وخداما لهذا العرش الذي وعى دوره وأدرك مقاصد رسالته فكان سباقاً إلى ساحة العمل كلما اقتضت الحال المبادرة الشجاعة والموقف الملتزم.

ولقد اكتسب العرش في هذه البلاد رصيداً من النضال يغنيه اليوم في مواصلة الكفاح الشاق، في ظروف جديدة، لربط الحاضر بالماضي، ووصل ما انقطع أو تراخى حبله من عمل الأمس. فإذا كان جلالة الملك الحسن الثاني، وهو الوريث الشرعي والوطني والتاريخي لذلك الرصيد الذي لاينفد، يواصل أداء تلك الرسالة السامية، فلا غرابة أن يكون التوفيق حليفه في كل خطوة يخطوها على درب آبائه وأجداده، ولا بدع أن تأتي نتائج جهوده وخواتم مساعيه مبشرة وباعثة على الاطمئنان والارتياح.

إن عمل جلالته، في هذا الظرف البالغ التميز على المستوى الوطني والشديد الحرج على الصعيد العالمي، إنما هو من قبيل الاستمرار والتواصل. وهو جهاد يباركه المولى سبحانه ويتتبعه العالم كله بكثير من التقدير والإكبار، حتى من أولائك الذين يسوءهم أن يكون المغرب بقيادة ملكه في طليعة العاملين للعروبة والإسلام.

إن جلالة الملك، وهو يدرك هذه الحقيقة، لا يبالي بما يعترض هذه الطريق من صعوبات ومشاق، ذلك أن المؤمنين بالرسالة العظيمة لا ينال من عزيمتهم عائق. وكل الظواهر الحضارية والسياسية في المغرب تثبت أن العرش العلوي بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني، ينهض بأعباء رسالة عظيمة، هي الدفاع عن العروبة والانتصار للإسلام.

وأكرم بها من رسالة...

وأعظم به من جهاد...

وأنعم به من ملك قائد اختار الحق والعدل والحرية والشورى والنضال عقيدة ويقيناً وإيماناً.

وتلك هي الخلاصة المستوحاة من رسالة العرش المغربي التي آلينا على أنفسنا إبرازها في هذا اليوم بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين، لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني، على عرش أجداده المجاهدين العظام، رضوان الله عليهم.



السّلطان مولاي حفيظ والحماية

للأستاذ عبد الله كنون

كانت جلسة أدبية مع ثلة من الشباب يبحثون قضايا الفكر والتراث في تاريخ المغرب الحديث ولا سيما ما يتعلق منه بالرجّات الكبرى التي أصابت البلاد كاحتلال بعض المدن من طرف قوات الاستعمار الأجنبي الذي كشر عن أنيابه لتمزيق وحدتنا الترابية، وفَرْض الحماية الفرنسية والاسبانية والدولية على مناطق من وطننا العزيز، وما كان لذلك من أثر في نفوس المواطنين عموما والمثقفين منهم بالخصوص، وانعكاس ذلك الأثر على الأعمال الأدبية لهؤلاء المثقفين من كتاب وشعراء ومؤرخين وحتى الفقهاء الذين لابد أن يستنكروا استيلاء الكفار على أرض الإسلام، ويصدروا الفتاوى ويلقوا الخطب في وجوب المقاومة وعدم جواز الخضوع لحكم أعداء الدين.

وسأل شاب من المهتمين بالموضوع هل نجد من قال شعرا في احتلال مدينة الدار البيضاء سنة 1925 ولو كان من قبيل ما قيل في احتلال تطوان في القرن الماضي :

يا دهر قل لي علامه
كسرت جمع السلامة !

فعلق آخر أن احتلال الدارالبيضاء كان مأساة، فقد ضربت بالمدافع وماتت خلائق كثيرة من سكانها الأبرياء.

فرد صاحب السؤال قائلا : انها كانت بحاجة إلى من يقول فيها مثل ما قال شوقي في دمشق :

سلام من صبا بردي أرق
ودمع لا يكفكف يا دمشق

فقال المعلّق : إن فاس ضربت كذلك بالمدافع وأصيبت بعض مساجدها وأضرحتها ولم نسمع من قال فيها شعرا، فاستدرك السائل أن حافظ قد قال في المغرب على العموم عند إعلان الحماية قصيدة هذا مطلعها :

هفت العروش وزلزلت زلزالا
عرش هوى وقديم ملك زالا

فصاحب صاحب التعليق إننا نبحث عما قاله المغاربة أنفسهم لا ما قاله حافظ أو غيره. وتدخل أحدهم قائلا دعونا من الشعر ولنتحدث عن الكتابة فهل كانت هناك أقلام تناولت القضية من الجانب السياسي والقانوني، ودافعت عن استقلال المغرب، ونددت بالتدخل الأجنبي، واحتجت على الأقل بمؤتمر الجزيرة الخضراء الذي أتفقت فيه كلمة الدول على احترام استقلال المغرب والاعتراف بسيادة السلطان على كامل ترابه ؟

وطالت الجلسة وكثرت الاستفسارات والردود ولكنها لم تنفصل على شيء جديد، إلا ما هو معروف، من أن هناك أشعارا دون المستوى المطلوب في هذه الأحداث الخطيرة، وكتابات معظمها إنشائي وبأسلوب لا يقره العصر، ولذلك بقيت في أدراج أصحابها، ولم يكن لها صدى يعتدُّ به، وكنت أشرت ونحن نتجاذب أطراف الحديث، إلى أن للسلطان مولاي حفيظ الذي أمضى عقد الحماية على ما هو معروف، أشعارا كثيرة في الموضوع، ندد فيها بالحماية وما جاء منها، وهاجم الحماة واتهمهم بالخيانة في لهجة شديدة وانفعال قوي، فطلب الجماعة أن أطلعهم عليها فوعدتهم بذلك، وأعتقد أن ذكرى عيد العرش وهذا العدد الخاص بها من مجلة دعوة الحق، فرصة مناسبة للوفاء بذلك الوعد، وكم أوحت إلينا هذه الذكرى المجيدة من معان وأفكار، وموضوعات تاريخية، ضمناها قصائد شعرية وأبحاثا سياسية تعكس المغزى الذي من أجله أنشىء عيد العرش، وهو تعزيز السيادة الوطنية والمركز الدولي لوطننا المغرب.

ومن هذا المنطلق ننظر في شعر السلطان مولاي حفيظ الذي نصّفه في باب الشعر السياسي والتاريخي لتعلقه بالحماية وظروفها المعروفة، ونتسامح في صياغته المهلهلة، لأن ما يهمنا منه هو مضمونه وقائله، وفي ذلك ما يحدد الموقف الرسمي من هذه الحماية المفروضة، ويلقي عليها أضواء كاشفة من المسؤول الأول عنها.

وأول هذا الشعر قصيدة طائية القافية من خمسين بيتا، من الطويل سماها الطامة الكبرى وهو اسم مقتبس من القرآن الكريم الذي عبّر به عن يوم القيامة، ولا شك أن السلطان عنى بهذا الاسم الهائل الحماية : وإن كان لم يتحدث عنها إلا بالاعتذار ومجادلة الخصوم الذين يحملونه تبعتها، فهو يفتتحها بالرضى والتسليم لما قدر، وينحى باللائمة على المنتقد والمعترض، ويتساءل هل يمكن للعبد مهما كان شأنه أن يدفع المقدور، ويقول :

فإن كنت قد أعطيت جاها فحاسِنٌ
نفائس أنفاس تجدها على خطا

وإن كنت قد أعطيتَ علما ولا أرى
لديك سوى نزر، فما يكشف الغطا

وإن كنت ذا ورد على فرض أنه
على المنهج المحمود فلتخش مُحبطا

أيرفع حكمَ الله أن قال قائل
رأيت خلاف الحكم كشفا مورّطا

ويمضي على هذا النسق في الجدال مستظهرا بأنه نصح وعلم ودعا إلى التمسك بالكتاب والسنة ونصرة الدين فلم يستجب له أحد :

دعوتُ لنصر الدين كل موحد
فما أبصرت عني مجيبا مرابطا

ونلاحظ أن القافية في هذا البيت مؤسسة وفي الأبيات السابقة مطلقة وهو عيب من عيوبها ولكن القصيدة في غالب أبياتها على هذا المنوال.

وفي شعر السلطان قصيدة نونية من ستين بيتا من بحر الوافر، يتشوق فيها إلى المعاهد والمرابع من أرض الوطن، فهي على هذا منظومة بعد التنازل عن العرش، وفي أرض الغربة وتسمى لسع العقارب والأفاعي في إفشاء خبيث المساعي، ولذلك فهي تتعرض أيضا للرد على المتقولين والمتجنين عليه، وتنفي عنه كل تهمة بالخيانة والمضاربة بالمصلحة العليا للوطن.

يقول في الغرض الأول :

أنفسي هل رضيتِ ببذل خزي
منوط حكمه بالكاتبين

وهل أضناك بالتذكار حبّ
وهل أغراك شجو الباكين

ولم أعهد طبيعتك التصابي
ولا الأفراط عند الرحلتين

وعهدي أن نفس الحر تهوى
مناخ العز إرث الماجدين

وتأبى الملك في أرض بذل
ولو كانت مقرّ الوالدين

فلم يرض السريّ نقيضَ هذا
وإلا فانتهاج القارظين

ومن يهوى الركون لأرض ذل
خليق أن يؤوب بخزيين

أجابت بالبدار عقيبَ هذا
أترضى أن تؤوب بخيبتين

ألم تسمع مقالة أهل جخد
بناد رافضٍ للأطيبين

بأنك بائع الأحرار ظلماً
بإفشاء لأردى الناقلين

ففاض الدمع بالتسكاب فيضاً
بمقلتين لي نضاختين

فإن ابتع بملكي ربح ذل
إذن يدعى رجوعي بالخُنَيْني

وإن أدَعِ الخؤون فإن مالي
غدا مني كأثر بعد عين

نصيب حازه المبتاع حقداً
وآخر عند أهل القبلتين

ويقول في الغرض الثاني :

وهبني قد فعلت جميع هذا
وقد بعت الجميع بدرهمين

فلم أخرج بأهل الغرب طرّاً
ولم آكُ آمراً بالجلستين

فهجرٌ أو جهادٌ دينُ ربي
وما الإيواء احدى الحُسنيين

ومالي لا أرى المقدامَ يدعو
مطاع الأمر ربّ الدعوتين

فإن يكُ بالدفاع له اقتدار
ولم يفعل فَشَرُّ الماكرين

وإن بالعجز كان له اتصاف
فما أغنى حليف الكِذْبتين

عنيدي هل سمعت نسيج شعر
لشهم ساطع كالنَّيرين

فهون في أقاصي الناس هيْن
وهون في العشيرة غيرهيْن

آمر بالقتال وجلُّ قومي
يرى أن الحماية فرضُ عين

آمرُ بالجهاد ومال قومي
تلاشى في لذائذ خصْلتين

بإسراف النكاح وشرّ أكل
فلا تُرجى الكنوزُ لغير دَيْن

والقصيدة الثالثة التي قالها السلطان في موضوع الحماية هي قصيدة ميمية، تقع في تسعة وخمسين بيتاً من بحر البسيط، وكلها تشهير بالحُماة وتعريةٌ لهم وكشفٌ عن مساوئهم ودلالة على ما يخفونه من دناءة ومكر وخداع، ويظهر أنه نظمها في حالة غضب وثورة نفسية وضيق بما يعانيه من معاملتهم السيئة، وهو لاجىء بديارهم وواقع تحت حكمهم، وهذا ما ينبىء به مطلعُها الذي يقول فيه :

لا مرحباً بديار فوقها علَمْ
أبان نشراً وأفشى الفحش بينهم

لا بارك الله في أرض بها قطنوا
ولا سقى الغيثُ ربعاً فيه حكمهمْ

لا خير في العيش في الأقطار قاطبة
إذا تحكّم في العلياء مُنتقِم

أنى تكون لهم في الأرض مكرمة
وبيت مجدهم في العز منهدم

أنى تكون لهم في الأرض مفخرة
وقد تحقق عند الناس كِذبهم

ومنها في التبرم بهم والدعاء عليهم :

لا بُلّغوا أملا يُقضى به أرب
وحكّم الله سيفاً في رقابهم

ترجو القلوب، وقلبي، كلّ منقصة
تحلُّ أرضهم في إثرها النقم

قد آن يُقضى على من كان متصفاً
بالجور في الأرض بين الناس ينعدم

كم من قلوب لدى الأسحار ساجية
تُسائل الله جهراً في خرابهم

كم من عيون لدى الأسحار باكية
حتى تكون بيوتُ الذل دُورُهمْ

ومنها في التحدث عن نفسه ونزوحه عن المغرب :

لئن تركنـــا لـــواء المجـــد عن كرم
فقـــد بكت فقـــدنـــا الاعـــلام والحكم
وودعتنـــا شمـــوس العلم كـــاسفـــة
لفقـدهـا الكفء لمّا حـازهـا الخـدم
وشيعتنـــا قصـــورٌ فـــاض مـــدمعهـــا
وقبلهـــا الأهـــل والأوطـــان والنعم

وفي هذا الشعر قصيدة للسلطان على غرار القصيدة المعروفة : (يـا غـارة اللـه) وزنـا وقـافيـة، يـدعو فيهـا على أعداء الـدين الـذين غيروا أحكـام الـشريعـة وجعلـوا الظلم شعـارا لهم، واغتروا بقـوتهم التي ظنـوهـا مـانعتهم من مكر الله، مستنزلا غضب الله عليهم وبطشه بهم، ومن ثم عبّر في افتتاحها بياسطوة الله، بـدل يـا غـارة اللـه. وبهـا ينتهي مـا وقفنا عليه من شعر مولاي حفيظ الذي ينطبق على كل ما قيل عنه من أنه أمضى عقد الحماية تحت الضغط الخـارجي والداخلي، وأن النص الـذي أمضاه من هـذا العقـد المشؤوم ليس هو النص الـذي وقع التعـامل عليـه بينـه وبين الحماة الغزاة، وأنه تنازل، العرش لعدم قبوله التصرفات الاستبداديـة التي صار موظفو عن الحماية يباشرونها، وغير ذلـك مما ضـاق به ذرعا ونفس عن صدره منـه بنظمـه لهـذه الأشعـار، وللـه الأمر من قبل ومن بعد.

عبد الله كَنون

●● منذ أن وجد المغرب فمملكته إسلامية من عهد المولى إدريس الأول رضي الله عنه إلى يومنا هذا. وقد قرر الملوك المغاربة من الأول حفاظا على وحدة الصف وعلى وحدة الإسلام أن لا يستعملوا إلا مذهبا واحدا، فالمغرب هو الوحيد ربما في تلك الناحية التي لا يتقاضى ولا يتحاكم ولا يتعامل إلا بالمذهب المالكي محافظة وحفاظا على وحدة الصف الإسلامي ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

تحية إكبار وإجلال وتهنئة يمن وإقبال

للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

مولاي أمير المومنين

لقد حفظت دواوين السنة النبوية كثيرا من حقائق الدين، التي روتها عائشة أم المومنين رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ، فكانت هي مصدرها المباشر، أو مصدرها الوحيد، وامتازت عن غيرها بما نقلته إلينا من صفات رسول الله ﷺ، في خلقه وحاله وعمله، وامتازت أكثر من ذلك بالتعبير عن تلك الصفات النبوية الطاهرة، في كلمات خالدة، جامعة مانعة، يمكن إدراجها في «جوامع الكلم»، فقالت في وصف أخلاق رسول الله ﷺ : (كان خلقه القرآن)، وقالت في وصف جهاده المتواصل والدائم، لبناء صرح الإسلام، على أمتن الأسس وأقوى الدعائم، هذه الكلمة المعبرة والمصورة في آن واحد : (من رأى رسول الله ﷺ، فقد رآه غادياً رائحاً، لم يضع لبنة على لبنة، ولكن رُفِعَ لَهُ عَلَمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْه)، تشير بذلك إلى ما بذله رسول الله ﷺ، من جهود وطاقات، في سبيل غرس شجرة الإيمان وسقيها، وتعميق جذورها، وتقوية فروعها وأغصانها، وإلى أنه ﷺ، لم يعرف فتورا، ولا راحة، ولا هوادة، في تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، منذ أن بعثه الله، إلى أن لقي الله.

ونحمد الله على أن أمير المومنين الحسن الثاني قد اتخذ من جده المصطفى عليه السلام خير أسوة، وأفضل قدوة، فمنذ رفع له العلم - **علم الإمامة العظمى في هذا البلد** - شَمَّرَ إليه، لا هَمَّ له إلا مواصلة السعي، لتحقيق الهدف النبيل الذي عاهد الله عليه، ألا وهو تحقيق سعادة شعبه وإبلاغه مناه، وقيادته إلى طريق الصلاح والرشاد في دينه ودنياه.

مولاي

يقول الله تعالى : ﴿**كَلاَّ وَالْقَمَر، وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَر، وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَر، إِنَّهَا لإِحْدَى الكُبَر، نَذِيراً لِلْبَشَر، لِمَن شَاءَ مِنْكُم أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر**﴾ - سورة المدثر 34 37)، فلم يشر كتاب الله بشيء إلى من شاء أن يقف في الطريق، إذ في مفهوم الإسلام لا ينبغي أن يقف أحد في الطريق البتة، فالإنسان سائر لا واقف، إن لم يكن في تقدم فهو متأخر لا محالة، وإنما يتخالف السائرون في جهة السير، وفي السرعة والبطء، وإذا وقف أحدهم فإنما يقف ليجم نفسه، ويعدها لمواصلة السير، ما هي إلا مراحل تطوى أسرع طي، إما إلى الأمام، وإما إلى الوراء.

ونحمد الله على أن أمير المومنين الحسن الثاني لم يعرف منذ حمل لواء الأمانة، واعتلى عرش أسلافه المنعمين، إلا السير بأمته قدما، على ضوء التوجيه السليم، الذي جاء به الذكر الحكيم، فلا وقوف في منتصف الطريق، ولا تراجع إلى الوراء، وإنما هو السير المتواصل إلى الأمام، على بصيرة وهدى، وفي عزم ومضاء، وإذا كانت هناك وقفة قصيرة فإنما هي وقفة تحفز واستجمام، يعقبها الزحف من جديد إلى الأمام، على بينة واستعداد، لتحمل أكبر المسؤوليات وأثقل الأعباء.

مولاي

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم بمعاذ بن جبل، فقد له عمر : «**ما قوام هذه الأمة يامعاذ ؟** فأجابه معاذ قائلا : (**قوام هذه الأمة ثلاث، وهن المنجيات** 1) **الإخلاص، وهو الفطرة** التي فطر الله الناس عليها 2) **والصلاة، وهي الملة** 3) **والطاعة، وهي العصمة**) فقال عمر : صدقت يا معاذ». وسئل أحد حكماء الإسلام عن «الحكمة» ما هي فقال : (**الحكمة هي فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي**).

فليهن أمير المومنين على مايتمتع به من حكمة وشجاعة وإقدام، وما يلقاه على الدوام من «استجابة شعبه الهمام، الذي لا يعرف معنى للتأخر والاحجام، ولا يزداد إلا ثقة بحكمة رائده وقائده «الإمام»، وليدم الله على جلالتكم نعمة السداد والتوفيق، حتى يظل عرشكم حارسا أمينا لمقدسات شعبكم، ورافعا راية العروبة والإسلام.

مولاي

زاد الله في معناكم، وسدد خطاكم، وأبقى شجرتكم العلوية وارفة الظلال، وسلسلتكم الذهبية موصولة الحلقات عبر القرون والأجيال، وحفظنا فيكم وفي سمو ولي عهدكم المحبوب سيدي محمد، وصنوه السعيد مولاي رشيد، وأنبت ذريتكم نباتاً حسناً، في عافية وسلامة وعمر مديد، ورحم الله بطل العروبة والإسلام، والدكم المقدس، محمد الخامس، أب المغاربة أجمعين، وجعل مقامه ومقام شقيقكم المرحوم بكرم الله، سمو الأمير مولاي عبد الله، في أعلى عليين، وأبقى بركة والدكم ورضاه سارية فيكم وفي عقبكم إلى يوم الدين.

الرباط ـ محمد المكي الناصري

●● إنني قلت مراراً بعد مرار أن الديموقراطية ليست شيئاً جديداً بالنسبة لنا، بل هي العمود الفقري للمجتمع الإسلامي كما أراده النبي ﷺ، ذلك أن الشورى والعمل بالجماعة هما شيئان لهما معنى خاص ولهما مدلول في القانون والدستور. فالشورى ليست شورى استشارية والعمل بعمل الجماعة ليس عملاً اختيارياً بل الشورى تلزم والجماعة تلزم. ومن خرج عن الجماعة خرج عن الجادة ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

ربطاً لماضي الدولة العلوية بحاضرها

دعوة إلى إحياء الذكرى 200 لوفاة السلطان العالم المولى سيدي محمد بن عبد الله

(1204هـ - 1404هـ)

للأستاذ أبي بكر القادري

يعتبر الملك السلفي العالم سيدي محمد بن عبد الله، من أعاظم ملوك العلويين الذين أسدوا لهذه البلاد كثيرا من المكرمات، وحققوا لها العديد من المنجزات، فلقد اهتم بمجرد توليه الملك، بتوطيد أسس المملكة على قواعد ثابتة الأركان، ووضع الركائز القوية لتثبيت الحضارة المغربية الأصيلة، واستفاد كل الاستفادة مما قام به الملوك السابقون، أمثال المنصور السعدي والمولى اسماعيل العلوي من تحقيق للأمن والرخاء والاستقرار، وإعطاء الهيبة للدولة التي صارت في عهده يشار إليها بالبنان.

لقد رأى رحمه الله أن توطيد أمر الدولة، وتركيز أركانها، لا يتحققان إلا إذا حصنت داخلا وخارجاً، فالظروف التي تولى فيها مسؤولية الدولة، كانت ظروفاً قاسية وشديدة، تجلى فيها جشع الدول الغربية الاستعمارية التي كانت تعمل جاهدة على الاستيلاء على خيرات البلدان القريبة منها والبعيدة، خصوصاً وإنها كانت في بداية نهضتها الصناعية ومتوقفة كل التوقف على البلدان التي تروج فيها صناعتها وتجارتها، وتستفيد من إمكانياتها وموادها. كما أن الظروف الداخلية كانت تتطلب كثيراً من الحزم بعد ظهور بعض التطلعات الشخصية، والانحرافات الأنانية، والعنصريات القبلية. لقد اتجه رحمه الله إلى إصلاح البلاد من جميع النواحي، وكانت نظرته إلى القضايا والمشاكل نظرة شمولية، ولقد استفاد من تجاربه وتجارب من سبقوه من الملوك فاكتسب حنكة سياسية، ومهارة ديبلوماسية، زادتها مطالعاته وإطلاعه على أحوال السابقين مهارة واقتداراً، وزادها ذكاؤه وإيمانه نجاعة ونجاحاً. لقد أدرك أن أساس كل نجاح، ومبدأ كل تقدم، هو الاهتمام بالناحية العلمية، وتكوين العلماء والتقنيين الضروريين للقيام بحاجيات الدولة، وصيانتها والدفاع عن حرماتها، وهكذا قامت في عهده نهضة علمية إصلاحية، كان لها أثرها في بعث الأفكار، وتجديد المفاهيم، ومقاومة الخرافات والأضاليل، والرجوع إلى روح الحنفية السمحة وبناء الدولة على الأسس الإسلامية الصحيحة، ولضمان هذه النهضة العلمية، قرب إليه العلماء المخلصين الذين كان يستفيد منهم ويستشيرهم ويوجههم الوجهة الصالحة التي تجعل منهم علماء عاملين، خصوصاً في المجال الذي نال حظاً كبيراً من اهتمامه، وأعنى به جانب الاهتمام بالسنة النبوية، ونشر الكتب الحديثية التي كان يبحث عنها بالمشرق والمغرب فلقد روى التاريخ أن كثيرا من المسانيد الصحيحة في الحديث لم تكن موجودة بالمغرب فعمل على جلبها، فهو الذي جلب من المشرق مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند الإمام أبي حنيفة، ومسند الإمام الشافعي، وهو الذي أمر

علماء وقته بشرح مؤلف الصغاني في الحديث، إلى غير ذلك من أمهات الكتب والمؤلفات.

كما أنه اهتم بنفسه بوضع تآليف وبترتيب الأحاديث النبوية على حسب منهج وضعه لنفسه، فألف كثيراً من الكتب، عرفنا منها : (1) الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية و (2) الجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من ستة مسانيد، (3) ومواهب المنان، بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان.

وفي هذا الباب كان يستدعي جلة من علماء وقته، كالعلامة القاضي محمد بن عبد الله الغربي الرباطي والعلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن المير السلوي والعلامة القاضي أبو زيد عبد الرحمان بوخريص، والعلامة أبو زيد عبد الرحمان المنجرة، وغيرهم ليملي عليهم الحديث النبوي الشريف، ويشير عليهم بتأليفه وجمعه، وفق ما يشير عليهم به.

كما أنه كان يجلس كل يوم جمعة بعد الصلاة بمقصورة الجامع بمراكش مع فقهاء مراكش وغيرهم من علماء المغرب، يذاكرهم ويناقشهم في المسائل الفقهية والحديثية والأدبية ويقول : والله لقد ضيعنا أعمارنا في البطالة واللهو في حالة الشبيبة.

لقد أصبح لاشغل له في أوقات فراغه من تسيير شؤون الدولة إلا مطالعة كتب السيرة والحديث، بالإضافة إلى كتب التاريخ والأدب والسياسة، وكان يستحضر كما يقول الزياني : كل ما يطالعه، حتى كاد أن يحفظ كتاب الأغاني برمته، لا يعزب عنه منه إلا النادر.

واهتمامه بقضايا الثقافة والعلم، هو الذي دفعه إلى إحداث نظام جديد متكامل للتدريس بالقرويين، وإدخال بعض أمهات الكتب التي لم تكن تدرس من قبل. لقد كان ملكاً، وفي الوقت نفسه كان عالماً لا يجارى، ولقد تحدث عنه صاحب نشر المثاني فقال : «وهو نصره الله وأيده، في العلم بحر لا يجارى، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى، وقد جمع من دراية العلم، ماتقف العلماء دونه، وتود زواهر الافق أن تكونه، إلى أن قال : فهو أدام الله نصره، سلطان العلماء وعالم السلاطين.

وجاء في كتاب «اقتطاف الأزهار، من حدائق الأفكار» لنجل صاحب الترجمة المولى عبد السلام، كما ورد في كتاب «الاعلام» ما يلي : «وكان والدي نصره الله، وأدام لنا وللمسلمين علاه، حريصاً على تعليم أولاده، تابعاً في ذلك سنة آبائه وأجداده، يجلب العلماء لحضرته السعيدة المباركة، ويحث على تعليم العلم في سائر القرى والمدن، ويكرم الاعلام، وهو نصره الله مشارك في جميع الفنون العظام، قد وسع أهل العلم إنعاماً وإحساناً، وعطاء وامتناناً، يعلى مجالسهم، ويستخرج نفائسهم، ويكثر جوائزهم، ويقضي حوائجهم، وله مع الفقهاء مذكرات ومحادثات في سائر الأيام، وممر الدهور والأعوام، فيلقى عليهم من المسائل المشكلات في الحديث والسير والأخبار، وضروب من الفنون العربية،ونكت من المقطعات الأدبية، فلا يهتدون إليها إلا بعد الإطلاع، وسواء في ذلك، ذو العارض أو قصير الباع.»

وعندما تحدث عنه العالم المؤرخ سيدي عبد السلام بن الخياط القادري قال : «الإمام الموهوب لهذه الأمة على رأس المائة، مجدداً لها دينها، ثم قال : كان إماماً من علماء الإسلام، له تصانيف تقرأ بالمشرق والمغرب، نظر في المصالح، وقام بها قياماً لم يقم به أحد من أهل عصره من ملوك الإسلام، ولم يسبق إليه غيره، غير الخلفاء الراشدين» واهتمامه رحمه الله بقضايا العلم والعلماء، وإصلاح المناهج التعليمية لم يصرفه عن الاهتمام بالقضايا الأخرى التي تتوقف عليها نهضة البلاد، ونشر لواء العدل فيها.

ففي عهده أدخلت الإصلاحات على المحاكم الشرعية، وألزم القضاة باتباع منهج في الأحكام سديد، من شأنه أن يحقق العدل الذي تنشده الأمة، وتقوم عليه الدولة، ويضمن إصدار الأحكام طبق التشريعات الفقهية التي تضمن الحقوق للجميع، دون محاباة أو ظلم أو إجحاف. وفي عهده وقع الاهتمام بالتنمية الاقتصادية، فوضعت القواعد للزيادة في موارد خزينة الدولة، واحدثت وظائف للاستفادة من مداخيل الغلات والسلع والأبواب، وهكذا ازدهرت الحياة الاقتصادية بدورها، وأصبح المغرب يلعب دوره المحترم مع الدول التي ترغب في التعامل معه، وربط علاقته مع أكبر دول العالم، التي صارت تنظر إليه وإلى بلاده بكثير من

الاعتبار والتقدير، ناهيكم بالولايات المتحدة الأميريكية التي حظيت باعترافه باستقلالها، حيث كان المغرب من أول الدول التي اعترفت لها بهذا الاستقلال. الأمر الذي يبرهن على المكانة التي يتمتع بها المغرب عالمياً في ذلك الإبان، حيث كانت تخطب وده الدول الكبرى، وتطلب مساعدته في كثير من الأزمات.

وفي هذا المجال لا يمكننا أن نغفل ما قام به سيدي محمد بن عبد الله إزاء الدولة العثمانية من مساندة في أشد الأوقات حرجاً، فلقد ساعد العثمانيين بالمال والعتاد والمراكب الجهادية دون مقابل، عندما كانوا يواجهون الصليبيين المتواطئين ضداً على الإسلام والمسلمين، ولقد اعتبر الأسارى، المسلمين الذين كانت تأسرهم الدول المسيحية أساراه، فعمل على فك أسرهم، وفداهم بالأموال من صندوق الدولة، حتى بلغ عدد من فك أسرهم نحواً من خمسين ألفاً من المسلمين، ففي «الاستقصا» للناصري : أن ما أنفقه من الأموال في فكاك أسرى المسلمين يفوق الحصر، حتى لم يبق ببلاد الكفر أسير، لا من المغرب ولا من المشرق، ولقد بلغ عددهم في سنة مائتين وألف، ثمانية وأربعين ألف أسير».

لقد نظم شؤون الدولة على أحدث طراز في وقته، واستفاد من المخططات السياسية التي كان يقوم بها الملوك الناجحون، ورؤساء الدول النبهاء، فعمر المدن، وأسس المراكز، وبني الأبراج، وقوى وسائل الدفاع، ونظم الجيش على أساس جديد، وجلب السلاح والذخيرة من الدول التي كان يتعامل معها، وقاوم القرصنة التي كانت تقوم بها بعض الدول الغربية المسيحية، وحصن بلاده منها وحارب الدول التي كانت احتلت جزءاً من التراب المغربي، فأخرجها وطهر البلاد منها، وهكذا حرر مدينة «الجديدة» من ربقة الاستعمار البرتغالي، مستعملا جميع قواه البرية والبحرية، ومعتمداً على المجاهدين المغاربة الأبطال الذين لم يستكينوا أبدا للوجود الأجنبي ببلادهم، كما أنه عمل على تحرير مدينة «مليلية» من قبضة الاسبان، لولا أن الظروف لم تساعده.

لقد كان سيدي محمد بن عبد الله، قوة متحركة، ذا دينماكية فاعلة، يهتم بالشاذة والفاذة من قضايا بلاده وشعبه، يزور المدن، ويتفقد الشواطئ والثغور، لقد جعل عرشه كما يقولون فوق فرسه، فهو هنا وهناك، متفقدا شؤون وطنه وأمته، غير مبال بالمتاعب، ولا مستكين للراحة، معتمداً على الرجال المخلصين من حوله، مقدراً لهم، معتمداً على آرائهم. يقول الزياني كما جاء في الاستقصا : «عالي الهمة، يحب الفخر، ويركب سنامه، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، يضع المسائل في محلها، ويعرف مناهب الرجال، ويؤدي حقوقهم، ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعى لأهل السوابق سوابقهم، ويتفقد أحوال خدامه في الصحة والمرض، ولا يغفل عمن عرفه قبل الملك، متواضع، شاكر لنعم الله عليه، كلما ورد عليه فتح أو خبر يسر المسلمين، سجد شكراً لله في وسط مشوره أمام الخاصة والعلامة، ينتخب الرجال، ويعدهم ليوم مّا، وينادي كل واحد باسمه وقت اللقاء».

لقد أصبح المغرب في عهد المولى محمد بن عبد الله قوى الجانب، مهاباً من لدن الخاص والعام، وأصبح يخطب وده كل الدول الأجنبية الكبرى، وأصبحت كلمته مسموعة مشرقاً ومغرباً، خصوصاً عندما رأوا أن حزمه وحنكته واهتمامه ومهارته وحسن تدبيره لشؤون الدولة والأمة، كل ذلك لازمه طوال أيام توليه الملك، فهو مهتم بالقضايا الداخلية لبلاده من حيث الأمن والرخاء والاستقرار والحفاظ على الوحدة المغربية، والاستجابة لمطامح شعبه في التعليم والتثقيف والعدل وتهييء سبل العيش الكريم، وهو مهتم كل الاهتمام بوسائل الدفاع وتطهير البلاد من الأجنبي والعمل على تحرير المدن التي كان الأعداء مغتصبين لها، وهو مع ذلك كله مهتم كل الاهتمام بربط علاقاته مع المسلمين وفك أسراهم والدفاع عن كرامتهم مشرقاً ومغرباً، وهكذا أصبح المغرب في عهده ملء الأسماع والأبصار، وموطن التقدير والاعتبار.

كانت ولادة المولى محمد بن عبد الله بمكناسة الزيتون سنة أربع وثلاثين ومائة وألف (1134) وكانت مبايعته بالملك بعد وفاة والده المولى عبد الله يوم الإثنين خامس وعشري صفر عام واحد وسبعين ومائة وألف (1171) هـ فكان سنه لدى مبايعته ثماناً وثلاثين سنة، بعدما تدرب على المسؤولية في عهد والده، حيث كان خليفة له بمراكش.

وفي شهر رجب سنة أربع ومائتين وألف (1204) هجرية التحق بالرفيق الأعلى وهو في طريقه إلى الرباط فدفن بإحدى قبة من قبب قصره بالرباط رحمه الله.

وبعد فبحلول شهر رجب الفرد الحرام سنتنا هذه (1404) هـ يكون قد مضى على وفاة هذا الملك السلفي المصلح مائتا سنة هجرية، وهي مناسبة تدفعنا أن نقترح على كل من يهمه أمر النهضة المغربية، وبعث ثقافتها وأمجادها، وتخليد أبطالها وعظمائها أن ينظموا مواسم ثقافية، تخلد بها ذكرى هذا الملك الفذ الذي كتب في تاريخ المغرب صفحات بيضاء، وأعطى لبلاده بعلمه وحزمه وإخلاصه المكانة المرموقة التي لا ينساها التاريخ.

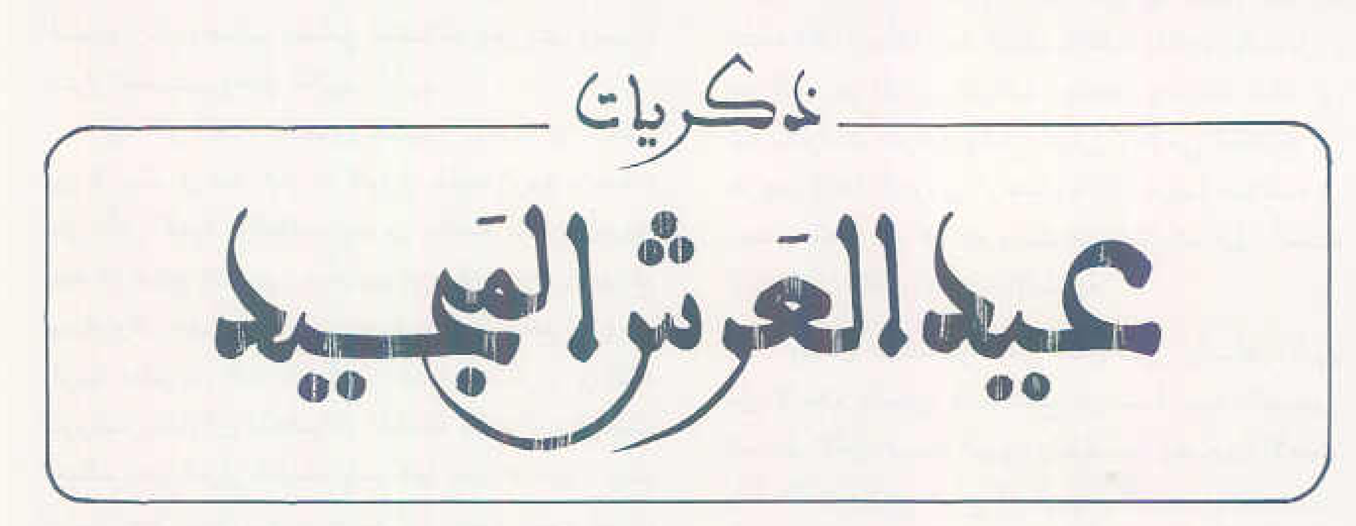
إن إقامة أمثال هذه الذكريات، تعرف الأجيال الجديد بما قدمه عظماء المغرب من ملوك وعظماء وزعماء وصلحاء من مكرمات ومعروف لهذه الأمة المجيدة، التي وفت كل الوفاء للمثل العليا الصالحات، وأعطت عهدها ووفت به للعقيدة الإسلامية التي اعتنقتها عن طواعية، ووجدت فيها ما تتطلع إليه من عز ومكانة وتقدم، والتي اعتبرت نفسها دائماً ومنذ أن شرح الله صدور أبنائها للإسلام، جزءاً من الأمة الإسلامية المتضامنة الموحدة، تفرح لفرحها، وتالم لألمها. وتسدى لها في أوقات الشدة والرخاء ما من شأنه أن يعلي مكانتها، ويبقيها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتناضل في سبيل المثل العليا، وفي سبيل الحفاظ على الإشعاع الثقافي الإسلامي الذي به وحده تستنير النفوس، وتستضيء الأرواح، وتهتدى الإنسانية، ويزول عنها الإنحراف.

إن التاريخ يعيد نفسه، فإذا كان المغرب في عهد المولى محمد بن عبد الله مد المسلمين بالعون والمدد، حماهم من الحيف والظلم، وفك أسراهم من أيدي الأعداء فإنه اليوم كذلك أصبح والحمد لله مقصدا للأمة الإسلامية جمعاء، تقصده وفودها من جميع أنحاء المعمور، لتعقد فيه اجتماعاتها، وتتدارس في رحابه قضاياها ومشاكلها، وتصحح فيه من عزمها لاسترداد الحقوق، والدفاع عن المقدسات، وتطهير الأراضي الإسلامية من قبضة الغاصبين، وتعمل على إخراج فكرة التضامن الإسلامي، من حيز الفكر والنظر، إلى حيز التطبيق والعمل. إن اجتماع مؤتمر القمة الإسلامي الرابع بالدار البيضاء تحت رئاسة جلالة الملك الحسن الثاني جاء ليؤكد ربط ماضي هذه الأمة بحاضرها، وليثبت أنها لا زالت وفية لرسالتها في الاهتمام بقضايا المسلمين شرقاً وغرباً، وتوثيق عرى التضامن والتآزر والتكاتف فيما بينهم، وأن عزة هذه البلاد من عزة المسلمين، ونصرتها من نصرتهم، ومكانتها من مكانتهم، وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق : **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض﴾**.

أبو بكر القادري

• • إنني من المدرسة الإسلامية، مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام التي تفضل الحوار على كل شيء وتجعل من الحرب آخر مرحلة للحوار • •

جلالة الملك الحسن الثاني



للأستاذ الرحالي الفاروقي

لعيد العرش في المغرب العزيز ذكريات خالدة تذكر فتشكر ومآثر ثابتة تنظر ولا تنكر واعمال جليلة حققتها الملوك العلويون الغر الاشاوش لصالح البلاد والعباد لاتزال آثارها الصامدة الدالة عليها شاهدة حاضرة وثمارها اليانعة النافعة تؤتي أكلها كل حين باذن ربها من غير انقطاع ولا امتناع ولذلك فكلما أطلت ذكرى عيد العرش المجيد إلا واهتزت لها قلوب المغاربة الأوفياء واشرأبت لها اعناقهم ولاحت في أجوائها دلائل الاعتزاز والافتخار ومعالم النصر والظفر والاستبصار وازدادت روابط التعلق والمحبة والوفاء والإيثار بين ملوك الدولة العلوية العتيدة والشعب المغربي الابي الذي لا يألو جهدا في التعبير عن خباياه وخفاياه واحساساته الدقينة وشعوره العميق تجاه ملوكه العظام الكرام الذين وجد فيهم بكل حق وصدق ضالته المنشودة وغايته المقصودة في البناء والتشييد ولم الشتات وجمع الشمل وتحرير ما تبقى من الأراضي المغتصبة ورد كيد الكائدين ودفع حسد الحاسدين واحباط مؤامرات المتآمرين الزائغين عن الحق والحانقين على الخلق إلى جانب الانبعاث الإسلامي والرقي الاجتماعي والنهضة الحضارية والازدهار الاقتصادي وغير ذلك من المعطيات الأساسية الكفيلة برفع مستوى الشعوب في مختلف الميادين وعلى كل الواجهات.

إن ذكرى عيد العرش السعيد لتعود بنا إلى أوائل عهد تربع جلالة المغفور له محمد الخامس رحمه الله وطيب ثراه ورضي عنه وأرضاه على أريكة أسلافه الغر الميامين حيث اتخذ الشعب بكل طبقاته من تلك الذكرى - ذكرى عيد العرش - رمزا لمحبة ملكه المفدى الذي كان الاستعمار البغيض يضيق عليه الخناق من كل جانب فكان رحمه الله لا ينصاع له ولا يأتمر بأمره رغم شدته وقوته وغطرسته وجبروته ورغم تعدد أشكال استمالاته وضغوطه وتلبيساته وإيحاءاته، فكانت قناة محمد الخامس لا تلين للاستعمار إذ لا يبغي بغير حقوق شعبه وأمته في الاستقلال والحرية والانعتاق بديلا كيفما كان هذا البديل. وأتذكر وما بالعهد من قدم أن التهيء للاحتفالات كان يبدأ قبل يوم الذكرى بزمان ليس بالقصير إذ يجتمع الناس زمرا زمرا غالبا في أوائل الليل بعد الفراغ من الأعمال اليومية للمذاكرة والمشاورة حول التنظيم والتهيء وتعيين محلات إقامة الاحتفالات والمشرفين عليها، وهكذا فلا يأتي اليوم الموعود - يوم عيد العرش - حتى تكتسي المدن والقرى والدواوير والمداشر والقصور أبهى حلل الزينة والفرحة والحبور فترفرف الأعلام الوطنية خفاقة عالية في سماء الصدق والصفاء والعناق والوفاء والمحبة والإخاء والتفاني العفوي، وتفرش القاعات والاماكن العامة وتنصب مكبرات الصوت لإيصال الخطب والكلمات التي تلقى بهذه المناسبة إلى الآفاق البعيدة عن محل الحفل وبذلك تكمل الغاية الكامنة وراء إلقاء الخطب الوطنية ألا وهي توعية الشعب بكل فئاته وطبقاته وإسماع صوت الحق للشاهد والغائب، وهكذا يمضي

المواطنون يوما خالدا يجددون فيه ولاءهم وإخلاصهم لملكهم المحبوب رمز وحدتهم وضامن استقلالهم وحريتهم وعنوان استمرار شخصيتهم ومحقق آماليهم وأمانيهم.

وقد كان للعلماء والمثقفين والطبقة الواعية من الشعب دور لا ينكر في هذا المجال إذ كانوا في طليعة الرواد والدعاة وعلى رأس الخطباء والنطقاء يعبرون بأفصح لسان وأصدق لهجة عما يختلج في صدور مواطنيهم من مشاعر وطنية ودوافع قومية، وكان علماء جامع ابن يوسف، صنو جامع القرويين وقرينه منضويين تحت ذلكم اللواء الخفاق وسائرين في ظله الوريف ومباركين للخطوات الثابتة والمبادىء الرائدة للجالس على العرش التليد، وقد كانوا بدورهم يقيمون بهذه المناسبة حفلا بهيجا برحاب جامع ابن يوسف يحضره العلماء والأساتذة والطلاب يتبارون فيه بما تجود به قرائحهم من الشعر والنثر في تمجيد عيد العرش السعيد وتخليده.

ذلك ويمتاز عيد العرش في العهد الحسني الزاهر والطاهر باستمرارية تلك الروح الوطنية الوقادة التي عمل جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده على اذكائها في النفوس وترسيخها في القلوب بما أضفاه على هذه الذكرى من أعمال جليلة وأفعال نبيلة جعلت بلادنا تقفز إلى المصاف الأولى للدول النامية وجعلت العالم ينظر إليها بعين الاعتبار والانتصار والاجلال والاكبار.

ففي هذا العهد الحسني السعيد الحافل بالمكرمات والغني بالمأثورات سجل بلدنا إزدهارا وتفوقا قلما يجود بمثليها الزمان وذلك في مختلف المجالات التنموية والتحريرية والإسلامية :

ففي ميدان التربية والتعليم وتكوين المواطنين تعد المملكة المغربية من أرقى دول العالم في هذا المجال إذ تنتشر المدارس والمعاهد والجامعات في كل بقعة من أرض وطننا الغالي العزيز، كما أن عدد التلاميذ والطلاب المتصدين للتعلم والدرس قد قفز إلى رقم يشرف ويماشي مستوى القطاعات الموازية الأخرى، واعتنى جلالته بميدان التعليم الإسلامي الأصيل فجدد ما اندثر منه ونظم جامعة القرويين التي تعد حصنا حصينا ومأمنا أمينا وركنا ركينا وقلعة شامخة من قلع اللغة العربية والحضارة الإسلامية، ولم تقتصر همته العالية أطال الله بقاءه وخلد في الصالحات ذكره وثناءه ـ على ذلك فقط، بل أنشأ دار الحديث الحسنية حفاظا على الحديث الشريف والاسناد الصحيح اللذين اعتنى بهما العلماء المغاربة اعتناء فائقا وبذلك ربط السلف بالخلف واللاحق بالسابق ثم بعد ذلك رمم المدارس القرءانية وجددها وخاصة تلك التي تهتم بالقراءات المتواترة وأشاع الوعي الإسلامي الصحيح عن طريق إذاعة الدروس الرمضانية التي يحييها جلالته في رمضان المعظم من كل عام ويستدعي للمشاركة فيها العلماء الاعلام من مختلف الاصقاع الإسلامية.

وبما أن جلالته هو حامي الملة والدين والساهر الأمين على الإسلام والمسلمين فقد دافع عن سنة جده المصطفى الصادق الأمين فبدد الغيوم والظلمات وحارب الأهواء والضلالات وكبح جماح الغاوين والمتنطعين والمتشددين والمبتدعين وصدق الله العظيم ﴿**الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور...**﴾

وإن المغرب اليوم ـ شأنه في ذلك شأن باقي بلاد الإسلام ـ ليقف على أعتاب صحوة إسلامية شاملة تمس في الصميم مبادئه وشرائعه وأخلاقه ومعاملاته بفضل المجهودات المشكورة المبذولة من طرف مولانا أمير المومنين الحسن الثاني الذي لا يترك فرصة تمر سواء في أوامره وتوجيهاته أم في خطبه ومواقفه دون أن يذكر شعبه العزيز بالتشبث بالإسلام عقيدة وعملا وهو أعزه الله في كل ذلك انما يعطي المثل الاسمى لشعبه قصد الرجوع به إلى السنة الغراء والمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد عمد جلالته في الآونة الأخيرة ـ تكريسا لكل مجهوداته الاصلاحية تصحيحا للصحوة الإسلامية ـ إلى أحداث المجلس العلمي الأعلى برءاسة جلالته والمجالس العلمية الاقليمية وأصدر بذلك ظهيرا شريفا علويا منيفا يحدد اختصاصاتها وينظم هيئاتها ويوسع مجالات تدخلها في شتى الميادين التي تدعو الضرورة الملحة إلى تداركها وطرق بابها احقاقا للحق وإزهاقا للباطل ان الباطل كان زهوقا. وانا لنتمنى لهذه المجالس أن تقوم بواجبها وبالامانة العظيمة الملقاة على عاتقها أحسن قيام كما نتمنى لها أن تلتزم في فتاويها وفي إرشادها وفي كل ما يصدر عنها بأحكام الإسلام الصحيح الصريح الذي لا تشوبه شائبة ولا يسير مع المصالح الشخصية والنصائح الذاتية

ولا مع الاهواء والاضاليل وانما يقتصر على قواعده القويمة وطرائقه المستقيمة.

وما دمنا في صدد تعداد مظاهر الصحوة الإسلامية في العهد الحسني السعيد فلا ينبغي أن نغفل عن تأسيس نظام الحسبة التي أمر بتجديد رسومها وارساء أسسها جلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله، فالحسبة كما هو معلوم نظام إسلامي خالد أقره الإسلام وطبقه المسلمون الأولون فجاء بنتائج باهرة في ميدان المراقبة على السلع المعروضة للبيع، وفي مضمار الاخلاق والمحافظة عليها وصيانتها وكذلك في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدق اللـه العظيم إذ يقول : «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر» وفي الحديث. لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.

فإننا نسجل بكل إرتياح واطمئنان واعتزاز واستحسان تصدى جلالة الملك بحكمته المعهودة وحنكته المشهودة وحصافته الرشيدة لذلك التعدى السافر والاستيلاء الغادر على صحرائنا المغربية حيث استنبط اعزه اللـه معجزة العصر واعجوبة الدهر المسيرة الخضراء إلى تحرير الصحراء من الاستعمار الظالم فكانت النتيجة والحمد لله ذلك الفتح الرباني العظيم الذي أدهش القريب والبعيد وأقر بفعاليته وجدواه كل منصف ومحيد. وهكذا تحررت الصحراء وانضمت إلى الوطن الأم بفضل كفاح جلالته وتأييد الشعب المغربي قاطبة لخطواته الموفقة، والجهود متوالية والنية معقودة بحول الله لتدارك ما فات إبان الاستعمار من إصلاحات مفيدة وتخطيطات بناءة في الصحراء التي وعد مولانا الملك بإلحاق أقاليمها الثلاثة بمستوى الازدهار الذي تتمتع به الأقاليم الشمالية من المملكة الشريفة، فهنيئا للصحراء المغربية ولأهله الصادقين المخلصين بهذه الجهود المثمرة وصدق الله العظيم : «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد».

والعرش العلوي المجيد ما فتيء منذ القديم يعمل لنشر العدل والامان ويدعو إلى السلام والاطمئنان تحت ظل راية القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ومواقف الملوك الأشراف العلويين - من المولى محمد بن الشريف وأخويه المقدسين المولى رشيد والمولى إسماعيل العظيم إلى وارث سرهم وقدح زنادهم وشعلة عبقريتهم مولانا الحسن الثاني المؤيد بالله - ثابتة واضحة لا غبار عليها ولا التباس وهي مبنية أساسا على التصالح والتناصح والتآزر والتظافر خدمة للعروبة والإسلام إنطلاقا من الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه قال مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

إن جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ورعاه الذي يحتفل الشعب المغربي الكريم اليوم بالذكرى الثالثة والعشرين لاعتلاء جلالته عرش أسلافه الطاهرين المنعمين ليعد أبرز شخصية قيادية في العالم الإسلامي تجاهد بكل ما أوتيت من توفيق واتزان وسداد وصبر ومثابرة ورشاد لاحلال السلام والأمن في ربوع المعمور ولتحرير مدينة القدس الشريف والمسجد الأقصى من أيد الصهاينة الخبثاء المعتدين الذين يحاولون بكل الوسائل الظاهرة والخفية محو معالم الإسلام ومظاهره من الأراضي الإسلامية التي استولوا عليها ظلما وعدوانا وبأساليب شيطانية وإعانات خارجية مفضوحة وممقوتة وانا إن شاء الله لفي انتظار ذلك اليوم الذي ينتصر فيه سلطان الحق ويعلو شأن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على يد مولانا الملك المؤيد بالله «ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب».

واعتبارا لما لجلالة المعظم من شهامة واريحية ودور متميز في تحرير بلاد الإسلام والمسلمين من مخالب وبراثين الاستعمار المعتدى الأثيم، اقتداء بأجداده المنعمين الذين يشهد التاريخ - وهو خير شاهد - انهم هبوا خفافا وثقالا لنصرة المسلمين في أقصى البقاع الإسلامية وحرروا أسرى كثيرين من المسلمين من يد قراصنة الدول الأوروبية المسيحية ابتغاء مرضاة الله تعالى وتحقيقا للتضامن الإسلامي، اعتبارا لكل ذلك وغيره فقد اجمع العالم الإسلامي والعربي على تقليد جلالته رئاسة لجنة القدس تلك اللجنة التى جعلت من أوائل مهامها تحرير مدينة القدس عاصمة الدولة الفلسطينية المغتصبة والضائع حقها في متاهات الجحود والتعنت والغرور واللامبالاة وفي مناورات القوة والعصيان والصهيونية ومن سار في مسارها ونهج نهجها من الدول التي تؤثر المصالح على المبادىء وتقدم الشكليات على الحقائق والله غالب على أمره. وان ابناء

العالمين الإسلامي والعربي ليحيون الأعمال الناهضة والمواقف الخالدة والتدخلات المفيدة لجلالة الملك ويرون فيه خير محرر للمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ويباركون خطواته الموفقة الرشيدة في سبيل نصرة الدين وتدعيم المشروعية والدفاع عن الحق العربي السليب.

ونسأل الله العلي القدير أن يمن على مولانا الإمام الملك الهمام بالنصر والتأييد والتمكين والظفر والفتح المبين وأن يسدد خطاه ويوفق أعماله ويسلك به الطريق المستقيم لخير شعبه وأمته المتفانية في حبه والمؤيدة لعمله ويحفظه في ولي العهد المحبوب الأمير سيدي محمد وصنوه السعيد الأمير مولاي رشيد، ورحم الله أولئك الملوك العلويين الاماجد ذوى الأعمال الجليلة والمواقف النبيلة وفي طليعتهم مولانا محمد الخامس منقذ المغرب وبطل التحرير وأب المغاربة أجمعين فجزاهم الله الجزاء الأوفى والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

الرحالي الفاروق

• مخطوطة نادرة
في خزانة الأمير مولاي عبد الله

•• في الحديث الخاص الذي حرره د. عبد الهادي التازي عن اهتمامات سمو الأمير مولاي عبد الله - رحمه الله - ذكر أنه إلى جانب هواياته الرياضية من ركوب الخيل والقنص بالصقر والكرة إلخ... هناك جانب الاهتمام بالمخطوطات التراثية، وفي هذا الصدد ذكر .. التازي أن خزانة سمو الأمير تحتضن عددا من المخطوطات "نادرة، منها وثيقة وحيدة في العالم، ويتعلق الأمر بعقد تملك من ستة أمتار وثلاثين سانتيمتراً في الطول، على عرض أربعين سانتيما يحتوي على 48 ألف كلمة، ويرجع لتاريخ (1117 هـ = 1744م) وهو يتعلق بالمبادرة الحاسمة التي قام بها السلطان مولاي اسماعيل لتطويق التجارة في العبيد تمهيداً للقضاء على الرق... ويذكر أن الدكتور التازي هو الآن بصدد تحقيق هذه الوثيقة التاريخية التي تكتسي أهمية بالغة بالنسبة لمعرفة الحياة الاجتماعية المغربية في القرن الثامن عشر ••

العرش المغربي أقدم العروش

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

إن نظم الحكم وأجهزة الإدارة بالمغرب الأقصى قد اتسمت منذ الفتح الإسلامي بطابع تقليدي واحد هو الطابع العام الذي وسم أنظمة الحكم في مختلف أجزاء العالم الإسلامي خاصة في العصور الوسطى وهو نظام ملكي غير دستوري في بدايته تكون فيه السلطة المطلقة للسلطان أو أمير المؤمنين الذي كان يختار مساعديه من الوزراء والكتاب ضمن أعراف وعادات تنطبع بسمات من المثالية الإسلامية.

والواقع أن هذه الأعراف تبلورت مع الزمن ضمن إطار اتضحت وبرزت في هليكله دوريا بعض المعالم التي ظلت في تغير مستمر بلغ الأعماق أحيانا فأصبح نظام الحكم في مساره الموصول عبارة عن ملوك يتداولون الحكم تعقد لهم البيعات من طرف (ذوي الحل والعقد)، غير أن نظام الحكم في إطاره هذا التقليدي المطاط يظل محط تقدير في مسار التاريخ حسب تجاوبه مع الحاجات الحقيقية للشعب ومصالحه ورعاية كرامته في إطار (حنيفية الإسلام) السمحة وتنصب هذه الإختيارات خاصة على مشروعية الموارد وما يفرض على الشعب لتسديدها من رسوم خارج الزكوات والأعشار الشرعية وما يستتبعه ذلك من لوازم وإجراءات.

وإذا كان لهذا القوام المالي للدولة أهميته في تحديد مشروعية الإختيارات فإن المحاولات الموصولة لتركيز بعض الإختيارات على التوازن القبلي لم يكن يقل أهمية عن باقي العوامل.

فميزان القوى بين الحاكم والمحكوم يتجلى في مدى انصياع (الرعية) للراعي خاصة في مجال الجبايات أى إسهام (المواطن) في الدعم المالي لكيان الدولة بحيث يتجه معظم المؤرخين بالمغرب إلى أن الفارق الوحيد بين ما يسمى بـ (بلد السلطان) و(بلد السيبة) (أي البلد المتمرد) أن الأولى تخضع للأمير (جبائيا) والثانية تمتنع رغم انصياعها الروحي لأمير المؤمنين من أداء أية ضريبة للمخزن أي لحكومة السلطان وهذه الظاهرة قد طبعت تاريخ المغرب بميسم بارز تجلى في وجود هياكل تقليدية منحها البعض أحيانا إسم (جمهوريات) وهي مجرد جماعات لا في الأطلس وحده بل حتى في الحواضر حيث قامت ثلاثة (دواوين) في مصب نهر أبي رقراق أي في مساحة لا تزيد على بضعة كيلو مترات مربعة قبيل قيام الأسرة العلوية الشريفة. الذي حققت وحدة البلاد بقيادة السلطان.

وقد تجلى الطابع القبلي في تنظيمات سياسية وعسكرية منذ عهد الموحدين حيث شكل منذ حوالي 519 هـ/1125 م فجلس العشرة، وهو مجلس مستشاري المهدي بن تومرت وأركان حربه وكتابه وقضائه في حاضرة دويلته (تينمل) وهو يضم إلى جانب ابن تومرت وعبد المومن والبشير عبد الله الونشريسي بعض قادة الأطلس

كالعمرين الهنتاتي والصناكى وابن وانودين وابن يغمور وابن تافراكين ومحمد بن سليمان وابراهيم بن اسماعيل الخزرجي وعبد الواحد الحضرمى والتحق بهم أربعون ممثلا للقبائل الكبرى مثل كدميوة ونفيسة وهنتاتة وهسكورة كونوا آيت الخمسين في شكل مجلس للشيوخ الموحديين.

كان يعقد دوراته عندما يستشار في المناسبات الهامة وكان الطلبة والحفاظ يدربون الدعاة يليهم في الرتبة أهل الدار وأهل الساقة.

ودارت معركة (عام 516 هـ) مني فيها اللمتونيون بأول هزيمة فاتسع نفوذ ابن تومرت الذي أقام (عام 519 هـ) بتينمل دارا ومسجدا وتينمل وهو حوض خصيب على (وادي نفيس) طويل دقيق في شعبة الأطلس الكبير وكانت مناعة الجبل خير حمى من سطوة اللمتونيين وهنا دعم ابن تومرت كتلته الأطلسية على فكرة دينية أذكت أوراها عداوة تقليدية ضد صنهاجة الملثمين وظل يتنقل من شرق الأطلس إلى غربه بالغا سواحل المحيط بأكادير حيث أقر أتباعه بإمامته وأمسى بصفته (المهدي المنتظر) رئيس دويلة حاضرتها المحصنة (تينمل) وهدفها إقرار الإسلام الصحيح على هدي القرآن مع انتقاء الأصلح من أعراف البربر في الشورى والتراتيب السياسية..

وبالرغم عن (الإطار المخزني) المحدود في ظرفيه المكاني والزماني معا فإن الهياكل التقليدية ظلت قائمة بل ازدادت قوة ومناعة وتجذرت فروعها في كثير من الأقاليم ولم يكن مجلس العشرة الموحدى سوى صورة للمجالس الأصلية الأخرى فمجلس تاقبيلت مثلا هو الهيئة المركزية للجماعة الصغيرة المستقلة في كل قرية بربرية ويسمى أيضا الديوان (البربر والمخزن في جنوب المغرب - روبير مونطاني ص 221) والعضو ينبغي أن يكون غنيا ليضيف في منزله مجلس القبيلة وأن يستطيع الكلام في الجماعة وتفرض التقاليد أن يكون العضو متكلما باسم عدد من القبائل (عشر جنوبي حاحة و20 بأدواتنان) ويسمى الديوان (آيت الأربعين) في الأطلس الكبير وهو إسم مشهور لنفس المسمى في مجموع المغرب في قلب الأطلس الكبير والأطلس الأوسط والريف ولكن أعضاء هذا المجلس أصبحوا عشرة أو خمسة عشر بدل أربعين غربي الأطلس قبل عام 1930.

و(المقدم) هو رئيس المجلس يقدم كل سنة بيانا عن تصرفاته ويعين المجلس كل سنة مقدما جديدا ويقتضي التقليد أن يكون المقدم من الأطلس الكبير رجلا عاديا يكون متكلما بلسان المجلس فهو (مقدم الإنفلاس) فقط وفي (تنغير) بتدغة يحمل الرئيس المعين لسنة إسم (أمغار) ويعينه خلفه وربما أسندت الرياسة لرجل تسانده مجموعة من العائلات فيظل رئيسا عدة سنوات ويترك إسم المقدم ليحمل إسم أمغار.

ولا وجود للسجن وإنما القتل أو النفي أو الذعيرة التي يتقاضى ثلثها المقدم وثلثها الآخر للقبيلة أي الإنفلاس والثلث الباقي للصندوق المشترك (الضيافة والمصاريف العامة) ولكن نفوذ الأمغار ازدادت فأسس سجنا وقصبة وأصبح الأمغار فوق قوانين القبيلة وانقلب إلى قائد كما وقع لأمغار (تاكوندافت) لا سيما إذا اعترف به السلطان وقد يشارك في حرب كما وقع لعمر (التوزالتني الذي حارب الفرنسيين بجانب الأمير عبد القادر وقد أصبح الأمغار القائد أقرب إلى «إكليد» أي أمير بربري ذلك أن أمغار (تاكوندافت) انقلب من رئيس دشر إلى قائد (لف) حربي إلى رئيس قبيلة (وادي نفيس) ونظام القيادات الكبرى الذي خلف (الأمغارية) سمى أحيانا بالإقطاعية البربرية (ص 341) فصدع النظام القبلي القديم وأصبح حكما استبداديا بجانب المخزن ويزعم (مونطاني) أن القائد أصبح يقرب القاضي بصفته كاتبا له وعدوا لدودا للقانون العرفي الذي تندس جذوره في ماضي المؤسسات الديموقراطية (344) وقد تجلت هذه الإقطاعية خاصة في استيلاء القاضي على الأراضي الجماعية وإجبار الناس على «الفريضة» والتملك بكل الوسائل وانتزاع عائلة القائد أخصب الأراضي مع تسخير الناس لمصالحهم وقام (ملاح) لليهود تحت حماية القصبة لتسهيل تجارة القائد المشبوه بها والتي استحالت إلى احتكار لكل خيرات الإقليم لمساعدة الحماية الفرنسية وعزز القائد قوته بالمصاهرة مع صغار قواد المخزن في السهول أو مع الأمغارات المستقلين في الجبل وهذا مظهر جديد لانهيار عادة الزواج بواحدة عند البربر وقد تأسست (القيادات الكبرى) خاصة بين 1897 و1916 (ص 348) وكان الأمغارات يعززون نفوذ القيادات الكبرى دون شعور منهم.

ويتجلى العمل السياسي أو الإداري في حياة السلطان اليومية في دعم قوة الجيش التي تضمن استمرار الدولة في شخصه وحفاظه على سيطرته في أقاليم امتدت تبعا لهذه القوى من حدود (السنغال) جنوبا إلى تخوم (ليبيا) شرقا إلى أقصى حواضر الأندلس شمالا فلنستعرض (يومية) ملك وصف بأنه أعظم ملك في المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري وهذا الملك هو أبو الحسن المريني الذي تحدث عنه ابن فضل الله العمرى في المسالك (الباب الثالث عشر حول أبى الحسن المريني ورقة 110 ب) (صبح الأعشى ج 5 ص 204) فذكر أنه كان يدخل عليه الأشياخ الكبار وهم في دولته بمنزلة أمراء التوابين بإيران ومقدمي الألوف بمصر يسلمون عليه ثم يمد لهم سماط ثرائد في جفان حولها طوافير وهي المخافي فيها أطعمة ملونة منوعة ومعها الحلوى ثم يتفرقون إلى أماكنهم وربما ركب السلطان بعد ذلك والعسكر معه ويركب في الغالب بعد العصر ويذهب إلى نهر ويخرج إلى مكان فسيح من الصحراء على نشز من الأرض تتطارد أمامه الخيل فيتطاعن الفرسان وتقام صفوف الحرب على سبيل التمرين ثم يعود في موكبه إلى قصره وتتفرق العساكر ويحضر العلماء والأعيان إلى مسامرته ويمد لهم سماط يواكلهم فيه وفي ذلك الوقت يكون لكاتب السر معه اجتماع مهم.

ومهما يكن فإن نظم الحكم والإدارة قد تطورت طوال ألف عام احتفظ المغرب خلالها باستقلاله فكان هو البلد العربي الوحيد الذي نعم على مدى هذه الفترة الموصولة بحريته المجردة من كل قيد تركي أو غير تركي غير أن هذا التطور تبلور قبيل الحماية الفرنسية في معطيات أساسية تمحورت مع الزمن في تنظيمات إقليمية وجهاز مركزي مخزني يتشكل كما يلي :

العمالات :

يمكن القول دون تحديد دقيق أن المغرب قبيل الحماية كان يشتمل على ست عمالات هي :

1 ـ المغرب الشرقي الذي يبتدىء من وجدة ويمر من تازة إلى تافيلالت.

2 ـ ناحية الشمال وفيها تطوان وطنجة والقصر والعرائش ووزان ومركزها العام هو العاصمة الإدريسية.

3 ـ الغرب ومركزها مكناس. 4 ـ ناحية العدوتين وتامسنة وتشمل الرباط وسلا وقبائل الشاوية ودكالة.

5 ـ ناحية الحوز ومركزها مراكش مع آسفي والصويرة. 6 ـ الجنوب ويمتد من المحيط إلى حدود الجزائر وتزنيت ويندرج فيه أقصى الجنوب إلى نهر السنغال (شنقيط والساقية الحمراء وتوات وعين صالح الخ).

دار المخزن :

وقد كانت أجهزة الدولة المغربية صورة طبقا لأصلها الأندلسي الأموي وكانت هنالك ثلاثة عناصر هي دار المخزن والوزراء والقضاة والحكام.

أما دار المخزن فقد كانت بين جوانبها آلاف الخدمة والحشم والحرس ويشرف الحاجب على قسمها الداخلي بينما يهتم قائد المشور بالقسم الخارجي الخاص بالإستقبالات والأوامر الملكية والإتصالات مع القبائل.

وللحاجب نائب يعينه على تسيير أعمال أصحاب الوضوء والغطاء والماء وافراك (الاخبية السلطانية أو العسكرية المتنقلة) والكين (أي الجزارة) والفراش والملحفة، (وسائل التنقل) «والروى» (أي اصطبلات الخيل) وكان على رأس كل فرقة قائد يساعده خليفة.

أما قائد المشور فقد كان له نائبان يعينانه على ضبط علاقة القصر عن طريق (المشاورية) بالبنيقات أو مكاتب الوزراء وكبار البلاط.

وكانت مسطرة الإقتبالات أن الصدر الأعظم يتلقى الطلب فيرفعه إلى السلطان الذي يكلف عند الرضى قائد مشوره بتنظيم المقابلة التي يحضرها الحاجب أحيانا.

وقد كان إلى جانب المشاورية طائفة المسخرين أو الرقاصة من قبائل الجيش يكلفون بنقل الرسائل بين القصر والقبائل ويتجلى اهتمام السلطان بهؤلاء الأعوان في الإشراف المباشر، على قائدهم.

الهيئة الوزارية :

1 ـ **الصدر الأعظم :** كان للسلطان أعوان أو وزراء يساعدونه على تسيير دواليب الحكم وكان لكل وزير بنيقة أى مكتبه الخاص وحوله كتبته وفي طليعتهم **(الصدر الأعظم)** الذي **لم يكن رئيس الحكومة. لأن الحكومة**

كانت تتشخص في السلطان الجامع بين رياسة الدولة ورياسة الحكومة ولم يكن للصدر حق التقرير **لأن البت من حق السدة العلية وحدها** وكان ينوب عنه كاتبه الأول أو الكاتبان الثاني والثالث) عندما يتغيب ويعرف مكتبه بالبنيقة الكبرى لتعدد كتابها.

وكان الصدر يشرف خاصة على نشاط القضاة ونظار الأحباس ونقباء الأشراف وعلى الباشوات والقواد في خصوص ما يخلعه السلطان على رعاياه من تحف وهدايا (التنافيذ) أو أداء المصاريف التي يأمر السلطان بدفعها أو تحرير الظهائر والمراسيم المولوية وتسليم العطاءات العقارية أو تنفيذ التعيينات في الوظائف المختلفة أو عزل الموظفين أو تسليم القرارات السلطانية، إلى قائد المشور في شأن الحركات وتنقلات الجيش واعداد المؤن.

2 ـ **وزير الشكايات :** وهو (صاحب الرد) في الأندلس مهمته النظر فيما يرد على السلطان من شكايات وإبلاغ أصحابها ما يتخذ الأمير من قرارات ولم يكن للسلطان أية اختصاصات في ميدان الشرع ولو كان عالما إلا أنه كان له حق جمع العلماء لاستفتائهم في قضية فقهية قبل إحالتها على قاض جديد فيكون مجلس المفتين بمثابة هيئة (عليا للنقض والإبرام) وأحيانا يبت العلماء كأنهم هيئة استئنافية.

3 ـ **العلاف الكبير :** يشبه نوعا ما (وزير الحرب) وإن كان لا يهتم في الواقع إلا بالسهر على تموين الجيش في السرايا والغزوات وتجهيزه بالسلاح والعتاد وهو الذي كان يعد سجل (الديوان العسكري) ويقدمه إلى السلطان مؤشرا ومذيلا بإمضاء الصدر كما كان يشرف على المصاريف الشهرية لمخازنية البلاط الداخليين.

4 ـ **وزير البحر :** أنشأ الحسن الأول هذه الوزارة لضبط علائق المملكة مع ممثلي الدول الأجنبية فكان واسطة بين السلطان والسلك الدبلوماسي يهتم بقضايا المحميين القنصليين ويحضر مشاريع الاتفاقيات والمعاهدات بين المغرب ودول أوربا ويحرر الرسائل إليها ويوجه إلى القواد الأوامر السلطانية بخصوص المحميين القاطنين في عمالتهم كما يشرف على كل ما يتعلق بالبعثات الأجنبية بالمغرب وكان أول وزير للبحر هو الفقيه محمد بن المفضل غريط.

5 ـ **أمين الأمناء :** الذي تنحصر مهمته في جزء من الإختصاصات العادية لوزراء المالية مثل السهر على تعيين أمناء المراسي أي جباة الجمارك والديوانات والأملاك المخزنية و(المستفاد) أي الضرائب المباشرة.

وكانت (موارد الديوانة) تسلم مباشرة إلى أمين الدخل من طرف أمناء المراسي بعد إسقاط المصاريف المحلية مثل أجور عملة الديوانة وجنود الحامية التي تدفع بدون مراقبة بخلاف النفقات العارضة الأخرى التي لم تكن تؤدى إلا بإذن خاص من أمين الأمناء والباقي يركز في بيت المال الذي هو الخزينة العامة للدولة وكانت هنالك بيوت للمال في فاس ومكناس ومراكش ولكن أهمها الصناديق المودعة بالقصر السلطاني بفاس الجديد والموصدة داخل غرفة تلى القوس بأربعة أقفال تؤمن مفاتيحها عند أربعة من كبار الموظفين بحيث لا تفتح إلا بحضور الجميع في حفل خاص بشهادة عدلين ويصبح القوس مستودعا مؤقتا عند غياب السلطان يسيره (أمين القوس) بدل أمين الدخل الذي يرافق السلطان.

وكانت (دار عديل) عبارة عن خزينة تجمع بفاس موارد (المكس) يشرف عليها أمين (المستفاد) بمساعدة أمينين اثنين.

إلا أن صرف محتويات بيت المال لا يتم إلا بواسطة أمين الخراج أو الصائر أو الشكارة علاوة على أمين الدخل «وبنيقة الصيار» (1) هي التي تؤدي مرتبات الوزراء والكتاب والجيش والمخازنية والمشاورية بالإضافة إلى الصدقات والهدايا للأضرحة والزوايا.

وكان للسلطان بيت المال الداخلي «الشخصي» يمون علاوة على الهدايا بموارد عزايب السلطان (أي ضيعه الفلاحية) أو عقاراته بفاس ومكناس ومراكش وغيرها.

1) أي مكتب النفقات (النفقة = الصائر).

6 ـ **أمين الحسبة** الذي يركز حسابات الأمناء ونظار الأحباس ووكلاء الغياب ويسهر على تطبيق مقتضيات الإتفاقيات الأجنبية في خصوص مداخيل الديوانة ومراقبة زكوات المحاصيل وأعشار القبائل فيسجل بذلك دخل الدولة ونفقاتها.

7 ـ **أمين الصائر** : يقوم بتعليمات من الصدر بتنفيذ قرارات السلطان في خصوص الأداءات وأجور الموظفين والجند بعد تأشير أمين الأمناء.

8 ـ **أمين «الفرقوش»** : أي حيوانات النقل أو ماشية المخزن فيراقب أفراس الدولة وبغالها وجمالها وتعويض ما مات منها والسهر على تجهيزها.

9 ـ **أمين العتبة** الشريفة الذي يهتم بموارد القصر الشهرية من لحوم وغيرها ويراجع حسابات القصور الملكية في مختلف المدن ويذيلها بإمضائه قبل أن يعرضها أمين الأمناء على السلطان ويركز مفاتح صناديق المال ويراقب توصلات عبيد البخاري وحراس البلاط بأجورهم كما يهتم بتسيير شؤون القصور كلها.

وكان **السلطان هو المنسق الأكبر لشؤون الدولة بصفته الرئيس الفعلي للحكومة والقائد الأعلى للجيش** فقد كان الحسن الأول مثلا يدرس كل صباح ملفات الوزراء ويوقع الرسائل التي ينقلها (وصيف الدار) إلى (الحاجب) فيوجهها هذا الأخير مع (صاحب الوضوء) إلى الوزارات المعنية بعد أن يسجلها في (دفتر خاص) وهو الذي كان **يختم الصادرات** ويسلمها لقائد المشور ليوصلها (رقاص البريد) إلى أصحابها في مختلف أنحاء البلاد ثم يتوجه السلطان إلى (قاعة العرش) لاستقبال وزرائه وينهي أحد الفرايكية (أي الطائفة المكلفة بتنقلات السلطان) هذا النبأ إلى البنيقات ويستدعي السلطان من يريد بأيفاد صاحب الوضوء إلى (قائد المشور) الذي يعرض على أنظار السلطان الرسائل الواردة من الأقاليم دون أن يفض خاتمها ثم يرفع قائمة الأشخاص الراغبين في مقابلة السلطان الذي يصدر أوامره في هذا الشأن **والسلطان هو الذي يفتح المراسلات بنفسه ويعقب عليها بيده ثم توزع على الوزراء للتنفيذ.**

ثم تتوالى الاستقبالات فيدعو السلطان الصدر ثم أمين الأمناء ووزير البحر فيدرس مع كل واحد القضايا الداخلة في نطاق اختصاصه ثم يأتي دور **الإستقبالات العادية وهكذا يحل السلطان مشاكل الوزارات المختلفة دون أن يكون للصدر مجال لإبداء رأيه.**

ويستأنف السلطان من العصر إلى المغرب في ردهة العرش هذه السلسلة من الإستقبالات والإجتماعات **وبعد العشاء يعلق على الرسائل التي ستوجه في الصباح إلى الوزراء** ثم ينهي السلطان يومه بتلاوة الكتب السياسية والتاريخ وفي يومي الأحد والثلاثاء يستمع إلى الشكايات بحضور الوزير المسؤول الذي يقدم له ملف كل قضية **فيصدر السلطان قراراته بعد إمعان النظر وتدقيق البحث** ويخصص أيام الإثنين لمشاهدة **تدريبات طلبة مدرسة المدفعية** وأيام الأربعاء لاستعراض الجند من أجل مراقبة عدد أفراد الجيش والصوائر العسكرية ويقضي السلطان أيام الخميس في نزهة مع حرمه بحدائق القصر كما يفرد أيام الجمعة بإقامة الصلاة في موكب فخم وكان يوم السبت هو اليوم الأول في الأسبوع تدشن فيه بداية «المخزنية» أي الأعمال السلطانية.

أما الباشوات فقد كانوا قوادا عسكريين يشرفون على قبائل الجيش وعلى بعض المدن الأندلسية مثل فاس والرباط وطنجة وحتى مراكش حيث يتولى الباشا قيادة الحامية العسكرية بينما يراقب القائد الأمن بالمدينة ويسهر على جمع الضرائب ويقوم بدور التنفيذ للأحكام ويظل القائد في منصبه مادام متمتعا بثقة الجمهور وإلا عزله السلطان دون حاجة إلى ضغط من الفكر العام حيث كان السلطان يراعي في تعيين القواد رغبة الأعيان لا سيما منهم العلماء والأشراف ورؤساء الحناطي (النقابات الصناعية) والتجار.

وكثيرا ما عين السلطان على رأس (فاس البالي) قائدا عسكريا من العبيد أو خدام القصر نظرا للمكانة الخاصة التي كانت تشغلها هذه الحاضرة وآخر القواد الذين عرفتهم فاس هو (بوشتة ابن البغدادي) (أبو الشتاء) الذي أذاق الفاسيين الأمرين لشدته وغلظته وكانت سلطة القائد واسعة في الميدان الجنائي (من الإعدام إلى الذعيرة أو التعزيز

بـالسيـاط) ولم يكن لـه أي نفوذ في الشؤون المـدنيـة والتجارية التي كانت من اختصاص (المحتسب).

والمدن الكبرى هي التي كان لها قضاة وعـددهم نحو الخمس عشرة في مجموع المملكة وكان في كل من فاس ومراكش ثلاثة من القضاة وقد بلغ عدد هؤلاء في أواخر الحماية مائة وأربعة عشر أما القبائل فلم يكن فيها سوى نـواب عن القضـاة الحضريين فكـان النـائب يشرف على مجموعة من القبائل عدا الأطلس حيث كان العرف هو المحكم وقد انحصر اختصاص القاضي في الأحوال الشخصية والدماء مع الإشراف على العدول والوكلاء والعلماء والأشراف والموظفين الدينيين ووكلاء الغياب ونظار الأحباس وكان قاضي (السماط) بفاس هو (مراقب جامعة القرويين) وعلمائها فكان القاضي يقوم بدور سياسي هام بصفته منفذا للشرع بالنيابة عن الإمام وهو السلطان لذلك كان هذا الشخص يختار من العلماء النزهاء الورعين وكثيرا ما كان العلماء يفرون من هذا المنصب منذ صدر الإسلام وكان القاضي ملزما بالحكم بالمشهور من الآراء بما جرى به العمل وبالعرف والعادة تبعا للمذهب المالكي وينص (ظهير التعيين) على ذلك بوضوح ولم يكن حكم القاضي يستأنف إلا بالشكوى للسلطان الذي يستدعي العلماء لإبداء رأيهم.

أما المحتسب فهو الذي يسهر على حماية الفقراء وحقوق المعوزين ومصالح التجار ويراقب المكاييل والأوزان والمبيعات لمقاومة التدليس والإختلاس والواقع أنه كان يشرف على جميع (مرافق الحياة) الإقتصادية (التجارية والصناعية) بتحديد الأثمان بناء على أسعار المزايدات العامة وله وحده حق التعزيز والتأديب بالسجن والإيقاف والحجز في هذا الميدان ويفض النزاعات التجارية باستشارة الخبراء وأمناء (الحناطى) وللمحتسب أعوان ومفتشون ومخازنية يخضعون له مباشرة وهو الذي يوجه يوميا لأمناء المرسى لائحة الأسعار لتحديد الأعشار الموظفة على الواردات والصادرات والمحتسب هو المشرف على (الحناطي) التي كانت عبارة عن نظام نقابي واسع الحرية لم يتقلص ظله إلا بالإتصال بالحضارة الأوربية وكان المخزن يحترم الحرية التجارية (2) وقد شبه البعض وظيفة الحسبة بوظيفة شيخ البلد أو عميد الشرطة بفرنسا (3).

وهكذا انتظمت بالمغرب في أواخر عهد الإستقلال (أي قبل الحماية) مؤسسات الدولة والإدارة المركزية وهيأة القضاء والمنظمات الإقتصادية والنقابية بصورة اتسمت بشيء غير قليل من الروعة والفعالية والأصالة وكان هذا الجهاز في تطور مطرد تبعا للمقتضيات المتجددة غير أن تسرب العناصر الإستعمارية أقام الأشواك في طريق المغرب الذي أحال هذا الإستغلال دون استمراره بجد في اقتفاء آثار الدول المتمدنة في النهضة والإنبعاث.

وقد شملت هذه التنظيمات الصحراء بكاملها وكانت خاضعة آنذاك للملكة المغربية إلى أن استولى عليها الإستعمار الفرنسي والاسباني.

وقد أكد المؤرخون كلهم ـ مسلمين وأجانب ـ مغربية الصحراء ووصف صاحب «التبيان في تخطيط البلدان» المؤلف قبل الحماية (ص 402) (الصحراء الكبرى) بأنها «صقع كبير واسع بافريقية الشمالية يمتد من وادي النيل إلى المحيط الأطلسي ومن مراكش والجزائر وتونس وطرابلس من الشمال إلى ممالك السودان بالجنوب وهي واقعة بين الدرجة 29،17 من العرض الشمالي وبين الدرجة 19 والدقيقة 22 من الطول الغربي والدرجة 34 تقريبا من الطول الشرقي». ثم ذكر أن حدها جنوبا خط يبتدىء من مصب نهر سنغال مارا بمدينة تنبكتو وقد لاحظ قبل ذلك (ص 129) أن بلاد تيديكلت وتوات وغورارة وكل واحات الصحراء الواقعة بالجنوب الغربي من بلاد الجزائر تعترف بنفوذ السلطان الديني وكذلك باقي البلاد المعروفة بالصحراء المراكشية مثل واحات درعة ونون والساقية الحمراء فلو اعتبرنا مراكش في أكبر عرضها الجغرافي بما يتبعها من الصحراء لرأينا أن طول سواحلها يبلغ 1750 كيلومتر (منها 425 على بحر الروم المتوسط و60 على المضيق و1.300 على المحيط).

ومما يدل على وجود روح ديموقراطية سامية لدى ملوك المغرب تشبثهم بفكرة تقرير المصير في الصحراء

2) راجع كتابي بالفرنسية «التيارات الكبرى للحضارة المغربية» (ص 60).
3) الوثائق المغربية (ج 1 ص 13 و51).

ذلك التقرير المتبلور في البيعة التلقائية للملك من طرف شعب الصحراء مثال ذلك ما وقع في الصحراء الشرقية حيث ألح السلطان المولى سليمان على منح حكم ذاتي للمناطق الشرقية واضعا بذلك أسس نظام جديد في العالم الإسلامي والعربي إلا أن شعب الصحراء عارض في ذلك متمسكا بالانضمام الكلي لمركزية الوطن الوالد فقد قام المولى سليمان بتجربة في الصحراء بعد عزله قائد (توات) على بن الجيلالي بن محمد الصفار كانت مرحلة لحكم ذاتي في إطار لا مركزية تحت السيادة المغربية وقد قام السلطان بهذه التجربة بدون طلب من السكان ولا ضغط منهم وإنما رغبة في إشراكهم في الحكم وتمكينهم كمواطنين من مقاليد إقليم يعرفونه أكثر من غيرهم وقد بدأ بتكليف ثالوث إداري triumvirat مؤلف من ابن عمه مولاي هاشم بن أحمد بن عبد الرحمن العلوي قاضي (تيمي) مع اثنين من التواتيين هما الطالب عمور والقاضي عبد الحق التواتي ثم عين بها رشيح من مولاى هاشم رابعا من أهل توات أيضا هو شيخ (تيمي). محمد بن الحاج العباسي وذلك (عام 1211 هـ / 1796 م) وبعد تزايد شكوى أهل توات بعاملهم محمد بن الحاج العباس عزله السلطان وأمر شيوخ الواحات بتقلد شؤون دوائره والشؤون العامة بالاستناد إلى القاضي وتقوى الله في السر والعلانية.

(للبحث بقية)

●● تاريخ المغرب كله يظهر لكم تعلق المغاربة بحرية الفكر، وذلك ما يجعلنا نحترم تفكيرهم واتجاهاتهم على شرط أن لا تمس مقدسات الدين ونظام الدولة. أما ما عدا ذلك من اراد مثلا التحدث عن التاميم فليتحدث ويكتب ما يشاء، وعندما تجتمع أراء الأمة كلها على أن التأميم هو الصالح نقول له طيب يد الله مع الجماعة. لنجرب التأميم وإذا كان آخرون يقولون ويكتبون بأن الحرية الاقتصادية هي النظام الأحسن واللائق وشعرنا بأن الأغلبية مجموعة على ذلك فإننا نؤيد الاجماع، والملاحظ أنه منذ الاستقلال إلى يومنا هذا لم تأت في الالقاب الوزارية، وزارة باسم الإرشاد القومي أو التوجيه، لأن المغاربة يعتقدون أنهم في غنى عن المرشد ليختاروا هذا المذهب أو ذاك، وهم يعيشون التجربة بأنفسهم ليقرروا الخطأ أو الصواب ●●

جلالة الملك الحسن الثاني



إلى عرشه نداء الأمس واليوم

للأستاذ محمد الخطيب

شاءت الظروف أن يمر عام كامل ويحول الحول على مقالي الأخير الذي تكرمت «دعوة الحق» بنشره بمناسبة عيد العرش المجيد.

وتشاء الظروف هذا العام أن يكون الموضوع الذي اختاره لنفس المناسبة هو ما كتبت حوله أو مظهر منه منذ عام مضى، وذلك إظهارا ومشاركة : إظهار لما أكنه واعتبره جديرا بالاحتفال، ومشاركة للشعب المغربي في فرحته والأمة المغربية يوم عيدها المجيد بتربع صاحب الجلالة على كرسي أسلافه.

واستجابتي لما طولبت بالكتابة حوله من تحرير مقال آخر للمناسبة، اعتبره تزكية لما سبقت مني الإشارة إليه، وتأييدا لما اسلفته في مقالي السابق من خطرات.

وقد أحببت أن اعتبرها كذلك خطرات، وإن كانت في الحقيقة ليست سوى إبراز واقع تجلى فيما كنا عليه، ويتجلى فيما نعمل من أجله ونكافح في سبيله تأكيدا لما يجعل هذه المناسبة عيدا قوميا وطنيا نقيم له من معالم الزينة والفرح ما بطوقنا واستطاعاتنا تعبيرا عن الفرحة وتخليدا لذكرى مناسبتها.

واعتقد أن ليس في الأمر ما يدعو للريبة والشك حول مصدر الفرحة وموجباتها، إذ هو احتواء كامل لكل سبب يجعل هذا العيد عيدا قوميا ووطنيا.

وإن الوقائع التي تحضرني بهذه المناسبة برغم كونها تاريخا باعتبار توقيتاتها، فإن التاريخ يظل قائما في أذهاننا دون اغفال لما يلزم أن يبقى منه، اعتبارا لكونه انعكاسا على حاضر الأيام وأحداثها وتطوراتها.

وتحضرني في هذه اللحظة وأنا أمسك بالقلم لأكتب هذا المقال، عدة ذكريات تاريخية تؤكد كلها تمسك الشعب بوحدته، ودفاعه عنها لكونها، كانت وستظل وسيلته الوحيدة أو الأولى لأبراز الكيان القومي المغربي في إطاره الحقيقي، وانها السبب والوسيلة إلى ما كانه المغرب ويريد أن يكونه تمسكا بحقه ودفاعا عن وجوده. وهي كذلك تبرير لهذا الجهد الذي يبذله المغرب والكد لما يسعى وراءه ويعمل لاسترجاعه من حقوقه الضائعة التي يراد استمرار ضياعها واغتصابها.

فالعرش بالنسبة للمغرب كان ولا يزال ذا المقام الأول من الكفاح والجهاد، إعتبارا بكونه الدعم والأساس الذي يقوم عليه الوجود القومي والكيان الوجودي. ولذا كان يوم الجهاد ذا المقام الأول في عمل المكافحين وهو لا يزال كذلك اعتبارا لما أسلفت ذكره وتمسكا بالغاية التي نشأ الكفاح من أجلها ويقوم عليها.

تحضرني كما قلت سابقا عدة جزئيات استوحي منها حسن القصد الذي كان يغمر ويدفع ولا يزال يغمر ويدفع لتمجيد الوحدة والسعي للحفاظ عليها.

إذ قسم اليمين بالنسبة للجيش البخاري الذي تحققت به وتعززت وحدة البلاد في الشمال والغرب أيام المولى إسماعيل، لم تكن ظاهرة تكوينه، والقصد منها غير تعزيز الوجود الكياني لهذا القطر المعتز بنفسه ودينه.

وظاهرة تكوين ذلك الجيش يحتاج شرحها لأكثر من مقال ويتطلب إفراد فصل خاص وكامل لذلك، وإذا لم يكن فالمستطاع التعرض بالتفصيل لما ذكر، فلا أقل من الإشارة إلى أن بداية تكوين الجيش المغربي بقطع عن عدة أسباب أخرى، كان تكوين الجهاز الذي يقوم على عاتقه استيعاد وحدة البلاد وتخليصها من يد الأجانب المحتلين لها.

وكما كان هذا الأمر قائما بالنسبة لماضي الكفاح والجهاد، فقد ظل كذلك بالنسبة للحركة الوطنية في ماضي عملها وحاضره.

إذ في أواسط سنة 1955 ـ ولا أذكر تاريخ اليوم والشهر ـ استدعى ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال بعد الإفراج عن اللجنة كلها وخروجها من سجن القنيطرة وانتقال بعض أفرادها لباريس، من طرف مسيو ادجار فور، وكان وقتها رئيسا للحكومة الفرنسية، ووجهت الدعوة بالحضور إلى ثلاثة من أعضاء اللجنة الذين كانوا موجودين بباريس هم المرحوم الأستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل والأمين العام حاليا لحزب الاستقلال الأستاذ محمد بوستة والكاتب العام للجنة الإدارية للاتحاد الاشتراكي الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد.

هؤلاء الثلاثة كانوا أول من علم وسمع من رئيس الحكومة الفرنسية بأن فرنسا يقينا منها بالحاح المغرب في نيل استقلاله وما ضحى به من أجل ذلك، وسعيا لحقن الدماء التي كانت تراق في الساحات المغربية، قد قررت منح المغرب استقلاله، وانبرى بعد ذلك وقبله مسيو ادجار فور لشرح الدوافع والأسباب التي توجب منح هذا الاستقلال والاعتراف به، وكان رئيس الحكومة الفرنسية يعتقد أنه بموقفه هذا وتعبيره عنه بإسم الحكومة الفرنسية كلها، سوف يسمع ما يثلج صدره، ويجد الاستجابة التامة لما يطلبه ولما كان يعتقد أن يتكرم به من منح المغرب استقلاله. وانه بذلك يقطع الطريق أمام كل اعتبار آخر، وأنه بذلك الموقف تحفظ لفرنسا كرامتها، ويزكي التدبيرات التي اتخذت من طرق كيوم ضد محمد الخامس وأعضاء عائلته.

إلا أن دهشته كانت عظيمة لما سمع من محاوريه ومخاطبيه بلسان واحد تمسكهم بترديد كلمة الشعب «إلى عرشه».

و«إلى عرشه» كانت كلمة كل الناس وسائر الطبقات المغربية، وقولة كل مغربي مغربي سواء في شمال البلاد أو جنوبها، في شرقها أو غربها، في البوادي والحواضر، وفي الجبال السهول، وبين الصغار والكبار، وعند الشباب والشيوخ، تجسم ذلك جميع الحركات السياسية وغير السياسية كالمقاومة وجيش التحرير الذي تم تكوينه في القاهرة العربية بين المغرب بخط يد زعيمه الأستاذ المرحوم علال الفاسي وعن الجزائر بخط يد السيد أحمد بن بله بإمضاء ممثل من الحزب الحر الدستوري التونسي فالذي أبرم شعبيا وقوميا لم يكن لثلاثة من أفراده أن يتحرروا منه أو أن يقبلوا بما دونه. وإن كان الثلاثة أنفسهم وهم من هم وطنية وغيره وتعلقا بالعرش قد كانوا يومنون كل الإيمان بأن السبيل الأوحد لتحقيق الاستقلال هي عودة الملك «إلى عرشه» ومنح كل مفاتيح القضية لليد التي أقامت كل دليل على أمانتها واثبتت للملأ أجمع أن عودتها هي الكفيلة بتحقيق ما كان المغرب كله يسعى إليه من استقلال واسترجاع للكرامة والوحدة، وقيادة الأمة لتحقيق الغاية من الجهاد والكفاح.

كان الأمر كما قلت، وتلك هي النتيجة التي تلخصت في الرد الإجماعي من طرف من قر رأي ادجارفور على استدعائهم وعرض الاستقلال عليهم.

لقد دهش ادجار فور وأذهله سماع ما لم يكن يتوقع أن يسمعه بلسان إجماعي من طرف قادة وقمة العمل السياسي بالمغرب والذين كانوا يمثلون حركة كانت أكثر قوة وأوسع انتشارا.

إن اندهاش ادجر فور مما سمعه، وتأكد من صدق ما أدلى به ممثلو حزب الاستقلال الثلاثة، وتمسكهم بالقول «إلى عرشه»، وعدم اقتناعهم بما كان قد عرض عليهم هذا الذي

جعل الحكومة الفرنسية وعلى رأسها رئيسها إذ ذاك وأوحى إليها فكرة اجتماعات «اكس ليبان» والعمل بالسعي الحثيث لعقد تلك الاجتماعات التي كانت في مجملها، وأقول في مجملها لكون فئة من الذين استدعوا للحضور في تلك «الندوات» كانوا يرون غير رأي الأكثرية الوطنية التي كانت ترى وجوب التعجيل بالعودة إلى العرش قبل أية مبادرة أخرى.

والذي لا شك فيه ولا مراء حوله، أن موقف الثلاثة كان متمشيا مع واقع الأمر، ومع الموقف الاجتماعي للأمة وعملها بعد حادث اغسطس سنة 1953 سواء كان الإطار للعمل سياسيا أو غير سياسي كالمقاومة وجيش التحرير، فالموقف الذي جعل الثلاثة يفصحون عن رأيهم قد كان نابعا من وقف الحزب نفسه، إذ لم يكن مقبولا أن يرضى الحزب، ولا مصدقا لجهاده وكفاحه أن يقوم بغير ما كانت المقاومة المغربية وجيش التحرير يقومان به ويسعيان إليه من الدعوة الأولى «إلى عرشه» قبل أي شيء آخر.

وأروى للقارىء هذا الحادث كما سمعته، وفي مذكرات من حضر الاجتماع ما يكشف عن حقيقة الأمر وكيفية الاجتماع.

والذي أريده من هذا أن اثبت أن الشمال الذي كان مهدا أولا وأوليا للمقاومة لم يكن يقبل بغير العودة إلى العرش أو أن يرضى أن تجهض المقاومة وان يتم القضاء على جيش التحرير دون عودة الملك الذي كان رمزا للوحدة والتحرير والضمانة الأولى لتحقيق ما كان المغرب كله يريده ويسعى إليه.

ولو قبل الثلاثة غير ذلك، لكان موقفهم رضوخا للإرادة الفرنسية وانقلب الأمر دون الإرادة الشعبية والتصورات المغربية الاجتماعية، حشاهم ذلك برغم ما أراد ادجار فور أن يصور به خذلانهم أياه وخذلان فرنسا فيما كانت تريده وتبتغيه.

ففرنسا التي تحملت وزر ما اقدمت عليه يوم عشرين اغسطس سنة 1953 كان عليها أن تتحمل نتائج فحشها في التدبير، والنتيجة الوحيدة إذ ذاك كانت عودة الملك لعرشه. وهو المطلب الوحيد للأمة المغربية جمعاء، يقينا منها أن العودة لابد وأن تكون مصحوبة بكل المطالب الأخرى سواء فيما يخص الاستقلال أو الوحدة، وقد كان محمد الخامس بمثابة ما آمنت به وسعت إليه الأمة جمعاء.

وقد تحققت رؤية الشعب، وما كان المغرب يسعى إليه ويجاهد من أجله، فقد عاد الملك الحبيب إلى عرشه، وجاءت عودته مقرونة بتحقيق الاستقلال ثم الوحدة التي ابتدأت في الشمال بضمه إلى الوطن الأب، ثم طنجة، وبعدهما طرفاية ثم أفنى، وانتهى الأمر بضم الصحراء المغربية.

فإذا احتفلنا اليوم بذكرى عيد العرش، فإنما نحتفل بذلك كله، مجسما في الذود عن حياض البلاد وتحقيق كرامتها، برغم ما تكلفه الصحراء من اتعاب وما أثير من مضاعفات جانبية.

فتحقيق الوحدة الكاملة الشاملة، ان هي مطلب من مطالب الشعب، فهي غاية من غايات العرش الذي يلزم أن نزيد في الالتفاف حوله وفي تأييده، ابقاء واستمرارا لمعالم الوحدة التي تضم الشمال إلى الجنوب والشرق إلى الغرب، وتجمع سائر العناصر المكونة للانسية المغربية.

ولن يفوتني بهذه المناسبة السعيدة أن أذكر بأمرين لهما الاثر الكبير على المسيرة التي قطعنا أشواطا منها وسنقطع أخرى بفضل العرش والتفافنا حوله.

فقرار المولى إسماعيل بالاعتماد على الجيش وجعل صيغة القسم على «البخاري» من شيمة ذلك الجيش وصفاته في الوقت الذي كان قسما بالولاء له، كان قسما للسير وراء الغاية والقصد المكين الذي هو تحقيق الوحدة وانتشال الاجزاء المغتصبة منه شمالا وغربا من مخالب الاستعمار الأجنبي البريطاني والبرتغالي والإسباني.

وقد جاء من بعد المولى إسماعيل من كان وجوده على رأس العائلة المغربية ومن موقع كرسي العرش، أداء للرسالة الأولى التي هي وحدة البلاد والتمكين لمستقبلها.

فاستمر القسم وأخذ تعميمه لا يشمل الجيش وحده، بل يعم كل ذي مسؤولية في البلاد سواء كان وزيرا أم سفيرا أم عاملا.

وإن وزراء صاحب الجلالة وعماله وسفراءه، هؤلاء وبمعيتهم الجيش المغربي يقسمون يمين الولاء للعرش بوصفه

الأمين المؤتمن على وحدة البلاد للسير في ركاب الأمة جمعاء التي ترى في العرش رمز وجودها ووحدتها.

وإن احتفالنا بهذا اليوم الخالد معناه التمسك باستمرارية الوجود القائم على وحدة البلاد والتمسك بشرعيتها وتقدير مصلحتها، ويتجلى هذا في سلوك الذين وضعوا في مكانات المسؤولية.

فالدفاع عن العرش برغم أنه كان دفاعا عن محمد الخامس وإقامة الدلائل على التمسك به وشخصه قد كان في نفس الوقت دفاعا عن العرش والتمسك به كنظام وأسلوب في الحياة.

ولن أمل من تكرار ماسبق أن اعربت عنه غير ما مرة خاصة في مقال السنة الفارطة من كون إقامة هذه الذكرى والاحتفال بها، عربونا من الشعب على اعتزازه بهذا اليوم السعيد وبالتالي في اعتزازه بنفسه.

إن المغرب إذ يحيي في يوم ثالث مارس ذكرى تربع صاحب الجلالة على كرسي العرش المغربي، فهذا إلى جانب ما يعني الأمر من تقديره والتفافه حول العرش، يبدي اعتزازه بنفسه، ويقيم للوحدة معالم ما تستحقه من زينة تكريما لها وتقديرا لنتائجها.

فالشمال كان دوما شمالا، وسيظل كذلك برغم كل العاديات عليه، مثلما أن الجنوب سيبقى جنوبا والشرق شرقا كما أن الغرب سيبقى غربا، إلا أن الجامع بين هذه الأطراف كلها وبين الفئات والعناصر المختلفة، هو هذا الرمز الذي نحتفل به هذه الأيام الغراء، ومانبديه خلالها من فرصة ففي الوقت الذي نحتفل فيه بيوم ثالث مارس، نقيم الدليل على أننا نعي حقيقة الرمز الذي ترمز إليه وبذلك تتضاعف المناسبات ويبدو في الأفق أننا أمة كاملة في جميع مقوماتها ومدلولاتها.

هذه جملة حقائق يلزم الكشف عنها، والتذكير بها في أية مناسبة، وإذا كان ذلك واجبا مفروضا فيها، فانها اليوم جديرة أكثر من أي وقت آخر بالكشف عنها والتذكير بها، وتعميق الوعي بمدى قوتها.

●● إننا لنحمل رسالة منذ القدم وهي الدفاع عن العروبة والإسلام. كما أنه لابد للمواطن المغربي في هذا الجناح من العالم أن يظل ذلك الجندي المغربي الأصيل الذي يدافع على حضارة وإطار عيش وعلى فضيلة... هي دينه ومواطنته كمسلم وكعربي وكإفريقي. وإذا وصلنا إلى هذا المستوى لن نكون قد ساهمنا فقط في تكوين المغاربة بل سنساعد على تكوين مواطنين صالحين للعالم لأنه مادام العالم موجودا ألا وهو في حاجة إلى مواطنين مثاليين كيفما كانت ديانتهم أو لغتهم أو لونهم أو مستواهم الاقتصادي ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

سمة العرش الصمود

للأستاذ محمد بن تاويت

كلما حلت ذكرى عيد العرش المجيد، جعلت نفسي تجول في جوانب العظمة، التي تجلى بها وطننا عبر التاريخ السحيق، فأستشف في أركانه معاقل للأمجاد، قابعة متحفزة، وألمح في عرينه أسودا، رابضة مستفزة، تقلب أنظارها، وتزأر زئيرها...

لقد كانت أول محاولة لي في هذا المجال، تلك التي ساهمت فيها، سنة خمسين أو إحدى وخمسين، في مسابقة نيل الجائزة التي أعلنت عنها جريدة العلم، فأخترت موضوعا كان جديدا بالنسبة لذلك العهد، هو «كيف قامت الدولة العلوية المجيدة» فنلت بذلك الجائزة الثانية، ونال الأولى صديقي الأستاذ الصديق ابن العربي، حفظه الله وسلمه، ونال الثالثة الأستاذ عبد القادر الصحراوي، رحمه الله.

وفي السنة بعدها، ساهمت بدراسة للمواقف التي وقفها المولى الحسن، في تثبيت دعائم الملك، التي كانت قد تعرضت للزعزعة، أيام جده المولى عبد الرحمن، في موقعة إيسلي، وأيام أبيه المولى محمد، في موقعة تطوان.

لقد نالت هذه الدراسة الدرجة الثالثة، ونال الدرجة الأولى صديقي قاسم الزهيري، الذي توارد على نفس الموضوع، بعنوان يخالف، شكلا عنواني، ولكنه في الجوهر، لا يخالف كثيرا وقال لي صديقنا جميعا، الأستاذ عبد الكريم غلاب، الذي كان في لجنة الاختيار، انه دافع كثيرا، عن مكانتي في هذا ولكن الله غلاب، وانعقدت أواصر الصداقة بيني وبين الأستاذ قاسم الزهيري، واتصلت الصلات بيننا، لما تقلد إدارة الاذاعة الوطنية، عند فجر الاستقلال. فكتب إلي في مناسبة، زيارة ملكنا محمد الخامس، طيب الله ثراه، لتطوان، قادما من إسبانيا، وفي يده صك لانضام الشمال إلى الجنوب، ومشاركته في التمتع بنعمة الحرية والانعاق، فأعددت للاذاعة موضوع «زيارة الملوك لتطوان» ثم كتب إلي في مناسبة ذكرى ابن الخطيب، فكتبت موضوع «مابن ابن الخطيب وابن خلدون» فأذيع الموضوعان، في مناسبتيهما. ولما زرته اثر ذلك، عرض علي مساهمتي في موضوعات الاذاعة، فقبلت، ونادى على المرحوم، الأستاذ إدريس الجاي، الذي كان رئيس القسم العربي، فقال له : انظر في البرنامج، موضوعا يقوم باعداده فلان ونظر الأستاذ الجاي، فإذا هو تاريخ الأدب المغربي، الذي ظلت خانته شاغرة خالية. فحصل الشروع، في نفس اليوم، وسجلت آنذاك، الحلقتين الأوليين، في هذا الموضوع.

المهم أني، منذ سنة خمسين وأنا أرجع البصر، كرة بعد أخرى، ممعنا في أغوار تاريخنا، وساهما في مناسبتنا هذه، بعدة دراسات، أذكر منها ما نشر لي بجريدة الشهاب، سنة ثلاث وخمسين، أو أربع، بعنوان «العرش بالشعب والشعب بالعرش». فصار منذ ذلك الحين، هذا العنوان،

يستهوي الكاتبين والمتكلمين، فيكتبون به ويتحدثون عنه، في الإذاعات وغيرها...

وعلى كل حال، لنكف عن الذكريات «صدى السنين الحاكي» ـ كما يقول شوقي ـ ولنتناول بالذات، ما يضمه عنواننا المذكور. ولو كنت من الذين يرضون عن أنفسهم، ناظمين، لجعلته مطلع قصيدة، شطرا يضم إليه لفقه، نحو «فيه يقضي الخلود» لكني لا أريد الفضول...

نعم الصمود على الحق، هو الصفة المثلى التي دعا إليها الإسلام، وأمر بها القرآن في قوله ﴿**ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾. وهو الصخرة التي آوى إليها المسلمون، وتحطم عليها كل ما حاوله، بالفعل، أو نواه في الضير، أعداؤه الكافرون. حصل في مشارق الأرض ومغاربها، بدولها المنظمة، وبجماعاتها المكتسحة، وبهجماتها المخربة، معتصبة ومفترقة، في أجيال متلاحقة ومتناسقة، كذلك في مسيرة تاريخ المسلمين، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا طيلة القرون الثلاثة عشر. ولن يهنوا ولن يستكينوا، مادام القرآن نبراسهم المنير، ودين الإسلام حصنهم الحصين.

بهذا قضى الحق، وأيدته الحقيقة، وبهذا وجدنا الإسلام في هذه القلعة الغربية، من أقطاره الشاسعة، وفي هذه الزاوية المباركة، يحمل راية النضال، ويدير بكلتا يديه دفة الاستمرار. فكانت البدايات، تحدو إلى النهايات، دائما، بالانتصارات الباهرة. وان تخللت الكوارث، واختلفت البواعث. فالنتيجة واحدة الظفر والانتصار، والعزة التي قال فيها الله ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾.

لا نريد أن نستشهد التاريخ طويلا، وهو يحيى ويتقلب نشيطا في هذه الربوع، ولا نريد أن نفسح المجال، لدول حملت الأمجاد على كواهلها القوية، في هذه البلاد. ولنقتصر، على عرش هذا الوطن المقدس، يحمله هذا البيت الكريم، بآله الكرام العلويين.

فإننا لو تتبعنا، نشأة هذه الدولة، لشاهدنا العجب العجاب، كيف كان ملوكها الأول، يقطعون المسافات البعيدة، والفيافي والقفار المهلكة، في بضعة أيام، لا تتعدى عدد الانامل، جيئة وذهوبا، من غرب المغرب إلى شرق المغرب، بل حتى إلى قلب الشمغرب إلى شرق المغرب، بل حتى إلى قلب الشمال الإفريقي، وفي معمعة صحارية، لا تصدهم التقنية المتطورة، ولا الاعتدة الحربية الحديثة، ولا الدول العظمى العتيدة، كل ذلك ما كان ليكون. وان اعتورته الانكسارات أحيانا، فما وجدت فيه البتة للاستكانة والنكوص مكانا.

كذا كان الشأن في مواجهة الأحداث، تأتي من الخارج وكذا كان الشأن في مواجهة تقع بالداخل، من طرف الناجمين، وحتى بين الامراء القائمين، الصمود والرهان، والتحدي مهما كان الأمر، ومهما كانت التضحيات الجسام، الصمود مع الإيمان والاعتصام بالله والتحدي بالحق المكتسب غالبا، أو المطالب به، عند الاغتصاب والجور، واستمر الجهاد، تجود فيه الأرواح، وتسترخص فيه الأموال، ما كان موقف مولاى الحسن، من بلاده، جاهدا في تثبيت قوائم النظام والنهضة بها، وفي استرجاع ما اغتصب من أقطارها بالصحراء. الصحراء التي كانت الدولة قد تكالبت عليها، فاسترجع بعضها بالقوة، التي أمر بها الله، واسترد أخرى بالمال، في نجدة وسخاء.

وتساوقت حلقات القصة النضالية واتصلت تقص علينا أحاديث الأمجاد التي كانت حلقتها، الرهيبة، تلك التي أحكمها، فيما مضى سيد البلاد، وحامي ذمارها، ووارث سر عظمتها، الملك المنعم بجوار ربه، في مقعد صدق عند مليكه. وهكذا فإن صفة الصمود لم تزايلنا حتى والأمر، ما كان بيدنا، والزمام كان قد تسلمه غيرنا، لقد كانت المواقف لا تلين أمام الجبابرة الطغاة. حدثني سيد، رحمه الله، عمن سمع من رد الملك الراحل، نور الله مضجعه، على مطالب المقيم العام الفرنسي، هذا الرد الصارم «أوهو»...

كان هذا طبعا في عهد الحجر المفروض، ثم حدثني بعض أساتيذ جامعة «برشلونة» من الإسبان، سنة تسع وخمسين، أن ولي العهد آنذاك، حفظه الله، كان يطالب بعودة الصحراء، التي كان يحتلها الإسبان، ويحاول أن يقنع حاكم إسبانيا، الدكتاتور «الجنرال فرانكو» وهم مجتمعون على «طاولة» أو مائدة. فلما أعياه الاقناع، ضرب بيده، في قوة، على مكتب الحاكم الطاغية، ونهض مغضبا في سبيل القضية الوطنية المصيرية المقدسة.

فجحظت العيون، وبلع القوم ريقهم المزيج من السموم، واعتبر ذلك كل حسب غبائه أو ذكائه، ولكنه الصمود والإيمان بالصمود لأنه يدعمه الحق، الذي أنطقه، ويحوطه من الباطل، الذي أخرس قومه...

هكذا كان الحسن الثاني، وهو لما يزل ولي عهد أبيه، المنعم بالله وهكذا كان لما يزل شابا يافعا، لحوزة البلاد حاميا، ولحوضها مانعا، ولشتات أقطارها جامعا، فتحقق به قول القائل : كل شيء على الشباب يهون ☆ هكذا همة الرجل تكون.

بهذا حدثتني ـ تلميذتي ـ «الدكتورة ليونور» على سبيل العتاب والانتقاد للموقف. كما حدثتني ـ عاتبة أيضا على الفاتح العظيم، المنصور محمد ابن أبي عامر، الذي اكتسح، لأول مرة في التاريخ الاسلامي، مدينة برشلونة» وحرق، كما قالت، ربوعها ودورها أما أنا، فقلت في الأمير الشجاع : لابدع، فالشبل ابن الأسد، الذي ما كان ليفرط في شبر من عرينه، ولولا الوقفة الناكصة من «المجاهد الأكبر» لكان «المغرب الأكبر» لكن مع الأسف لم يستقر على مبدأ من هذا الثالوث إلا مغربنا، الذي صدق ما عاهد الله عليه، أما غيرنا فتقلبات، وانتهازات، ودوران مع الجهة هذه، وتلك، وقحات تستحي من نفسها، وهم لا يستحون من أنفسهم وغيرهم ينشد فيهم :

«ياليت لي من جلد وجهك رقعة»

أثناء حرب التحرير الجزائرية التي بذل فيها المغرب كل نفيس وغال سألتني موظفة، كانت بالكلية، وهي إسبانية الأصل فرنسية الجنسية «لماذا تعينون هؤلاء ؟» أجبتها بقولي : «إنهم إخوان لنا وجيراننا، وقضيتهم من قضيتنا..» قالت لي : إنهم سينقلبون عليكم حينما ينالون استقلالهم...»

فقلت لها «هذا ما لن يقع» فقالت : «سترى...».

وقد رأينا جميعا، ورأى القادة والشعوب، ما تنفطر منه القلوب، ولكن المغرب صامد، واقف عند المبدأ، مهما كان الأمر الواقع فادحا، واستمر الحاسد قادحا جارحا، فالحق يعلو والباطل يسفل ﴿**«قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾ صدق الله العظيم.

●● يجب علينا أن نكون الإنسان المغربي المعتز بمغربيته والمعتز بتاريخه لأن الإنسان الذي لا يعرف تاريخ بلاده لا يستطيع أن يعتز بها. ولا أعتقد أنه توجد في قارتنا دولة يباهى تاريخها تاريخ المغرب. فعلينا إذن أن نجعل الإنسان المغربي فخوراً بمغربيته متشبثاً بوطنيته عارفاً لما يروج في العالم لأن وطننا يقع في ملتقى الطرق بين إفريقيا وأوروبا من جهة وبين بحرين مهمين، ولهذا يتعين علينا أن نعلم أبناءنا لغتين أو ثلاثة لأن لغة واحدة لا تكفي ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

السلطان المولى محمد بن عبد الله ومآثره الخالدة

للأستاذ الحاج أحمد بن شقرون

شاهد المغرب منذ عهد بعيد مشاهد مختلفة، وعايش الكثير من التطورات، المتنوعة، وكثيرا ما اشرأبت إليه الاعناق، وتوجهت إليه الاطماع، لما حباه الله به من موقع جغرافي رفيع، ومناخ جميل، وأرض معطاء، ومناظر خلابة، ومياه عذبة مناسبة.

وكم مثلت على مسرح حياته من روايات، وكم جرت على أرضه من معارك يصمد أمامها صمود الشم من الجبال.

وبينما هو يشكو تمزقا وانحلالا، وتفرقا وانقساما، إذ هبت نسمات طيبة من المشرق، وبالضبط من - ينبوع النخل - تحمل بين جوانبها الأمن والأمان، والهدوء والاطمئنان، والبشر والاسعاد، والرقي والازدهار، وبين عشية وضحاها طلع نجم الدولة العلوية الشريفة في سماء - سجلماسة - وما أدراك ما سجلماسة، أول بلد بالمغرب تشرف ببيعة أول ملك من ملوكها، حيث تيمن المغاربة بهذا البيت النبوي ومالت إليه القلوب، والتمس الجميع فيه الخير والرحمة والاستظلال تحت ظله الوريف.

فمنذ اعتلى أول ملك من ملوكها عرش المغرب أحس الناس بالهدوء والاطمئنان، إذ توجهت همة العرش أولا إلى القضاء على الفتن والاضطرابات سواء من الداخل أو الخارج، ونظمت الأمور تنظيما محكما حتى أمكن للمغرب أن يظهر بمظهر الدولة القوية الصامدة أمام كل التحديات.

وإذا كان ملوك هذه الدولة المقدسون لم يأل كل منهم جهدا في سبيل اسعاد المغرب والدفاع عن حوزته، فاننا نقصر حديثنا اليوم على المولى سيدي محمد بن عبد الله لأنه علم من أعلامها، ورائد كبير من روادها، ومصلح كبير من مصلحيها، وعالم مطلع من علمائها، وبطل عظيم من أبطالها، مجدد الدولة بعد جده إسماعيل العظيم، ونافخ روح النهضة العلمية والاصلاحية والفكرية، ومحيى الآثار الإسماعيلية، ومعيد بهجتها.

فلنستعرض مواهبه الخلاقة في الاضطلاع بمهمة الملك ومبلغ استعداده للقيام بشؤون دولة عظيمة كالمغرب.

فهو الذي جدد تنظيم الجيش، وعاود ترتيب الاسطول المهم، وحصن كثيرا من الثغور، وجدد العلائق التي كانت بين جده اسماعيل وبين الدول وانشأ روابط أخرى مع غيرها.

فقد كانت له روابط إخائية وعلائق ودادية خاصة مع بعض ملوك الدولة العثمانية بحيث كان يبعث لهم بالأموال الكثيرة والاعتدة الحربية الممتازة إعانة منه لدولتهم عدا ما كان يصرفه في افتكاك الألوف من أسراهم وانقاذهم بذلك من ربقة الأسر، ومذلة الاغتراب والقهر، على أن افتكاكه للأسارى لم يكن يخص به الاتراك وحدهم، بل كان يبذل الأموال بغير حساب في افتكاك العدد العديد من الأسرى من مختلف الاقطار الإسلامية الذين كانت القرصنة الأوربية تهاجمهم وتسترقهم استرقاقا.

ومن شدة اهتمامه بافتكاك الأسرى نظم عدة سفارات كانت نتائجها النجاح الكامل.

ففي سنة 1179 هـ وجه كاتبه أحمد بن المهدي الغزال سفيرا لدى ملك اسبانيا ـ كارلوس 2 ـ وكلفه بالنظر في شؤون الاسارى المسلمين الموجودين هناك ودفع المعونة إليهم، فكان يجوب البلاد **طولاً وعرضاً** باحثاً منقبا عنهم وقد استجابت الحكومة الإسبانية إلى جميع مطالبه بما فيها تسريح الشيوخ والمصابين باعضائهم من أي بلد كانوا وهذا العمل كان يقابل في سائر البلاد الإسبانية بكامل الاحتفاء والاكرام، كما سجل ذلك الغزال في رحلته، وفي سنة 1182 هـ بعث ملك إسبانيا يلتمس من حضرته التوسط مع الجزائر لتبادل الأسرى، فأرسل أيضا كاتبه الغزال ليقوم بالمهمة ويتولى الأمر بنفسه واستمر جو العلائق صافيا بين المغرب وإسبانيا إلى أن وقع حصار سبتة سنة 1185 هـ غير أن تلك الغيوم ما لبثت أن انجلت بسرعة وعاد الأمر لما كان عليه.

وفي سنة 1193 هـ بعث المولى سيدي محمد بن عبد الله سفيرا آخر إلى المملكة الإسبانية هو محمد بن عثمان المكناسي ليجدد الصلح مع إسبانيا بمعاهدة جديدة، اشترط فيها ملك إسبانيا أن يعقد السلطان سيدي محمد بن عبد الله صلحا مع ولده ملك ـ نابولي ـ

وقد توجه محمد بن عثمان المكناسي سفيرا إلى ملك ـ نابولي ـ فرناند الرابع، وبعد أن أفتدى بعض الأسارى وأبرم الصلح ورجع جمع هذه السفارة في كتابه ـ البدر السافر ـ

وفي سنة 1199 هـ التمس ملك إسبانيا التوسط له في افتداء أميرة من البيت الملكي الإسباني أسرها قرصان الجزائر أثناء ذهابها لنابولي وامتنعوا من فدائها فكتب المولى سيدي محمد بن عبد الله للسلطان عبد الحميد التركي فأمر أهل الجزائر بإطلاق سراحها إلى غير ذلك من إفتكاكات مختلف الأسرى. على أن للسلطان سيدي محمد بن عبد الله روابط سياسية أخرى مع غير الدول المذكورة.

فهناك معاهدة مع دولة ـ السويد ـ بواسطة نائبها المفوض الذي وجهته لطلب المهادنة وهي تشتمل على ثلاثة وعشرين شرطا.

وهناك معاهدة مع ملك الدنمارك ـ كريستيان السابع تشتمل على واحد وعشرين شرطا.

كما عقد معاهدة مع ـ انكلترا ـ في عهد ملكها جورج الثاني، وقد كانت سفاراته التي يوجهها إلى الخارج تقابل في البلاد التي توجه إليها بكل إجلال واحترام، سواء من جانب الدوائر الحكومية أو من جهة الأمم والشعوب التي حلت بين اظهرها، وكانت تجري لها المراسم والقواعد المتبعة ـ ديبلوماسيا ـ في سفارات الدول بعضها لبعض فتتلقى بتحيات المدافع وتنزل ضيفا على الحكومة في أفخم دورها وقصورها، وتذهب وتجيء في حراسة الجنود.

أما عن أعماله الدفاعية ومواقفه البطولية فالتاريخ شاهد عدل، فهو لا ينسى له انقاذ مدينة (البريجة) الجديدة من يد البرتغال الذي كان متوليا عليها سنة 1182 هـ حيث أتم بذلك عمل جده مولاي إسماعيل في إجلاء المحتلين لمراسي المغرب، وقد جاءت رسل البرتغال حاملة إلى حضرته الهدايا الفاخرة طالبة منه الصلح والهدنة.

وحاول استرجاع مدينتي ـ سبتة ومليلية.

وقام بتحصين مدينة ـ آسفي ـ وغيرها من الثغور البحرية التي كان المغرب يوتي من قبلها، ثم بنى مدينة الصويرة، وفضالة ـ المحمدية ـ وجدد مدينة (آنفا) الدار البيضاء.

وفي هذه الفترة كانت السفن المغربية تجول فوق متن البحار تشق عباب الاطلنطيكي والمتوسط ويتردد أسطولها بين اكناف تلك البحار، ويجوس خلال الثغور الأجنبية فيقتنص مراكب الأجانب الذين لا مهادنة مقررة معهم، وكانت تلك الدول تخشى عواقب هذا الجولان وتود اجتنابها، فكانت تخطب وده، وتسعى في مهادنته ومسالمته، فيهادنها ويسالمها، على ما كان يقع مع بعضها من الوقائع الحربية، والمظاهر العدائية.

أما سيدي محمد بن عبد الله ـ العالم ـ فيحدثنا التاريخ أنه ـ رحمه الله ـ كان قبل ولايته الملك، له اعتناء زائد بمطالعة كتب الأدب والتاريخ والسياسة وأحوال العرب وأيامها، ووقائعها وأنسابها حتى فاق في ذلك معاصريه وصار المرجوع إليه فيه، وقد ذكر أبو القاسم الزياني وغيره

ممن عاصره وخالطه : أنه كان يستحضر كل ما يطالعه حتى كاد أن يحفظ كتاب الاغاني برمته لا يعزب عنه منه إلا النادر.

ولما تولى الملك أكب على مطالعة كتب السنة وولع بسرد كتب السيرة والحديث وزهد في غيرها فحصلت له بذلك ملكة في السنة وأحكامها وجلب من المشرق كتبا كثيرة في الحديث لم تكن موجودة بالمغرب إذ ذاك كمسند الإمام أحمد بن حنبل ومسندي أبي حنيفة والشافعي وغير ذلك من مهم المتون والشروح، وأصدر أوامره للعلماء بشرح مؤلف الإمام الصغاني في الحديث فكان ممن قام بذلك من العلماء الشيخ التاودي بن سودة رحمه الله وكثيرا ما كان يجالس العلماء ويذاكرهم في الحديث والفقه والأدب وأيام العرب وينوه بهم مع ما كان يحصل له من النشاط بتبادل الآراء معهم ويبين عن باع في العلوم طويل.

وكانت عنده أوقات خاصة بسرد كتب الأحاديث مع علماء كبار اختارهم لمجالسته ومسامرته،وفيغالب الأحيان يتعرض في مذاكراته معهم إلى طرح مشكلات في الحديث أو في السيرة أو العلوم العربية، فيفض بفكره الثاقب عويصها، ويحل مشكلها وله من التأليف ما يلي :

1) الفتوحات الالاهية، في أحاديث خير البرية، التي تشفي بها القلوب الصدية، جمع فيه ما اتفق عليه الأئمة الستة. 1) مالك ـ 2) أبو حنيفة 3) الشافعي. 4) أحمد بن حنبل. 5) البخاري. 6) مسلم.

2) الجامع الصحيح الاسانيد، المستخرج من ستة مسانيد.

3) مواهب المنان، بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان.

4) رسالة في منهج التعليم.

5) رسائل في اختياراته المذهبية.

وقد أوقف رحمه الله، المساند على الخزائن الإسلامية في شرق البلاد وغربها ورتب لقراءتها وتدريسها كثيرا من الأوقاف كان يتسلمها العلماء المختارون لتدريسها بفاس والرباط وغيرهما.

كما عني ـ رحمه الله ـ عناية كبرى بالتعليم وتنظيمه فدعا إلى نبذ المختصرات التي لا تفيد القارىء بقدر ما يتعب في تفهمها وادراكها، وقد بلغ من اهتمامه بالثقافة والتعليم أن اقتنى نفائس المؤلفات ووزعها على خزائن المعاهد العلمية.

وفي ميدان العدالة، اهتم بتنظيم العدلية تنظيما محكما، بحيث كان من حين لآخر، يصدر ظهيرا شريفا مشتملا على عدة فصول يذكر فيها القضاة بواجباتهم، ويلزمهم باتباع المناهج الشريعية الواضحة التي لا التواء فيها ولا تعقيد، ويحذرهم من أن ينساقوا مع الفتاوي التي تشعب القضايا ويذهب معها حق المظلومين،ويوصيبالأيتام المهملين، ويأمر بطرد الوكلاء ـ المحامين ـ الذين يثبت عنهم القيام بالتشعيب في الدعاوي وأكل أموال الناس بالباطل.

أما اعماله البنائية في المساجد والمدارس والمعاهد، فكثيرة جدا قد عد صاحب كتاب الاستقصا وحده نحوا من ثمانية وخمسين، ما بين مسجد ومدرسة.

وبعد : فشخصية سيدي محمد بن عبد الله كسلطان عالم مثقف واع متفتح الذهن مطلع مصلح غيور، رائد بطل مقدام، خبير بشؤون الحياة عارف بالطبائع وتفاعلاتها، لجدير بأن تخص حياته وعبقريته بتأليف.

ومما مدح به من الشعر أرجوزة الأديب البليغ أبي العباس أحمد الونان المعروفة بالشمقمقية التي مطلعها :

مهلا على رسلك حادى الاينق
ولا تكلفها بمالم تطق

قال في الاستقصا : وهذه الارجوزة مشهورة بين الناس، وهي من الشعر الفائق، والنظم الرائق، أبان منشئها

عن باع طويل، واطلاع غزير، على اخبار العرب وأيامها، وحكمها وأمثالها، بحيث أن من حفظها وعرف مقاصدها أغنته عن غيرها من كتب الأدب.

وقد شرحها الكثير من العلماء، ومنهم العلامة أبو العباس الناصري مؤلف كتاب : ـ الاستقصا ـ لاخبار دول المغرب الأقصى.

فرحمه الله ورضي عنه، وأثابه على ما قام به من جهاد في سبيل الله والدين والعلم والوطن وبارك مسيرة أمير المومنين جلالة الحسن الثاني الزاخرة بالمبرات والعظائم، والله ولي التوفيق.

الحاج أحمد ابن شقرون

●● المغرب هو كيان منذ أن فتحه المولى إدريس الأول وقد وقعت للمولى إدريس الأول، والمولى إدريس الثاني مصائب وفوجيء بالمنية بكيفية لم تكن منتظرة، ومع ذلك بقي المغرب هو المغرب. المعجزة هي أن يبقى المغرب مغربا، فقط خمسين سنة بعد أن خلق. والعجب ليس أن يبقى مغربا بعد ألف سنة. فالمغرب من الدول التي حباها الله بروح الغيرة وشعور الوحدة الوطنية كما ظهر أيام المسيرة، ان المغاربة في وقت الخطر يشكلون رجلا واحدا يدا في يد سواء كان فراغا في الداخل أن خطرا جاء من الخارج، وإنني اعتقد شخصيا ـ ولله الحمد ـ ان ما يجري في دمنا نحن المغاربة من حب النظام وتشبث بالاستقرار، وما وضعناه من قوانين دستورية وما جبلت عليه جميع القوات في هذه البلاد من سياسيين ومدنيين وعسكريين وعلماء وطبقة شعبية كادحة يجعل الشعور الغريزي والبديهي عندهم هو حماية المغرب أولا وقبل كل شيء، وهذا ما وقع عبر التاريخ.

ولو كان المغرب من الدول التي تعيش برجل لمادام هذه المدة الطويلة. فالمغرب ليس دولة تعيش برجل، أو حول رجل. المغرب يعيش حول عبقريته وحول أصالته، وأكثر من ذلك أنه يعيش من غيرته على مواطنته بحيث انني مطمئن ومرتاح البال على المغرب ليس لثلاثين أو أربعين سنة وانما إلى أن تقوم الساعة ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

وثيقة تاريخية عن بدء احتفال المغاربة

بعيد العرش المجيد

سنة 1934

بقلم: الأستاذ الحاج أحمد معنينو

نتقدم لمولانا الحسن الثاني في ذكرى جلوسه على العرش المغربي المفدى بوافر الطاعة والولاء والتهاني والتبريك بهذه المناسبة الغالية.

وكيف لا وجلالته يرفل في حلل المجد والتكريم، ويسمو مكانة بين أمم العرب والإسلام قاطبة، ويحوز ثقة المجتمع الإسلامي، ويؤتمن على أغلى الأماني، حيث أسندت لجلالته رئاسة اللجنة السباعية في القضية الفلسطينية، للقيام بحمل قرارهم الموحد وكلمتهم المتحدة لسائر الدوائر المسؤولة في العالم. بما في ذلك الدولة الأمريكية ذات القول الفصل في المشكل، والمنتظم الدولي العالمي، فكان موقف جلالته في تبليغ هذه الرسالة موقفا مشرفا وواضحا حيث تلقاه الكل بكامل التقدير والإمعان، لما أتاه الله وحباه من عبقرية مثالية، وسلاسة وعذوبة.

إنها مناسبة هامة نرفع بها الرأس عالياً نحن المغاربة لموقف صاحب الجلالة والمهابة وأدائه المهمة الملقاة على عاتقه. في أحسن الظروف، وأنجع المناسبات.

إنها خطوة مباركة ميمونة يرجى لها أثر قريب وبعيد، ويجمل بنا في هذه المناسبة، أن نرفع التهاني لجلالته بهذا التوفيق الرباني الذي يحيط به في كل الخطوات، ونسأله تعالى أن يهيىء لجلالته وبواسطته كل خير وبشرى، وأن يحيطه بحفظه ورعايته، ويقر عينيه بسمو ولي عهده وفلذة كبده الأمير الجليل سيدي محمد وشقيقه المولى الرشيد، وكافة الأسرة الملكية النبيلة.

كما نسأله تعالى أن يعجل لأمة الإسلام بحل الأزمات. ورد الاعتبار، ويوفق بين الشعوب العربيةوالإسلامية ويجمع كلمتها سواء، ويسلك بالجميع مسالك الرشاد، ويمد في عمر جلالته وكل عام وجلالته في عز وسؤدد.

هذا وقد أبيت إلا أن تكون مساهمتي في العدد الممتاز من مجلة «دعوة الحق» بمناسبة عيد العرش المجيد هي نشر وثيقة تاريخية تؤرخ بداية احتفال المغاربة بعيد عرشهم. وأقدم لها بما نشرته مجلة (مغرب) عن هذا الحدث وذلك تحت عنوان : (عيد العرش بسلا) :

كان العيد بمدينة سلا فوق كل ما كانت اللجنة تظنه قد يكون، وأعانتها السلطة المحلية بكل ما في وسعها، فنودي بالعيد في الأسواق وزينت المدينة بالأعلام المغربية

والفرنسية ولم تطلع شمس يوم السبت 18 نونبر حتى كانت المدينة لابسة حلة العيد، فالإدارات المغربية والمحاكم الأهلية مغلقة والمدارس معطلة والدكاكين والمخازن كلها

محلاة بالألوان المغربية الأحمر والأخضر والوشاء المختلفة على العادة المغربية القديمة، والناس مرتدون الجديد من ملابسهم يهنيء بعضهم بعضا، وقد أقامت الحرف «**نزهات**» **فاخرة في شوارع أسواقها وفي دكاكينها**، وكان أفخرها نزهة أقامها **كبار تجار القيصرية في سوقهم لتكريم الشبيبة الوطنية بين الحرير والوشي والريات** والجميع يترنم بنشيد **الأستاذ القري في ذكرى عيد الجلوس السلطان**، وكان المنظر جميلا للغاية وأجمل ما فيه شيوخ ينشدون مع الشبان بحماسة قوية : «**إنما الملك منا... إنما الشعب الشباب... ومن أجمل «النزهات» أيضا نزهة سوق السبطا.**

وبعد صلاة العصر على الساعة الرابعة أقام **سعادة الباشا حفلة شائقة بقصره الفاخر** حيث اقتبل أعيان المدينة ووجوه الهيئات والحرف وكان ازدحام كبير على أبواب المنزل حيث اصطفت **الشرطة يمينا وشمالا والموسيقى الأندلسية تشنف الأسماع بألحانها العذبة وكؤوس الشاي** مع الحلويات تدور على الزوار مع مختلف الطبقات، **وعلى الساعة الخامسة جاء أبناء المدارس وأعضاء الجمعيات الرياضية بملابسهم الرسمية صفوفاً صفوفاً ينشدون نشيد** ذكرى عيد الجلوس فاستقبلهم **سعادة الباشا بكل حفاوة واعتناء.**

وأقام أيضا فضيلة القاضي وهو من العائلة المالكة حفلة رفيعة بداره استقبل فيها العلماء والإشراف وسكان المدينة على الإطلاق، فكان منزل فضيلته لا يفرغ إلا ليمتلىء من جديد، واستقبل أيضا تلاميذ المدارس والجمعيات الرياضية بكل سرور وبشاشة.

وزار وفد من الشبيبة الرباطية مدينتنا فكانت فكرة شريفة دلت على أرق العواطف وأجملها وقد استقبل استقبالا فخما، فزار سعادة الباشا في قصره وفضيلة القاضي وطاف بالأسواق حيث اقتبل بالتصفيق والهتاف والأناشيد **وفي المساء ردت الشبيبة السلاوية الزيارة فاقتبلت بالنادي الرياضي وبنادي قدماء تلاميذ المدرسة اليوسفية.** وبعد صلاة المغرب **احتشدت الناس في المسجد العتيق وقرىء القرآن وأنشدت الأمداح النبوية حتى آذان العشاء.**

وعلى الساعة العاشرة ليلا أطلقت الحراقيات والنيران الصناعية ذات الألوان المتنوعة فلقيت نجاحا عظيما.

وقد انتهز الجميع هذه الفرصة ليظهروا لجلالة الشريفة عواطف ولائهم وإخلاصهم فبعثت إلى **جلالته البرقيات العديدة منها** برقية **باشا المدينة باسم سكانها** وبرقية **فضيلة القاضي باسم العلماء** وبرقية رئيس **البلدية باسم الجالية الفرنسية** وبرقية فضيلة **الشيخ الحاج على عواد** إمام وخطيب المسجد الأعظم وأخرى من **سيدي محمد بن الطيب العلوي باسم الأشراف العلويين وأخرى من سيدي عبد الرحمان التهامي باسم الاشراف الوزانيين** وغيرهم، وكلها تقارب معنى البرقيات الآتية :

صاحب الجلالة الشريفة - مراكش

إن شبان سلا المسلمين ينتهزون فرصة عيد العرش ليرفعوا إلى جلالتكم احترامهم الخالص ويعبرون لكم عن تمسكهم بجلالتكم وبسمو الأمير مولاي الحسن ويرجون من رحمتكم العفو عن السجناء السياسيين.

عن شبان سلا

أبو بكر القادري

جلالة السلطان - مراكش

إن أعضاء النادي الأدبي الإسلامي بسلا ينتهزون فرصة عيد العرش ليرفعوا إلى جلالتكم ولاءهم الخالص ويكررون لها تمسكهم بها وبشخص سمو الأمير مولاي الحسن.

عن أعضاء النادي الأدبي الإسلامي

عبد الكريم أبو علو

جلالة السلطان - مراكش

إن أعضاء جمعية «النجاح» الرياضية ينتهزون فرصة عيد العرش ليقدموا لجلالتكم احترامهم الخالص وتمسكهم بحضرتكم وبسمو الأمير مولاي الحسن ويرجون منكم الرحمة والعفو عن السجناء السياسيين.

الرئيس : المكي الدراتي

Novembre 1934 — Troisième Année — السنة الثالثة — شعبان ١٣٥٣





تثقيفية عمرانية أدبية — MAJALLAT EL MAGHRIB — مديرها ورئيس تحريرها : محمد الصالح ميسة

عيد العرش

صدر قرار وزيري باتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الذي جلس فيه صاحب الجلالة الشريفة على عرش المغرب عيداً رسمياً . ولاهمية هذا القرار ننشر نصه باللفتين نقلا عن الجريدة الرسمية :

الحمد لله وحده

قرار وزيري

يؤسس بموجبه عيد التذكار

يعلم من هذا الكتاب بوجود سيدنا أيده الله أن جناب المخزن الشريف أمر بما يأتي :

الفصل الاول

يؤسس اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيداً لتذكار صعود جلالة السلطان على عرش أسلافه المقدسين ابتداء من هذه السنة فصاعدا .

الفصل الثاني

يقوم باشا كل مدينة من مدن الايالة الشريفة بتنظيم الافراح الجارية في عهد السلاطين المقدسين بمناسبة فرح بفتح او حادث سار يحدث بذاتهم المنيفة أو بمملكتهم الشريفة وتشتمل على :

أولا — تزيين المدن

ثانياً — الطرب في الاسواق

ثالثاً — تفريق الثياب والطعام على يد الجمعيات الخيرية

رابعاً — يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف .

الفصل الثالث

أما العاصمة التي يحل بها الجناب الشريف فان بعض أعضاء اللجنة البلدية أو الموظفين أو الاعيان يتوجه تحت رئاسة الباشا للقصر العالي لتقديم مراسم التهاني للجناب العالي وذلك بالنيابة عن أهالي المدينة .

الفصل الرابع

لما كان الغرض في تمام المحافظة على الموائد ولئلا يحدث بسبب هذا العيد المؤسس ما يمس بالحياة التجارية او الادارية في المملكة الشريفة يقرر بان افراح العيد لا

تجاوز يومه ولا تتعداه الى غيره كما أنه لا تكون خطب ولا اوفاد الناس والسلام .

وحرر بالرباط في ١٦ رجب عام ١٣٥٣ الموافق ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٣٤ .

محمد المقري

اطلع عليه وأذن بنشره :

الرباط في ٣١ اكتوبر ١٩٣٤ .

القومسير المقيم العام

هنري بونسو

ARRÊTÉ VIZIRIEL

fixant au 18 novembre de chaque année la commémoration de l'accession de S. M. le Sultan Sidi Mohamed Ben Youssef au trône de ses ancêtres.

LE GRAND VIZIR,

Après s'être assuré de l'agrément du Commissaire résident général de la République Française au Maroc,

ARRETE :

ARTICLE PREMIER. — A partir de la présente année, le 18 novembre, anniversaire de l'accession de S. M. le Sultan au trône de ses ancêtres, sera consacré à la commémoration de cet événement.

ART. 2. — Dans chaque ville de l'Empire, selon la tradition établie par les anciens sultans, lorsqu'ils célébraient une victoire accordée à leurs armes ou quelque autre événement heureux survenu à leur personne ou à l'Empire, une fête sera organisée par l'autorité musulmane locale, comportant les manifestations suivantes :

1° Pavoisement général ;

2° Musique dans les souks ;

3° Distribution de secours aux pauvres par les soins des sociétés de bienfaisance ;

4° Congé pour les administrations makhzen.

ART. 3. — Dans la ville où se trouvera le Sultan au jour de cette fête, S. Exc. le Pacha, accompagné de quelques conseillers municipaux, fonctionnaires ou notables, présentera à Sa Majesté les vœux de fête formés par la population de la ville.

ART. 4. — Afin de maintenir la tradition ci-dessus rappelée et de n'apporter aucun trouble à la vie commerciale et administrative, il est ordonné que les manifestations de la journée n'excéderont pas le cadre fixé ci-dessus. En aucun cas, le congé ne saurait être étendu au jour suivant. Il ne sera autorisé ni cortège, ni discours.

Fait à Rabat, le 16 rejeb 1353.
(26 octobre 1934).
MOHAMED EL MOKRI.

Vu pour promulgation et mise à exécution :
Rabat, le 31 octobre 1934.
Le Commissaire Résident Général,
HENRI PONSOT



حول

مُصحَف الأمير مولاي عليّ

ابن السلطان سيّدي محمّد بن عبد الله.

للدكتور عبد الهادي التازي

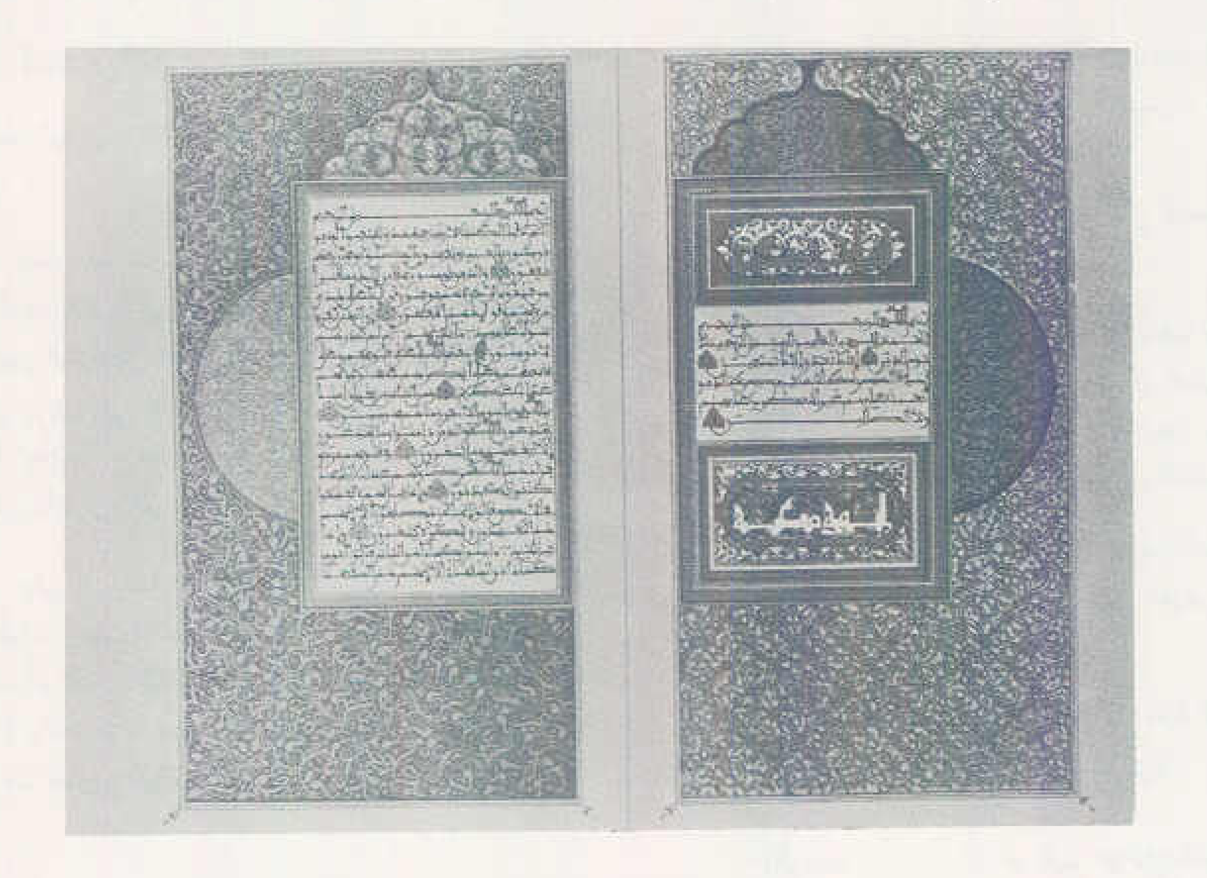
لقد وقفت بمعرض دار الكتب بالقاهرة على هذا المصحف العلوي الذي كتب سنة 1182 هـ = 1768 م برسم الأمير مولاي علي نجل السلطان أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله وخليفته على مدينة فاس.

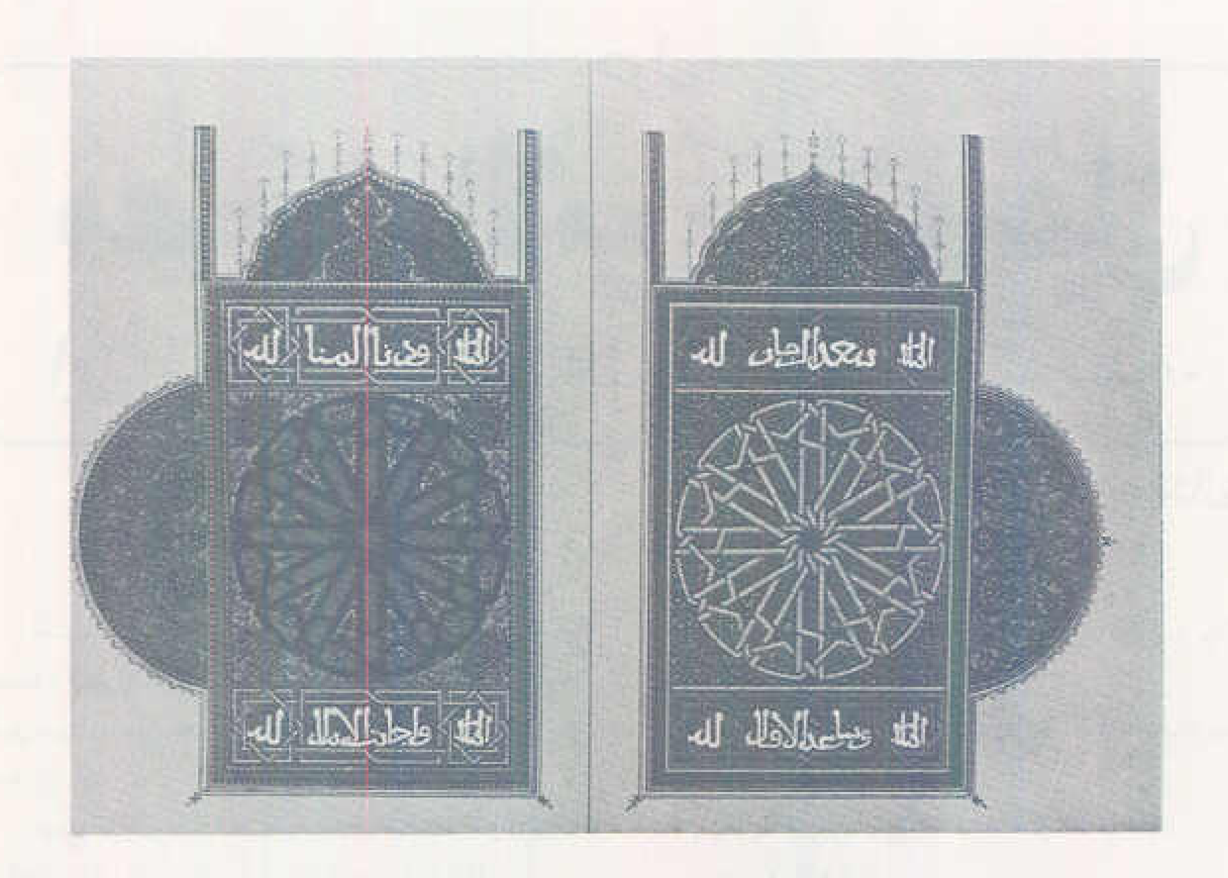
جميع أوراق هذا المصحف محلاة بالذهب واللازورد والياقوت، وقد كتب على الطريقة المغربية الرائعة... يعرف بالأحزاب وأنصاف الحزب والربع والثمن بالذهب كذلك والالوان.

ويكتب اسم الجلالة في جميع المصحف بالذهب الخالص.

تجليد مغربي رفيع.

عدد ورقاته 263





كتبت في آخره هذه الكلمات :

سعد الزمان ودنا المنا ☆ وساعد الأقبال وأجابت الآمال

☆ ☆ ☆

ونظرا لمــا هـو معروف من أن الملـوك والأمراء المغاربة كانوا من قديم يهدون مثل هـذه التحف إلى الحرمين الشريفين، فإني أعتقد أن هـذا المصحف أهـداه الأمير مولاي علي لأحد المساجد الثلاثة : المسجد الحرام بمكة المكرمة، مسجد الرسول بالمدينة المنورة، المسجد الأقصى بالقدس الشريف.

وفي طريقـه شطر الجهـة التي أرسل إليهـا تعثرت الخطوات لسبب ما من الأسباب... حيث وجدناه في حوزة محمد أبو الذهب الذي كان انفرد بحكم مصر عام 1188 = 1773 وكان مهتما بجمع الكتب لخزانة الجامع الذي بناه في هذا التاريخ قبالة الباب الرئيسي للأزهر الشريف.

وقد تسلمه بعد أن أتلفت الصفحة الأخيرة منه التي كانت ـ على ما يظهر لي ـ تحمل وثيقة التحبيس ـ على الجهة التي كان المصحف في طريقه إليها...

وقد قام أبو الذهب ـ رحمه الله ـ بتحبيس المصحف المغربي على خزانة جامعه السالف الذكر.

وبعد غياب أبي الذهب، وبعد غزو نابليون لمصر (1213 هـ = 1798) اختفى المصحف العلـوي من خزانة الجامع حتى عثر عليه في متحف اللوفر بباريز سنة 1868 ! وقد تمت استعادة هذه التحفة الثمينة إلى القاهرة.

يوجد المصحف الآن بمبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب شارع الكورنيش ـ بولاق، ضمن مواد معرض دار الكتب المصرية.

وهو ـ كما قلت ـ آية من آيات الفن في دقة الصنع وتناسق الألوان الجذابة بتذهيبها وتحليتها وتطريزها.

الرباط

د. عبد الهادي التازي



للشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف

عودتني خلالك الغراء ... موقفا طاب في سناه الغناء

كلما لاح عيد عرشك بدرا ... صدح الشعر وازدهى الشعراء

حل باليمن طالعا في سماوا ... ت العلا تحتفي به البشراء

وعلى الأرض مسحة الحسن تاهت ... بربيع تشتاقه الخضراء

قدر شاء أن يوحد عيدين وتوحيدنا به يستضاء

فهما للنفوس روح وريحا ... ن ونعمى وفرحة ورجاء

ما سبيل القريض وهو أما ... م البحر يزدان دره والعطاء ؟

هل إلى معدن المكارم درب ؟ ... أم إلى قمة المزايا ارتقاء ؟

«حسن» كلل اسمه هام مجد ... فعلى المجد حلية زهراء

كل ملك يشتاق مجدا سنيا ... ومليكي تشتاقه العلياء

بعد صيب تضيق عنه نواحي الأر ... ض بل دون بعده الجوزاء

عالم ترتوي المعارف منه ... عند تحليلها ويبدو الخفاء

قوة العقل نورها يهتك الحجب فتنأى عن سرها الظلماء

وخطيب يختار غر المعاني ... لفظه الشهد والمنى والنقاء

أين «قس» وأين «سبحان» منه ؟ ... هل يجاري الخضم شأوا إضاء ؟

كاتب يعشق الترسل دفـ ... ـقا فتزهو البلاغة العصماء

وحكيم صواب حكمته وحي بآلائه تجود السماء

ملهم ليس يخطىء الرأي غضا ... حين تنأى عن غيره الآراء

وفعـــال على مـــلامحهـــا الطهـــر نـــاديـــا والغـــايـــة الحسنـــاء
لم تـــدنس جمـــالهـــا نيـــة الســوء ولا صفقت لهـــــا الأهـــــواء
ذاك جـزء من عصمـة نـالهـا من قبـل في عـالم الـورى الأنبيـاء
كيف لا وهـو من سـلالـة هـادي الخلـق وهي السـلالـة الشمـاء
عـابـد في تـأمـل وخشـوع تلـك حـال يـودهـا الأتقيـاء
يرتـدي حلـة الضراعـة في النجـوى إلى اللـه وجهـه والـدعـاء
ورضـا اللـه ظلـه أينمـا حـل فمنـه على بهـاه لـواء
والهـدى في مـواكب «الحسن الثـاني» دليـل ومرشـد وحـداء
عرفتـه شجـاعـة البـأس ضرغـامـاً إذ هـزت القنـا الهيجـاء
قـائـد لا يقـود إلا إلى النصر مبينـا تجرى لـه الأعـداء
وحليم لـه من العفـو زاد أمـل المخطئين إن هم أسـاؤوا
وكريم تفيض راحتـه بـالخير فيضـا يغـار منـه السخـاء
خلـق المصطفى ومـا أعـذب الخلـق إذا جـاء في الكتـاب الثنـاء
يـا لهـا من شمائـل لـو تمـادى الـوصف فيهـا لمـا دعـاه انتهـاء
فـاختصرهـا برمـز حـاء وسين ثم نـون فمـا لـه نظراء

☆ ☆ ☆

يـا مليـك البـلاد والمنجـزات الكثر تترى فتكثر النعمـاء
أنت خططتهـا لشعبـك حتى يتسـامى بشـأنـه الإعـلاء
السـدود الشـوامـخ اليـوم تعلـو وبـأحـواضهـا يـدر النمـاء
قـد غـدا القفر جنـة وعلى تربتـه ينبت الغنى والثراء
وإلى جنبهـا المصـانـع قـامت سـامقـات يشـدهـا إرسـاء
ولـديهـا سـواعـد عـامـلات ليس يغشى نشـاطهـا إعيـاء
تنتـج الخير والرفـاه لشعب لم تنلـه بفضلـك الضراء
وإذا سرت في البـلاد فمـا تلقـاك إلا معـاهـد بيضـاء
وزهـور تـؤمهـا بـاسمات يستبيهـا مستقبـل وضـاء
ترشف العلم من منـاهلـه حتى تمـوت الجهـالـة الجهـلاء
كم عليم بنتـه للـوطن الغـالي فرد الجميـل منـه الـوفـاء
وطن رصعتـه منـك الأيـادي فـاحتـذاه في بعثـه العقـلاء
أنت وحـدتـه ترابـا وفكرا فـالصحـاري قلب لـه ودمـاء

تتهـــادى كـــأنهـــا الروض مخضرا وتـــزهـــو كـــأنهـــا الحسنـــاء
والروابي تهتـــز بـــالفرح العـــا رم نشـوى يختـــال فيهـــا الضيـــاء
والأسـود الـزرق الشـــداد على إخـــلاصهم بـــايعـــوا فـــزف الـــولاء
عرشهم عرش مغرب علـــــــــوي ولهم فيـــــه عصمـــــة واحتمـــــاء
جيشنـــا البـــاسـل المظفر منصو ر اللـوا درع شعبنـــا الـوقـــاء
عـــانقتـــه الصحراء بـــالـود حتى طهرت من أجفـــانهـــا الأقـــذاء
إنهـــا بنت مغرب «الحسن الثـــا ني» وكـل الرعـــايـــا فيـــه سـواء
بـوأتـــه رعـــايـــة «الحسن الثـــا ني» مقـــامـــا يحبـــه الأقـويـــاء
وأظلتـــه وهي تخفـق مجـــدا وسرورا الرايـــــــــة الحمراء

☆ ☆ ☆

يـــا إمـام التـوحيـد لم يكفـك التـو حيـــد دارا فهب منـــك النـــداء :
يـــــا ابني يعرب لم الخلف والطيش وحرب الكـــلام والإعـــزاء !؟
أنتم أمـــــة يـــوحـــدهـــا الـــدين وطهر الأرحـــام والآبـــاء
فـاستجـابـوا النـدا بتـأليف عقـد «أنت فيـــه السيمـــة العصمـــاء»
«وبفـــاس» تـلألأ العقـــد لمـــا عـــأ ورق الـوفـــا وطـــاب اللقـــاء
واستفـــادت منـــه فلسطين نصرا قـــد رواه الإصبـــاح والإمســـاء

☆ ☆ ☆

يـــا مليكـــا تحـــار فيـــه القـوافي ويتيـــــه اليراع والإنشـــــــاء
ليس من غـــايـــة أريـــد وحسبي عنـد عجـزي عن وصفـك الإيحـــاء
أنت في الحـق أمـــة في مليـــك لم يصـل قـدر شـأنـه العظمـــاء
فهنيئـــا للشعب بـــالفرحـــة الكبرى إذا حـل عيـــدك المعطـــاء
وليعش للعـــلا وزهر الأمـــاني «ولي العهـــد» يرتضيـــه الإبـــاء
و «الرشيـد» الـذي لـه الرشـد يهوى وكـــذا الآل مـــا أظلت ذكـــاء

ورقات من تاريخ الحركة الوطنية بشمال المغرب

قصّة عيدِ العرش بتطوان

للأستاذ محمّد العربي الشاوش

توطئة

شعرت الحركة الوطنية المغربية بعد إعلان سياسة 16 ماي 1930 ـ المعروفة بالسياسة البربرية ـ ان إدارة الاستعمار الفرنسي تسير بخطوات مدروسة لتجريد ملك المغرب من اختصاصاته الدينية والمدنية، وتكوين قومية مزدوجة مغربية فرنسية، لتحقيق مخططها بسلب المغرب من مظاهر سيادته ومقوماته الروحية والحضارية، وحكمه حكما مباشرا تمهيدا لجعله مستعمرة فرنسية خالصة.

وبما أن الحركة الوطنية كانت تعتبر العرش المغربي والجالس الشرعي عليه رمزا للسيادة المغربية، وضمانة لاستمرار الوضعية المغربية الإسلامية العربية التي توارثها الأبناء والاحفاد عن الآباء والأجداد طيلة أربعة عشر قرنا من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة العلوية الشريفة التي أعادت للبلاد وحدتها وهيبتها كدولة عربية إسلامية منظمة، واحتفظت بكامل سيادتها إلى أن فرضت عليها الحماية في ظروف غامضة قاهرة عام 1912. وليست الحماية في منطوقها اللغوي ومفهومها القانوني استعمارا وحكما مباشرا وتجريدا للدولة المحمية من دينها ولغتها وحضارتها وسيادة رئيسها، ولكن الحكومة الفرنسية كان في نيتها أن تجعل من نظام الحماية المفروضة وسيلة لفرض نظام استعماري ماكر، ومهدت لذلك بمحاولة نسف الشريعة الإسلامية والسيادة الوطنية ممثلة في الشخصية المعنوية للعرش المغربي. فقامت الحركة الوطنية تطالب باحداث عيد قومي هو «عيد العرش» في اليوم الثامن عشر من شهر نونبر من كل سنة، وهو اليوم الموافق لجلوس أمير المومنين جلالة الملك المقدس محمد الخامس على عرش المغرب عام 1927.

وتكونت لهذه الغاية لجنة وطنية برئاسة نقيب الشرفاء العلويين ومؤرخ المملكة المغربية مولاي عبد الرحمان بن محمد ابن زيدان المتوفى رحمه الله عام 1946، ونظرا لمكانة الرجل العلمية والاجتماعية، فان حكومة الحماية الفرنسية لم تجد بدا من الاستجابة لهذه الرغبة القومية الاجتماعية، فصدر قرار وزيري بتاريخ 31 أكتوبر 1934 (21 رجب 1353) بإمضاء الصدر الأعظم الراحل محمد المقري والمقيم العام الفرنسي هنري بونصو، ونشر بالجريدة الرسمية بالرباط في العدد المؤرخ بتاريخ يوم الجمعة 2 نونبر 1934 (23 رجب 1353) والقرار المذكور يبيح بإقامة عيد العرش (يوم 18 نونبر) من كل سنة، تقدم فيه التهاني لجلالة الملك، وتعطل فيه الإدارة المخزنية، ولا تحدث فيه خطب ولا تجمعات. وحظر الخطب والتجمعات قيد استعماري خطير يدل على مدى حرمان الشعب المغربي من حرياته العامة، وعلى مدى الكبت والقهر الذي كان يعانيه من إدارة الحماية. ولكن الملك والشعب عرفا السبيل إلى تكسير هذا القيد بعد ذلك، وجعل عيد العرش مناسبة وطنية لاتصال العرش بالشعب

واتصال الشعب بالعرش إتصالا كان له ما بعده من نتائج وطنية باهرة.

عيد العرش بتطوان

وما أن علمت الكتلة الوطنية بعاصمة المنطقة الشمالية الواقعة تحت الحماية الإسبانية طبقا لاتفاقية مدريد الفرنسية الإسبانية عام 1912 بقصد تفتيت الوحدة المغربية، ما أن علمت كتلة تطوان بخبر عيد العرش واطلعت على القرار المنشور في هذا الشأن، حتى بادرت بالدعوة إلى إظهار الأفراح يوم 18 نونبر 1934 برفع الأعلام المغربية ونشر صورة جلالة الملك محمد الخامس لأول مرة في الشمال كتعبير من المواطنين الشماليين على تمسكهم بالوحدة المغربية الممثلة في شخصية ملك البلاد، رغم امتعاض الإدارة الإسبانية من هذا الواقع الذي لم تستسغه من جهة باعتبار منطقة حمايتها في الشمال منفصلة سياسيا وإداريا عن المنطقة الجنوبية الواقعة تحت الحماية الفرنسية. ومن جهة أخرى لم تتجرأ على منع مظاهر الأفراح الشعبية اتقاء لأي حدث لاطاقة لها لمواجهته بعد أن ذاقت الأمرين من المقاومة الشمالية المسلحة العنيفة.

برقية تهنئة

وشفعت الكتلة الوطنية الشمالية عملها بإرسال برقية تهنئة إلى جلالة محمد الخامس الذي كان يومه 18 ـ 11 1934 في مدينة مراكش، وهذا نص البرقية :

«صاحب الجلالة مولانا محمد سلطان المغرب : الكتلة الوطنية بتطوان تتشرف برفع تهانيها إلى سدتكم العالية بعيد جلوسكم على العرش العلوي الخالد، وترجو لجلالتكم وسمو ولي عهدكم أمير الأطلس طول العمر وكامل السعادة. عن الكتلة الوطنية : التهامي الوزاني (×) عبد الخالق الطريس (×) عبد السلام ابن جلون (×) محمد افيلال (×) الحسين ابن عبد الوهاب (×) محمد داود». كما وجهت «جمعية الطالب المغربي» برقية تهنية أخرى بإمضاء رئيسها المرحوم التهامي الوزاني هذا نصها : «بإسم جمعيتنا أرفع إلى سدتكم العالية اسمى التهاني بمناسبة عيد جلوس جلالتكم، سائلا المولى أن يديم جلالتكم».

عدد ممتاز من جريدة الحياة

وأصدرت جريدة «الحياة» عددا خاصا بعيد العرش، هو العدد 36 بتاريخ يوم 11 شعبان عام 1353 موافق 18 نونبر 1934 زينته بصورة كبيرة لجلالة الملك، ونشرت مقالات هامة في الموضوع، منها إفتتاحية الجريدة بقلم المناضل المرحوم عبد السلام ابن جلون قال فيه : «اليوم تسخر الأمة المغربية بكل تفرقة تحاول، وتهزأ بكل حد من حدود الجغرافية المصطلح على وضعه، وتنادي بصوت جهوري تردد صداه جنبات المغرب من أقصاه إلى أقصاه أن عاشت الوحدة المغربية». وفي مقالة لأبي الفداء (وهو الشيخ محمد المكي الناصري) بعنوان : «عيد العرش عيد القومية المغربية» قال الكاتب : «لماذا هذه الحدود المصطنعة بين منطقة وأخرى، ولمذا هذه الجمارك والجوازات داخل المملكة المغربية... العرش المغربي هو الضامن الوحيد للجنسية المغربية الموحدة، العرش الذي هو عماد الدولة المغربية التي لا تزال قائمة معترفا بوجودها في عالم السياسة والقانون... ولولا العرش المغربي لاصبح المغرب مستعمرة من المستعمرات الأجنبية... العرش المغربي في نظرنا هو حامي القومية المغربية وحافظها من الانحلال والاندماج في غيرها من القوميات...» من هذه النصوص النضالية نرى الخطوط الرئيسية للفكر الوطني والموقف النضالي الذي وقفته الحركة الوطنية دفاعا عن العرش رمز السيادة والوحدة المغربية.

والجدير بالذكر أن جريدة «الحياة» التطوانية هي باكورة الصحافة العربية الوطنية بالمغرب، أسسها المرحوم الأستاذ الطريس في ربيع عام 1934 لتكون لسان حال الحركة الوطنية بالمغرب عامة والكتلة الشمالية بصفة خاصة، وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ الطريس كان قد استندت

×) هذه العلامة تشير إلى وفاة الشخصية الموضوعة بجانبها ولا نكررها في ذكر شخصية أخرى توفيت، ومن ذكرناه بالراحل أو المرحوم فلا نضع بجانبه علامة ولو تكرر اسمه.

إليه مديرية الأحباس في منتصف سنة 1934 فترك رئاسة تحرير جريدته للشيخ المناضل سيدي التهامي الوزاني، ولكن إدارة الحماية الإسبانية ضاقت بالجريدة المذكورة فأوقفتها. والجدير بالذكر أيضا أن «الحياة» كانت الصحيفة الوطنية الثانية بعد مجلة «السلام» التطوانية التي أصدرها مؤسسها الأستاذ محمد داود في خريف عام 1933 وعاشت سنة واحدة. وهما من أقدم وأصدق مصادر الحركة الوطنية وخاصة ما يتعلق منها بنضال شمال المملكة المغربية.

فك القيد عن عيد العرش

وفي سنة 1935 كانت كتلة تطوان قد نظمت صفوفها تنظيما حزبيا محترما بالرغم من أن «حزب الاصلاح الوطني» لم يعلن عنه رسميا إلا في شهر دجنبر سنة 1936. وكان مما قررته كتلة تطوان أن جعلت من يوم «18 نونبر» يوم عيد وطني تقام فيه التجمعات الوطنية والحفلات الخطابية، ضاربة عرض الحائط بما نص عليه القرار الوزيري الفرنسي من حظر التجمعات والخطب في عيد العرش. وهكذا نظمت كتلتنا أول حفلة وطنية خطابية بدار الأخ المناضل عبد السلام الحاج (يوم 18 ـ 11 ـ 35) حضرها عدد وافر من رجال العلم والثقافة، ونخبة من تلاميذ «المدرسة الأهلية» التي كانت أول مدرسة عربية وطنية حرة انشئت بتطوان عام 1925 وكونت نخبة من الشباب الواعين المتنورين منهم الأستاذ الطريس نفسه. وفي هذه الحفلة تناول المحتفلون كؤوس الشاي والحلويات في جو من السرور والابتهاج، واستمعوا كذلك إلى خطاب وطني بليغ ألقاه شيخنا المرحوم التهامي الوزاني. وكانت هذه الحفلة هي الأولى من نوعها في المملكة المغربية، فكت عن عيد العرش القيد الذي قيده به الحكم الفرنسي، وكانت فاتحة لحفلات وتجمعات وطنية أخرى أشرف على تنظيمها حزب الاصلاح الوطني في كل سنة، حتى صار يوم 18 نونبر في تطوان يوم عيد وطني كبير، ينتظره الناس بشوق ويحتفلون به كاحتفالهم بالأعياد الإسلامية المقدسة، ويقولون بأن هذا العيد يذكرنا بسيادتنا ووحدة ترابنا، واننا أمة واحدة في وطن واحد لا فرق بين شماله وجنوبه رغم أنف الاستعمار ومن يدور في فلكه.

اسبانيا تقلد عيد العرش

وفي الظروف الحالكة التي عاشتها تطوان تحت القمع الإسباني من سنة 1948 إلى سنة 1952 كان الناس يحتفلون بعيد العرش تلقائيا في البيوت والاندية، ويزينون المحلات التجارية بالاعلام المغربية وصور جلالة الملك محمد الخامس، ولا تتدخل الإدارة الاسبانية في منع شيء من هذا مادامت الأمور تمر في جو صامت.

ولم تكن صورة الملك تظهر في الغالب إلا في حفلات عيد العرش، ثم تختفي لتبقى صورة «الخليفة» فقط. ولكن حزب الاصلاح الوطني منذ استأنف نشاطه الجديد عام 1952 بعد المحنة التي اجتازتها المنطقة الشمالية من جراء الحكم الإسباني المباشر، دعا إلى وجوب وجود صورة الملك إلى جانب صورة الخليفة باستمرار، وخاصة في المدارس والإدارات المخزنية حيث لم تكن توجد إلا صورة الخليفة. ولما سار العمل بهذا التوجيه الوطني الرشيد، كانت هناك جهات تتحفظ من تعليق صورة الملك، ولكي تؤمن نفسها كانت تجعل صورة الملك في الوسط محاطة بصورة الخليفة وصورة الجنرال فرانكو رئيس الدولة الإسبانية أو مندوبه السامي بتطوان.

والسبب في هذه البلبلة هو أن إدارة الحماية الإسبانية كانت توحي بان الخليفة هو سلطان منطقة حمايتها، وتحيط شخصيته بهالة من الاكبار والتقديس باعتبار أنه واحد من خلفاء المسلمين الذين تلقبوا بالخليفة في العصور الإسلامية السابقة، هذه كانت فكرة عامتهم، وربما كانوا يحلمون بخلق خلافة علوية في شمال المغرب على مثال الخلافة الأموية في الأندلس، ووضعوا ترتيبات لتأمين الخلافة باسناد ولاية العهد للولد الأكبر للخليفة. ولكن أحلامهم تبخرت منذ عام 1953 بعد انفجار ثورة الملك والشعب.

وعلى ما ذكرناه من اعتبارات للخليفة، فقد بادرت الإدارة الإسبانية بأحداث عيد خاص بشمال المغرب هو «عيد جلوس سمو الخليفة»، وجعلوه في اليوم الثامن من شهر نونبر بالذات، مع أن تولية الأمير مولاي الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن محمد الرابع كانت يوم 25 يوليوز سنة 1925 بعد موافقة أمير المومنين مولاي يوسف بن الحسن الأول

على توليته الخلافة. وأما نقل ذكرى توليته إلى ثامن نونبر فانما كان للتذكير بانتصار جيش الاحتلال الإسباني على المقاومة الوطنية الشمالية في 8 نونبر 1925. ومع ذلك كانت الحركة الوطنية بتطوان تشارك في الاحتفال بهذه الذكرى تكريما لخليفة جلالة الملك، لا لليوم المشؤوم الذي تم فيه انتصار الجيش الإسباني على المقاومة الشمالية المقدسة. وقد كان الخليفة مولاي الحسن بن المهدي يحظى بعطف المواطنين المغاربة في الشمال، وبعطف الإسبانيين الأجانب كذلك، لما كان يتصف به من طيبوبة ومرونة. واذكر أنه في زيارة جلالة الملك محمد الخامس لمدينة طنجة عام 1947 واستراحته في مدينة أصيلة مع سمو خليفته في هذه النقطة الجميلة التي كانت ضمن منطقة الحماية الإسبانية بالشمال، ظهرت في الصحف الإسبانية صورة جلالة الملك (وهو نحيف الجسم) وإلى جانبه صورة الخليفة (وهو ممتلىء الجسم) فعبرت لي سيدة إسبانية تبيع الصحف عن قلقها لنحافة الخليفة وسألتني هل هو مريض ؟. قلت لها : لا، ومن اين علمت ذلك ؟. قالت : انظر، أليست هذه صورته ؟. (وأشارت إلى صورة الملك) فقلت لها : بل هذا هو الملك، وهاهو الخليفة إلى جانبه في تمام صحته، (وأشرت إلى صورة الخليفة) فاندهشت الإسبانية وقالت : يالله !.. الملك نحيف هكذا ؟!. قلت لها : هذه طبيعته، وهو أيضا يشتغل كثيرا ويفكر كثيرا، وفي غاية الصحة كذلك. فأجابت السيدة : بين فيه ذلك، ولكن الحمد لله الخليفة محتفظ بشكله وفي تمام صحته، هذه القصة على بساطتها تعبر عن فلسفة الإسبانيين في رجال المخزن. وذلك أنهم يشترطون في رجل المخزن أن يكون ضخم الجثة أولا، أو قريبا من الضخامة على الأقل. ولذا كانت الإدارة الإسبانية تختار لكراسي الوزارات والوظائف النابهة في الحكومة المخزنية الشمالية رجالا كان أغلبهم ممن ينطبق عليه المثل القائل : «جثث الاباعير، وعقول العصافير» (1) وطبيعي أن لا تهتم الإدارة الإسبانية إلا بالشكل، لأن مايهمها في المغربي هو المظهر والطاعة، أما العقل والرأي فإسبانيا صاحبته. ولكن بعض المختارين كانوا يتوهمون أنهم ممن تصدق عليهم الآية الكريمة : «**إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم**» (2) أولئك كانوا مع أسيادهم الأجانب ألين وأخوف من الأرانب، ومع أخوتهم المغاربة أغور من الذئاب وأمكر من الثعالب. وأولئك يصدق عليهم قول الشاعر المرحوم حافظ إبراهيم :

أنا لولا أن لي من أمتي ... خاذلا مابت أشكو النوبا
أمة قد فتَّ في ساعدها ... بغضها الأهل وحب الغربا

في العيد الفضي للعرش

ولنا ذكريات مشرقة مع عيد العرش، كان منها موقف تميز بالدعوة الصريحة إلى الجهاد. ففي الذكرى الفضية لعيد العرش (18 ـ 11 1952) احتفلت تطوان افخم احتفال عرفته في هذه المناسبة لتعبر عن تعلقها ووفائها وولائها للمغفور له محمد الخامس حيث كان يجتاز أزمة وطنية خانقة تحت وطأة الحكم الفرنسي المباشر، وتميزت الكلمات التي ألقيت في حفلة خطابية لحزب الاصلاح الوطني باستنكار السياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب، والدعوة إلى الالتفاف حول جلالة الملك. واذكر انني يومه ألقيت خطابا دعوت فيه إلى الجهاد والاستشهاد، ومن ذلك بعض الجمل التي اعتبرت خطيرة جدا مثل الآية : «**إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**» (3) وإن الجنة تحت ظلال السيوف، وبين أفواه البنادق والمدافع... «**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المومنين، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم**» (4)

1) الاباعير : جمع الجمع في البعير وهو الجمل
2) الآية 247 ـ البقرة
3) الآية 111 ـ التوبة
4) الآيات 169 ـ 172 من سورة آل عمران

وفوجىء الناس بهذه الدعوة وتحمسوا وتأثروا بالغ التأثر. وبعد انتهاء الحلفة قال لي الأخ المرحوم الطيب بنونة الأمين العام للحزب : كلمتك مؤثرة حقا، ولكن هل كنت تعرف ما تقول ؟. قلت : نعم. قال : فهل عندك مدافع وطائرات ؟. قلت : بل عندي الإيمان !.. ولكنني رجعت إلى نفسي فوجدت تعليقه منطقيا، ورغم ذلك أؤكد أن السلاح بدون إيمان لا أهمية له، كما أن الإيمان بدون سلاح في المواقف الجهادية يكون من باب إلقاء النفس إلى التهلكة، ولذلك قال تعالى : **«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم»** (5) ولم يقع ما يكدر ولله الحمد من جانب الإسبانيين حول هذا الموقف، لأن المسألة كانت تتعلق بالضغوط العنيفة التي مارسها الحكم الفرنسي ضد العرش. وحينما يقتنع الحكم الإسباني بأن المسألة ليست موجهة إليه بالضبط، فإنه يغض البصر في الغالب ويقف موقف الحياد. وحياد إسبانيا هو ما كنا نطلبه في مواقفنا الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي.

في عام 1953 وما بعده

وقد بلغ الاحتفال بعيد العرش في تطوان الذروة بعد نفي أمير المومنين محمد الخامس رحمه الله (20 غشت 1953) فقد تمسكت المنطقة الشمالية بالمشروعية الممثلة في شخصية الملك المنفي، وتشبثت ببيعته التي عقدتها لجلالته عام 1927 في وفد رسمي يمثل شمال المملكة المغربية برئاسة شيخ تطوان الفقيه العلامة وزير العدل أحمد بن محمد الرهوني رحمه الله. ثم جددت هذه البيعة بطريقة جماعية في ربيع عام 1953 تحت إشراف حزب الاصلاح الوطني حسب الوثيقة التاريخية المؤرخة في 29 أبريل 1953. والتزاما من الحزب المذكور بهذه البيعة المقدسة الخالدة كان يوم 21 غشت 53 بتطوان يوم غضبة شعبية عارمة على السياسة الفرنسية المتهورة. والحمد لله استطعنا اقناع الإدارة الإسبانية بوجهة النظر الوطنية، ففسحت لنا المجال للتعبير عن عواطفنا نحو ملكنا ورمز سيادتنا ووحدتنا، وان كانت تحفظت بالغ التحفظ في الموضوع. ولكن الذي كان يهم إسبانيا هو سلامة مصالحها وعدم احراجها. وقد تعهدنا لها بذلك مقابل مساندتها لنا في مواقفنا ضد السياسة الفرنسية، ومن قال غير هذا فهو سطحي في معلوماته حول هذه القضية بالذات، أو هو ضحية لمعلومات خاطئة ومسبقة في الموضوع.

وفي إطار المشروعية والالتزام احتفلت تطوان احتفالا شعبيا بالغا يوم 18 ـ 11 ـ 53 وأقام حزب الاصلاح الوطني حفلة خطابية كبرى بدار رئيسه المرحوم الأستاذ الطريس، خطب فيها كما هو مسجل بمحضر جلسة يوم 12 ـ 11 ـ 53 كل من المناضلين الأساتذة عبد الخالق الطريس، ومحمد الطنجي، والمهدي بنونة، ومحمد العربي الشاوش، وتقرر اصدار عدد ممتاز من جريدة «الأمة» لسان حال الحزب. وأقامة حفلة «الاتحاد النسائي» بدار الأخ المناضل عبد السلام الحاج، خطبت فيها الأخوات المناضلات خدوجة علي الخطيب، وعالية أحمد الشاوش، وخديجة محمد السلاوي، وتكونت لجنة لتوزيع الصدقات. كما تقرر قراءة «اللطيف» بجميع المساجد بعد صلاة العشاء.

وكان خطاب الأستاذ الطريس رئيس الحزب بليغا في هذه المناسبة، حدد فيه موقف الحركة الوطنية في قضية العرش وسياسة حزب الاصلاح الوطني في الموضوع بكل وضوح. وكان رحمه الله يقول لي : افتتح أنت بصفتك السكرتير العام للحزب بتطوان. واتركوا الختام لي بصفتي رئيس الحزب. ويعلق على ذلك بأن افتتاحي يهيء له الجو الحماسي المناسب لالقاء خطابه الذي كان يطول أكثر من ساعة. وهكذا كانت عادته في معظم المناسبات الخطابية منذ سنة 1952. افتتح انا، ويختتم هو رحمه الله. وقد كانت مناسبة 18 نونبر 53 بتطوان حدثا بارزا ألفت نظر الرأي العام الدولي إلى خطأ السياسة الفرنسية في المغرب، كما كانت من دواعي فشل الحكم الفرنسي بعد أحداث 20 غشت 1953.

5) الآية 60 ـ الانفال

وفي سنة 1954 قرر حزب الاصلاح الوطني حسب ماهو مسجل بمحضر جلسة يوم 29 أكتوبر 1954 أن يحتفل بعيد العرش كما يلي تفصيلا لمقررات جلسة سابقة :

1) مهرجان خطابي بدار الأخ محمد اللبادي يوم 18 نونبر
2) حفلة الاتحاد النسائي بدار الأستاذ الطريس يوم 19 نونبر
3) حفلة سمر تقيمها جريدة الأمة بدار الأخ عبد السلام الحاج يوم 19 نونبر
4) اصدار عدد ممتاز من جريدة الأمة
5) حفلات في جميع مدن المنطقة الشمالية باشراف رؤساء فروع الحزب بالمنطقة
6) تزيين المدن بالأعلام المغربية وصور جلالة الملك. وإقامة الحفلات الساهرة بمراكز الدوائر الحزبية بتطوان ومدن المنطقة.
7) توزيع الصدقات
8) الدعوة إلى اقفال المتاجر والمعامل
9) الفات نظر خطباء الجمعة للاشادة بيوم الذكرى وصاحبها جلالة الملك محمد الخامس
10) التوقيع على دفتر التشريفات بالقصر الخليفي بالمشوار
11) تنظيم مسابقة شعرية ونثرية في جلالة الملك. وتشتمل على جائزتين : الأولى ألف بسيطة، والثانية خمسمائة بسيطة. ويعلن عن المسابقة في جريدة الأمة. وتوزع الجوائز في حفلة السمر يوم 19 نونبر، وتتكون لجنة التحكيم من الأساتذة : عبد الله كنون، ومحمد الطنجي، والحاج محمد بنونة (×) ومحمد ابن تاويت، ومحمد داود مؤرخ تطوان.
12) تقرر أن يخطب في المهرجان الخطابي الأساتذة : عبد الخالق الطريس، والطيب بنونة، ومحمد الطنجي، ومحمد ابن الحداد، ومحمد العربي الشاوش.

وتجدر الاشارة إلى حدث جديد ومفاجىء في سنة 1954 وهو معارضة نيابة الشؤون الأهلية في الصاق صورة جلالة محمد الخامس في جدران الشوارع. وقد سجلنا ذلك على الإدارة الإسبانية بكل أسف، وأثبتناه في محضر جلسة 10 نونبر 54 لأنه يتناقض مع سياسة التقارب بين الحكومة وبين الحزب الذي كان رئيسه وقتئذ وزير الشؤون الاجتماعية في الحكومة الخليفية، ولعل هذا الموقف من الإدارة الإسبانية كان جوابا على موقفنا الصامد من تجمع «سانية الرمل» في يناير 1954 حيث عارضنا بشدة مشروعا يقضي بفصل المنطقة الشمالية (الخليفية) عن المنطقة السلطانية لأن الملك الشرعي الذي تجتمع عليه الأمة غير موجود، وهي مناورة استعمارية كان المراد بها خلق كيان منفصل في البلاد. فأحبطنا هذا المشروع، وعدلناه بصيغة تجمع لتكريم الدولة الإسبانية على مناصرتها للمشروعية الوطنية الممثلة في شخصية محمد الخامس (6) ولم تعارض الإدارة في صيغة التكريم المذكورة والتزمت بها وان كانت العبارات الواردة في البرقيتين المتبادلتين بين الجنرال فرانكو ومندوبه السامي بتطوان غرسيا فالينيو في هذا الموضوع تشير إلى الابتهاج بتقديم «الولاء» إلى إسبانيا. وكان رد فعل التكريم المترجم بالولاء من طرف الأستاذ غرسيا فيكيراس نائب الشؤون الأهلية هو منع الصاق صور جلالة الملك في المحلات البارزة في المدينة، فصدق عليه قول الشاعر العربي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وامتنعنا من معاكسة الإدارة الإسبانية بالصاق صور الملك في الجدران، لاخوفا منها، بل التزاما بما قررناه من مسالمتها مادمنا في مواجهة عنيفة مع فرنسا. حرصا منا على تأمين نشاط حزبنا في مجال السياسة ومجال المقاومة. وكان البديل من الصاق الصور هو تزيين واجهات المتاجر وأماكن الحفلات بصور كبيرة للملك محفوفة بالورود والاعلام، كما وزعنا عددا من الصور الصغيرة على المواطنين مع مطبوعات تشتمل على شعارات منها : «يحيا الملك الشرعي سيدي محمد بن يوسف ـ عاشت الفدائية المغربية ـ عاش المغرب حرا مستقلا موحدا ـ كلنا فداء لمحمد الخامس». ولم تستطع الإدارة الإسبانية أن تقف في

---

6) انظر مقالتي المنشورة في «مجلة المقاومة وجيش التحرير» عدد 5 ـ صفر 1403 هـ. دجنبر 1982 بعنوان : دور تطوان في حركة المقاومة وثورة الملك والشعب.

وجه هذا التيار. ومرت الحفلات بسلام وفي جو من السرور والتطلع إلى المستقبل الباسم.

وبقي علينا أن نقول بأن لجنة التحكيم في المسابقة الأدبية المشار إليها في الفقرة (رقم 11) من برنامج الحفلات اجتمعت يوم 15 ـ 11 ـ 54 وبعد مداولاتها قررت الاحتفاظ بالجائزتين الأولتين في الشعر والنثر، وأعلنت عن فوز الطالب الشاعر محمد أحمد الغربي بالجائزة الثانية في الشعر بقصيدة عنوانها «بطل المغرب الثائر» وفوز الأديب محمد الطنجاوي بالجائزة الثانية في النثر بموضوع عنوانه «البعث» نشرناهما في العدد الممتاز من جريدة الأمة يوم عيد العرش، وسلمت لهما الجائزتين المقررتين في حفلة السمر المشار إليها في الفقرة (رقم 3) من البرنامج السابق الذكر، مع التنويه بالمشاركين الذين لم يفوزوا بجائزة.

وفي الحفلة الخطابية المشار إليها في الفقرة (رقم 1) من البرنامج خطب على الترتيب : محمد العربي الشاوش سكرتير حزب الاصلاح بتطوان، والأستاذ محمد ابن الحداد عضو اللجنة الفرعية للحزب، والأستاذ الطريس رئيس الحزب. وأما حفلة الاتحاد النسائي المشار إليها في الفقرة (رقم 2) من البرنامج فقد خطبت فيها أخوات منهن : خديجة علي الخطيب الكاتبة العامة للاتحاد، وخديجة الحاج محمد بنونة، وعالية أحمد الشاوش، وخديجة محمد السلاوي، والمرحومة ربيعة أحمد العمراني. وأما الحفلات المشار إليها في الفقرتين (رقم 5 و6) من البرنامج فلا يتسع المقام لوصف فخامتها وبهائها، وظلت جريدة الأمة تنشر أخبارها واصداءها مدة أسبوع كامل بعد عيد العرش.

في عام النصر

وما أن حل جلالة الملك المقدس محمد الخامس بفرنسا قادما من منفاه بجزيرة مدغشقر، ونزوله ضيفا مكرما على الحكومة الفرنسية بنزل هنري الرابع بضاحية سان جيرمان بباريس، ثم محادثاته الشهيرة مع الرئيس انطوان بيني وزير الخارجية الفرنسية بقصر «لاسيل سان كلو» بتاريخ 6 نونبر 1955 وتصريحه بعد ذلك بقوله : «سأعود في القريب العاجل إن شاء الله مصحوبا بما يطمح إليه الشعب ويتمناه». ثم وقع الاتفاق على وصوله الميمون إلى الرباط عاصمة مملكته يوم الاربعاء 16 نونبر، حتى دبت نشوة الانتصار والفرح في الجمهور التطواني الذي تدفق على مركز حزب الاصلاح للاعراب عن ابتهاجه بانتصار الحركة الوطنية وعودة جلالة الملك محمد الخامس إلى وطنه وعرشه. وعمت المنطقة الخليفية (الشمالية) موجة عارمة من البهجة والفرح بهذا الخبر السعيد.

وامام هذا الشعور الوطني الفياض، كان حزب الاصلاح الوطني قائد المسيرة النضالية الكبرى بشمال المغرب قد وضع الترتيبات اللازمة للاحتفال بهذه المناسبة التاريخية الخالدة. فقرر الاحتفال بأيام 16 و17 و18 نونبر 1955. وأصدر بيانا بما قررناه في هذا المجال وهو يتضمن مايلي :

1) على جميع طبقات الشعب بتطوان والمنطقة الخليفية أن يبتهجوا ويفرحوا بهذه المناسبة التي ستبدأ فيها تحقيق المطالب الشعبية في الحرية والعدالة والاستقلال والوحدة.

2) أعطيت جميع الأوامر لكافة جميع فروع حزب الاصلاح الوطني بالمنطقة لتجعل من يوم 16 نونبر 1955 عيدا من أعظم أعيادنا القومية، يوم العودة المظفرة لجلالة الملك محمد الخامس إلى عاصمة مملكة.

3) وسيقع تجمع كبير في ساحة الفدان (ساحة الحسن الثاني الآن) على الساعة العاشرة صباحا من يوم 16 نونبر. وعندما تدوي طلقات المدافع ايذانا بوصول حبيب الشعب وزعيمه الأكبر جلالة الملك إلى الرباط، ستصدح الموسيقى بالنشيد الملكي. ثم يتناول الكلمة بالمناسبة رئيس الحزب الأستاذ عبد الخالق الطريس. وبعد ذلك ينتقل وفد الحزب ليقدم التهاني إلى سمو الخليفة، وإلى ممثل الدولة الإسبانية المقيم العام الجنرال غرسيا بالينيو. وسيعتبر هذا اليوم يوم عطلة. وستتجول الأجواق الموسيقية في جميع الشوارع. وان حزب الاصلاح الوطني يؤمل أن يمر هذا اليوم العظيم الذي تحتفل فيه عشرة ملايين من المغاربة بعودة

مليكهم الأوحد وزعيمهم الوفي يوم زينة وفرح، وأن لا يعكر فيه جو الأمن والنظام.

4) وفي يوم الخميس 17 نونبر ستدشن حفلات عيد العرش بحفلة ساهرة كبرى بدار السيد عبد السلام الحاج خاصة بالرجال. وحفلة أخرى ساهرة بدار الأستاذ الطيب بنونة خاصة بالنساء. وسيتم في هذه الحفلة تجهيز العروسين وفقا لمشروع الزفاف الخيري الذي أقره الحزب لتشجيع الزواج الشرعي بين الشباب. (المراد بهذه الفقرة اننا قررنا إقامة عرسين شرعيين ينفق عليها الحزب بمناسبة هذا الحدث السعيد وقد ثم الأمر كما تقرر) وزيادة على هذا تقام مسابقات أدبية. وتنتهي الحفلات بزف العروسين إلى زوجيهما.

5) يوم 18 نونبر حفلة خطابية بدار السيد محمد اللبادي يلقي فيها رئيس الحزب الأستاذ عبد الخالق الطريس خطابا قيما بالمناسبة. (وقد خطب فيها زيادة على الرئيس الأستاذان محمد الطنجي، ومحمد ابن الحداد. كما شارك الشاعر محمد أحمد الغربي بقصيدة والأديب محمد الطنجاوي بقصيدة أخرى. وكاتب هذه السطور كان قد سافر إلى مدينة طنجة لينوب عن الأستاذ الطريس في الحفلات التي أقيمت فيها كما سنبين ذلك في محله) كما ستقام حفلة خطابية خاصة بالاتحاد النسائي بدار رئيس الحزب. (هذه الحفلة تأخرت إلى يوم السبت 19 نونبر، وخطبت فيها أخوات منهن : عالية الشاوش، وآسيا داود، ومليكة بناني، والمرحومة ربيعة العمراني نيابة عن المرحومة خدوجة الركينة رئيسة الاتحاد) وزاد بيان الحزب : هذا وستقام حفلات ليلية بجميع أحياء المدينة، كما سيقوم أرباب الحرف باحياء حفلات أخرى، وستبدو مدينة تطوان في هذه الأيام السعيدة في حلة جديدة من الزينة والأنوار الكهربائية وأقواس الرياحين والأزهار والأعلام المغربية وصور جلالة الملك، وغير ذلك من حلل الزينة المختلفة.

وقد مرت الحفلات المذكورة بحمد الله بكل دقة ونظام، وفي أجواء مشحونة بالبهجة والفرحة العارمة. وما من بيت في المدينة إلا واحتفل بهذه المناسبة الخالدة وتغنى بجلالة المغفور له محمد الخامس. وعاشت تطوان أياما لا نغالي إذا قلنا أنها من أفراح قصة ألف ليلة وليلة شكلا ومضمونا مع فارق واحد هو أنها كانت تزيد على الشموع الكهرباء.

ولا يفوتنا أن نذكر أن جريدة «الأمة» صدرت في عدد ممتاز مصور يوم عيد العرش، وأنها غطت جميع حفلات المنطقة بطريقة لائقة. وتجدر الاشارة إلى أن مراسلها الأخ عبد الله الخطيب كان في الرباط ضمن وفد حزب الاصلاح الوطني في هذه المناسبة، وان جلالة الملك خصه بحديث قال فيه : «إن الأمة كانت سلوتي في المنفى، وأنها أول جريدة حملت لواء الدفاع عن شخصنا وسيادة وطننا في الظروف العصيبة التي اجتازها مغربنا المجاهد، وظلت في الميدان إلى اللحظة الأخيرة، وكانت لها مواقف مشهودة في تقدير تضحياتنا وكفاح الشعب من أجل الحرية والاستقلال» ولعل هذه الشهادة الملكية لصحيفتنا التطوانية أفخم وسام حلى صدر جريدة الأمة التي كانت لسان المشروعية والحركة الوطنية والمقاومة في أصعب وأخطر ظروف عاشها المغرب. وقد احتجبت جريدة الأمة عام 1956 وكان صدورها عام 1952 ومجلداتها تعتبر أصدق مرجع لأعوام ثورة الملك والشعب.

ولا نبالغ إذا قلنا أن جريدة الأمة وما قبلها من جرائد الحرية والريف والحياة ومجلة السلام. هن التركة الذهبية للكتلة الوطنية التطوانية ثم حزب الاصلاح الوطني الذي احتجب بدوره في منتصف شهر مارس عام 1956 وفق سياسة وطنية محكمة تهدف إلى توحيد الصف الوطني بعد اعتراف فرنسا باستقلال المغرب طبقا للتصريح المغربي الفرنسي المؤرخ في ثاني مارس سنة 1956. وفتح المجال أمام مفاوضات جلالة الملك مع إسبانيا للاعتراف باستقلال البلاد وتحقيق الوحدة المغربية المعبر عنها في البيان المغربي الإسباني المؤرخ في سابع أبريل عام 1956 وهو الهدف الأكبر الذي ناضل من أجله حزب الاصلاح عشرين سنة كاملة بكل نزاهة والتزام ووفاء.

ولسائل أن يتساءل : لماذا عزوت كل ماقصصته من نشاط إلى حزب الاصلاح الوطني ؟. والجواب على ذلك واضح جدا. فهذا الحزب هو عميد الحركة الوطنية بشمال

المغرب، وهو الأوسع نفوذا والأكثر شعبية والأقوى تمثيلا للرأي العام الوطني في المنطقة الخليفية، ولذا كان مرهوب الجانب من الحكومة الإسبانية التي كانت تحسب له ألف حساب وحساب، وتعتبر كلمته الفاصلة في كل موقف، ولم يكن لهذا الحزب أي معارض في النضال والأهداف الوطنية ولا في مواقفه النضالية. وقد تميزت مواقفه بالثبات والاستقرار مع احترام مواقف الآخرين. ولذا كان يحظى بعطف الجميع ويتمتع بتقدير الجميع ويعتبر قدوة للجميع. فما من هيئة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية في المنطقة إلا وتعتبر نفسها مناصرة أو متعاطفة مع حزب الاصلاح الوطني. وهذا هو سر نجاح هذا الحزب، التاريخي وازدهاره إلى لحظته الأخيرة.

استدعاء من طنجة

وتكميلا لأحداث عيد العرش عام 1955 نذكر بأن «حزب الاستقلال» بطنجة (الدولية وقتئذ) نظم بالمناسبة يوم الجمعة 18 نونبر حفلتين، حفلة خطابية بعد الظهر، وحفلة استقبال ديبلوماسية في المساء. واستدعى لهما الأستاذ الطريس بصفته رئيسا لحزب الاصلاح الوطني. وحيث كان الأستاذ وزيرا للشؤون الاجتماعية في الحكومة الخليفية وكان مرتبطا بالخطاب الذي ألقاه بتطوان يوم عيد العرش كما تقدم، فقد كلفني بالنيابة عنه في طنجة، وأمرني بكتابة كلمة أشارك بها في الحفلة الخطابية بإسم حزب الاصلاح الوطني، وأوصاني بالاتصال بالأخ المختار الواسيني المسؤول عن تنظيم الحفلة بطنجة. فعبرت له عن سروري بالقيام بهذه المهمة، واستأذنته في أن ترافقني زوجتي في هذه المناسبة. فابتسم إبتسامة عريضة رحمه الله وأجاب على الفور : هذه فكرة حسنة جدا خاصة وان زوجتك عضو في مكتب الاتحاد النسائي، فليبارك الله هذا العمل.

ولما كتبت الكلمة التي شاركت بها في الحفلة الخطابية بطنجة عرضتها على الزعيم قبل السفر، وكانت تتضمن تحيات الأستاذ الطريس إلى إخوانه المناضلين في جوهرة البوغاز، مع التعبير عن وحدة الأهداف الوطنية ونضال الحزبين الشقيقين من أجل المشروعية والاستقلال والوحدة. فابتهج الأستاذ بالكلمة ورفع بصره إلي وقال : وفقك الله في إلقائها كما وفقت في كتابتها. وسكت قليلا ثم قال بأسف ملحوظ : لقد ناب عني فلان (احتفظ الآن باسمه) في مناسبة... ولم يذكرني في كلمته !.. ثم قال : ستأخذ معك زوجتك ؟. قلت : نعم. قال : فسر على بركة الله.

وفي طنجة رأينا العجب العجاب من مظاهر الاحتفالات. وقوبلنا من طرف الأخوان الاستقلاليين - زوجتي وأنا - بكثير من الحفاوة والتقدير، ومازلت أشكر للأخ المناضل المختار الواسيني موقفه النبيل معنا. ولما تقدمت لالقاء كلمتي صرحت موسيقى الكشاف بنشيد حزب الاصلاح الوطني، وبعد انتهائه ألقيت كلمتي التي قوبلت بمزيد الاعجاب والتقدير. وكانت الحفلة الخطابية في قصر المنبهي، حضرتها شخصيات مغربية بارزة منها مندوب الملك وحاشيته. أما حفلة الاستقبال فقد أقيمت في بيت السيد العلمي، حضرها السلك الديبلوماسي بطنجة والمندوب الملكي وشخصيات بارزة من الرجال والنساء. تناول المدعوون المرطبات وكؤوس الشاي والحلويات. وعبروا عن اعجابهم ببطولة المغاربة، وابتهاجهم بالأيام السعيدة المجيد بعودة جلالة الملك محمد الخامس.

خاتمة القصة

وشاء الله أن يبقى يوم 18 نونبر غرة في جبين الدهر، إذ صار عيدا للاستقلال، تحتفل به الأجيال تلو الأجيال. ومن ذا الذي يذكر عيد الاستقلال ولا يذكر معه الملك المقدس بطل التحرر والاستقلال ؟.. وانتقل عيد العرش إلى غرة فصل الربيع، إلى اليوم الثالث من شهر مارس، اليوم الذي تربع فيه الابن البار جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله على عرش أجداده الكرام المنعمين، ليواصل أيده الله مسيرة الأب الصالح في مدارج الوحدة والاستقرار والازدهار. أعزه الله ونصره.

تطوان **محمد العربي الشاوش**

التاريخ يُعيدُ نفسَه

في قضيّة الملك الراحل سيدي محمّد بن يوسف المغفور له محمّد الخامس

للأستاذ عبد الحق المريني

قضى محمد الخامس رحمة الله عليه حياته كلها ملكا على عرش قلوب المغاربة، كان يقف في عهد «الحماية الفرنسية» سدا منيعا أمام محاولات الاستعماريين لسلب المغرب كل ما تبقى له من مظاهر سيادته، وكان الأمين الأوفى على حقوق شعبه، فلم يقبل المساومة على حريته وأمنه واستقراره، وقال كلمته المشهورة : «إن نظام الحماية كقميص وضع لطفل صغير، فكبر الطفل ولم يتغير القميص وبذلك أصبح غير صالح لأن يلبسه هذا الرجل الراشد».

وعلى أثر «انفجار هذه الشرارة» قام المغرب ملكا وشعبا يناشد مطلبا ليس له في غيره أرب بعزيمة لا تمنعها قوة وإيمان لا يحصره أفق وطموح لا تحده غاية.

وكان الاعتداء على العرش المغربي في شخص جلالة الملك المجاهد المقاوم «والرجل الخطير» كما قال عنه السيد «كابرييل بو» Gabriel Puaux «المقيم العام الفرنسي» السابق، ونفذت الخطة الاجرامية ونفى من وطنه يوم 20 غشت من سنة 1953 إلى جزيرة كورسيكا بعد أن رفض التنازل عن العرش قائلا «لمختطفيه» : إنني ملك البلاد الشرعي ولن أخون الامانة التي أناطها بي شعبي وفرنسا قوية فلتفعل ما تشاء». وقرأ في نفسه قوله تعالى «**ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله**». ووضع مدبرو المؤامرة الخبيثة والشنيعة على المغرب ورمز المغرب المفدى دميتهم على العرش المغربي معتقدين بأن الستار سيسدل نهائيا على «مسرحيتهم» السافلة.

ولكن جرت رياح الجهاد بما لا تشتهي سفن الماكرين المحتالين والضالين المضلين. فتشبث المغرب بأذيال الصبر على مكاره المؤامرة الدنيئة المدبرة ضد العرش والشعب واستمسك بالإيمان القوى في مزالق الفتنة المبيتة وبالاعتقاد الراسخ بفوز الفكرة النيرة الطاهرة، وتعلق بحب الاستشهاد في سبيل العقيدة الراسخة لتحرير الوطن وعودة المجاهد المناضل، حامل مشعل الجهاد والفداء إلى عرشه ووطنه. وقد ألهم الله الملك المكافح الثبات والمصابرة في منفاه السحيق فاستهان بالصعاب والشدائد وتحمل مشقة البعد عن الوطن والأحباب ووحشة العزلة وقساوة الغربة واعتصم بالعزة والكرامة وبقداسة الرسالة الملقاة على عاتقه لتحقيق ما تصبو إليه بلاده من عزة وتحرير ووحدة «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله».

وما أن مرت سنتان على نفي محمد الخامس قدس الله روحه حتى انصدع الظلام ورجع كيد المعتدين في نحورهم وانهارت «دميتهم» واختفت «صنائعهم» وتحطمت

«أبراجهم» وتبخرت أحلامهم وخفقت أرواح الشهداء بيضا على حواشي الليل البهيم، وانشق عمود الفجر يتلو : «نصر من الله وفتح قريب». فكانت عودة قائد الجهاد «والنسر الأبيض» إلى عرشه وشعبه وعشيرته وعترته وانشد له الشعب المغربي الكريم نشيد الذكرى : «وحقك أنت المنى والطلب» !

فكانت العودة من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الأكبر وكانت عودة ظافرة من ملحمة بطولية قادها ملك في نصرته كانت نصرة الشعب المغربي وفي عظمته كانت عظمة البلاد المغربية.

وبذلك لم يكن محمد الخامس ملكا وكفى بل كان رسول أمة ضحى بتاجه ليرفع راية كفاحها في معركة مصيرها وليحمل اشعاعا من الإيمان يضيء لها مصيرها ومسيرتها ومستقبلها بين الأمم.

وإذا أمعنا النظر في مراحل هذه الملحمة الخالدة نلاحظ أن التاريخ يعيد نفسه في كثير من فصولها، فنجد أن «قضية محمد بن يوسف (محمد الخامس) تمثلت في سورة يوسف» عليه السلام، كما أشار إلى ذلك المرحوم أبو العباس أحمد التيجاني في حديث له بجريدة العلم المغربية صدر في شهر نونبر من سنة 1955. فكانت مواقفه رحمة الله عليه متسمة بالتبصر والصبر والاناة والتضحية لأجل اعلاء كلمة الله واسعاد وطنه ومواطنيه. ففضل المنفى ومواجهة كيد الظالمين المغيرين بشم وإباء على الانسياق وراء المغريات والتمتع ببهاء الملك وعظمة السلطان : «رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه والا تصرف عني كيدهن (كيد «المقيمين العامين» الفرنسيين ومن كان يؤازرهم من السفهاء المتعاونين والعصاة المتمردين الذين باعوا ضمائرهم للشيطان) أصب إليهن وأكن من الظالمين». ولما رأى المستعمرون أن تهديداتهم لم تفدهم في شيء نفذوا مؤامرتهم «ودخل معه السجن فتيان» (نجلاه الأميران مولاى الحسن (جلالة الملك الحسن الثاني) وشقيقه مولاى عبد الله (وكافة أفراد أسرته الكريمة) وقضي الأمر، وكان أمر الله قدرا مقدورا !

وبعد أن انجلت الحقيقة وحصحص الحق وظهر أمر الله ـ «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ـ» فتحت المفاوضات بين محمد الخامس وفرنسا لترتيب عودة السلطان إلى عرشه وإنهاء عهد الحجر والحماية واحلال عهد الاستقلال والحرية.. ودامت المفاوضات بين أخذ ورد «وتردد وتسويف حتى كاد أن يحل اليأس محل الرجاء» ولكن «يد الله فوق أيديهم» : «حتى إذا استيأس الرسل (رسل أنتسرابي وايكس لبيان) وظنوا أنهم كذبوا جاءهم نصرنا».

«ولقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» والعبرة هي في «اعزاز يوسف ـ الذي كان يباع بثمن بخس ورمي بتهمة السرقة ـ والاعراج به إلى عرش مصر»، والعبرة هي أيضا في احقاق الحق وإزهاق الباطل في قصة نفي «محمد بن يوسف» وعودته إلى عرشه معززا مكرما «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»، **«قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» صدق الله العظيم !**

وإذا تصفحنا تاريخ الأندلس نجد تشابها كبيرا أيضا بين «محمد الخامس» ملك غرناطة «ومحمد الخامس» ملك المغرب في مراحل عديدة من تاريخهما الوطني. وقد تعرض لهذا التشابه السيد محمد بن عودة في مقال له صدر بمجلة «الأنوار» التطوانية بتاريخ نونبر من سنة 1953 أي بعد ثلاثة أشهر من نفي محمد الخامس وأسرته الكريمة إلى جزيرة نائية في المحيط الأطلنتيكي. يقول السيد محمد بن عودة (بتصرف واختصار) :

يعرف هذا الملك الأندلسي في كتب التاريخ الإسلامي بمحمد بن أبي الحجاج يوسف (شابه من جانب النسب سلطان المغرب «محمد بن يوسف») وكانت أيامه أحسن أيام دولة بني نصر، ففي عهده بني مرشان غرناطة وجامع الحمراء ومعظم ما في قصر الحمراء الذي كان آية في الروعة والجلال. وكان عصره عصر يمن وبركة وأمن وأمان إلى أن لعب شيطان التآمر بعقول إخوته فتآمروا على خلعه والبطش به ـ إلا أنه فر في آخر الأمر من حضرة غرناطة ـ وولوا مكانه أخاله من أبيه المعروف بإسماعيل الثاني. وقد لحق «محمد الخامس» الملك الغرناطي بفاس واستنجد بملكها «أبو سالم المريني» لاسترجاع عرشه، فوعده بإعانته بجيش مغربي، إلا أنه لما كان «محمد الخامس» في طريقه إلى غرناطة لمحاربة الملك «الدخيل» قتل الملك المريني وتلقى الجيش المغربي أمرا بالرجوع إلى المغرب

وبقي الملك الأندلسي وحيدا بمدينة «روندة» لا حول له ولا قوة. وفي هذا الظرف بالذات قام محمد بن إسماعيل بالاستيلاء على عرش الملك إسماعيل الثاني وقتله شر قتلة. وبعد مضي بعض الشهور ضاق الغرناطيون باعمال الارهاب والعسف والتعذيب التي كان يمارسها الملك المتآمر.

وكان الملك «محمد الخامس» الغرناطي قد حاول استرداد عرشه قبل تدبير المؤامرة الثانية ومديده إلى ملك قشتالة وتحالفا على رد الحق المغصوب الا أن حليفه اغتنم هذه الفرصة لينتقم من رعاياه فرجع «الملك الشرعي» عن محاصرة غرناطة وتنازل عن حقه إلى فرصة مواتية لا تهرق فيها دماء المسلمين. ولما سنحت الفرصة الذهبية والتف حول «الملك الشرعي» رعاياه الذين لم ينكثوا عهده وحافظوا على الذمة زحف بجيوشه على مدينة غرناطة التي خرج منها الملك المذكور «محمد السادس» هاربا إلى اشبيلية مع الذين فرضوه على الشعب الغرناطي وتشبثوا بأذياله الواهية، ودخل «محمد الخامس» غرناطة ظافرا، عائدا إلى ملكه الذي غاب عنه سنتين (كما غاب عنه محمد الخامس المغربي سنتين أيضا قبل عودته منصورا إلى عاصمة مملكته). وكان استقبال محمد الخامس الأندلسي بغرناطة (كما كان استقبال محمد الخامس المغربي بالرباط) استقبالا لم يشهد له تاريخ العاصمتين الإسلاميتين مثيلا.

ولما تبوأ الملك الغرناطي عرشه من جديد معززا مكرما كان رحيما باعدائه وبالذين خانوا الامانة وقلبوا له ظهر المجن فازداد عند رعيته حبا واحتراما وتقديرا، ونظم وزيره المشهور لسان الدين بن الخطيب وتلميذه أبو عبد الله محمد بن زمرك قصائد رائعة في هذه الاحداث البطولية الفذة.

وإذا عدنا إلى سيرة الجنرال شارل دكول رجل «فرنسا الحرة» - وما بالعهد من قدم - نلاحظ تشابها أيضا بين مقاوم يوم «18 يونيه 1940» ومقاوم يوم «20 غشت 1953»، فكلاهما قاوم استعمار بلادهما الغاشم العاتي بكل ما لديهما من دهاء وقوة وعقل وتبصر وفهم وعلم وعمل صادق وتمسك بالوفاء للعهد.

فمواقف الجنرال دكول من النازية معروفة كنار على علم ومكتوبة في ثنايا قلوب الأحرار في كل مكان. وقد سار محمد الخامس رحمه الله على نفس الخطة، فكان بجانب «فرنسا الحرة» ورفض تطبيق قوانين «حكومة فيشي» على اليهود المغاربة لمواطنتهم المغربية، ورحب بانزال جيوش الحلفاء بشواطيء المغرب في نونبر 1942، وعارض الجنرال نوكيس «المقيم العام الفرنسي بالمغرب» في رفضه لهذا الانزال. ولم ينس الجنرال دوكول هذا الموقف النبيل إزاء «فرنسا الحرة»، كما بارك مشاركة الجيوش المغربية الفعالة في مقاومتها للجيوش الالمانية بالجبال الإيطالية وبنواحي الألزاس والراين الفرنسية وبالبلاد الألمانية نفسها.

وقام الجنرال دكول بزيارة للمغرب ولجلالة الملك محمد الخامس في شهر غشت من سنة 1943. ولما تلاقى الرجلان اكتشف الجنرال دوكول - عن قرب - عظمة شخصية الملك المغربي وتشبثه بتحرير بلاده بالدرجة التي كان الجنرال الفرنسي متشبثا بها أيضا أمام الاحتلال النازي لبلاده. وغادر الجنرال دوكول المغرب مومنا إيمانا راسخا بأن محمد الخامس ليس رجل «الحماية الفرنسية» بل هو رجل «الاستقلال والحرية» كما كان دوكول رجل «فرنسا الحرة» لا فرنسا القابعة تحت السيطرة الالمانية الجاثمة على صدرها.

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى كان أول زائر لفرنسا المحررة هو الملك محمد الخامس في شهر يونيه من سنة 1945. فاستقبله الجنرال دوكول استقبال الأبطال وقلد ضيفه الكبير «وسام الحرية» ولقبه «برفيق التحرير» Compagnon de Libération تقديرا لمواقفه الشجاعة النبيلة من أجل المساهمة في تحرير فرنسا وبالتالي تحرير بلاده، ولمرافقته له شخصيا في درب النضال والتحرر من السيطرة الأجنبية.

ويشاء الله بعد توالي الأيام أن يحرز المغرب على حريته واستقلاله ويقتضي قضاؤه الذي لا مرد له أن يلتحق «محرر البلاد وبطل الاستقلال» محمد الخامس بالرفيق الأعلى - جزاه الله عنا خيرا وأحسن مثواه - ويترك فينا ولي عهده وشريكه في المنفى ورفيقه في الكفاح والنضال «موحد البلاد وباني الاستقلال» صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أمد الله في عمره حتى يحقق مزيدا من التقدم والازدهار في مسيرة شعبه الخضراء الظافرة.

الرباط **عبد الحق المريني**

رسالة العرش العلوي متواصلة وبيعة الشعب المغربي خالدة

للأستاذ محمد العربي الزكاري

أسلوبنا في الحياة :

منذ أنعم الله تعالى على شعبنا بنعمة الإسلام وأضفى الحق سبحانه عليه رداء الإيمان، اختط لنفسه أسلوبا للحياة الجديدة الملائمة لهذا الدين، واختار لمواكبة الاشراقة الربانية نمطا فريدا يليق بمجتمع إسلامي نظيف كل النظافة، طاهر أتم ما تكون الطهارة.

وما كان شعب المغرب في يوم من الأيام وعلى مدى تاريخه الطويل إلا شعبا وفيا لعهوده، صادقا في انتمائه، حريصا كل الحرص وأعمقه على أن يحتفظ دائما وأبدا بهذه المزايا.

فالاخلاص شيمة من شيمه، والمحبة ميزة من مميزاته، والوفاء خصلة من خصاله، والنضال مبدأ من مبادئه، والمحافظة على العهد إرث تسلمه الخلف عن السلف كأمانة غالية، والنجدة مغروسة في قلوب أبنائه وأفئدتهم وعقولهم ومشاعرهم ووجدانهم، ومناسبة الاحتفال بعيد عرشنا العتيد تتيح لنا فرصة الحديث عن مصالح بارزة في كفاحنا الوطني بجانب العرش، ومواقف عرشنا البطولية في سبيل الشعب المغربي الوفي.

بيعتنا إسلامية :

أشرنا إلى أن شعبنا إختار لنفسه نمطا للحياة، ويتلخص نمطه هذا في الاستظلال براية عرش ينبع من أرومته، ويتسلم هذا العرش عصا القيادة من الشعب في صك البيعة باعتبارها تقليدا إسلاميا صميما، لا تتدخل فيه المحسوبية، ولا تستغله الاتجاهات المختلفة، وإنما ينبع من التشاور والرؤية الواضحة لأبعاد المستقبل، وتتزعمه العناصر المعروفة بأهل الحل والعقد من العلماء والشرفاء والوجهاء وذوي الحصافة والاخلاص في الأمة، بحيث تعتبر البيعة المغربية - إسلاميا وعرفيا - إجماعا شعبيا كاسحا.

ومن دواعي فخرنا وزهونا أن شعب المغرب لم ينحرف طيلة مئات السنين عن هذا الاتجاه السليم، ولم يتنكر لهذا المبدأ القويم، فقد ظل وفيا لعرشه كل الوفاء، ومتعلقا بملوكه أعمق ما يكون التعلق، فيأتمر بأمرهم، ويسير في ركابهم، ويبذل في سبيل العرش الأرواح والدماء، ويجود من أجل الحفاظ على رمز كيانه راحته وثروته عن طواعية وسخاء.

تاريخنا يتحدث :

وفي استطاعة كل باحث استنطاق تاريخ المغرب القديم منه والحديث ليسعفه بروائع في هذا المجال، ويوقفه على مشاهد باهرة في هذا الميدان، ويطلعه على بطولات قل نظيرها وعز مثيلها عند كثير من الشعوب والأمم.

ولتوضيح الصورة أكثر ما يكون التوضيح، وإزالة الغشاوة عن الجاحدين والمتنطعين نستدعي القارىء الكريم لمرافقتنا في رحلة مختصرة وعابرة، ولكنها مشرقة ولامعة من تاريخنا القريب، والقريب جدا.

فبعدما آلت قيادة عرشنا بسنوات معدودة إلى أب المغاربة قاطبة محمد الخامس رحمة الله عليه، أحس الاستعمار بخيبة أمله وبالخطر الذي يهدد مستقبله، يأخذ يراوغ ما وسعته المراوغة، ويحاول بكل وسائله الملتوية عرقلة مطامح عرشنا وتطلعات شعبنا، بغية إحكام قبضته الحديدية علينا وضمان استمرار استعبادنا، وغاب عن دهاقنته أن شعب المغرب لا ينام على الضيم، وان عرشه لا يقبل غير حرية شعبه، ويرفض رفضا باتا وقاطعا التدخل الاجنبي في شؤونه الخاصة والعامة ولو بلغ المتدخلون من الصلابة والعناد والعجرفة الحد الاقصى.

من هذه المفاهيم الضاربة جذورها في القدم، ومن تلك الحقائق التي واكبت تاريخنا على مر العصور والاجيال، وفي الجو الخانق والناتج عن عجرفة رجال الحماية وغطرسة الموجهين لسياستها الرهيبة، برزت الحركة الوطنية المغربية في شكل كتلة متراصة، أسلم إليها الشعب قيادته، وأولاها ثقته، ومنحها تأييده، وبارك تحركاتها باستمرار، فكافح رجالها ما وسعهم الكفاح، وناضلوا في الداخل والخارج بكل ما يملكون من رصيد وطني وشجاعة منقطعة النظير.

خذلان الاستعمار :

وشاءت قدرة الله القاهرة واقتضت حكمته الباهرة خذلان الاستعمار، فهيأ سبحانه أسباب هذا الخذلان على يد المستعمرين أنفسهم، فأصدروا المرسوم البربري الشهير الذي جاء نعمة على المغرب ونقمة على الاستعمار، فقد أشعل فتيل الغضبة الشعبية العارمة على الدخيل رغم ما صحبها من تقتيل وتعذيب وتشريد، وهكذا انكشف الغطاء عن مكر الاستعمار وخداعه وتمويهه بفضل هذا المرسوم الذي استغلته الوطنية المغربية استغلالا واسعا، فقدمت للعالم كله «الحماية الاجنبية» على حقيقتها لنظام استعماري وعنصري واضح، وخطة عدائية وصليبية صرفة.

أهداف موحدة :

وتتفرع عن الكتلة الوطنية أحزاب سياسية نهج كل واحد منها نهجه الخاص وبأسلوبه المميز في محاربة الاستعمار، والتنديد لمخططاته، والوقوف في وجهه بصرامة، يجمعها صعيد واحد، ومطلب واحد، ومحور واحد، فصعيدها الكفاح ضد الاستعمار، ومطلبها إلغاء الحماية، ومحورها عرشنا الصامد والعتيد.

وللحقيقة والتاريخ نؤكد أن الاحداث التي مرت في هذه الفترة، والتحركات التي ظهرت على الساحة المغربية والعربية والاسلامية والدولية كان مصدرها القصر الملكي باعتباره محور كل الجهود المبذولة من طرف القوى الوطنية، مما يوضح الوشائج المتينة التي تجمع القمة والقاعدة في جنوب المغرب وشماله، والانسجام الواسع بين الشعب والعرش في السراء والضراء، ولولا هذه الروابط والوشائج لتعثرت مسيرة التحرر وأصاب الزحف الوطني الوهن والحيرة والارتباك.

نهاية الاستعمار :

وللتعجيل بنهاية الاستعمار وتحقيق الاستقلال ارتكب غلاة الحماية حماقتهم بتنحية رمز السيادة المغربية عن عرشه وإبعاده وأسرته عن وطنه، فكانت انتفاضة الشعب المغربي أكثر عنفا وأبعد أثرا، حيث أعلنها غضبة مضرية أقضت مضاجع الحماة وأقلقت راحتهم وأفشلت مؤامرتهم الظرفية ومخططاتهم المستقبلية، وكانت النتيجة الحتمية لهذه الانتفاضة العارمة والغضبة الكاسحة، أن عاد محمد الخامس بصك الحرية الكاملة ووثيقة الاستقلال التام.

ويشاء الله تعالى أن يختاره بجواره بعد أن أدى الأمانة بصدق وإخلاص، وحقق لشعبه أغلى أمنية وأعز مطلب بعد معاناة لا يتحملها إلا مومن بالله، معتمد عليه، واثق بوعده سبحانه بالنصر المؤزر في نهاية المطاف «وكان حقا علينا نصر المومنين».

ويتسلم ولي عهده جلالة الحسن الثاني عصا القيادة في مستهل الاستقلال الذي كان ركيزة أساسية من ركائزه القوية، والمتحمل لقسط وافر من معاناة تحقيقه، باعتباره

العضد الأيمن لوالده قدس الله روحه، ومن الواضح أن مسؤوليات العاهل في مستهل الانعتاق وفجر الاستقلال مسؤوليات ضخمة تتطلب عملا متواصلا، وعزيمة صلبة، ومثابرة منقطعة النظير، ومن طالع سعد أمتنا أن هذه المزايا من أبرز خصائص عاهلنا المفدى.

متطلبات الاستقلال :

ومن المسلمات بالنسبة لكل دولة حديثة عهد بانتزاع سلطتها أنها في حاجة ماسة وأكيدة إلى من يعيد بناء هيكلها، ويضفي عليها أردية الدولة بمعناها الكامل والشامل، وشعب ظل أكثر من أربعين سنة تحت سيطرة الدخيل يمزق شمله، ويبتز خيراته، ويقوض أركانه، ويحارب عاداته، ويخرب عقول أبنائه، ويتآمر على معتقداته، في حاجة ماسة وأكيدة إلى من يأخذ بيده لترميم هذا التصدع، ويمهد له الطريق لتخطى العقبات، ويعيد إليه الثقة في نفسه، ويدفع به إلى البناء والتشييد والتعمير، فكان جلالة الحسن الثاني لهذه المهمات الضخمة بما يتوفر عليه من كفاءة علمية، وحنكة سياسية، وحصافة فكرية، وتطلع إلى الغد المشرق.

وحتى نختزل الحديث عن فترة ما بعد الاستقلال نكتفي بوضع الخطوط الرئيسية لخريطة متطلباتها التي بتحقيقها تستقيم الأوضاع على أمتن الأسس، ويقوم صرح المغرب الجديد السياسي والاقتصادي والصناعي والعمراني والثقافي والاجتماعي والعسكري على أقوى الأعمدة وأصلبها.

فجهاز السياسة يتطلب إصلاحا جذريا ليواكب المغرب المنتمي إلى العروبة في دمه والاسلام في عقيدته والتعاون الدولي في اسمى معانيه، والهيكل الإداري يحتاج إلى التقويم والجدية والتشذيب من العنصر الدخيل، والميدان الاقتصادي الذي كان مبنيا أساسا على ابتزاز الاجنبي لأغلبية العائدات يفتقر إلى شجاعة فائقة لاعادة فوائده إلى القنوات الشعبية، والميدان العمراني في حاجة إلى تخطيط جديد لمسايرة التوسع الذي يشهده المغرب المتوثب، والحقل الثقافي القائم على التغريب والتشويه للحقائق التاريخية القومية والعربية والإسلامية، يستدعى تفكيرا عميقا لتحويل التيارات المدخولة إلى واقعها الأصلي، والساحة الاجتماعية التي خلخلها الاستعمار أملا في إحكام قيوده على شعب متفسخ تتطلب تحركا سريعا للمحافظة على الأصالة المغربية الصميمة والطابع الإسلامي المتميز، والميدان العسكري هو الآخر يمتص جهودا جبارة ومتواصلة ليصبح في مستوى تطلعات المغرب إلى حماية نفسه والدفاع عن كيانه.

وحدتنا الترابية :

وأبرز هذه الواجبات وأحقها بالعناية الكاملة «الوحدة الترابية» التي مزقها الاستعمار كل ممزق، واختلس منها أيام غطرسته ما اختلس، ومن الواضح أن الكيان الوطني يعتبر الشغل الشاغل لكل مسؤول في بلد حر، وان نحن رجعنا إلى اليوم الأول لانطلاق المسيرة الخضراء لتحرير صحرائنا المغتصبة نقف مشدوهين من العبقرية الحسنية والحنكة السياسية والتخطيط المحكم لانجازها، وعسى أن تكون في حد ذاتها مقدمة لاسترجاع ما تبقى من الاجزاء المغربية التي لايزال بعض الذين يحلمون بالتمسك بها كإرث استعماري لم يعد في الدنيا من يباركه على الاطلاق، باستثناء بعض الذين يعيشون تحت تأثير المخدرات الاستعمارية، رغم ما أصبح العالم الحر يتوفر عليه من منظمات دولية تدين الاستعمار وترفض رفضا باتا وقاطعا السكوت على الاحتفاظ بالاسلاف.

من هذه الواجهات المعقدة والمتشابكة انطلقت جهود الحسن الثاني في عهد والده المنعم وبعد ما تسلم الأمانة، وانطلاقة كهذه تعتبر رسالة ممتدة عبر تاريخ ملوكنا، ولا تزال متواصلة على يد عاهلنا العظيم بكل وفاء وإخلاص وجدية وحماس، لا يعترى أداءها فتور ولا يتسرب إليها وهن.

ومواقف شعبنا البطولية بجانب عرشه الخالد، وتضحيات عرشنا وعمله المتواصل والشجاع في كل الميادين، يؤكدان بيعة شعبنا الدائمة ورسالة عرشنا المتواصلة وهي القاسم المشترك الذي يجمع بين العرش والشعب، والبوتقة التي انصهرا فيها فخرجا متحدين متعاطفين متحابين على مر العصور والأجيال.

شعار خالد :

إن «الشعب بالعرش والعرش بالشعب» كان شعارا صادقا كل الصدق، ومعبرا أعمق تعبير عن خلجات شعبنا إزاء عرشه العلوي، وإبرازا لاعتقاد عرشنا في شعبه الوفي الأمين، وهو فوق ذلك وبعده تعبير واضح عن بيعتنا الخالدة، ورسالة عرشنا المتواصلة، وامتداد لهذه المسيرة المشتركة في بناء حضارة مغربية صميمة.

وهنا لا أجد مناها من الاشارة إلى ظاهرة لابد من معالجتها بكل أمانة وإخلاص وتجرد من مركب النقص، فحرى بمغربنا وهو يوطد أركان وحدته ويقيم صرح وجوده، أن نعرف جيلنا الفتي بملاح الوطنية المغربية تعريفا جامعا، ونركز على توعيته بهذه الملاحم حتى يكون على إطلاع واسع بظروفها وملابساتها وتضحية رواد الوطنية وشهداء الحرية الذين بفضلهم ننعم جميعا ونستظل بظلال الحرية الكاملة.

فمن المؤسف أن يكون جيلنا الفتي - في أكثريته - يجهل ملاحمنا الوطنية على حقيقتها وبتفصيلاتها، ولقد حان الوقت لتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة وتزويد شبابنا بالحقائق الثابتة بمراحل الكفاح الوطني النزيه حتى تقتلع من مخيلته الاوهام التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

إرث شعبي :

ومن المسلم به أن تاريخ الحركة الوطنية إرث شعبي لا يصح التفريط فيه ولا طمس معالم بعض جوانبه، وإلا كنا مسؤولين أمام الاجيال المقبلة على هذا التفريط الذي لا مبرر له وطنيا وإسلاميا، ومهمة كهذه موكولة إلى الوزارة المختصة التي عليها أن تؤديها بصدق وأمانة في المدارس والمعاهد والكليات وبجدية واستمرار، حتى نعرف أجيالنا بتاريخ بلادهم تعريفا صادقا، وفي الوقت نفسه نبث في قلوبهم الاعتزاز بشهدائهم ورواد استقلال وطنهم، وبذلك نعدهم إعدادا وطنيا متحفزا للدفاع عن بلدهم كلما دعت الضرورة إلى التضحية كما فعل رواد الوطنية المغربية، ولا شيء يؤهل الشباب لهذه المهمة السامية سوى تقديرهم لتضحيات من سبقهم إلى ميدان الشرف وساحة الاستشهاد في سبيل المثل العليا.

تهنئتنا أسمى وأكبر :

ونصل إلى نهاية مطاف هذه الكلمة التي يشهد الله انها صادرة من أعماق الأعماق والتي أوحت بها ذكرى عيد العرش المجيد، فنزف تهنئتنا لجلالة ملكنا المفدى في إطارها الوطني الصادق وهالتها الإسلامية المشرقة، وتتلخص في بلورة شعورنا نحو عرشنا في بيعة مغربية قديمة وجديدة وخالدة، نعتز بها ونفخر ونعتنقها عن طواعيةواختيار، وهي أسمى من كل عبارة وأكبر.

محمد العربي الزكاري



الخطوات الحسنية

في سبيل الوحدة الاسلامية

للدكتور يوسف الكتاني

لقد كان خلفاء المغرب وملوكه طوال مراحل تاريخنا المجيد، يحتكمون إلى الإسلام، ويخضعون لأحكامه، ويلزمون الرعية بتطبيق أوامره والانتهاء عن نواهيه، لاعتقادهم الجازم، وإيمانهم الصادق، أن ذلك اختيار الله وارادته، وأنه سبحانه وتعالى لا يختار لعباده الصادقين إلا ما فيه خيرهم وفلاحهم، مصداقا للخيرية التي خص المسلمين بها، وفضلهم على كثير من الناس في قوله جل وعلا : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله» (1).

ومن أجل ذلك ظل ملوكنا على توالي الدول والحقب، متمسكين بأهداب الدين، معظمين لشعائره، مهتدين بمعالمه، مدركين لحقائقه، ذابين عن حماه وتعاليمه، مسترشدين بهديه، ومعتصمين بحبله، في سلمهم وحربهم، وفي عباداتهم ومعاملاتهم، وفي عهودهم ومعاهداتهم، مع صديقهم وعدوهم، وفي معاشهم ومعادهم، وبذلك وحده حققوا الانتصارات، وأعلوا البنود، وشيدوا وشادوا، وبنوا وأقاموا، وارتفع صيتهم بين العالمين، وهابتهم الدول والملوك، وكانوا أعزة أقوياء منصورين (2).

وأتى حين من الدهر ابتليت فيه دول المسلمين بالاستعمار، الذي تحكم في كل شيء، واستولى على كل شيء، حتى جعل أهل البلاد غرباء في ديارهم، مغلوبين على أمرهم، وحاول هادفا القضاء على كيانهم ولغتهم وشخصيتهم، وشاء الله الا تطول هذه الأزمة، والا تستمر هذه الغمة، فاستقلت أوطان المسلمين، وتحررت بلادهم سياسيا، وعادت إليهم الحياة من جديد، ودب فيهم الوعي، وانبعثت شخصيتهم الإسلامية، وأخذت تفرض نفسها على المجتمع الدولي، حتى عاد الناس يدخلون في دين الله أفواجا (3) بفضل الله وقيادة ملوكنا وروادنا وعلمائنا، وكان في مقدمة هؤلاء الرواد ملك المغرب الحسن الثاني، الذي يتزعم معركة الإسلام بخطوات ثابتة مدروسة، وشجاعة نادرة، أثارت أعجاب العالم كله.

إن المؤرخ لسياسة الحسن الثاني، والدارس لفكره وعقله وتخطيطه، يلاحظ استقامة الخط الثابت الذي يسير فيه، والنهج الذي يقود شعبه إليه، منذ أن اعتلى عرش المغرب وأصبح له ملكا، إذ من النادر أن يخلو خطاب أو تصريح أو ندوة من آية أو حديث يجعلهما معتمد كلامه

---

1) آل عمران الآية 110.

2) كما هو الشأن في معارك الارك والمخازن والزلاقة والمسيرة الخضراء وغيرها.

3) كما يحصل الآن في أغلب انحاء العالم وخاصة في أمريكا وآسيا.

وأساس توجيهه، والغاية التي يرمي إليها، وآية ذلة حرصه على التنصيص في طالعة دساتيرنا، على أن الإسلام دين الدولة الرسمي، ومصدر كل تشريع وتخطيط، وهذا وحده كاف للدلالة على الفكر الحسني ومراميه وأهدافه، سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية للمغرب، علما منه ويقينا بأن صلاح هذه الأمة لا يكون إلا بما صلح به أولها.

وفي سبيل ذلك كانت خطواته متواصلة، وسياسته متصلة، في دقة وأحكام، وتصميم وعزم لا يلين ولا يفتر، يتضح ذلك ويتبين من الخطوط العريضة لسياسته، والتي كانت المؤتمرات والتجمعات الوطنية والدولية التي يقيمها ويرأسها ويدعو إليها أو يشارك فيها، وسيلة لاعلان هذا التخطيط والعزم والتصميم، وعلى سبيل المثال نتناول بعض خطواته في سبيل البعث الإسلامي المنشود، دليلا على نهجه الإسلامي.

الخطوة الأولى
الاحتفال بذكرى نزول القرآن.

إن دعوته المغاربة وأشقاءهم المسلمين سنة 1387 / 1968 للاحتفال بذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن، وترؤسه للمهرجان بنفسه، ومشاركته فعليا فيه، ودعوته لزعماء المسلمين وعلمائهم للاحتفال مع الشعب المغربي بهذا الحدث العظيم في تاريخ المسلمين، (4) وما يرمي إليه من وصل الحاضر بالماضي، والاعلان لشعوب الأرض أن المغاربة والمسلمين يصرون على أن تبقى هذه الصلة وتستحكم، وان تتمكن العقيدة الإسلامية والقيم المثلى من نفوس المسلمين، وتنبيههم إلى عظمة الحدث الذي فرق بين عهدين، وفصل بين عصرين، وأقام بنيان الدنيا على أساس جديد (5).

وفي هذا الخطاب العظيم رسم الحسن الثاني الخطوط العريضة للسياسة الرشيدة التي ينبغي أن يسير عليها المغرب وأشقاؤه الدول الإسلامية، التي كان يخاطبها من خلال علمائها وزعمائها الممثلين لها في الاحتفال بالذكرى، وهذه الخطوط العريضة يمكن حصرها فيما يلي :

- إن رسالة الإسلام ليست لها حدود لأن دورها يتجاوز حدود الجزيرة العربية، واشعاعها يعم العالمين جميعا، لما كان لهذه الرسالة الخالدة، من مفعول ومضاعفات وتحولات، جعلت الدنيا تبرز في ثوب قشيب، وأهاب ناضر عجيب، فانتصر العلم على الجهل، وتبين الرشد من الغي، والهدى من الضلال، والعدل من البغي، وقومت الاعوجاج، واستأصلت الفساد، وقوضت أركان الطغيان، فوثبت الإنسانية بذلك نحو الرقى والازدهار، لارتكاز دعوة الإسلام على العدل والمساواة والحرية، وأعلى الله بذلك كلمة الإسلام والمسلمين، وفتح فتحه المبين، ومكن للمؤمنين.

- إن المسلمين عاشوا في ظلال القرآن، وعلى نهج السنة، آمنين مطمئنين، منصورين ظافرين، تعمهم وحدة شاملة، وتحكمهم دول آمنة، وتستظل برايتهم أمم وشعوب متعددة، ويسود العدل الاجتماعي صفوفهم، ويعم الأمن والسكينة انحاءهم وبلادهم، ويطبع الاخاء الإسلامي أعمالهم، فلما حادوا عن نهج الدين، وتنكبوا عن الصراط المستقيم، تفرقت كلمتهم، وتشتت دولهم، وتبددت جهودهم، وضعفوا واستكانوا، وحلت بهم النكبات والازمات.

إن الخلاص والنجاة في الرجوع إلى الطريق السوى والنهج الصحيح، ويكون ذلك بإخلاص النيات، وسلامة الطويات، واجتناب المنهيات، والإيمان الصادق، وقوة العزائم، واجتماع الكلمة على التقوى، واستهداف الخير والعمل الصالح، وابتغاء أنبل المقاصد والغايات، والعودة إلى الأصول الصحيحة فذلك وحده هو الكفيل بإرجاع الحق واستعادة الحرية، واستجلاب النصر، مصداقا وتحقيقا لوعد

---

4) انظر بلاغ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في رمضان سنة 1387 في الموضوع.

5) انظر تفصيل ذلك في خطابه في الاحتفال العظيم المقام بالقصر الملكي ليلة القدر دعوة الحق - - س 11 - ص 16 - 19 سنة 1387 / 1968.

الله : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**﴾ (6).

- إن الجهاد اليوم هو العمل على أن يصير كتاب الله عملة خلقية وإنسانية وقانونية، أي تطبيق الإسلام في حياة المسلمين، وصياغة مجتمعهم على هديه وهدى رسول الله (صلعم).

- إن اجتماع المسلمين ووحدتهم نصر للعرب وعز لهم.

- دعوة المسلمين إلى الطموح إلى الأفضل والامثل، لأن ذلك شأن المسلمين وشأن تعاليم دينهم (7).

وما أجمل أن ننقل هنا كلمة معبرة لصحيفة س ـ ب الإسبانية عن مغزى دعوة الحسن الثاني للاحتفال بنزول القرآن قالت : «إن المغرب المتشبث بدين الإسلام الحنيف، والمتمسك بسيرة النبي محمد صلوات الله عليه في أصدق مظاهرها، قد أصبح مركزا إسلاميا مشعا، وأن اتصالي الجديد بالمغرب قد ادهشني كثيرا، عندما لاحظت أن شهر رمضان قد مر في خشوع وابتهال، وهو جو روحاني عميق، كما أن عيد الفطر قد تميز بحضور علماء أجلاء أتوا من ثمانية عشر بلدا إسلاميا، والواقع أني تصورت نفسي قد انتقلت إلى أيام الخلافة الإسلامية بأصالتها وروعتها، وأن الفضل في هذا البعث الروحي يرجع إلى جلالة ملك المغرب، فالعاهل المغربي قد كرس جهوده منذ اعتلاء عرش أسلافه المنعمين، لخدمة القيم التي كانت في القدم أساس انطلاقة المسلمين، وشعار نهضتهم، وهو يرمي من وراء هذه الجهود إلى بعث وحدة المسلمين ماديا وروحيا.

وتجدر الاشارة في هذا الصدد إلى أن الخطاب الذي وجهه إلى العالم الإسلامي قد تضمن معاني سامية في المجال الديني والفلسفي والسياسي، ويستطرد مراسل الصحيفة الإسبانية يقول : الحقيقة إن هذا المركز الإسلامي الذي هو المغرب، أصبحت تصدر عنه قرائن لانطلاقة سياسية واقتصادية تضاف إلى النهضة الروحية، حينما دعا إلى ذلك الملك الحسن الثاني عندما تكلم عن العالم الإسلامي الموحد (8).

الخطوة الثانية

مؤتمر القمة الإسلامي الأول

كما نلاحظ هذا التصميم والعزم في المؤتمرات الإسلامية التي ترأسها الحسن الثاني وشارك فيها مشاركة عملية رائدة، ويكفي أن نعرف أنه عقد ببلادنا مؤتمران إسلاميان من أربع مؤتمرات، كان المغرب بفضل الله مجالا ومكانا لعقد أولها ورابعها، ومن الخطاب الافتتاحي للمؤتمر الإسلامي الأول بالرباط سنة 1969 نستشف الخطوات الحسنية، نحو وضع الدول الإسلامية في إطار ديننا الإسلامي السمح، وصياغة كل عمل وكل إصلاح على هديه كما حدد ذلك في الخطوط التالية :

- إن تأليف القلوب، وتوحيد الكلمة، وجمع الشمل، هو بيد الله وبالاعتماد عليه، تأكيدا لما جاء في الآية الكريمة ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، انه عزيز حكيم**﴾ (9).

- إن انعقاد المؤتمر الإسلامي علامة واضحة في تاريخ المسلمين، وفرصة نادرة ينبغي أن يغتنموها لتصحيح مسارهم بالتشبث بدينهم.

- إن وطن المسلم هي كل أرض تؤمن بالإسلام وتستظل بظلاله.

- إن الإسلام دين التقدم والرقي والنهضة، ولم يكن حاجزا أبدا بينهم وبين الطموح والتقدم.

- إن نكبة القدس نقمة قد يكون في طيها نعم من الله، وهي نذير للمسلمين ليتعلموا ويتحدوا وينهضوا.

---

6) سورة النور الآية 53.

7) انظر ذلك في جوابه على تهنئة علماء الاسلام بعيد الفطر إثر الاحتفال المذكور دعوة الحق ص 22 ـ 24 ع 3 س 11 ـ شوال 1387 / يناير 1968.

8) انظر التعليق في دعوة الحق ص 109 ع 3 س 11 ـ 1387 / 1968.

9) سورة الانفال الآية 63.

إن المسلمين ينتظرون من قادتهم أن يعطوا للعالم كله فكرة جديدة عن العالم الإسلامي وخطواته وأعماله وفعاليته.

ينبغي لقادة المسلمين ولكل مسلم أن يعمل على تجديد الدين وإحكام التفكير في رفع شأن المسلمين (10).

الخطوة الثالثة
المسيرة الخضراء

وفي رأيي أن هذه الخطوة كانت أروع خطوات الحسن الثاني وأنجحها، لأنها كانت علامة العصر وحدث القرن، هذا القرن الذي عمته الجاهلية الجهلاء، وانتصر فيه الاستبداد والطغيان، وداس القوى الضعيف، وكانت الكلمة فيه للقوة والسلاح، فطلع الحسن الثاني على الدنيا كلها بأسلوب جديد في التعامل والتحرير، اقتبسه من الكتاب والسنة، وتأسى فيه بالسيرة النبوية، وعبأ شعبه وقاده بسلاح الإيمان وشعار القرآن، وحقق بذلك ما لم تستطعه الجيوش، ولم تقدر عليه الاعتدة، فحرر الأوطان، ووحد الكلمة، وجمع الشمل وكان في هذا رائدا وموجها ومنقذا، وبذلك كان قرار المسيرة الخضراء اختيارا فريدا، وسلاحا جديدا، وخطة حكيمة (11).

الخطوة الرابعة.
مؤتمر القمة الإسلامي الرابع بالبيضاء.

وخطوة رابعة نجدها تتوالى بعد خطواته المرسومة الرائعة، وتتوج مسيرته الظافرة نحو اعلاء كلمة الإسلام، وجمع شمل المسلمين، وتوحيد كلمتهم ورأيهم وقرارهم، بأصراره العظيم، ورغبته الملحة في عقد مؤتمر المسلمين من جديد وللمرة الثانية، في ربوع بلادنا بفضل الله بالدار البيضاء ما بين 12 ـ 10 ربيع الثاني 1404 ـ 16 ـ 19 يناير 1984 بحضور أغلب ملوك ورؤساء الدول الإسلامية أو من يمثلونهم، وقد شهد العالم كله من خلال صحافته الناطقة والمكتوبة والمرئية، عظمة هذا التجمع الإسلامي الفريد الذي نظمه وخطط له وافتتحه بخطابه التاريخي الذي سجل فيه مايلي :

ـ ينبغي للعالم الإسلامي أن يكون قويا متضامنا مصداقا لتوجيه الرسول (صلعم) «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف» ولذلك يتحتم أن تبقى روح التساكن بين جميع أفراد الأسرة الإسلامية حتى تتغلب على الصعاب والحاجات.

ـ إن الجامع بين المسلمين هي العقيدة المرتكزة على القرآن والسنة، والتي هي أساس ديننا الذي جعل منا دول سلام وأخوة وتعاطف، نعمل من أجل اعلاء كلمة الحق وأبطال الباطل.

ولذلك ينبغي أن نكون مخلصين مع أنفسنا والا نكون مسلمين إسما فقط، بل يجب أن نكون مسلمين فعلا وأن نعمل ما يجعلنا كذلك وما يحقق أهداف الدين وغاياته.

ـ علينا أن نظل أوفياء دائما لقضية المسلمين الأولى قضية القدس وفلسطين، وأن كرامة المسلم وعزته تدعوه إلى الثورة ضد الظلم والطغيان حتى ينتصر الحق، ونمسح العار، ونحرر الأوطان من الذل والاستعمار.

ولذلك ينبغي توطيد العزم وتعبئة الشعوب والمحافظة على فضيلة إصلاح الشؤون بين الأخوة المسلمين، لأنها فضيلة دائمة ولا نهاية لها (12).

وها نحن نراه يسير في نفس خطه الإسلامي المرسوم، ويتابع نهجه الواضح المعروف، في الخطاب الذي ألقاه عند اختتام أعمال المؤتمر حيث لخص نتائج الأعمال والمداولات، ورسم الخطوط والخطوات في تأكيد وأصرار :

إن استرجاع القدس والصلاة فيها قضية مقدسة ولذلك ستجدون في شخص المتواضع من يخدم بجوارحه وعقله ووجدانه، قضية أولى القبلتين وثالث الحرمين.

---

10) انظر تفصيل ذلك في الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه الحسن الثاني بتاريخ 23 ـ 9 ـ 1969 في مؤتمر القمة الإسلامي الأول.

11) انظر تفصيل الموضوع في مقالنا «المسيرة الخضراء انطلاقة مباركة» مجلة الاعتصام س 15 ـ 19 ع 3 س 2 ـ 1396 / 1976.

12) الخطاب الملكي الذي افتتح به أعمال مؤتمر القمة الإسلامي الرابع.

- إذا كانت تجمع بين المسلمين أواصر شتى ومصالح مختلفة، فإن لا إله إلا الله محمد رسول الله هي القنطرة الذهبية التي تمكنا بها من اجتياز جميع المخاوف.

- إن الإسلام لا يفرق بين الدين والدنيا، إذ أن ديننا دنيانا ودنيانا ديننا، وهذا ما يميز الإسلام والمسلمين الذين يكونون حزاما للعالم وكتلة لها وزنها وأهميتها.

- إن الذي جمعنا لأول مرة ويجمعنا اليوم هي قضية القدس وفلسطين التي نحن مؤمنين وواثقين بأن الله سيكتب لنا النصر فيها تحقيقا لوعده الكريم (13).

وقد أكد هذه المعاني السامية، والتوجيهات الكريمة في رسالته إلى إخوانه ملوك ورؤساء الدول الإسلامية، والتي وجهها إليهم في أعقاب مؤتمر الدار البيضاء قائلا :

«يجب أن نستند على روح التضامن الذي يكون في آن واحد طابع عقيدتنا الإسلامية وسندها ومظهرها الجلي.

لذا فإن تضامننا لم يعد مفيدا فحسب، بل أصبح ضروريا بسبب تراكم وتكاثر الصعاب التي تعترض طريقنا باستمرار، والتي لم تزدد إلا ضخامة مع تعاقب الأحداث، وان لم نجمع قوانا ونوحد إمكاناتنا الضخمة، سنظل مجرد مشاهدين وسط المسرح العالمي، ولو تعلق الأمر بمصالحنا بل وحتى بمصير أمتنا.

أما إذا وحدت الأمة الإسلامية صفوفها، وحققت تضامن دولها فستكون قوة لا مثيل لها، تستطيع أن تقوم بمهمتين أساسيتين. ذلك أنها ستضحي أداة توازن عالمي، كما أنها ستؤثر على التيارات المادية ان لم تقاومها تلك التيارات التي أصبحت في عصرنا الحاضر وسيلة للاستعباد والاحتلال (14).

---

13) راجع ذلك مفصلا في خطابه الختامي لمؤتمر القمة الإسلامي الرابع بالدار البيضاء.

14) الرسالة الملكية الموجهة للملوك ورؤساء الدول الإسلامية في أعقاب مؤتمر الدار البيضاء.

• • ومسيرتنا نحو التنمية، نحو الثراء، نحو الغنى ليست مسيرة عجرفة ولا مسيرة تطاول ولا مسيرة غزاة. والله يعلم انها مسيرة ليبقى المغرب قادرا على أن يلعب دوره البشري المعماري الحضاري لما فيه خير الأسرة العربية والإسلامية والأسرة العالمية كلها • •

جلالة الملك الحسن الثاني

المسيرة الخضراء

هجرة جهادية أو جهاد بالهجرة

للأستاذ عبد الحي العمراني

مازلنا نعيش في أصداء الهجرة النبوية الكريمة التي كانت حدا فاصلا بين الكفر والإيمان والاستقامة والانحراف والجهاد والقتل بغير حق والفوضى والنظام والسكينة والاضطراب والدولة والقبيلة فكان لصداها أثر مفيد في نفوس كل مسلم يرنو إلى التخلص من الأثقال وإلى التحرر من الشدائد وإلى تقليص الامتداد المعادي للمسلمين في عقيدتهم وشريعتهم حتى يعود للدين صفاؤه وتعلو رايته وتتحقق أمجاده وتستقيم مسيرته.

والهجرة تذكير بالبطولة والفداء والوفاء والصدق والاخلاص لعل المشاعر تلتهب مرة أخرى بما يحويه هذا الدين من مبادىء سامية إنسانية رفيعة تخلص البشر من مفاسد المدنية المعاصرة ومن الرق الحضاري.

وهي جهاد شريف يمنح القدرة على التحمل والتفاني في سبيل العقيدة والمبدإ وتشحذ القوى والعزائم لبناء مستقبل إسلامي لامع الصفاء نير الضياء فتفتح على السمو والرقي والأخذ بناصية الحياة بعلومها وعقلانيتها وقوة أجهزتها الدفاعية لمقاومة الغصب والتسلط والابتزاز.

ولم تكن المسيرة الخضراء إلا هجرة إسلامية مخلصة لاخوان لنا مسلمين من كابوس الاستعمار وأضراره وارهاقه وتدميره للمقومات الأساسية في حياة جزء عزيز من الوطن المغربي المبتلى بنكد الاستعمار وأذنابه من المرتزقة الخونة الذين باعوا أنفسهم للشيطان وارتكسوا في الباطل وتآمروا ضدا على وطنهم وأشقائهم وتحالفوا مع الأعداء لتستمر الصحراء المغربية خاضعة للتحكم الأجنبي والسيطرة الخارجية المتربصة بشعبنا حتى لا يخطو إلى الأمام ويقطع المراحل ويقضي على التخلف والضعف والمرض والجهل والتقوقع في حمأة الفوضوية المجزئة للأوطان والمخربة لقدرتها على الصمود في ساحة الجهاد الذي يعتبر من رموز المغاربة الأشاوس الأحرار.

فالشعب المغربي حينما اتجه لتحرير الصحراء بأمر قائده الهمام جلالة الحسن الثاني لم يحمل معه سوى إيمانه الراسخ ومصحفه الطاهر ورايته المعبرة عن وحدة الشمال والجنوب والتحامهما في أحقاب التاريخ فلم يقع الاعتداء على أحد وانما هي هجرة جهادية سلمية تستمد جذورها من النبي الكريم محمد (ص) ومن تعاليم القرآن الكريم.

إنها هجرة الخلاص واعادة الوحدة المغربية إلى طبيعتها حتى لا يبقى التقاؤنا في جنوب المغرب محرومين من إخوانهم وأقاربهم ومواطنيهم في الشمال وقد تحققت الوحدة بفضل الإسلام وصبر الصابرين واستجابتهم لدعوة أمير المومنين المسؤول الأول عن مصير رعاياه المسلمين في شمال المغرب وجنوبه في جباله وصحرائه وسهوله وشاء الله أن يتحقق النصر ويندحر المستعمر ولكنه خلف وراءه شرذمة من الأشرار والخونة المحكوم عليهم بنصوص الشريعة بما يستحقونه على خيانتهم المدبرة مع أعداء لا يريدون للمغرب أن يسترجع استقلاله ويحقق وحدته ويقوي جانبه كشعب أصيل في نضاله وكفاحه

وتمسكه بإسلامه وعروبته واستقلاله الذي ظل قائما لم تستطع أي قوة أن تنال منه إلا عن طريق التآمر والدس والخيانة اللعينة. إن المسلم مدعو إلى الهجرة عند الضائقة فما بالك إذا كانت لتخليص إخوانه المسلمين من قبضة الطغاة والآثمين.

فالشعب المغربي قام بمسيرة الهجرة إلى الجنوب وهو يحمل قلوبا واعية بمصداقية الجهاد النفسي والعملي وبقي مستعدا للتحمل لو اقتضاه الأمر أن يتحمل المدافعة والاستشهاد وكانت قيادته الحكيمة الواعية وهو يخطو خطواته الثابتة إلى صحرائه المغتصبة تتتبع خطواته خطوة خطوة حتى لا تنطلق العواطف المتأججة من عقالها خارجة عن توجيه القائد المتبصر وتعاليمه المخططة بروية وأحكام.

إن الشعب شعب كريم ووفي وعميق الإيمان بدينه ولن يتحرك حركة واحدة في إطار خارج عن الإسلام وبذلك فإن أحلام الدخلاء الذين يريدون تحويله عن هدفه السامي انما ينفخون في رماد أو يصيحون في واد لأن الشعب المغربي ولو لفه الضباب في فترة من الفترات فإنه لا يلبث أن ينقشع لتظهر حقيقة شعبنا المسلم واضحة نيرة ولم يثبت في التاريخ المغربي منذ مجيء الإسلام أن مسيرة هذا الدين قد مست بأذى من عامة الشعب المغربي أو من قواده وملوكه الذين تعاقبوا على عرشه ولذلك فإن جلالة الحسن الثاني لا يفكر إلا من عمق ما يعتلج في نفسه من ميراث ضخم ورثه عن آبائه وأجداده فكان مثالا حسنا للملك القائد المتبصر العارف بأسرار السياسة المغربية وبنفوس المغاربة الذين لا يرضون الضيم والاهانة ولا يقبلون التسلط والحقارة ولا يخضعون إلا للإسلام ومن يمثله. وهل يستطيع ناعق بالمغرب أن ينحرف بمسيرته الإسلامية عن أهدافها ؟ وهل يستطيع متربص آثم أن يعوق المغرب ويمنعه من الوصول إلى هدفه ؟

إن الذين يتجاهلون قيمة شعبنا وعظمته التاريخية ومكانة قيادته في النفوس لفي ضلال بعيد فسوف لن يصلوا إلى مقصودهم الخبيث مهما تآمروا وخانوا لأن التاريخ عودنا أن هذا الشعب لا تقهره القوة ولا يخيفه العنف ولا يتراجع مهما كانت النتائج حتى يرفع رايته القرآنية على أشلاء الدخلاء والخونة والمعوقين ومن شك في مقدرة شعبنا الأبي فليتصفح تاريخه ليراه في ميادين النضال يجندل أعداءه ولو كانوا أكثر منه عددا وعدة وبذلك فلا خشية على صحرائنا من حفنة من الأوباش، ولا خشية أيضا من المتآمرين الذين يمدونهم بالمعاونة ليصبحوا مستعمرين جددا فوق تراب هذا الوطن وهي أحلام لن تتحقق لهم أبدا مهما بذلوا وقدموا وليسألوا جحافل الاستعمار وطغاته فهم خير من يحدثونهم أصدق الحديث وأنفعه لهم لعلهم يعقلون.

وما أحرانا بتدارس هجرة المسيرة المظفرة وما حوته من بطولات وحصافة في الرأي وعزم في الإرادة ونبل في المقصد وإعداد رائع للتغلب على جميع الصعاب كانت سياسية أو دفاعية أو تموينية أو تنظيمية حتى بلغت غايتها والعالم كله مندهش من العبقرية المغربية وهي تزحف فوق كثبان الصحراء وصخورها بعزم لا يلين وتصميم صارم واندفاع منظم للكتل البشرية التي تعلوها راية القرآن خفاقة تذكر العالم كله بأن روح الهجرة الإسلامية ماتزال حية في نفوس المسلمين يحدوها آيات الله تتلى بكرة وأصيلا وتردد في تلاوتها : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله. لأن الإسلام ليس دين بغي ولا تعد ولا طغيان وانما هو دين الحق والعدل والقسطاس ومن الحق والعدل والقسطاس أن يسترجع المغرب صحراءه وأرضه وأن يدافع عنها بجميع الوسائل وبكل الأسلحة كانت سياسية أو قانونية أوقتالية وذلك ما فعله المغاربة بتوجيه من ملكهم الذي لم يدخر وسعا للدفاع عن وطنه في ساحة السياسة وفي محكمة العدل الدولية وفي ميدان الاستشهاد.

يقول الله سبحانه في سورة النساء :(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله). فهي قانون أزلي جرى على المرسلين ويجري على المومنين أجمعين لقضاء حاجة أو للخروج من ضائقة إلى سعة أو لتحقيق هدف سماوي أو لتحرير وطن مسلم من السيطرة والاغتصاب أو للبحث عن المأوى والرزق والخصب والأمان. والمغاربة في هجرتهم من الشمال الى الجنوب أرادوا أن يحققوا وحدتهم الإسلامية والوطنية وأن يجمعوا شمل أسرهم المبعثرة وأن يتضامنوا في دولتهم وتحت نظامهم موحدين سالمين أقوياء منتظمين أغنياء مترفعين لا تفرق بينهم الهواجس ولا تضربهم الأديولوجيات ولا تضعفهم الخلافات والانقسامات.

فلا مفر من الهجرة عند ما يشتد الضيم وتنقل الكوارث وتتأزم الأحداث ويكثر الطامعون عن أنيابهم

المسمومة ليفتكوا بجزء عزيز على كل مغربي لا يبغي به بديلا ولهم اقتداء بنبيهم محمد ﷺ حينما هاجر من مكة إلى المدينة لينشر دعوته ويبني دولته في ظروف قاسية وصعبة كلها تآمر ومكر وقتل وتعذيب وقد حقق الله لرسوله بهجرته النصر المؤزر وأعطاه اليقين الكامل وجعل هجرته قدوة لكل مسلم حتى لا يتحمل التشريد والضياع والخضوع لأعداء الله.

والقرآن الكريم تحدث عن الهجرة كتخطيط إلاهي لمن ضاقت بهم السبل وتراكمت عليهم المصائب والأهوال لأن في الهجرة سعة ورحمة وانعتاقا فإذا كانت لتحرير جزء من الوطن زاد تأكيدها لأن الإسلام لايقبل هَوَانُ المسلم ولا ضياعه ولا استعماره ولا إهانته ولا اضطهاده في عقيدته ورزقه وأهله.

إن في الهجرة خلاصا من الضائقة وأمانا من الفتك ومحافظة على الدين.

لقد كان رسول الله ﷺ يحب مكة حبا جما ويجد اللذة في الحياة قرب المسجد الحرام والكعبة المشرفة ولكن حكمة الله فرضت عليه أن يهاجر من البلدة المحبوبة لما تعاظم أهلها وتجبروا وطغوا وبغوا وأفسدوا وعموا وصموا الى الأرض التي تلقته بالأحضان وناصرته من الأعداء أفلا نقتدي برسولنا ونهاجر إلى صحرائنا لنخلصها من الأوزار فالهدف واحد وإن اختلفت الدواعي.

فيجب أن نضع الهجرة المحمدية في موضعها وأن ندرك مقاصدها وأن نقتدي بصاحبها وأن نضحي بمثل تضحيته وأن نتحمل ما تحمله هو وأصحابه حتى نحقق لوطننا ولإسلامنا ما يرتجى منا بصبر وإيمان وثبات. وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم. ولا نصر بدون تضحية ولا سعادة بدون ثبات.

ومعاني الهجرة هي التوجيه الأصوب لشعبنا لأنها منبع من منابع القوة والصود والجهاد والنضال لمقاومة الدخلاء والأنزال والمكرة والأغبياء حتى نرد البغي على أعقابه ونثبت أننا شعب قادر على خنق أعداء وطنه لا تصده قوة ولا يخيفه مكر ولا تقف في وجهه عقبات.

ومعجزة مسيرة الجهاد العظمى أنها مكنت جحافل الشعب المغربي بدون سلاح إلا سلاح القرآن من اختراق الحواجز العسكرية الجهنمية وتحطيم السدود وقطع المسافات الشاسعة تحت وهج الشمس وسخونة الرمال لاسترجاع ما اغتصب من الوطن بالبغي والعدوان.

وروح المغربي الإسلامية وحبه لوطنه جعلاه يقتحم السدود النارية ليربط بين أجزاء الوطن ربطا محكما قائما على العدل والإحسان وعلى الواقع التاريخي الذي لا ينكره سوى المتناقضين مع أنفسهم من دعاة الأديولوجيات المفتراة فركبوا مركب الخشونة والنذالة ليشعلوا نار الحرب بينهم وبين من يسالمونهم وقد أعانوهم على تحرير وطنهم الإسلامي أيام الشدائد والقوة الاستعمارية التي لا ترحم فهل يقبل منهم إسلامهم أن يعتدوا على إخوانهم المسلمين وأن لا يقبلوا تحكيم كتاب الله الناطق بقوله جل وعلا : وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن جاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين.

فهذا كتاب الله حكم بين المسلمين إن كانت بينهم بقية تعتز بكتاب الله وتحكمه فيما شجر بين المسلمين وإن كان المغرب لم يقاتل أحدا ولم يهاجم أحدا ولم يتآمر على أحد.

وإنها لمصيبة عظمى أن يمتنع طرف من المسلمين عن تحكيم كتاب الله والرجوع إلى ما فيه من أحكام وحكم وعبر ناطقة بالحق المبين. فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

وبقدر صود الشعب المغربي في وحدته وإسلامه سوف يحطم جميع الأغلال والقيود وسيرتفع بهاته الوحدة الى مقام العزة والأمان مهما اختلف المختلفون وتجهم المتجهمون وافترى المفترون.

والشعب المغربي لا يخون المواثق والعهود لأن إسلامه يمنعه من خيانتها فهو وفي الذمة مرفوع الهامة ثابت الجنان راسخ اليقين لا تهزه غواية المجرمين ولو سفلوا وانحطوا وضلوا.

والتجديد بالمطامع والأهواء والتآمر لا يجدى أمام صلابة الشعب المغربي وتطلعه بجماهيره وقيادته وهو يعلم يقينا أن الحقوق لا تنال من المؤتمرات والتجمعات الدولية وإنما تنال بالجهاد والتضحية والبذل والعطاء والوعي بالمسئوليات الإسلامية والتاريخية والوطنية وما سوى الجهاد فهو عبث ومضيعة لا تجدى فتيلا.

إن المسيرة الخضراء حدث عظيم في تاريخ المغرب الحديث ورمز للتضامن المغربي وقوة في الوحدة الوطنية وشعار خالد في التآزر الإسلامي الذي يميز الشعب المغربي ويظهر وحدته تحت قيادة مسلمة مناضلة تقود بروية وحكمة وتدبر الأمور بعقلية مفكرة ووعي ينهض بالمهمات الجسام ليقود الشعب المغربي إلى شاطئ السلامة والنجاة ويبوئه المكانة اللائقة به كشعب مجاهد صبور منافح عن الإسلام ومكارمه ومقاوم لكل بغي أو طغيان أو تسلط من الخارج للمس بوحدتنا الترابية عن قصد واصرار وهذا الجهاد الشعبي العارم لم تنطفىء ولن تنطفىء جذوته رغم الأحداث المتتابعة والصعوبات المتوالية لما منحه الله من قيادة أصيلة في ذات الشعب المغربي ممتزجة به ناشئة من عراقته ورغبته تجعل القيادة والشعب وحدة متراصة ثابتة البنيان عريقة الجذور لا انفكاك لها عن بعضها ولا تزيدها الأيام والأحداث والتقلبات إلا رسوخا وقوة وثباتا.

ولم يعزب عن رأي أمير المومنين نصره الله وهو يخطط للمسيرة الخضراء أنها يجب أن تكون تحت راية القرآن وتتدثر بأحكامه وتسير تحت تعاليمه بجعل الويتها من المصاحف القرآنية إظهارا للواقع وتأكيدا على أن الوحدة المغربية لا تستقر وتدوم إلا بالإسلام وأحكامه ومناهجه ثم رأى نصره الله بعد تحقيق الوحدة بين شطري الشمال والجنوب أن يجعلها وحدة دائمة خالدة تذكر المغاربة بتاريخهم المجيد وبتلاحمهم المستمر فقرر أن يكون للمسيرة عيدها يذكر الشعب المغربي في كل سنة بعظمتها لتستمر الجذوة مشتعلة تضيء حقبة من حقب تاريخ المغرب وتجعله في كل عيد يقف وقفة للعبرة والذكرى حتى لا تنطمس معالم الحدث الأعظم لتبقى وحدة العرش والشعب منطلقة وملتحمة وملتهبة بالحماس والعمل الجاد لبناء الوطن بناء محكما سليما من كل ما من شأنه أن يمسه في وحدته أو دينه أو لغته وذلك هو البناء الخالد المستمر المتناغم مع ما يتطلبه الإسلام من تضحية وجهاد دائم لإسعاد الشعب المغربي وجعله شعبا متوحدا في أهدافه ثابتا في نضاله عبقريا في ابتكاراته.

إن الأعياد الوطنية لا تذكر فقط بالمكاسب ولكنها تذكر أيضا بالنكبات ودروسها أقوى في الموعظة والذكرى وأشد رسوخا في النفوس القوية المحافظة على تراثها المضحية بالغالي والرخيص لدفع الشرور وكبح جماح الطامعين حيثما كانوا وأينما وجدوا.

والذاكرة الإنسانية يلفها النسيان فوجب تذكيرها لأن الذكرى تنفع المومنين.

والاقتصار على الاحتفال بأيام العزة والنصر مضيعة للأجيال الناشئة لأنها لا تحس بالآلام التي تحملها السابقون وما تجرعوه على أيدي أعداء الوطن من منغصات في الحرية والثقافة والأرزاق وماذاقوه من الحزن والأسى ثم ان التذكير بأيام الوطن الكبرى تجعل الأجيال الصاعدة متوثبة يقظة حريصة على المحافظة على وحدتها وأمجادها حتى لا تصاب بنكسة تضعها في قبضة الأعداء والمغتصبين مرة أخرى.

كم لتراب الوطن من عزة في النفوس وكم لوحدته من قوة ودفع لتحقيق النصر المؤزر ولا يدرك قيمة الحرية والوحدة والتلاحم إلا من ذاق سموم التآمر والتفكك وتجرع مرارة الفصم بين أجزاء الوطن الواحد ليصبح أوطانا يفصل فيها بين الأخ وأخيه وهي نكبة أليمة لا يمكن أن يستغيها شعب ألف الحرية والنضال وظلت وحدته قائمة تحت العرش المغربي منذ أسس بنيانه الفاتح الأعظم المولى إدريس.

إن عيد المسيرة سيجعل الشعب المغربي يتذكر دائما أبطاله ويتذكر تاريخه الطويل الحافل بالصمود والجهاد قبل الاستقلال وبعده وقد انتزع الشعب المغربي بقيادة عرشه استقلاله بالعرق والدماء فكيف يسمح للأوباش أن يمسوا استقلاله أو يهينوا كرامته أو يحطموا وحدته أو يجزئوا ترابه وكيف يسمح لضخامة من الخوارج أن يستبدوا الجزء من ترابه وكيف يسمح لأسيادهم من فاقدي الضمائر الناكرين للجميل بالتسلط والإذاية دون أن يتحرك فيهم عرف للاعتراف بما للمغرب عليهم من أيادي بيضاء انتشلتهم من الهوة السحيقة التي وقعوا فيها وقدمت لهم من عيشها وأسلحتها ما مكنهم من الخلاص وترفعت عن أن تطعنهم طعنة نجلاء بل ان هاته الأيادي الكريمة ضحت بأبنائها لتخلصهم من الأوحال ثم تشاء لهم نفوسهم الشريرة أن يسيئوا للمحسنين ويتآمروا عليهم بصلف ورعونة دون أن يتحرك لهم عرف من الخجل والحياء.

إنها العزة وأي عزة للشعب المغربي وقائده وهو يستعرض شريطا طويلا من النضال المستمر والوحدة الثابتة والاستقرار الدائم واليقظة المستمرة والطمانينة الأبدية حتى وجيوش الاستعمار تجوس وطننا بأوحالها وتذيق أهله الحسرات والآلام بجبروتها وتسرح خلال الديار بمكرها

وتقترف من المناكر ما تستحيي الإنسانية من سرده والشعب وقتئذ أعزل إلا من إيمانه ووحدته وتلاحمه مع عرشه فلم يتخل عن حقوقه قط واتخذ من وسائله المحدودة ما استرجع به مجده السليب وهو غارق في دمائه المسالة وفي تشريده وتعذيبه بين الجلادين المكرة المتسلطين المتبزين للخيرات الفاقدين للشعور الإنساني الحليم وكل ذلك لم يؤثر في المسيرة التاريخية المظفرة بصبر وجلد وشجاعة وتضحيات نادرة وتذوق للشهادة لتستمر مواكب النصر في طريقها.

ويجب أن نذكر هنا بعظمة الإسلام وتحريك هذا الدين للنفوس لتتقدم إلى ساحة الشهادة بيقين المومن وصبره واعتماده على ربه، وجموع أخرى من المومنين تتجمع في المساجد لتقرأ اسم الله اللطيف تستمطر به النصر وتقاوم به جبروت المحتلين وتقوي به من عزائمها لتسترخص التضحية والفداء فهي مقاومة ليست سلبية وإنما هي إيجابية هادفة تيقن بالفتح المبين وتبعث الإحساس بقدرة القادر الذي ربط بين العمل والاعتماد عليه وهي ليست اتكالية منبوذة ولذلك انتجت وأثمرت وآتت أكلها طيبا هنيئا.

وفي المسجد يستمع المومنون لخطب الحماس والتذكر والوعظ وضرب العبرة من سيرة سيد المرسلين محمد ﷺ الذي كان يتخذ من المسجد قبلة للعبادة ومحكمة للعدل وبرلمانا للتشاور ومركزا لقيادة الجيوش ومحطة لإسعاف الفقراء والمعوزين.

وفي المسجد تظهر الوحدة في أجلا مظاهرها وفية تتطهر النفوس من أوساخها وتراجع أعمالها وتقبل على ربها مستغفرة آيبة تائبة وبهذا التطهير ينطلق الأبطال الأشاوس لوقف زحف المغرورين والمتلبسين والطامعين والمفسدين.

ولولا الإسلام وروحانيته العذبة ما وقف محمد الخامس مواقفه الرائعة وتحمل النفي والأذى مع أسرته الكريمة حتى عاد إلى وطنه يعلن لشعبه بلسانه المومن : أيها الشعب الوفي مهما تمسكتم بالعروة الوثقى ما كان شيء ليضركم كيفما كانت شدته إذ لا شدة تدوم في الحياة الدنيا أيها الشعب العزيز وعدت بالإخلاص فوفيت أحسن الوفاء وكنت من الصابرين فكان لك ما وعد الله به إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. أيها الشعب العزيز قد أخلصت الوفاء كما أخلصت وأديت الواجب أحسن أداء كما أديت وها أنا بينكم كما تعهد ونتاحب البلاد رائدنا وخدمتها غايتنا. الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور.

فبهذه الكلمة المومنة رجع محمد الخامس الى عرشه ليبني الاستقلال والوحدة بتضافر الجهود ووحدة الصف ونبل العواطف والسير إلى الأمام بالعقيدة الإسلامية التي هي منبع النصر وقوة الجهود والتغلب على المصاعب والشدائد وذلك هو المسلك الذي يسلكه خلفه جلالة الحسن الثاني الموقن بأن الإسلام هو الركيزة الأساسية في رقي هذا الشعب وتوحيد صفوفه وفتح الأبواب في وجهه فاعتمده جلالته في المسيرة الخضراء المظفرة اعتمادا مطلقا ليقينه أنه لا نصر لهذا الشعب إلا بالإسلام ولا وحدة له إلا به ولا قوة له إلا بالاعتماد عليه.

فلنتكاتف بعقيدتنا وراء إمامنا ولنتوحد بها لرد اعتداء المعتدين وكيد الكائدين حتى نحافظ على وحدتنا الأصيلة بين شمال المغرب وجنوبه ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

عبد الحي العمراني



الملكية الدستورية
الحصن الحصين للأمة.

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

ليس هنالك من قلب خافق في الأمة المغربية جمعاء، إلا ويصدع بالدعاء إلى السماء، ولو مرة واحة كل يوم، حمدا وشكرا، على ما أنعم به على هذا البلد الأمين، إذ حباه نظاما ملكيا دستوريا، يسهر على أمنه واستقراره، وراحته وطمأنينته وازدهاره. ولا بدع في ذلك، مادام هذا النظام هو عنوان أصالته وعراقته، وتشبثه بالمثل العليا والقيم الكريمة الرفيعة. وكذلك الأمر بالنسبة لكل الصلوات التي تقام كل يوم وليلة : فليس هنالك من مغربي أو مغربية، إلا ويرفع أكف الضراعة إلى الله عز وجل أن يطيل حياة جلالة الملك الحسن الثاني، ويسدد خطاه، ويصلح به وعلى يديه، ويكلأه بعينه التي لا تنام، فهذا الملك العظيم الذي هو معجزة زمانه، والذي وضع الله في يده زمام هذه الأمة المسلمة المؤمنة، ومقاليد أمورها، هو بالذات رحمة من عند الله الحنان المنان بديع السماوات والأرض، تفضل به وتكرم على المغرب ليحفظ مجده ويؤثل مفاخره، ويضيف إلى مجده القديم أمجادا جديدة.

لقد كان النظام الملكي في هذا القطر بالذات الذي اختاره وارتضاه على مر القرون والحقب والأجيال، هو الذي أعطاه كيانا خاصا، وهو الذي أشاد صروح حضارته، وكتب تاريخه البطولي بمداد الفخر والاعتزاز. ومهما كانت الفصول التي يرويها التاريخ من ملاحمنا الباهرة، ومواقفنا المشهودة، فإن حاضرنا يشهد بها أيضا، ويؤكدها تأكيدا. وتكفينا تلك القيم الفضلى الموروثة جيلا عن جيل، فهي مؤشرات خاصة وكافية، تطبع كل مغربي ومغربية بطابعها المشرف الوهاج.

إن بلادنا في كل وقت وحين كان لها وجود وحضور مشرف في أفيد المجالات، باستثناء بعض الحالات النادرة التي لا تخلو منها آية قاعدة منطقية.. فبلادنا حاضرة لامحالة في أبرز الأحداث العالمية. والتاريخية في شتى أطواره وحلقاته البعيدة منها والقريبة، يبلور ذلك، سواء على ساحته الجغرافية الشخصية، أو بالنسبة للقارة الإفريقية، والعالم الإسلامي عموما. إن سياسة المخزن الشريف، وهو الاصطلاح المقدس الذي يطلق على النظام الملكي المغربي، قد كانت هي السبيل المتبعة على أحسن الوجوه وفي كل الظروف، لأقصى ما يمكن من الوسائل الكفيلة بالنجاح، والفرص المتاحة لاستخلاص أكثر ما يمكن من الفوائد المتوخاة، على المستويين الديني والدنيوي، والفترات الطويلة للأمجاد المتلاحقة لهذه الأمة، أنصع برهان على ذلك، وطيلة أحرج الظروف التي مرت بها البلاد ـ ولابد منها في منطق التاريخ، ليميز الله الخبيث من الطيب ـ، ظل النظام الملكي صامدا أمام جميع الزوابع والأعاصير، والتحديات والاختبارات، متجاوزا جميع الافتراءات والأراجيف، والتدليسات والدسائس والمكايد، فالمغرب هو هو في كرامته وصموده وعليائه.

والمواطن المغربي، وهو معجزة عصره، ما يزال متشبثا أقوى ما يكون التشبث، ومتمسكا أعز ما يكون التمسك، بجميع مقوماته في العراقة والأصالة والمثل الانسانية العليا.

والمخزن الشريف هو هو في اجتهاداته، وعلو الهمة عند ملوكه، وحسن تصريفهم لشؤون رعاياهم بمنتهى الحكمة والتبصر، فالملوك الذين يتعاقبون على العرش المغربي، يستفيدون أجل الاستفادة من بعضهم البعض، تجربة وأسلوبا، ومبدءا وحكما وتطبيقا على جميع الأصعدة. وهم يضيفون إلى الكواثر التي تزخر بها أصالتنا الثقافية والحضارية، معطيات جديدة، تلائم روح العصر، وتجعل الفائدة مزدوجة حسا ومعنى في الداخل والخارج معا، وهم فوق هذا وذاك، مشبعون بفراسة لا تخطىء الهدف أبدا، في كل ما يعود بالنفع المضمون على الأمة المغربية، فالمخزن الشريف قد كان في الماضي والآن وفي المستقبل هو الأدرى بالمنفعة ! وهكذا نرى أن المغرب منذ فجر الاستقلال، قد كان يجتنب الانزلاق والسقوط في حضن الحزب الوحيد، وكان النصر لهذه الفكرة على كل حال في أذهان النخبة الواعية، شأنها في ذلك، شأن الصفوة المتنورة في الأقطار الأخرى الحديثة العهد بالخلاص والانعتاق. وكان هذا التفتح الفكري والثقافي الذي لا هوادة فيه معوانا على رسوخ الإنسية المغربية بما تفرضه طبيعتها وفطرتها. فالمغرب الفتي في ركب الدول المتحررة حديثا، يحظى من جهة بقيمه العريقة، ولكنه في طموحاته الجديدة، لا يحيد قيد أنملة عن تلك القيم بالذات من جهة أخرى. وتلك هي كمبادئه التي لا ولن يتزحزح عنها أبدا. فهو لا يتنكر لفطرته أمام مفاتن الحضارة ومزالقها ومغرياتها، بل نحن نرى عن كثب أن الأجيال المغربية قد تفتحت من دون أن تنساق في التيارات الجارفة السياسية منها والفكرية. إذ إن المغرب عاش على هذا النسق من الاعتدال والأناة والتعقل وفي جو من الحرية كلفه الكثير من المعاناة والمصابرة الباهظة الأثمان، ولكنه كان واثقا من إنسيته وشخصانيته الذاتية الخاصة به دون سواه. ويزداد الأمر أهمية إذا علمنا أنه صمد على هذه الحال، بالرغم من أضاليل العصر وانحرافاته التي لا تخلو من أخطار محدقة به، وهو ينحو هذا المنحى الفريد الرزين، من دون أن يغفل ما تحمله المبادرة الفردية الحرة من فائدة ترمي إلى إسعاد الجماعة، وتحاشيا لضراوة الانسراب الرأسمالي، وسعيا وراء الحفاظ على دينا ميكية الدولة وأمنها، فإن النظام الملكي المغربي، وبعد مضي أكثر من ربع قرن على الاستقلال، نراه في أعماق الروح والضمير لكل واحد منا نحن المغاربة، يزخر بروح المنافسة مع الغير، ويظهر دائما بمظهر البناء والتشييد، والتقدم بخطوات عملاقة إلى الأمام.

ولم تكن الخاصية السياسية لتعدد الأحزاب في المغرب، تعني عزلته، فهذه البيئة المعروفة سلفا في النظم الديمقراطية القديمة، لا تبعد بالتالي بلادنا عن دورها القيادي في مجموعة العالم الثالث. فهي التي فتحت عهد الاستقلال على عالم جديد، وكانت في طليعة الأحداث المتعاقبة، مثل الندوة الإفريقية بالدار البيضاء، ومجموعة منروفيا، والتعهدات التضامنية المغربية والعربية، ومؤتمر باندونغ، وحركة عدم الانحياز، ومنظمة الوحدة الإفريقية، وسوى ذلك.

واليوم ها نحن نرى مدينة فاس، ذات الشهرة العالمية، تشهد إشعاعا وطنيا، والمملكة المغربية المحتفظة بسرها، والمصممة العزم على تحقيق مطامحها، وبالأخص فيما يهم المشكل الرئيسي الذي يستحوذ على أواخر القرن العشرين، وهو ترميم واستصلاح العاصمة العلمية وإنقاذها، لا تعدو أن تكون قد قامت بواجبها، من دون بهرجة إشهار، أو حتى مجرد نشاط إعلامي أدنى، مما قد تستلزمه المقتضيات والمتطلبات الملحة للعصر الحديث !

وبأقصى ما لديه من الوسائل، وما تسمح له به الظروف، ها نحن نرى المغرب المستقل، يباشر توحيد ترابه، ويمارس سيادته على أقاليمه المسترجعة. كما نرى نشاطه الديبلوماسي الماهر في مواجهة قوتين استعماريتين - وهي حالة نادرة المثال في المضمون الاستعماري - علما بأن تلك المواجهة كانت في قمة الإتقان والعبقرية، وخلق الحلول الناجعة، بأبرع الأساليب وأضمنها للفائدة المتوخاة، وكانت المسيرة الخضراء، الفكرة المعجزة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - أعزه الله ونصره -، بحيث صارت أمثولة للفكرة العالمية الخلاقة، ولانتهاج الخطة السلمية من

أجل التحصيل على حق مشروع، دون اللجوء إلى استعمال القوة والعنف، ودون التخلي بأية حال من الأحوال عما هو حق وعدل، بدعوى ضعف الوسائل المسخرة لتلك الغاية العظيمة. وكانت الفكرة النابعة من النضج والحكمة، تعبر عن دينا ميكية الأمل ضد كل ما هو باطل، وتعمل على إرساء قواعد التفاهم والتعايش بين بني الإنسان.

وهكذا استعاد المغرب حقوقه المشروعة، ووطد في ذات الوقت مصالحه وضمانات مستقبله القريب والبعيد. ولقد رسم جلالة الملك ـ حفظه الله ـ المنهج الأقوم لهذه الغاية النبيلة. وتطوعت البلاد من أقصاها إلى أقصاها بتلقائية ملبية النداء الملكي السامي، من دون أن يتدخل في ذلك حزب منظم (بكسر الظاء)، أو هيئة معينة تقوم بحملة التوعية والإقناع، ومن دون تنظيم دعوة دائمة لتبني واعتناق الفكرة. وقامت جماهير الشعب عن بكرة أبيها قومة رجل واحد، مما جعل هذه الانتفاضة تفوق كل التصورات والتكهنات، فقد صار التحدي المغربي سرا يتجاوز كل ادعاء تافه التبيين والتوضيح. ومن حسن الحظ أن يكون مثال المسيرة الخضراء السلمية الحسنية المظفرة، من بين الأمثلة العديدة، التي تعرب عن نفسها بنفسها. فمدلولها فيها ومنها وإليها، يشير بوضوح إلى مدى عمق الروابط والأواصر والوشائج التي تربط تلقائيا، وإلى الأبد، بين العرش والشعب.

ففي خطاب العرش، يوم 3 مارس 1983، كان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ وفقه الله وأعانه ـ قد سلط الأضواء الكاشفة على فكرة الملكية الوطنية، الخلاقة المبدعة، التي هي رمز التمازج والتلاحم بين الملك والشعب، وقد أشار إلى أنه لا داعي للاندهاش من هذه الظاهرة التي تكون إحدى الخصائص الجوهرية للمملكة المغربية، لأن الظروفة التي واكبت ظهور الدولة العلوية، قد تميزت بالأصالة والطابع الذاتي للمشيئة الإلهية، والعناية الربانية التي أبى الحق سبحانه إلا أن يخص هذه الأمة بها. فالدولة العلوية لم تفرض أبدا نفسها على هذه الفئة أو تلك، ولم تستعمل وسائل الضغط والقمع، ولا التهديدات من أي نوع كانت، لإرساء قواعدها وتوطيدها في أعماق القلوب، وسويداء الضمائر، ولكن الأسس الراسخة للعرش العلوي، ترتكز على الانتماء الواعي، وعلى الاقتناع الصميم، والإيمان واليقين، بالانطلاقة التلقائية للمواطنين الذين يرون في العرش العلوي المجيد، مفخرة لهم، ومبررا لسعادتهم، وضامنا لهنائهم واستقرارهم وأمنهم وأمانهم وطمأنينتهم في دينهم ودنياهم..

وهذه العواطف المتبادلة، والارادة المشتركة المناطة ببلوغ نفس الأهداف والمطامح هي التي طبعت في كل وقت وحين العلاقات بين الملوك العلويين الغر الميامين، والتي تتمثل اليوم في ذلك التلاحم المطلق بدون قيد ولا شرط، بين الراعي والرعية.. ذلك التلاحم الذي يتجدد، ويتقوى ويتوطد أكثر فأكثر، من خلال الأحقاب والعصور والأجيال، بمشيئة من الله تعالى، وهدي منه سبحانه.

ومما يسترعي الانتباه كذلك ماورد في هذا الشأن ضمن خطاب العرش في 3 مارس سنة 1974، إذ إن نظامنا الملكي كوثر فياض لا ينضب معينه. ومطالعة الخطب السامية، وقراءتها بتدبر وإمعان، توحي بالكثير من الأفكار النيرة، والتوجيهات الرشيدة. فالملوك الذين تعاقبوا على عرش هذه الأمة لم يتذوقوا طعما للسكون والدعة، بل كانوا طاقة للعمل لاتخمد ولا تفتر. فهم لم يستكينوا أبدا للبذخ والتخنث. وكان همهم الوحيد، وشغلهم الشاغل في الكفاح المستميت، والصمود البطولي من أجل تحقيق وحدة ونماء الوطن، وصد جميع الأطماع، والوقوف بشجاعة مثالية في وجه كل الطامعين والدخلاء، وذلك في أجل الحفاظ على كرامة وسيادة البلاد، ومن أجل ضمان تقدمها وازدهارها، وفرض عزتها ومجدها وتوفير الحياة الرغيدة لها، وكل الوسائل التي من شأنها توطيد سعادتها وراحة بالها.

فشكرا جزيلا لعرشنا العلوي المجيد على ما يسديه لنا من أياد بيضاء، على محجة الهدى والنور والصلاح والفلاح، لما فيه خير العروبة والاسلام خصوصا، ودعم وتعزيز السلام في الإنسانية كافة. والعز والتأييد والتمكين، والفتح المبين، لمولانا أمير المؤمنين.

فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. **(والذين آمنوا وجاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين)** صدق الله العظيم.

الرباط **محمد بن محمد العلمي**

في التفسير الحضاري:

تأملات في القرآن الكريم

"وعلم آدم الأسماء كلها"

للأستاذ الحسن السائح

قرأ الإنسان قبل أن يتعلم.. فقد قرأ بعينه كتاب الطبيعة المفتوح أمامه، وقرأ بسمعه الأصوات التي يستمع إليها أو يسترق السمع إليها، وقرأ بحاسة اللمس كل ما يحيط به من أدوات مادية تتعقبها أنامله، وقرأ بحاسة شمه ما تحمله إليه النسائم والرياح.. ولم يظهر العباقرة إلا من بين الذين يقرأون الأصوات بأسماعهم فيصوغونها نغما موسيقية منسجمة غير متنافرة، والذين يقرأون الألوان بأبصارهم فيتقلونها في لوحات تشكيلية ينسجم فيها التعبير باللون والذين تصوغ أصابعهم من التراب والحديد والذهب قطعا وأثاثا فنية تبدو عليها قدرات اللمس باليد! إن القراءة فن عظيم! ولكنها ليست هي التعليم.. بل هي أساس (التعلم)، أما التعليم فيكون بالقلم والريشة والتقطير.. التعلم موهبة، والتعليم صناعة، والتعلم إما فطريا وإما صناعيا، أما التعليم فهو بالصناعة وأساليب تلقين المعرفة.. ولذلك فإن الله تعالى دعا الإنسان أن يقرأ.. أولا ثم أن يتعلم بالقلم ثانيا.

ولقد علم آدم الاسماء كلها، فوهبه أول اختراع ليستغله فيطوره ويحسنه وينميه، فيزداد علما والتعليم هو صناعة للجماعة، فلابد له أن يعتمد على أصول مشتركة بخلاف القراءة فكل إنسان يقرأ الموضوع كما يريد وكما يشاء، ومن أية زاوية يريد، ومن أية ناحية يشاء.. إن القراءة تصدر عن طبيعة الإنسان وعلاقاته بالموضوع الذي يريد إدراكه، ولذلك فهي رهينة بشخصيته وحريته ورغبته، أما التعلم فهو تأكيد للعلاقات بين الإنسان والإنسان، فلهذا لابد له من أصول مشتركة، ومن اصطلاحات مضبوطة لأنه عملية تواصل ولهذا فالتعلم أساس الترابط الزماني والمكاني ووسيلة نقل الافكار واستمرار الحضارات وتبادل الثقافات.

ولقد علم الله آدم الاسماء كلها، وضن الاسماء المسميات، فلا مسمى بدون إسم ولا يمكن العكس كذلك وتعليم الله تعالى لآدم عليه السلام هو نواة (المدرسة الأولى) وهو تعليم يقوم على أساس خلق الملكة الأولى في الإنسان ليتعلم باستمرار، وينمي معرفته باستمرار كذلك..

وهذا هو أساس كل تعليم سليم ولذلك فكل تطور في التعليم يقوم أساسا على صقل الملكة وتهذيبها، وصقل المعلومات المقدمة إليها. والبحث عن انجع الوسائل ليتم الاتصال بين الواقع وبين عقل الإنسان.. وينتج عن ذلك أن تتعاظم طبيعة اللغة وتتزايد في نموها الكمي والكيفي معا ليتأتى أن يتطور الإنسان في حياته الاجتماعية عن طرف تطور اللغة نفسها، لأنها تعني الفكر ذاته، فلا لغة بدون تفكير ولا تفكير بدون موضوع.. فالعلاقة جدلية بين فكر الإنسان المفكر، وبين تطور اللغة التي يعبر بها عن حيوية فكره وبين تطور الموضوع الذي يعالجه بالبحث ولقد وصل الإنسان اليوم إلى ثورة تكنولوجية أي تطور في أدوات إشاعة العلم سواء في موضوعه أو نقله إلى ميدان التجربة، أو إشاعته في الحياة نفسها..

والثورة التكنولوجية تمس اللغة والتفكير والموضوع وتقفز بالجدلية من التفكير والتعبير إلى ميدان المادة نفسها التي أصبحت ذات أثر على التفكير واللغة ان لم نقل أصبحت ذات سيادة عليهما معا.. وبذلك نقصت المعادلة من التوازن، إذ أصبح الموضوع يسيطر على التفكير واللغة بدل أن يسيطر الفكر على الموضوع، وأحيانا تصبح (الكلمة الاصطلاحية) نفسها تخلق الموضوع والتفكير فيه...

إن الكلمة اليوم أصبحت أكثر قوة، وأبعد مسارا. وأقدر على خلق الدينمية في الموضوع لأنها بوسيلة المواصلات الحديثة غدت تنقل الافكار من جهة إلى أخرى في سرعة مدهلة، وتقدف بالأفكار إلى البروز والظهور والتموضع.. وأصبحت اللغة ليست مجرد كلمات أو رموز ولكنها أسلوب في التفكير، وطريقة في النظر، ولا تعرف الكلمة في القاموس بقدر ما تعرف في البحث والمقال والحديث، لأن المذهب البنيوي كتب عن طبيعة اللغة في التركيب العام للموضوع، ووشائج أتصالاتها بمختلف المفاهيم ولا تنفصل اللغة عن المتكلمين بها. ولا عن مكانتهم الاقتصادية والسياسية، فقد تسود لغة على لغات شعوب أخرى كما تسود أمة على الأمم سياسيا وعسكريا، وقد تضعف وتتهاوى كما تضعف الأمم والشعوب، وقد تقف لتصارع لغات أخرى تواجهها كما يتصارع المتصارعان فيغلب أحدهما الآخر، ويصفق الجمهور لهذا ولا يصفق للآخر... واللغة في نفس الوقت تستطيع الاستمرار في التطور والتجديد، وأحيانا تتقاعس وتضعف ضعفا ذاتيا أي أنها قد تستمر متمتعة بالصحة والنماء، وقد تصاب بالمرض والوناء حتى أن بعض اللغويين يصفها بأنها كانت حي يعتريه ما يعتري الكائن من صحة ومرض قد تكون اللغة قوية بذاتها وشخصيتها، إذ بصفتها كائنا عضويا، فانها بهذه الصفة تكون قوية أو ضعيفة حسب بنيتها، إذ كما يكون الجسم قويا أوضعيفا حسب تكوين خلاياه فإن اللغة نفسها، تخضع لهذه القاعدة، فعلى حسب القدرات الفكرية والدقة في التعبير والحاجة الماسة إلى التعبير، تظهر كفاءة اللغة وقدرتها على المواجهة والصراع والانتصار، وهي لن تستطيع ذلك إلا إذا كانت منتظمة منظمة وانتظامها في تحسين بداكوجية تعليمها، وقدرتها على استيعاب معطيات الحضارة وعلى خلق المصطلحات. وإذا عدنا إلى واقع المغرب الحضاري، نجد اللغة العربية لغة حضارة ورسالة، وهذا ما يجعل جذورها متأصلة في داخل النفس الإنسانية والمجتمعات المسلمة. واكتسبت قدرة على استيعاب المنجزات الحضارية والتعبير عما يختلج في عقل الإنسان ووجدانه، وما يفرزه عقله من تفكير، وبذلك ربطت بين الإنسان وبين المجتمع ورغم ما وجدت في طريقها من عقبات وبالأخص من الاستعمار الذي حاول جهده ان يقلل من شأنها أو يقضي عليها، فقد ظلت نظرا لاتساع رقعتها الجغرافية تناضل في كل الجهات وترد مختلف المؤمرات.

ولا شك أن هذه اللغة وجدت في القرآن والحديث والدين الإسلامي كل عناصر القوة لتظل منتشرة في رقعة جغرافية ممتدة في معظم القارات، واستوعبت كل الكلمات والمفاهيم التي وجدتها في كل مكان، فتفاعلت معها ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا بل كانت سببا في حمايتها وتنميتها وإعطائها قوة وقدرة على الصمود حتى إذا هاجمتها الحضارة العربية، وجدت نفسها قادرة على أخذ ما تحتاج إليه دون أن تفقد خصوصيتها. وإذا كانت الآية القرآنية تؤكد على أن الخالق تعالى (علم آدم الأسماء كلها)، فان التعلم يقتضي الاستمرار، وان المسميات تنكشف يوما بعد يوم، وان على الإنسان ان يطور جهوده البيداكوجية ليسهل تعليم اللغات بتطوير الدراسات المتعلقة بتعليم اللغة، سواء الدراسات البنيوية أو الشكلية، وسواء اللهجات المحلية أو اللغات الكبرى، فاللغة، في الواقع، هي أداة التواصل الثقافي والحضاري، ولا توجد حضارة بدون لغة، بل هي المقياس الحقيقي لقيمة الحضارة ومكانتها وقدرتها على الإشعاع. ولقد اهتم المسلمون بنشر اللغة العربية وتطويرها باعتبارها أداة الازدهار الحضاري.

وما تزال هذه اللغة العربية قادرة على القضاء والملاءمة فهي أصل كل اللغات باعتبار أنها التي استوعبت خصوصية الاستمرار والانتشار..! أن تكون لغة القرآن معنى ذلك أنها لغة انتشارية عالمية، تجد في الفكر الإسلامي كل عناصر التطور والنماء.

عرش قائم على تقوى الله

للأستاذ محمد قشتيلو

يقول الله جل جلاله في كتابه الكريم : **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾** كل أمم الأرض تمر بأزمات وتقف في طريق مسيرتها شتى العراقيل والصعوبات قد يكون ذلك من الله امتحانا لها أما لخروجها عن الجادة وانزلاقها عن الصراط السوى أو لأمر يعلمه الله، فالله خلق الإنسان في أحسن تقويم، ولكن النفس الأمارة بالسوء تجعله ينزلق ويحيد عن الطريق. ولكنه جل وعلا رحيم بعباده المومنين فيتداركهم بلطفه يبعث فيهم عبادا مومنين ودعاة مخلصين وهداة صادقين يرشدونهم إلى طريق الخير، وهكذا حلت بالأمة المغربية أزمات وتراكمت عليها النكبات وتكالب عليها الطغاة فتداركها الله بلطفه بأن أرسل لها من ينقذها من كبوتها ويوقظها من غفلتها، هداها إلى رجال من خيرة عنصر مخلوقاته من سلالة نبيه الكريم وسليل دوحة حبيبه وصفيه، هداها إلى رجال من أسرة كريمة هداها إلى الأسرة العلوية المجيدة، فكان منها رجال قاموا بأداء الرسالة وتحمل الأمانة فكان المولى الرشيد الذي أعاد للتراب المغربي وحدته وقاوم الكيانات والتفرقة وقضى على حركة الدلائيين وغيرهم وركز للعرش المغربي أساطينه وقوى دعائمه، وجاء المولى إسماعيل الذي قام بأعباء الدولة بحزم وجد فجدد للإسلام قوته في هذه الديار فقضى على الثوار وحقق الأمن وحرر بعض أجزاء المغرب من يد الأجانب كالأسبان والبرتغاليين والإنجليز ونظم جيش الدولة تنظيما محكما فهو الذي أنشأ جيش «البخارى» نسبة إلى الإمام البخاري إذ كان في ترحاله يحمل كتاب الأحاديث النبوية للبخاري وتدق له خيمة يوضع بها احتراما لما حواه من أحاديث نبوية، وضمن بهذا الجيش أمنا داخليا فكان نفوذه يمتد إلى موريطانيا، ولا ننسى جهود محمد الثالث وما كان له من أثر على الدولة المغربية وما حققه من أجل الإسلام والوطن إذ عرف كيف يقصي الجيش عن السياسة وحقق انجازات كثيرة ومتنوعة نذكر منها تحرير بعض الموانىء المحتلة وانشاء موانىء جديدة على المحيط وتقوية الأسطول المغربي وكذا تقوية علاقاته مع الدول الإسلامية وخاصة مع الدولة العثمانية وعقد اتفاقات تجارية مع الدول الأوربية حتى كانت بعض هذه الدول تدفع أتاوات للمغرب من أجل مرورهم بمياهه الإقليمية كالدانمرك والسويد، كانت الأتاوات تدفع كسلاح حديث، كما طرد البرتغاليين من الجديدة، وأول من اعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، كان يشجع العلم والعلماء، واتجه إلى المدرسة السلفية ونبذ بعض البدع والخزعبلات.

كانت نهاية القرن التاسع عشر وهو عصر النهضة الأوربية التي كانت إذذاك في أوج عظمتها وقوتها وصارت تبسط سيطرتها على الشعوب الضعيفة بما يسمى الآن بالعالم الثالث فأصبح نجم الدول الإسلامية يفل وحجمها يتقلص

أمام عجرفة المسيحيين الأوربيين فصاروا يستولون على الأرض الإسلامية شيئا فشيئا، فكان المغرب مهددا بالاستعمار عندما دهم جارته الجزائر وصار يشرئب بعنقه نحو المغرب ولكن الله قيض له ملكا يقظا وإماما حازما ذلك هو الحسن الأول، كان رحمه الله ـ كما يقولون عرشه فوق شرج حصانه إذ كان كثير التجوال في أرجاء مملكته وكان هدفه الوحيد هو محاولته إدخال التجديد على الدولة ومسايرة النهضة الأوربية في موكبها التقدمي لأن المغرب قريب من أوربا ومحط انظار الطامعين من ساستها إذ كانت «موضة» السابق إذذاك إلى استعمار الشعوب الضعيفة لأخذ مواردها الطبيعية لاستخدامها واستغلالها في صناعتها المتطورة، فقام بارسال بعثة من الطلبة المغاربة للدراسة في أوربا ونظم الجيش المغربي وأسند مهمته إلى خبراء اجانب وأنشأ مصنعا للسلاح بفاس ومصنعا للعملة ونظم البريد، ولكن بعد وفاته تدهورت الأوضاع ومرت على المغرب محن إلى أن فرضت عليه الحماية فرضا ولكن الله لطيف بعباده ويجعل بعد العسر يسرا فبعث للأمة المغربية من ينقذها من أغلال التبعية ويقض مضاجع الإستعمار الذي ظن أنه قد ارتاح ودانت له الرقاب. فاختار لهذه الرسالة بطل العروبة والإسلام جلالة محمد الخامس الذي منذ اعتلائه أريكة أجداده المقدسين وهو يبلى البلاء الحسن في سبيل نصرة الحق وطرد الدخيل، فمواقفه وإصلاحاته عديدة ومتعددة سجلها له التاريخ كلها بمداد الفخر والاعتزاز وفضله في تحرير شعوب إفريقيا لا ينكر، فما مواقفه البطولية من الظهير البربري معروفة واعتناؤه بالتعليم وانشاء المدارس، هذا الجهاز الذي كان رحمه الله يشجعه ويسهر عليه بنفسه وما الصيحة الكبرى من منبر طنجة عام 1947 إلا إحدى الدلائل على تضحياته وتفانيه في الدفاع عن مصلحة الأمة والوطن والتي اعطت للاستعمار الدرس القاسي والذي لقنه له في وقت لم يكن ينتظره منه فقد فاجأه به عندما أعلى حق المغرب في استرجاع سيادته واستقلاله وأنه ينتمي (أي المغرب) إلى مجموعة الدول العربية والأمم الإسلامية حيث قال قدس الله روحه : «إن المغرب المسلم بلد عربي ويبقى عربيا تملأ نفسه المثل العليا التي تملأ نفوس العرب والمسلمين جميعا». وبقي يكافح ويناضل ويغذي الأمة بروحه الطاهرة الوثابة إلى العلا لأجل اسعاد أمته وحلها المحل اللائق بها بين الأمم المتقدمة إلى أن ضاق الاستعمار ذرعا بنشاط سيدنا فأقدم على جريمته النكراء بنفيه هو وأفراد أسرة الكريمة إلى مدغشقر، ولكن الله وعد المومنين الصابرين بالنصر والتمكين إذ قال جل جلاله : **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾** وقد استجاب الله لدعاء سيدنا ودعاء المومنين من أمته فعاد إلى عرشه مكللا بالنصر يشد إزره ويقوى عضده وارث سره جلالة الحسن الثاني حفظه الله، وما ان انتقل إلى جوار ربه حتى ترك الأمانة في يد حازمة وأمينة، يد تعرف كيف ترعى الأمانة وتحقق آمال الشعب في شتى المجالات، إذ أقام سيدنا دعائم متينة للمغرب الجديد فحقق المنجزات في اقصر مدة وفي زمن وجيز حتى أصبح المغرب يتوفر على ما كان يعوزه بالأمس القريب بل يزيد على الحاجة، ان عاهلنا العظيم يضع الكلمة الأولى في كل أعماله كلمة «الحمد» بها يتوج كل أحاديثه ويضع أسس كل مشاريعه، أنه ينشر كلمة التوحيد في كل بقاع المعمور فما تشييد بيوت الله ليذكر فيها إسمه غير خاف على أحد لا في المغرب فحسب بل في كل قطر من أقطار الدنيا إلا ويشيد فيها حفظه الله ـ بيوتا لعبادة الله من إفريقيا إلى آسيا، وما الرسالة الخالدة الموجهة إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية في مطلع القرن الحالي الهجري إلا احدى هذه المكرمات والدعوة لاتحاد كلمة المسلمين ونبذ الخلافات لا يفتأ يبثها بينهم في كل آينة وحين، وما كفاحه من أجل إعادة الحقوق للشعب الفلسطيني والدفاع عن المسجد الأقصى إلا دليل قاطع على أن سيدنا همه الوحيد هو الدفاع عن الإسلام أولا وقبل كل شيء كما أنه لا يترك مناسبة من المناسبات الدينية الا ويحضرها بشخصه الكريم ويحييها كليلة القدر وعيد المولد النبوي الشريف وغيرها،وسيدنا لايدع فرصة دينية تمر دون أن يشكر شعبه بأكمله فيها ليحظى من ربه بالثواب والمغفرة. فما إذاعة القرآن الكريم يوميا بواسطة جهاز التلفزيون في شهر رمضان المعظم حتى يأخذ كل فرد من أمته حظه من الثواب والأجر لسماع كتاب الله والتبرك به داخل بيته في شهر التوبة والغفران إلا مكرمة من مكارمه، وأعظم بها من مكرمة !

إن منجزات سيدنا يعجز القلم عن حصرها، ففي الاقتصاد والتعليم والزراعة والصناعة وكل ميدان من هذه الميادين الا وتجد مشاريع ضخمة انجزت وأصبحت توتي أكلها، كما لا تنسى المكرمة العظمى والتي اذهلت العالم وتعد بحق معجزة العصر ألا وهي المسيرة الخضراء التي انقذ بها اخوانا لنا من براثين الاستعمار واعاد قسما من ترابنا الوطني إلى حظيرة العروبة والإسلام وهو يعمل الآن جاهدا لتحقيق وحدة المغرب العربي، وقد ابرمت عدة عهود ومواثيق بين تونس وليبيا والمغرب كلها لصالح شعوبنا الإسلامية العربية، كل ما يحققه سيدنا ويوفق في انجازه كله بفضل إيمانه القوي بالله واتباع سنة جده عليه الصلاة والسلام. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

الرباط **محمد قشتيليو**

●● المغرب القوي أريد أن يكون حبيبا إلى الله باعطاء شهدائه ودمه في سبيل بلده وفي سبيل كرامتها دون حصر ودون بخل. بلدنا بلد معطاء، يعطي الأكل والدواء والسكن والتعليم، ويعطي الدم والشهداء، من الجولان إلى سيناء إلى صحرائنا. هذا نوع من القوة، أن يجد المغربي في نفسه الطمأنينة، وأن يجد في نفسه الرغبة في الاستشهاد ولو على بقاع غير أرضه هذا يدل أن قوة إيمانه تجعل منه ذلك الرجل المعطاء الكريم بروحه ودمه ذلك المؤمن القوي بروحه، وبإيمانه بأن، بعد حياته شيء آخر أكبر وأعمق وأعظم وأوسع من حياتنا كلنا. ألا وهو الدوام، وإذا كان الدوام لله، وإذا أعطينا نحن دماءنا وأرواحنا للدوام فنحن أعطيناها لله، فمن أعطى شيئا للصفة أعطاها للمتصف بها بما أن الدائم هو الله وكل من أعطى روحه للدوام أعطاها لله، وكل من خطط للدوام، خطط لله، وكل من شرع للدوام شرع لله ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

عاش المثنّى وعاش المغربُ الحسن

للأستاذ الشاعر عبد الكريم التواتي

بعود عيدك عاد اليمن والغدن
وباركت عوده الأكوان والزمن

واخضرت الأرض زهرا أن أهل بها
وأخضلت البوات الشم والقنن

وازينت ببهـا مغر مرابعنا
وآستروحت ليهاها الدوح والفنن

ماست بأفيائها الأزهار ريقة
والروض من حسنها الفينان مفتتن

والنهر أسكره شدو الطيور رضى
فغنى لحنا طروبا ما به شجن

فالدنيا من نشوة البشرى مباهجها
شتى، وأحلامها غراء يا حسن

الاء عرشك هزتها، فما برحت
فتانة الوقع ريا الحسن ياحسن

قد راودتها بك الآمال شائقة
فأستشرفت فجرها الأمصار والمدن

وروق العيش سحر العيد وابتهجت
به الحياة، فنادى الكون : ياحسن :

في عيد عرشك أملاك السما هتفت :
عاش المثنى وعاش المغرب الحسن

وكل عهدك عيد، لا يماثله
في حسنه المجتلى عيد ولا زمن

ما كان للدهر إلا سر بهجته
وللمسرات مالا تدرك الفطن

وكان ـ ياحسن ـ أسمى الذي حفلت
به المعالي ومنى نفسه الوطن

هامت به مهج البشرى وما فتئت
بسحره مقل الآمال تفتتن

ياثاني، الحسنين، ما لعهدكم
ثان، وليس له ند ولا قرن

بوئت عرش الاباة الصيد فانتظمت
بك الأماني وجادت بالنما الدمن

ود الزمان ـ وقد هلت مواسمه ـ
لو : مركز الفلك الدوار يحتضن

وأوقف الفلك كيما يستقر به
دوما، وآلاكم تحدوه والمنن

ياعرشنا، عرش شعب بالوفا لهج ... وبالولاء هواه الجم مقترن

دامت عهودك للتشييد، خالدة ... آياتها، بأثيل العز ترتهن (1)

اثلت يا عرش للأوطان عزتها ... فبارك الله ما أثلت والوطن

أعليت للري هامات السدود بها ... فذى الصحارى بما أغدقته غدن

وشدت في كل أرض من مرابعنا ... للخير معلمة تزهو بها القنن

... فللمصانع آيات رواسمها ... حضارة يتملى فنها الزمن

وللمعارف ما تنفك في شغف ... تعلي منائر هدي، للهدى سكن

أفياؤها الطافحات النور رائدة ... شعارها : الحق، والحسنى لها سنن

ولم تزل بك للأمجاد جنتها ... ولم تزل حصنها المرهوب يا حسن

ولم يزل عهدك الأسنى رواسمه ... اليسر يزهو بها، والعسر يحتزن

فباسم عرشك يشدو الشعب والهة ... أحناؤه، وبك الأوطان تأتمن

حققت آماله الكبرى ووحدته ... وصان عزته جيش لكم أرن (2)

جيش المثنى، أمان الله يكلأه ... على حماية هذى الأرض مؤتمن

جيش، على البغي إلب، للهدى سند ... وفي المعارك، لا وان ولا وهن

إن غم أمر فنور يستضاء به ... وفي الضوائق غيث زانه غدن

أبطاله الشم أباءون، همتهم ... الفرقد إن وفي الهيجا هم الجنن (3)

في الحرب يخشى مثيروها بوادرهم ... وتتقيهم إذا ما استنفروا المحن

إن يغضبوا زلزلوا الدنيا بغضبتهم ... وإن يثوروا فهم للمعتدى الجنن

☆ ☆ ☆

يا من رأهم على(الجولان) رايتهم ... خفاقة، ولهم (سيناء) تحتضن (4)

يحطمون بني صهيون، ما رفعوا ... من الحصون وما راموا وما خمنوا

هم المغاربة الأنجاد، همهم ... يوم الوغى هام من تغريهم الفتن

ياجيشنا الباسل المغوار قد شرفت ... بك العروبة والإسلام والوطن

أمنت بالمجد تبنيه، تؤثله ... ويفتدي المجد منك الروح والبدن

وقفت في ثقة يعنو البغاة لها ... تصمي الأعادي والعدوان تمتهن (5)

أباد بأسك في الصحراء ما جمعوا ... فهم بها - ويلهم - هلكى، وقد سجنوا

قد مزقتهم أباديدا جحافلنا ... فبين أسرى وصرعى، جندهم رهن

لا يرتجون سوى أن يمنحوا هربا ... من فر فاز وبئس الفوز والحقن

---

1) ارتهن بالشيء = تقيد به.

2) من ارن البعير يرن كعلم يعلم نشط فهو أرن

3) جمع الجنة بضم فتشديد : السترة والترس وكل ما وقى من السلاح. والجنن بفتحتين القبر والكفن.

4) إشارة إلى مشاركتهم في معركة (سيناء والجولان) سنة : (1973م) ضد اسرائيل. ومع مصر وسوريا.

5) امتهن الشيء = احتقره وابتذله.

على مشارف (أمغالا) شراذمهم ... الطير يبصق أشلاءها ويمتهن
وفي جيوب (تفاريتى) فلولهم ... اليأس أنهكها والخوف والوهن
و (المحبس) الحر قد أخنى كلاكله ... عليهم فهم في حبسه دفن
ظنوا - وظنهم أودى مناحرهم - ... أن المغاربة الأبطال قد وهنوا
ورجموا حين لنا، ياالطيشهم ... فغالهم من بلادنا ما به امتحنوا
هيهات هيهات أن تضوى عزائمنا ... أو أن تخور قوانا أو يهي يقن
من صخرة الحق قد قدت إرادتنا ... والحق والعزم لايعروهما أفن
جاءوا يزجون، و (السامات) عدتهم ... فلم ينالوا سوى سم به بطنوا
ومزقوا قددا تجنت شأفتهم ... وطوحت بهم الآلام والشجن
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ... والريح تعوى، ولا أهل ولا قطن
قل للألى أيدوا بطلانهم حسدا ... لبئس ما أظهروه بئس مابطنوا
ما كان يغلب حزب الله، ويحهم ... حزب الشياطين مغلوب وملتعن
قل : أجمعوا أمركم، ياطغمة خبثت ... منها النوايا وغطى عقلها الدرن
إنا سنمحق ما تستكثرون به ... فما تقيكم أساطيل ولا سفن
نستأصل الشر، والعدوان نخضده ... وليس ينجيه من بأسائنا جنن
يا ثاني الحسنين عيد عرشكم ... ملاحم يتغنى مجدها الوطن
آباؤكم أثالوها باذلين لها ... دماءهم، والحنايا للعلى ثمن
وأورثوكم هداها، والوفا ذمم ... فلم تخيسوا بعهد، لا، ولم تهنوا
عبأتم الشعب، حيا الله تعبئة ... الحق تنصر، لا حقد ولا ضغن
وقد تموه إلى العلياء خافقة ... أعلامكم، فلأنتم للحمى وثن
لذنا به فأطمأنت واهتدت رشدا ... قلوبنا واستقام الأمر يا حسن
فاسلم لشعب ستبقى - الدهر - رائده ... وما تخط يداك الهدى والسنن
ومن مناهجك المثلى بشائره ... ومن أياديك هذا الرغد والغدن
وأنت نعم المرجى للتي عظمت ... ومنجزاتك حصن وارف أمن
وليسلمن ولي العهد تحرسه ... مواكب الشعب والأقدار والحسن
وليسلمن الرشيد الشهم من حفقت ... له الحنايا ويحلولى به اللسن
ولتسلمن عترة الأشراف قاطبة ... والله ربك يرعاها ويحتضن

عبد الكريم التواتي

مشارق الوفاء

من منارة العرش العلوي المجيد

للأستاذ قدور الورطاسي

يمتاز عرش المغرب الأقصى بصفة عامة وفي عهد الأسرة العلوية بصفة خاصة بأعظم ميزة وأخلدها في تاريخ عروش العالم أجمع، ويتعلق الأمر «بمظهر» وأساس فعن «المظهر» أنه ما حزب شعب المغرب الأقصى حازب، إلا والجالس على العرش أو ولي عهده على رأس «خيل الله» والخميس غير مبال باية عاقبة لهذه المغامرة الخطيرة.

فالجالس على العرش، أو ولي عهده. يعطي الرقم القياسي الأعلى للوفاء والبطولة والتضحية الإسلامية لعامة الشعب المغربي، سواء منهم الجاثم على متون «خيل الله» و«الخميس» أم المتخلفون، أم الاحتياطيون.

وبفضل هذه الميزة التي يسمو بها الجالس على العرش، وولي عهده، إلى المواهب الفطرية العالية في شعب المغرب الأقصى، بفضل ذلك، استطاع الجندي المغربي أن يصون كرامته الإنسانية العربية الإسلامية طوال عصور الاستيطان بهذه التربة الجيدة بصفة عامة، ومنذ اشراق شمس العروبة والإسلام بصفة خاصة.

وحسبنا من ذلك ان «المغرب الأقصى» آخر رقعة من العالم الإسلامي امتحنت بوباء الاستعمار، من جهة، وعلى رأس لائحة الشعوب الإسلامية وغيرها التي تحررت من ذلك الوباء في أقل من نصف قرن من جهة ثانية....

على أننا إذا استعملنا الدقة في التعبير عن مدة استعمار المغرب الأقصى لا نجدها طالت أكثر من عشرين عاما.

فرصاص المقاومة المسلحة لم يصمت دويه إلا بعد استسلام أبي القاسم النكادي في سنة 1935 م.

هذا في الداخل. واما «جندينا» المغربي في المعارك الدولية الشاملة والخاصة فحدث عن تفوقه وثناء الخبراء عليه ولا حرج.

ولولا خشية الخروج عن الموضوع، لامليت من ذاكرتي روائع قصص البطولة المغربية أثناء مسيرتها داخلا وخارجا.

والفضل في ذلك كله، يرجع إلى بطولة العرش المغربي منذ أن أبصر النور على يد الفاتح الأعظم المولى إدريس الأول، واستمرت هذه البطولة الرائعة إلى عهد مولانا أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله وسيكفل الله استمرارها ـ كما عودنا ـ إلى ماشاء الله أن تستمر.

في أوائل النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري تقريبا كان المغرب الأقصى ممزقا شر ممزق «فأبو حسون» في استقلال بسوس، والعديون في شبه قفص، والدلائيون في شبه إمارة بين زاويتهم وفاس، والاتراك في

الجزائر تتحلب أفواههم لابتلاع المغرب الأقصى، ولاسيما حينما بسطوا شبه نفوذ معنوي على شرق المغرب.

أثناء هذا التمزق الذي ابتليت به «وحدة المغرب الأقصى» فزعت الأسرة العلوية في شخصية المولى محمد بن الشريف الذي وجد نفسه مضطرا لخوض معارك شاقة في سبيل وحدة المغرب الأقصى، وعوض أن ينتدب إلى ذلك «سرايا» كان صاحب «اللواء وعلى رأس» خيل الله «والخميس» في جميع المعارك التي خاضها في «سوس وفاس والزاوية الدلائية، وشرق المغرب، وحتى معاركه التاديبية داخل التراب الجزائري الواقع تحت نفوذ البحارة» الاتراك إلى أن وصل إلى قلب «القطر». مدينة معسكر «التي هرب عنها منه» باشاها «التركي وحينما قضى» المولى محمد بن الشريف عليه رحمة الله لم يجد أخوه المولى الرشيد بدا من الانطلاق لاتمام الوحدة المغربية من نفس منطلق أخيه المغفور له، فكان دائما صاحب اللواء على رأس «خيل الله» والخميس، حيث كان يقيم ويناضل ويرحل من إقليم إلى إقليم ليسلك كل الأقاليم مرة أخرى في سلك الوحدة المغربية المتراصة....

والذي يذكر تاريخ المغرب الأقصى في هذه الفترة العصيبة يذكر دون ريب أن المولى الرشيد لم يواجه «الاتراك والسعديين» وغيرهم فقط بل إنه وجد نفسه أيضا وجها لوجه إزاء الطامعين هنا وهنالك، ومع ذلك، فقد اتسع صدره للاساسيات والهامشيات والطارئات.

فكان المظفر الرائع في كل معركة، وهو بنفسه في قلبها كالطود العظيم.

وقضي المولى الرشيد رحمه الله والمسالك مليئة بالاشواك لخلفه المولى إسماعيل رحمه الله، فبمجرد وفاته «ومع عهده لأخيه المولى إسماعيل فان الخطر على الوحدة حينئذ، نبع من نفس الأسرة العلوية فقاسى المرائر في سبيل اخماد ثورة المولى أبي العباس» أحمد بن محمد ابن الشريف «سواء في مراكش» أم في «سوس» أم في مسقط الأسرة «سجلماسة» ثم إخماد ثورة قامت بين أنصار الدلائيين طمعا منهم في استعادة نفوذهم، إلى اضطراره إلى الرحلة إلى شرق المغرب لتعميق السلطة الجديدة بالتأديب والصلح مع الاتراك البحارة حكام الجزائر، ثم مواجهة أعضاء من الأسرة كذلك بالصحراء والانتصار عليهم.

حتى إذا أرسى قواعد العرش في غير الشواطىء الغربية أو في غير بعضها على الصحيح، أخذ ينظف تلك الشواطىء من طفيليات الدخلاء من الجزيرة الإيبرية.

وفي كل ما أشرت إلى بعضه فحسب، كان المولى إسماعيل صاحب اللواء يعقده لمن هو أهل له وهو على رأس «خيل الله» والخميس..

وهكذا استمرت هذه السنة الرائعة بتقدم الجالس على العرش أو ولي عهده في كل ما يمس الوحدة المغربية دون كلل ولا فتور، إلى أن انتقلت إلى «جبين» الملك الصالح المغفور له محمد الخامس الذي يكفى للتدليل القاطع على تلك «الميزة» الخالدة : ميزة رئاسة «خيل الله» «والخميس» في قلب المعركة، يكفي لذلك ما كان منه في 20 غشت 1953 م.

حتى إذا آل الأمر إلى «وارث سره» مولانا أمير المومنين جلالة الحسن الثاني نصره الله وجد نفسه وجها لوجه أمام من يجدر أن ينشد فيهم.

اعلمه الرماية كل يوم ☆ فلما اشتد ساعده رماني

هؤلاء هم أشقاؤنا حكام الجزائر الذين آويناهم في محنتهم طوال سبع سنوات فواصلوا كفاحهم فوق أرضنا وتحت سمائنا وبمساعدتنا مالا، وسلاحا وحماية وتضحية بكل شيء هؤلاء هم الذين حينما اقتنع الاستعمار الإسباني بحق استرجاع صحرائنا لاتمام وحدتنا الترابية، أبوا إلا أن يتناولوا من يده راية اطماع التوسع وماهم بالحصول على أي طمع بمومنين، ولاكنهم ليعربوا لنا فقط عن شديد نكرانهم لكل جميل وأي كذا خلقت «كا أوثر عن الكسائي ولله في خلقه شؤن»....

نعم كان صاحب العرش الحسن الثاني أيضا على رأس «المسيرة الخضراء» التي هي«خيل الله» و«الخميس» والله الذي عود أجداده الظفر والنصر هو ذاته الكفيل له بالنصر والظفر.

أما عن أساس هذه الأسرار الالهية الظافرة، فأنها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل غزاة خطيرة :

بدر الأولى، والثانية، والثالثة، و«احد، والاحزاب» والحديبية «وخيبر» و«تبوك» و«الفتح» و«حنين» و«الطائف» ومثيلاتها.

ومن هذا المنطلق النبوي الكريم انطلق الجالسون على عرش المغرب الأقصى فكان لهم ما أراد الله لهم من الانتصار كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراد الله له من الانتصار. فالنصر نفس النصر والفتح نفس الفتح فما دام المعين واحد فالنتيجة واحدة.

وفق الله مولانا أمير المومنين جلالة الحسن الثاني وحفظ ولي عهده النبيل وسائر الأمراء الكرام والله ولي كل نعمة، ونصير كل ناصر لدين الله.

الرباط **قدور الورطاسي**

●● إنني لا أريد أن يقال عن الدين الإسلامي أنه يكون وعاظا ومرشدين لأن الوعظ والإرشاد في متناول كل رجل يعلم دينه ويعلم تبليغه. فإذا كان الرجل فاهما لدينه ماسكا بفلسفة ودوافع المشرع وإذا كان قد أعطاه الله سبحانه وتعالى طلاقة اللسان ونظارة الوجه ومرونة أخلاق تمكن إذ ذاك أن يكون واعظا ومرشدا. فالديانة الإسلامية في الحقيقة لا تحتاج إلى وعظ ولا تحتاج إلى إرشاد بل تحتاج إلى تبيين لماذا ؟..

لأن الديانة الإسلامية تعايشنا كالأكسجين. أكلنا نقول باسم الله استيقظنا نقول باسم الله تزوجنا، تزوجنا على الكتاب والسنة طلقنا طلقنا على الكتاب والسنة تبايعنا... كل المعاملات الدينية والدنيوية مختلطة ممتزجة بالديانة الإسلامية إذا قلنا في حاجة إلى أساتذة مختصين لتعليمنا الديانة الإسلامية التي نعايشها وتمازج أرواحنا ودماءنا. إنما نحن في حاجة إلى اطباء تغذية لأن هناك. مخمصة وهناء التخمة فعلينا أن لا نكون في مخمصة ولا في تخم بل علينا أن نجد من يطعمنا ويغذينا على قدر عقولنا ومستوى تفكيرنا ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

قائد الوحدة

للشاعر الأستاذ أحمد العمراني

حييت يـا حامي الإسلام والعرب ... ودمت فخرا لنا في الشرق والغرب

رفعت رأس بني الأعراب مفتخرا ... وعاليا يزدهي بالنصر والغلب

ناديت بالوحدة الكبرى عشائرنا ... فانضم قادتها جنبا إلي جنب

حجوا إلي أرضنا ـ والحق يجمعهم ـ ... لنصرة الدين سلما أو فبالحرب

ومن تكن في سبيل الحق وحدتهم ... يمددهم الله جندا من سما الغيب

يـا أيها الحسن المقدام.. يا بطلا ... شهما لأنت رسول السلم والحب

أعدت للأمة الوسطى(1) حميتها ... وأشرقت بك أنوار على الدرب

جمعت أمتنا في وحدة رفعت ... الله أكبر ضد الظلم والغصب

يـا قادة العرب يرعى الله جمعكم ... وحقق المرتجى من قمة العرب

سترجع القدس للإسلام زاهية ... بها نقيم صلاة الشكر للرب

1) أخذا من قوله تعالى : «وكذلك جعلناكم أمة وسطا».

عرش المغرب

عرش بناء ونضال

للأستاذ مبارك الريسوني

يحتفل الشعب المغربي بذكرى جلوس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله على عرش أسلافه المقدسين، وهو إذ يحتفل بهذه الذكرى انما يعبر تعبيرا مخلصا عن صدق ولائه وتعلقه الدائم بالأسرة الملكية الكريمة وعن امتنانه العميق لوارث سرها واكباره لما يبذله جلالته من جهود مستهدفا منها عزة هذا الوطن ورفعة شعبه.

من كرم العلي القدير، ومن سخى أنعمه على المغرب أن خصه بعرش مجيد يجسد امارة المؤمنين، ويجسد السيادة الوطنية، ويعبر بصدق عن إرادة الأمة وينطق بلسانها ويرمز إلى عزتها وعظمتها، ولم يكن العرش يوما في المغرب نظاما سياسيا تقليديا جامدا عقيما لا يساير ركب الحضارة، ولا يواكب تطور الأمم والشعوب في المعمور، بل لم يكن أبدا في زمن ما من الأزمنة متخلفا قاصرا عن أرتياد آفاق المستقبل، بل كان على العكس من ذلك عرشا متفاعلا ومتطلعا ومتجاوبا مع مطامح الشعب ومؤثرا في أحداث التاريخ وتطوراتها يطبعها بطابع العمق والشمول الذي يجسد بعد الرؤية وصدق التصور.

سل تاريخ المغرب تجد الجواب الشافي في موضوع نضال العرش من أجل رفعة الوطن وعزة الشعب.

إن نضال العرش كان ومازال متعدد الاهتمامات مناضلا على واجهات لقهر الجهل، والبطش بالمرض، وتوفير القوت الكافي من جهة، ومن جهة أخرى توفير الأمن والطمأنينة.. فالمغرب عبر تاريخه لم يكن يحل مشاكله مع غيره بالقوة كيفما كانت معقدة إلا بعد اخفاق كل الطرق الديبلوماسية وفشل كل وسائل الحوار المباشرة وغيرها، وهذه ميزة تميز بها ملوك المغرب وخاصية من خصوصيات العرش المغربي.

إن عرشنا عرش يوجه الأمة توجيها إلى النصر ويقودها إلى البناء، بناء صرح الحضارة الحقة والتشييد في كل المجالات، واثراء الثقافة ذات النزعة الإنسانية، لذا كان ارتباط العرش ارتباطا وثيقا بملاحم الجهاد، ومواقف الشجاعة والاباء، ومعارك الشرف والكرامة.

وقد توج العرش في عصرنا هذا ملاحم جهاده باسترخاص كل غال ونفيس من أجل تحرير الوطن من ربقة الاستعمار، وتخليص الشعب من رق العبودية وضروب الاسترقاق، كما قام بتنظيم مسيرة قرآنية تجسدت فيها إرادة العرش والشعب معا.

وكانت هذه المسيرة التلقائية مسيرة النصر مسيرة الفتح السلمي لاستكمال السيادة الوطنية تعبيرا عن تلاحم العرش بالشعب وترجمانا للتجاوب بين القمة والقاعدة.

والعرش بهذا الاعتبار عرش مجاهد، أجل مجاهد، لأنه وقف في وجه الصليبية التي تنكرت تحت أقنعة مختلفة

للتضليل والمغالطات فرد هذا الزحف على أعقابه خاسرا يتجرع الخيبة ويجتر الفشل.

كما وقف في وجه دعاة الصهيونية العالمية بالمرصاد كاشفا النقاب للعالم الإسلامي والعربي عن نواياهم التوسعية، وما يضمرونه من عداء، كما وقف في وجه دعاة الباطل من مزيفي التاريخ الإسلامي وحضارته بغية تشكيك العرب والمسلمين في دينهم وحضارتهم وقدراتهم وثقافتهم وفكرهم.

يكفي العرش فخرا أنه قاوم هذا الثالوث بنجاح قل نظيره وقد عرف كيف يسدد ضربات موجعة.

إن كفاح العرش عبر التاريخ موصول الحلقات، فلم يمر يوم دون أن يترك بصمات واضحة وأثرا بارزا على المستوى الوطني أو العربي والإسلامي أو على مستوى القارة الإفريقية أو على المستوى الدولي، ولذلك لا يمكن القيام بجرد كل المواقف ـ لكثرتها ـ التي قام بها العرش، ولا أدل على ذلك من موسوعة انبعاث أمة التي يسهر على اعدادها الأستاذ الكبير السيد عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة. إن هذه الموسوعة معلمة تاريخية وفكرية وسياسية تسجل باستمرار أنشطة جلالة الملك المختلفة من خطب وندوات ولقاءات، ناهيك باعمال أخرى لا يمكن حصرها.

ومعنى هذا فالعهد الحسني غني بجلائل الأعمال، وحافز على الدخول في منافذ الرقي وأسباب النهوض لتحقيق ما يمكن تحقيقه من الأهداف والمتطلبات.

إن كل من يدقق النظر فيما أنجز غداة استقلال المغرب من منجزات في مختلف الميادين التعليمية والصحية والفلاحية والصناعية والسياحية والاجتماعية و... ليصاب بدهشة أمام ماحققه رائد المغرب الحكيم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أطال الله بقاءه، أجل إنه قام باصلاح شامل استجابة لمتطلبات العصر وتغيراته، وطبقا للتحولات السريعة المستمرة الطارئة داخل المغرب وخارجه، كل ذلك من أجل النهوض بالشعب والعمل على الرفع انتاجه الاستهلاكي وغيره ليصبح أقدر الدول على مواجهة الصعاب وأعباء الحياة الاقتصادية ومتطلباتها وتكاليفها.

وإن مايسعى إليه جلالة الملك من وضع هذه البلاد في نطاق المغرب العربي والأمة الإسلامية لهو منطلق العقل الراجح، لأن التكامل الحضاري لايتحقق إلا عن طريق التعاون والتبادل بين الأمم المتشاركة في المبادىء والعقائد، ولذلك كان اهتمام جلالته منصبا على تنمية أواصر هذه العلاقات وتطويرها، وسعى إلى إحكام الصلات بالاشقاء في المغرب والمشرق إيمانا منه عما تعكسه هذه العلاقات من نفع عميم لخير الأمة العربية والإسلامية جمعاء.

كما اجتهد جلالته في تحسين علاقات الدول الشقيقة والصديقة وتقريب شقة الخلاف فيما بينها بالاضافة إلى تسخير شتى الوسائل لدعم الجامعة العربية وتيسير أسباب التعاون الوثيق وصلة الأخوة الإسلامية مع الاقطار التي تجمعنا واياها عقيدة التوحيد ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا النطاق نذكر حكمة جلالة الملك أثناء ترؤسه لكل جلسات قمة فاس في شطره الثاني (9 / 9 / 1982).

وقد ختم المؤتمر العربي أشغاله وخرج موحد الصفوف والكلمة، ونوه قادة العالم أجمع بالنتائج الإيجابية التي اسفر عنها هذا المؤتمر وبصفة خاصة نوهوا بحكمة جلالة الملك وبجهوده وبقدرته على حسم بعض الخلافات العربية وتطويقها وإيجاد حلول لها، كل ذلك من أجل تعبئة جهود القادة العرب ووراءهم الشعوب العربية نحو قضيتهم الكبرى تحرير القدس الشريف، واعادة الحقوق المغتصبة للشعب الفلسطيني.

وفي الجلسة الختامية لهذا المؤتمر قال جلالة الملك (وقد خرجنا ولله الحمد من امتحاننا بصوت واحد، نعم بصوت واحد سيقال في مقرراتنا ما يقال، ولكن المهم أن قراراتنا هي بمثابة البوصلة، تلك البوصلة التي تضع دائما شوكتها على الهدف الذي نريده).

ولشرح الخطة العربية قام جلالة الملك على رأس اللجنة السبعية بزيارة الولايات المتحدة الامريكية واتصل هناك بكبار المسؤولين وعلى رأسهم فخامة الرئيس ريكان والهدف من هذه الزيارة كما بين جلالة الملك بقوله : «إن مهمتنا لا تكمن في التفاوض أو التوقيع على وثيقة ما، بل إن مهمتنا تنحصر في شرح خطتنا لفخامة الرئيس ريكان»

ثم توجه إلى نيويورك وألقى خطابا في المنتظم الدولي يوم 26 / 10 / 1982 تناول فيه بالدرس والتحليل الخطة العربية لحل مشكل الشرق الأوسط.

وعن توصيات فاس تحدث الكثير من قادة العالم منوهين بالقرارات الصادرة عنهم، نذكر من هؤلاء القادة فخامة الرئيس المصري محمد حسني مبارك الذي قال : «مبادرة فاس ممتازة لكن من الذي يقدر على تنفيذها ؟ ولو كان هناك من يقدر على تطبيق المبادرة لكان ذلك أوج ما يتمناه كل عربي».

وإذا كان من واجبنا الحديث عن كل مواقف ملكنا الهمام فسيطول بنا تعدادها كما ذكرنا آنفا، لأن القائمة طويلة تستدعي الشرح الدقيق والتحليل والتعليل العميقين ولكن لا بأس إذا ختمنا موضوعنا هذا بالحديث عن زيارة جلالة الملك لهيأة الأمم المتحدة، وهناك ألقى جلالته خطابا هاما يوم 27 شتنبر 1983 أمام الجمعية العامة تناول فيه بالدرس والتحليل ملفين، ملف الشرق الأوسط وملف إفريقيا. ولقد أكد مرة أخرى هناك على مقررات فاس بأنها واضحة وناجعة وقابلة للتنفيذ ولا تشوبها مزايدة ولاديماغوجية، هذا ما تناقلته كل وسائل الأعلام، وأشادت بحكمة جلالة الملك وبعد نظره.

إن نجاح هذا المؤتمر لم يكن ليتحقق لولا تحلي القادة العرب بالقيم الإسلامية السمحاء والمثل العليا وفي هذا يقول جلالته أمام الجمعية العامة : «إننا تركنا ظهريا آنذاك ما كان من شأنه أن يفرق موقفنا ويشتت جموعنا، وترفع كل واحد منا عن حزازات الماضي وجرحات ما مضى، وتوصلنا بذلك - والحمد لله - إلى ما أسفر عنه مؤتمر فاس».

أطال الله بقاءكم وحفظكم للمغرب سنين عديدة وحقق مقاصدكم النبيلة في كل ما تعملون له من رفع المغرب وتبوئه المكانة اللائقة به بين الشعوب الراقية. ومن رفع شأن الإسلام واعلاء راية العروبة، وأقر عينكم بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، وأخيه صاحب السمو الملكي مولاي رشيد، وأراكم في سائر الاميرات ما يسر ويرضي.

الرباط **المبارك الريسوني**

●● قبل اليوم كانت عندي رئاستان : رئاسة العائلة الصغرى، ورئاسة العائلة الكبرى، واليوم ولله الحمد حققت وصية أبي رحمه الله يوم نصبني وليا للعهد، وحينما أوصاني بأسرتي الصغرى وأسرتي الكبرى، فبما رحمة من الله جعل سبحانه وتعالى أغراضه وأحلامه تتحقق، واليوم لم يبق عندي انشغالان ولم تبق عندي قبلتان، بل عندي قبلة واحدة، ولم يبق لي أن أقول عندي الأسرة الكبرى والأسرة الصغرى، بل عندما أتكلم أقول أسرتي، علما بأن ولدي ولدكم وحفيدي حفيدكم وأحفاد أحفادي إن أراد الله هم منك وإليكم ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

القرآن هو الدواء

للاستاذ محمد حمزة

القرآن هو كتاب الله المنزل على محمد خاتم النبيين، بواسطة جبريل، باللفظ العربي المعجز المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

نزل على الرسول الاكرم منجما مفرقا حسب الوقائع والظروف والأحداث والملابسات واستغرقت مدة نزوله نحوا من ثلاث وعشرين سنة، وكان آخر مانزل منه قوله تعالى : **«واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون»** (1).

وقد شرف الله القرآن وعظمه، وجعله قيما مفصلا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وسماه روحا ورحمة وشفاء وهدى ونورا.

فمن تسميته بالروح والنور قوله تعالى : **«وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لا تهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ملك السموات والأرض، الا إلى الله تصير الأمور»** (2).

ومن تسميته بالهدى والرحمة قوله تعالى : **«هدا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون»** (3).

ومن تسميته بالشفاء قوله تعالى : **«ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته اعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أو لئك ينادون من مكان بعيد»** (4).

---

1) الآية 281 من سورة البقرة، قيل نزلت هذه الآية قبل موت الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شيء، وقيل بسبع ليال، وروي بثلاث ليال، وروي انها نزلت قبل موته بثلاث ساعات، وأنه عليه السلام قال : «اجعلوها بين آية الربا وآية الدين». وحكي أن النبي قال : «جاءني جبريل فقال اجعلها على رأس مائتين وثمانين آية».

وحكي عن أبي بن كعب وابن عباس وقتادة أن اخر ما نزل : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم». قال زيد بنُ ثابت وقد أمره أبو بكر بجمع القرآن : «فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الانصاري لم أجدهما مع غيره : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» إلى آخرها، فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة، والآيتان المذكورتان أقرب القرآن بالسماء عهدا فيما ذكره القرطبي عن أبي بن كعب.

2) الشورى 52 ـ 53.

3) الجاثية 20.

4) فصلت 44.

قطع الله بتأليفه المعجز اطماع الكائدين، وابانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلوا لايمل على طول التلاوة، ومسموعا لاتمجه الاسماع، وغضا لا يخلق على كثرة الرد، وعجيبا لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده، فهو آية بادية، ومعجزة باقية. عن معاذ بن جبل قال : كنت في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله، حدثنا بحديث ينتفع به، فقال : إن اردتم عيش السعداء أو موت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن، فإنه كلام الرحمن، وحرس من الشيطان، ورجحان في الميزان».

وقال عليه السلام : «القرآن هو الدواء» وقال : «لا فاقة بعد القرآن ولا غنى دونه» ويروى عن أبي ذر انه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني أخاف أن أتعلم القرآن ولا أعمل به فقال صلى الله عليه وسلم : «لايعذب الله قلبا اسكنه القرآن».

وقد بين الله سبحانه قصده من القرآن، وأوضح الهداية الربانية التي يدعو إليها ويشد اعماق النفس إلى رحابها فقال عز من قائل : «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا» (5).

فكتاب الله يربط الضمير والشعور بالعقيدة الواضحة، والنية الصادقة، والسبيل الساطعة اللاحبة، في تمام يسر ونهاية إسماح. وهو يلائم بين إيمان المسلم وسلوكه، ويوائم بين ظاهر وباطنه، فتنسجم حركاته وسكناته، ويستشعر الطمأنينة والسكينة، فلا يستثقل أوامر الله فيدخله الملل، وييأس من الوفاء، ولا يستسهلها، فتشيع في نفسه الرخاوة، ولا يتجاوز حدود الاعتدال «هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج» (6).

وعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم القرآن بناء الإسلام، وعلى التقوى يؤسس دعائمه، فلا إيمان بدون عمل، ولا عمل بدون إيمان، الأول كالجنين إذا ما يجهض ولما يبلغ تمامه، والثاني كأنه عبارة عن اشلاء ممزقة لا يجمع بينها حائط ولا رابط، وبالعمل والإيمان تسير الحياة سيرها الطبيعي الذي شرعه الله لخلقه وسطره لعباده، وبهما تتحقق الهداية بالقرآن كتاب الله الخالد. يقول عليه السلام : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ماثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرها تابعا يوم القيامة».

ومما لا يختلف فيه إثنان، ولا ينتطح فيه عنزان أنه ما من علم اشتغل به المسلمون في تاريخهم الحافل بالامجاد إلا وكان السبب المباشر والباعث الأول هو خدمة القرآن، فالدراسات النحوية نشأت أساسا لتقويم اللسان وصولا للنطق الصيح عند التلاوة، والدراسات البلاغية نشأت في رحاب الجمال القرآني، لتبرز خصائص اللغة العربية وروعتها. تبيانا لنواحي الاعجاز في الذكر الحكيم، والكشف عن أسراره الأدبية، وابعاده التعبيرية، والتماس شوارد اللغة وشواهدها وضبط ألفاظها وتحديد معانيها، تحسبا لما قد يطرأ على الالسنة من لكنة أو تحريف أو نطق غير سليم، يقول أحد الباحثين : «كان النحو العربي وليدا لم تكتمل قواه، ونماهذا الوليد في ظلال الرعاية والتطور إلى أن ازدهر عوده، واكتمل نموه ليؤدي رسالته في الحياة.

ونشأة النحو العربي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، ولو لا هذا القرآن لما نشأ هذا العمل الذي تمت له السيطرة فيما بعد على كل علم من علوم العربية وآدابها.

ومن أهم الأسباب التي جعلت أولي الأمر من المسلمين وعلمائهم يتفكرون في وضع اللبنة الأولى في صرح هذا العلم اللحن في قراءة القرآن الكريم» (7).

فالقرآن كتاب العربية الأول، ومنجم المعارف الأدبية واللغوية، وهو مصدر الدين ومنبع كل العلوم، وعليه يتوقف فلاح المسلمين في دنياهم وأخراهم. أنه أساس وجودهم المادي والمعنوي، وركيزة حياتهم السياسية والاجتماعية واللغوية والأدبية، ولهذا كانت كل خدمة للقرآن هي في

5) الآية 9 من سورة الاسراء.

6) الآية 78 من سورة الحج.

7) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، تأليف عبد العالم سالم مكرم ص 45 دار المعارف بمصر 1968.

الحقيقة خدمة المسلمين في شتى مرافق الحياة، ونشرا للنور الإلهي الذي تسطع به أيات كتابه الكريم واحقاقا للحق الذي حمل مشعله نبي الرحمة المهداة محمد عليه السلام وقد عبر صاحب الجلالة عن هذه الفكرة تعبيرا موحيا عندما قال : «وإننا لنجد ونجتهد لا لنعيد لهذا الكتاب العزيز مجده والتعامل به، فالله سبحانه وتعالى قد تكفل بذلك فالله خير حافظ للقرآن وهو أرحم الراحمين، ولكن جهادنا واجتهادنا هو العمل اليومي على أن يصير كتاب الله عملة خلقية وإنسانية وقانونية ليتعامل بها جميع بني الإنسان مسلمين كانوا أو عربا، وأملنا في الله سبحانه وتعالى أن يحقق رجاءنا وأملنا حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أجتمعت أمتي على ضلال، فأي هدى أهدى وأحلى وأفضل من هدي القرآن، وأي حق أحق من كتاب الله» (8).

إن القرآن يطبع اللسان والعقل والقلب بالأدب العالي والحكمة الغالية والخلق السليم. ولذلك يعتقد المسلمون أن فيه حلولا لكل مشكلاتهم التي تعترضهم في هذا الوجود وتلم بهم في هذه الحياة، يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه : «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة الأوفي كتاب الله الدليل علي سبيل الهدى فيها».

ومن خصائص القرآن أنه يعلي سلطان العلم ويرفع شأن العقل، ولا ينافر النظر والتفكير بل يدعو إليهما دائما. وفي ظله عرفت البشرية العدل الأمثل والسبيل الأقوم والحياة الفضلى :

فاستلهموا القرآن فهو منارة
تهدي الزمان إذا الزمان تعامى
لاتسعد الدنيا إذا لم تتخذ
من هديه الدستور والاحكاما

ومن آثار نعمة القرآن على الإنسانية أن أنجب عبقريات كثيرة أهدت للبشرية خير قرائح العقول، وأطيب ثمرات الفكر في الميادين الشرعية والاخلاقية، والاجتماعية، والفلكية والرياضية، وأخرج للناس طائفة من الخطباء المفوهين والأدباء المجيدين والوعاظ الذين يأخذون بمجامع القلوب، يقول جلالة الملك : «لقد اعتنق المغاربة الإسلام طوعا واختيارا، ورضى واستشارا، إذ حمل إليهم من مكارم الاخلاق وسليم المبادي، وصحيح الأحكام وقويم النظم ما سعدوا به أفرادا وجماعات، واقبلوا على العربية لغة القرآن يتدارسونها. وعلى فنونها يتعلمونها ويعلمونها، وما لبثوا ان لمسوا مافيها من المرونة والاقتدار على التعبير عن أدق الصور المادية، والخلجات النفسية، واستمسكوا بها لسانا قوميا مبينا، واحبوها حبا مكينا، ولما دلفت إليهم من المشرق ثقافة الإسلام وعلوم العربية ومعارف الإمم المتقدمة، واستوعبوها واتقنوها، وتناولوها بآرائهم وأفهامهم، فأكلموا ناقصها وأوضحوا غامضها، وفصلوا مجملها وهذبوا حواشيها، وزادوا ببحثهم وجدالهم وتخيلهم وافتراضهم في غناها وثروتها، ولم يكتفوا بذلك بل اضفوا عليها من حلتهم وطبعوها بطابعهم حتى أصبحت لهم مدارس مذكورة، ومذاهب مأثورة في علوم الدين وفنون اللغة والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والتاريخ والفنون الشعبية، وحتى صارت جامعات فاس ومراكش وسبتة ومعاهد الأندلس التي عاشت طيلة عصورها الإسلامية تحت حكم المغرب، أو في كنفه، تضاهي جامعات أقطار الشرق العربي ومعاهده، وهل يمكن أن يذكر أعلام فكرنا العربي وتراثنا الإسلامي دون أن يذكر من بينهم أو في طليعتهم الحافظ الجدلي ابن حزم، والمؤرخ ابن خلدون، والفيلسوف ابن رشد، والطبيب ابن زهر، والرياضي ابن البناء،والجغرافي الإدريسي، والرحالة ابن بطوطة، والنباتي الغساني والمقسر أبو حيان، والمحدث ابن رشيد، والفقيه عياض ؟ أوهل يمكن ذكر العربية وآدابها دون أن يذكر ابن مالك، وابن آجروم، وابن هانيء وابن زيدون، وابن سيده، وابن المرحل، ولسان الدين بن الخطيب، والفتح بن خاقان، وابن سعيد، وابن بسام، والفشتالي والمقري وغيرهم ممن يطول تعداده من كل عالم لبيب، وشاعر أديب، وضارب في مختلف العلوم بسهم مصيب» (9).

وقد نوه الله سبحانه بالقرآن وعظمه بذكر عظمة منزله صاحب القدرة المطلقة والجلال الأعظم الذي خلق

---

8) الطريق الصحيح لنهضة العرب والمسلمين، (خطاب جلالة الملك جوابا على تهنئة علماء المسلمين بعيد الفطر المبارك)، ص 7، نشر وزارة الأنباء، الاثنين فاتح شوال 1387 / فاتح يناير 1968.

9) انبعاث أمة ج 10 ص 90.

الأرض بما فيها من بشر لا يدخلون تحت حصر من حيث أبدانهم ونفسياتهم وعقلياتهم وصفاتهم، وما يعتمل فيها من دواب ووحوش وأنعام وطيور، وما فيها من جبال وسهول ونبات وما تحمل من عوامل الحياة والموت، وما خلق في السموات من كواكب ونجوم وأجرام، ولم يؤده حفظ. ذلك كله، لو اجتمع الإنس والجن على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا، وما من حركة وسكون إلا له في ذلك حكمة دالة على وحدانية، ومن هنا تنشأ عظمة القرآن، ويتضح أثره في تنوير العقول وصقل الأذواق : «طه ماأنزل لنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى» (10). ولذلك تظل روعة القرآن وهيبته تولى المؤمن انجذابا وتكسبه رفعة الأخلاق، ونبل السريرة وسلامة الطوية، وكلما قرأه الإنسان استخرج منه شيئا جديدا، وتيسر له فهمه وحفظه ومعرفة أحكامه، ولا يخفى ما في ذلك من تطهير النفس وصقل العقل وجلاء الموهبة.

إن القرآن بلسم الجراح وضماد النفس المكلومة، والقلوب الكليلة، إذ يعلي الهمة، ويزيل الخوف، ويبدد القلق ويهون الشدائد، وما أكثرها في الحياة : «ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين» (11) «وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا» (12).

والإنسان المؤمن يفزع إلى كتاب الله إذا حز به أمر أو اعتاص عليه موقف من المواقف أو ظرف من الظروف، فيجد فيه الطمأنينة التامة، والسكينة الشاملة تاسيا بسيرالمتقدمين من الأنبياء والصالحين وقصص الأولين، فالكتاب الكريم معرض لأحوال الأمم، وصورة لكل من عاش على هذه الأرض يذكر بما آل إليه أمرهم من خير ان عملوا خيرا، ومن سوء إذا عملوا سوءا : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (13) ولذلك كان عبد الله بن مسعود يقول : «من أراد علم الأولين والآخرين فليتل القرآن».

فالذكر الحكيم جرعة حلوة من رحيق العطف الإلهي ينفث في النفس القوة والثبات على المبدإ ويزرع فيها حب الخير فهو إذن سلاح المؤمن في حله وترحاله، وهو المخرج الوحيد للضمير الإسلامي العام للخروج من الأزمات الخانقة التي تعترض سيره ليسترد أنفاسه ويعزز ذاته، بفضل الأسس القويمة والصوى المحكمة التي يضعها امام كل من أراد الصراط السوي ومن اهتدى يقول جلالة الملك : «وحينما رأيت تلك الخيرات تفيض علينا من السماء، وحينما رأيت الله سبحانه وتعالى أنزل رحمته بعدما قنطنا فكرت مليا، وفكرت طويلا وقلت في نفسي أني أريد أن أدل شعبي العزيز على سلاح من أكبر الأسلحة أن أدله على سبيل من أقوم السبل إلا وهو كتاب الله العزيز وتلاوته» (14).

وما ذلك الا من نبل الرأي، وصدق العزيمة، وسعة الأفق، ورحابة المدارك المنطلقة من منظور إسلامي شمولي، وفكر قرآني، ومنهجية محمدية متطورة خلاقة اقتداء باسلافه الأكرمين في منافحتهم عن الإسلام والذود عن حياضه، أسلوبا قويا وصراطا مستقيما ساسوا به مصالح البلاد، وخدموا به مآرب العباد وكتبوا بذلك للأجيال اللاحقة صفحات ناصعة بيضاء تزخر بالمفاخر وتطفح بالمكرمات، وتفيض بالتضحيات فالقرآن أكسير الدولة المغربية وأكسجينها منذ عرفت الرسالة الإسلامية طريقها إلى وطننا الحبيب، يقول جلالة الملك : «إن احترامنا لمبادىء القرآن وتشبثنا بتعاليمه ليس بالشيء الغريب حيث ان أبانا محمد الخامس رحمة الله عليه وضع أول ما وضع في يدنا قلما، وضعه لا لنخط الأحرف ولا لنرسم الرسوم، رغم حداثة سننا، وإنما وضعه في يدنا لأول مرة لنكتب بإسم الله الرحمن الرحيم.... وإننا لنأسف كل الأسف لما نراه من الأجيال الصاعدة، من الأجيال التي هي الآن

---

10) طه الآيات 1 ـ 4.

11) يونس 57.

12) الاسراء 82.

13) الآية 111 من سورة يوسف.

14) من خطاب جلالة الملك بمناسبة دعوته لتلاوة القرآن في رمضان.

الأجيال المسؤولة على دواليب الدولة في الإدارة وفي السياسة.. نأسف كل الأسف لجهلها للقرآن لا لنسيانها إياه.. ولكن لجهلها إياه، حيث يرون في القرآن محض مجمع للعبادات وللتعامل بين العبد وربه في النطاق الضيق، ولو نفذوا بأبصارهم وبصيرتهم، ولو حللوه وحللوا سوره وتفاصيله ومجمله لوجدوا فيه فضيلة الفرد داخل بيته والسلوك المستحسن للجماعة مع مواطنيها والتعامل الصالح الخالص لأبناء المجموعات البشرية كيفما كانت ألوانها أو لغاتها أو القارات التي يسكنون بها» (15).

وعليه فالإسلام وكتابه القرآن ولغته العربية دعائم لا ينفك بعضها عن بعض، وأس لا ينفصل أحدها عن الآخر، فالشريعة السمحاء هي الدين الذي ارتضاه الله لخلقه، منها استمد المغرب حضارته، وعلى نظمه استلهم قادته الرشد والسداد ذلك أن هذا الدين منهم حياة ومناط سعادة إذ يتناغم بكل هدوء وصفاء مع الفطرة البشرية لكونه يجمع بين اليسر والاعتدال وبساطة العقيدة ووضوحها الذي يجعل منها منار السالكين ونبراسا للمستنيرين.

الرباط — محمد حمزة

●● إذا نحن سمحنا لنظام مادي غير إسلامي أن يكون حاجزا بيننا وبين السينغال وبين المالي وبين نيجيريا وبين النيجر وبين التشاد، وبين غينيا وبين الدول الإفريقية الأخرى سنكون أولا قد خنا الأمانة كمواطنين وطنيين وسنكون في أن واحد قد تقاعسنا عن الواجب التاريخي الملقى على عاتقنا والأمانة التي ألقاها مسلمو الشرق على مسلمي الغرب للحفاظ على الإسلام بل لتوسيع رقعته والزيادة في تفهمه وفهمه.

ذلك أن المغرب هو الذي كان دائما الرابط بين الإسلام وبين شعوب إفريقيا السوداء في غرب إفريقيا، فإذن يعتبر المغرب أنه يتحمل على عاتقه دورا وأمانة إلا وهو تبليغ الشريعة المحمدية والحفاظ عليها وتنمية تفهمها بالمدارس وبالمساجد وبالوعاظ وبالعلماء والأساتذة ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

العهد الحسني والتحدي الشامخ

للأستاذ عثمان بن خضراء

يحتفل الشعب المغربي بذكرى جلوس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني على عرش أسلافه المنعمين... فيحتفل بالعهد الذي لا ينتفض والوفاء الذي لا ينفصم والحب الذي لا يتضاءل والاستبشار الذي لا يبرح والمسرة بما كان والثقة بما سيكون، والاعتزاز بما يوضع من خطط ويمارس من أعمال !

ثلاثة وعشرون سنة مليئة بجلائل الاعمال وصور التحدي الشامخ... فمن تأسيس كتلة الدار البيضاء لاستكمال تحرير إفريقيا... إلى معركة التنمية والمليون هكتار... ومن معارك الحدود في سنة 1963 إلى حرب يونيه 1967... إلى مؤتمر القمة الإسلامي الأول... ومن المؤتمر الإفريقي الذي انبثق عنه ما يعرف في السياسة الدولية بـ «روح الرباط» إلى حرب رمضان على الجبهتين المصرية والسورية... ومن معركة التحرير والوحدة المتوجة بالمسيرة الخضراء المظفرة إلى مقاومة مؤامرات الخيانة والغدر... واسترجاع إقليم وادي الذهب... ومن تدعيم الوحدة الوطنية باقتران الإرادة في تطوير أدوات وهياكل الحوار الديمقراطي بالسعي المخلص إلى تثبيت السيادة الوطنية وجعلها في مأمن تام من التحرشات والمضايقات التي تأتي من الخارج، وحيث يرتبط حشد العزائم وتقوية الهمم الوطنية... إلى تقوية الاقتصاد الوطني والاهتمام بالتصنيع.

وعمل الحسن الثاني في كل ذلك يتميز بالتضحية والجدية والفطنة والذكاء وحب الصالح العام، وهي العوامل التي جعلته يحيا بحياة أمته ويسعد بسعادتها، ولا عجب، فعروش ملوكنا كانت ولا تزال قلوب شعوبهم، وان تيجان ملوكنا أعمالهم ومنجزاتهم، وان صولجانهم أفكارهم وتوجيهاتهم.

فالعرش المغربي من أول تأسيسه كان تصحيحا للأوضاع، والتزاما بحمل مشعل رسالة الإسلام، وقد استطاع إن يقف في وجه كل الاعاصير منذ المولى إدريس الأول رضي الله عنه إلى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله أن من يدرس طبيعة العرش المغربي وحقيقته منذ إنشائه يجد أكثر القائمين على هاته العروش الجالسين عليها كانوا نخبة أعدهم آباؤهم أحسن عدة ليكونوا جديرين بقيادة أمتهم وزعامتها، ويكونونهم تكوينا شعبيا ويربونهم تربية قاسية ليكونوا أهلا لقيادة شعوبهم، ففي حياة الملك المغربي الخاصة يكون دائما محفوفا بالعلماء والحكماء ورجال الشورى، وهمته تحقيق المآثر بالعمل المتواصل لبناء التاريخ وإرساء قواعده ومناراته لخير الأجيال المغربية ولخير الحضارة الإنسانية التي كان المغرب دائما ركنا قويا من أركان انبعاثها واشراقها وانتشارها، ثلاثة وعشرون سنة... وفي كل سنة يستمع الشعب المغربي بقلبه وفكره إلى مليكه، وقائده، وزعيمه جلالة الملك الحسن الثاني المعظم

وهو ينشر صفحات الأمجاد... ويقرأ من كتاب المنجزات والانتصارات، ويعيد من صحف المواقف والنضال والصمود والمآثر مما يثلج صدره وصدر شعبه، ويلقى جلالته الأضواء على طريق الغد وما يتطلبه العمل من أجل المستقبل محددا الأهداف مستعرضا الوسائل باسطا في أفق الأمل نور الثقة والإرادة، داعيا شعبه إلى الصراط المستقيم والمحجة البيضاء التي كانت سبيلا في ظلمات الأمل أيام الكفاح التحرري.

نعم... فعيد العرش 1984 يحل بنا ونحن نخوض أوج معركة تضجت أفكارها، ووضحت أهدافها وتيسرت طريق الوصول إلى مبتغاها والمرتجى منها... هناك معركة التنمية الفلاحية والاقتصادية والصناعية، معركة التقدم الاجتماعي، معركة العدالة الاجتماعية معركة الحرية، الحرية الحقيقية التي تنعكس في حياة الإنسان فكرا وعاطفة، ومادة... والتي تدخل حياة الإنسان فتقتحم بيته وطرق حياته وأسلوب تفكيره فتبسط بين يديه رداءها خيرا ونعمة ورفاهية... خبزا، وبيتا، ومدرسة، ومستشفى، وعدالة، ينعم بهذا كله تحت سماء بلاده الحرة، وفي مجتمع متماسك تتحكم فيه نوازع الخير والفضيلة.

إن عهد الحسن الثاني حافل بالعطاء والبطولات والامجاد... مليء بجلائل الاعمال ودلائل التوفيق. وان الحماس الوطني، والإيمان الصادق لهو الحافز الذي يحرك أبناء المغرب قاطبة لتحقيق المزيد من المكاسب والكثير من الانتصارات مثل ما حدث أثناء المسيرة الخضراء المظفرة حيث تحول المغاربة إلى شخص واحد يحس بنفس الاحساس ويعيش نفس الموقف وتوجت باسترجاع الصحراء المغربية إلى حظيرة المملكة بفضل كفاح ملك شهم وشعب بطل... وذلك بالرغم من الروح القبلية التي كان الاستعمار وأذنابه يذكونها من بعده... لأن سكان الصحراء كانوا يعتبرون مستقبلهم في الانضمام إلى باقي تراب المغرب المحرر لترابطهم به روحيا وتاريخيا.

وهب أبناء الصحراء من كل فج عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لأمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني... ورفعت أعلام النصر مرفرفة فوق ربوع الصحراء رغم كيد الكائدين... وستبقى خفاقة، منيعة وأن تآمر الحساد والمضلون الذين وقفنا بجانبهم أيام الشدة فكانوا من أول المتنكرين لنا والناقمين علينا !!!

والتاريخ أصدق شاهد... فقد سجل بسطور من ذهب كفاح الملوك العلويين والشعب المغربي من أجل :

وحدة التراب عموما والصحراء على الخصوص الشيء الذي أكدته الوثائق والمستندات الوطنية والاجنبية فقد وصل إلى تخوم الصحراء بالسينغال السلطان العلوي مولاي إسماعيل وصاهر أهل شنقيط حيث عقد على الملكة خناثة بنت الشيخ بكر المغافري، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة.

ورحل السلطان مولاى الحسن الأول بدوره إلى تخوم شنقيط وتوغل فيها إلى أن نزلت جيوشه بالساقية الحمراء متفقدا أحوال الرعية.

وكان السلطان مولاى عبد العزيز قد أرسل وفدا إلى شنقيط لينصب بعض الموظفين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم ويتفقد الأحوال ويصلح من شأنها فقصدت هذه البعثة مدينة «اسمارة» بالساقية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وأدت مهمتها أحسن أداء.

هذا، وان من جملة الوثائق التاريخية التي أدلى بها المغرب حول مغربية الصحراء انه في سنة 1911 عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شأن المغرب وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية فكانت تحد بالجزائر وإفريقيا الوسطى والسينغال، وتوجد الصحراء المغربية داخلة في هذه الحدود... وقد عمدت فرنسا إلى إدماج الصحراء المغربية في إفريقيا الغربية سنة 1920 بدون استشارة الدولة المغربية وملكها مما يجعل هذا الأمر ملغى ومناقضا للقوانين الدولية.

واستطاع الشعب المغربي بفضل كفاح طويل بقيادة ملكه المنعم محمد الخامس ونجله الملك العبقري الحسن الثاني من تحرير جزء من الأراضي المغربية سنة 1956.

وقد آثر المغرب وهو يوقع وثيقة الاستقلال على أن يحتفظ فيما يخص الاجزاء غير المحررة منه ويسجل حقه الكامل في تحريرها واستعادتها إلى حظيرة الوطن المحرر، وواصل الكفاح بعد ذلك فاسترجع طرفاية المجاورة للصحراء المغربية سنة 1958 بعد مفاوضات مباشرة مع

هذا الدين... وقد شرح أمير المومنين في رسالته السامية الموجهة للأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري :

فضائل ومميزات الدين الإسلامي

والذي يعتبر دين العلم والحرية والكرامة والوفاء بالعهود، لقد أرسى المسلمون حضارتهم العظيمة على مبادىء العلم والمعرفة فأثروا الفكر الإنساني في مختلف المجالات، واغنوا العقل البشري بفتوحات فكرية وعلمية واسعة، وتحدث جلالته في رسالته التاريخية عن الأمة الوسط التي هي الأمة التي ترتكز كل مظاهر حياتها على تحقيق التوازن حيث لا إفراط ولا تفريط، وإنما الانسجام والتكامل والألفة والتوفيق بين الدين والدنيا، باعتبار أن العقيدة السمحاء تنظم تلك العلاقة الشمولية التي تخلق ذلك الانسجام المتواصل والذي يجعل من الالتزام العقائدي على مستوى العبادات إلتزاما دنيويا في نفس الوقت، بالنظر لجوهر تلك العبادات ودلالاتها الروحية وانعكاساتها العملية على السلوك والتعامل.

ويعتمد جلالة الملك الحسن الثاني في رسم طريق الفلاح بالدعوة للعودة إلى ينبوع العقيدة الإسلامية كدين ومنهج وسلوك ينظم العلاقات داخل المجتمع الإسلامي ويركز على مبدأ المسؤولية بالنسبة للفرد والجماعة وبالنسبة للراعي وأفراد الرعية بحيث تخص الجميع ولا يستثنى أحد ـ ومن هذا المنطلق فأن الدعوة الرائدة لأمير المومنين لمواصلة الدور الحضاري للأسلاف تعني استيعاب المضمون الروحي للعقيدة الإسلامية وترسيخ المضمون الفكري... والسياسي والاقتصادي للإسلام...

وإن توجيه هذه الرسالة التاريخية لأمة الإسلام نابع أساسا من الالتزام بروح العقيدة السمحاء.

نعم... إن الخطة التي يسير عليها الحسن الثاني تتسم بسمة الخلق والابداع، وتقوم على استيفاء المناهج والأساليب المتولدة على الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين لتجنب مواطن الزلل والزيغ وتسلم المشاريع من مغبات الاختلال والارتجال !

هذا وإذا كان العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم وطغيان المادة، مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فان أرشد الحكومات في نظر الملك المسلم الحسن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الآراء والنظريات المختلفة وتخط للشعب المسلم سياسة مستمدة من حقائقه الدينية وشخصيته الاجتماعية مرتكزة على مقوماته ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته أو فيما ينوبه كعضو مسؤول في الأسرة الإنسانية الكبرى !

وامام هذه التيارات المختلفة فان جلالته يرى أن الشعب المغربي المسلم يجد نظاما إقتصاديا وإجتماعيا في كتاب الله العظيم الذي يقول :

«وكذلك جعلناكم أمة وسطا» فنكون تلك الأمة الوسط التي ليست بالرأسمالية ذات النظام الأهوج التي لا تترك حرية لأي ضعيف... ولا بالاشتراكية التي دلت الارقام والحوادث على أن نظرياتها يمكن أن تكون أخطر من تطبيقها... نريد أن نكون تلك الأمة التي يمكنها أن توفق بين النظامين، وذلك بأن تعطى لكل الميادين مدلولها ومفهومها، ففرق جلالته بين الميادين التي يجب أن تبتعد منها الدولة، وأن تبقى تلك الميادين في قبضة المبادرات الحرة.

أما ميادين التاميم، فباختصار كل ما يجعل للدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية للاقلاع الاقتصادي وللاستثمار في النمو... مثل الطاقة... والصناعة الثقيلة... والمواصلات بجميع أنواعها... والقروض، ووسائل القروض ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة... والخيرات الباطنية برا كانت أم بحرا... هذه القطاعات الاستراتيجية ذات الطاقة مائية كانت أم كهربائية أو نووية إن شاء الله تعالى... أو معدنية أو مالية.

وهناك ميادين أخرى، وهي ميادين المبادرات الخاصة، وهي كل ما يمكن المواطن من رفع مستواه الخاص وخلق الرواج والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها أن تخوض جميع الميادين، فنرى الصناعة، والصناعة الصغيرة، والسياحة، والفلاحة بجميع أنواعها، والتجارة، وخلق شركات مغربية داخل البلاد وخارجها بجميع القارات حتى يمكن

للمغرب أن لا «يتزوج» دائما بخلاياه وسلالاته الخاصة... بل أن يأتي بدم جديد وتلقيحات ويعرف بنفسه وباتتاجه، ويمكنه كذلك أن يصدر للخارج أدمغة ومفكرين ونخبة طيبة من شبابه.

ومن أجل تهييء الأطر الضرورية لهذا التطور الاجتماعي والفكري، فأن المبادىء الأساسية التي تعطى لتعليمنا ميزته الخاصة تتلخص في التعريب... والمغربة... ومجانية الدروس... وقد قررت عزيمة ملكنا المثقف أن تتحمل الدولة أثقل عبىء لتوفر أكبر عدد من المنح لشبابنا الذين يطمحون بجد وعزيمة وإرادة في استكمال تكوينهم في مدارسنا العليا وكلياتنا وفي غيرها في الخارج وبذلك تقيهم شر المشاكل المادية التي يمكنها أن تكون عائقا وحاجزا بينهم وبين مواصلة التكوين الذي ينتظرونه والذي يمكنه وحده أن يفتح لهم أفسح الأفاق واجداها ويحقق النتائج التي تنتظرها الأمة، ويعمل جلالته على تشجيع العلم والأدب بصفة عامة، وإتاحة الفرصة لذوي المواهب لانطلاق قرائحهم حرة كريمة تنتج كل ما تستطيع إنتاجه في ظل الرعاية الكريمة... ولا غرابة في ذلك فأن اهتمام ملوك الدولة العلوية بالحركة العلمية شيمة من شيم عصورهم الذهبية الزاهرة لقد كانوا يعفون العلماء من الاداءات المفروضة تكريما لهم وتشجيعا، وكانت المنح تنهال على المؤلفين كالجوائز التي توزع اليوم في مختلف الاقطار الأوربية على العلماء والباحثين والكتاب، وكانت الخزائن تقام في كل مدينة.

وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله من أشهر مؤلفي عصره، فأسس مدرسة حرة لتلقين ضباط الجيش المغربي القراءة والكتابة وأصول الفنون العسكرية فتخرج من هذه المدرسة قواد مهرة ادخلوا إصلاحات كثيرة على الأساليب العسكرية واستفاد المغرب من مواهبهم إفادة كبرى... وكانت الدراسات تسير على مقتضى أساليب المدارس العصرية في ذلك الوقت... كما كان المولى عبد الرحمن مصرا أشد الاصرار على تعميم التعليم الابتدائي في الحواضر والبوادي، واستخدم للوصول إلى هذه الغاية جميع الوسائل التي رآها كفيلة بتحقيق برامجه...

ثم توالوا الملوك العلويون على أريكة العرش وتمموا الحلقة التي بدأها أسلافهم منيرين بذلك لرعاياهم طريق الهداية والرشاد.

ثلاثة وعشرون سنة قضاها جلالة الملك الحسن الثاني متربعا على عرش القلوب حافلة بالعطاءات والبطولات والامجاد، مليئة بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق... فلاغرابة، وهذا الملك العلوي الشهم يحيا بحياة أمته ويسعد بسعادتها... وهو سر الصلة الوثيقة الثابتة المتمكنة بينه وبين شعبه... والعرش المغربي كان دائما مركز القيادة، معبرا عن ضمير الأمة ومعربا عن شعورها ومنفذا لرغباتها وتطلعاتها وأسواقها، عالما بمواقع الخير منها، وفاهما لمعنى المجتمع الحديث الذي تعيشه !

فالذكرى الثالثة والثلاثون لتربع جلالته على العرش العلوي المجيد لتذكرنا في فخر واعتزاز بالكفاح البطولي الذي خاضه ضد القوى المعادية للحرية ووحدة الشعوب، فهو حفظه الله تعالى من ذوي الإيمان الراسخ الذين يدركون إدراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الإنسان ويلعبون دورهم البطولي غير عابئين بما يلحقهم من مكروه وأذى - وان التاريخ الذي يسجل حياة الأمم وأعمال رجالاتها لفخور بما يضمه إليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لمليكنا الذي تعتزبه العروبة وينتظم به الإسلام جلالة الملك الحسن الثاني.

فالشعب المغربي وهو يحتفل بعيد العرش المجيد يكرم عبقرية فذة من تلك العبقريات التي لا تزور العالم إلا نادرا، وهي التي تنشر الوية العدالة الاجتماعية وترفع كلمة العرب والمسلمين وتقوى عضدهم بالمواقف السديدة في كل الفرص والمناسبات، وتدعو بأعلى صوت في المحافل الدولية إلى تحرير إفريقيا من الاستعمار والتمييز العنصري ويساند ماديا وعسكريا حركات التحرير في المستعمرات، ويدعم بآرائه وأفكاره الحكيمة حركة عدم الانحياز، ويسعى بجهود موصولة إلى وحدة العرب والمسلمين حتى تستعد شعوبهم وقيادتهم إلى مواجهة العدو وتحرير فلسطين السليبة.

ويطيب لي أن أورد هنا فقرة من أهم فقرات الرسالة الملكية الكريمة إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري :

معاشر المسلمين

لقد شرفنا الحق سبحانه وتعالى بأمر عظيم، عندما كلفنا بهداية أنفسنا وهداية الإنسانية، ودعانا إلى أن نتمسك بالخلق الكريم والسلوك القويم حتى يصبح كل مسلم إنسانا كاملا في نفسه وأسوة حسنة لعموم البشرية ـ وعندما أراد أن يجعل أمتنا «خير أمه أخرجت للناس» لم يجعل خيريتها مشتقة من سمو في العرق والجنس والسلالة، إذ لا فضل في الإسلام لآدمي على آدمي إلا بالتقوى «وكلكم من آدم وآدم من تراب» كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام، «وإنما جعل خيرية أمتنا قائمة على مقدار ما تبذله من جهود صادقة في إصلاح شؤون البلاد والعباد وتطهير الأرض من الفساد...».

إن الأمة المغربية جمعاء تحتفل بعيد العرش وأنها لمناسبة قومية عظيمة تهتز فيها مشاعر المواطنين فرحا وطربا، ويفتخر فيها الشعب المغربي بأسره مرحا وعجبا لأن هذا العيد الوطني الكبير يجسد وحدة الأمة المغربية كما أن هذه المناسبة القومية العظيمة تذكر سكان هذه البلاد العزيزة بأمجادها السعيدة الغابرة وتقاليدها المجيدة الزاهرة، وان شعبا كالشعب المغربي يومن بأن مجد ملكه من مجد شعبه جدير بتاريخه في الماضي وخليق بتاريخه في المستقبل المشرق الوضاء.

عثمان بن خضراء

● ● نحن نعيش في القرن العشرين، نعيش في تيار الهدم، وهذا التيار لا تتعرض له فقط الملكيات، فالملكيات قليلة اليوم في العالم، بل تتعرض له الجمهوريات أنفسها، كيفما كانت، رئاسية أو تقليدية، بل حتى بعض الديكتاتوريات تتعرض له.

التيار الموجود اليوم هو تيار هدم ما هو موجود وعدم تعويضه بأي شيء موجود.

وهذا التيار الكل معرض له لا لكوننا نحن ملكية، فمنذ أربعة عشر قرنا ونحن يشد بعضنا في البعض، فيجب أن لا يكون عندنا مركب شكل الحكم، فالإنسان يكون لديه مركب مثلا إذا كانت تبدو على مظاهر الحكم ديكتاتورية أو التلاعب بحقوق الناس، أو في مسائل العمق أي فيما إذا كان الشعب معزولا وممثلوه ليس لهم أي شيء أو فقط 30 أو 20 في المائة من الصلاحيات العملية.

نحن ليس لدينا مركب فنحن قد سايرنا تطور الزمن، فمغرب إدريس الأول، والمغرب أيام محمد الخامس رحمه الله ساير الزمن وتطور مع الزمن، الشيء الذي جعله قادرا أن يعيش مع الزمان، وفي بعض الأحيان رغم أنف الزمان ● ●

جلالة الملك الحسن الثاني

دمعة على الأمير

للشاعر الأستاذ محمد الحلوي

> فجع المغرب والأسرة المالكة بفقد الأمير عبد الله صنو جلالة الحسن ورفيقه في النضال ومعركة الوحدة والتحرير، وحق لشعر أن يرفع تعازيه ومواساته لعاهل البلاد تغمد الله برحمته فقيد الوطن وأسكنه فسيح جناته •
>
> محمد الحلوي

علم هـوى ! وانهـد كـالبنيـان ... أجرى وقيـد، أدمعي ولسـاني،

مـا كـان أطوع في الرزايـا عبرتي ... وأعي فيهـا منطقي وبيـاني !

من لي بقس في مكـاني هـادراً ... وبشـاعر يرقى إلى حسـان !

نـاديت فيـه على الأسى فـأجـابني ... ودعـوت بعض تجلـدي فعصـاني.

رُجَّت لـه الـدنيـا وغشى وجههـا ... ليـل من الأنـواء والأشجـان

دوّى النعي بـه فكـان لهـولـه ... كـالرعـد والإعصـار في الآذان

كـذبت نـاعيـه وأنكر مسمعي ... إرجـافـه ووثقت في وجـداني

حتى رأيت الشعب يصرعـه الأسى ... متفجرا في مـوكب الأحـزان

ومصـوراً مـأسـاتـه ووفـاءه ... في لـوحـة عـزت على الفنـان

فسبحت في تيـار حزني هـائمـاً ... وركبت زورقـه بـلا ربـان

مـاذا يـؤمـل من حيـاة عمرنـا ... فيهـا دقـائـق تنقضي وثـواني ؟

مـا يستهـل وليـدهـا في مهـده ... حتى يغيب دامـع الأجفـان

هي ذي مـواكبنـا تغـذ مسيرهـا ... لمصيرهـا المحتـوم كـالقطعـان

تلقى مصـائرهـا كمـا يقضى لهـا ... وتسـاق مكرهـة بـلا استئـذان

وتعود أحجية وذكرى مرة … ومراثيا تلقى بلا أوزان

○ ○

من ذا يصدق أن وردا يانعا … يجتاحه الإعصار في الريعان ؟

هصرته أيدي الموت أنضر ما يرى … حسنا وأروع ما ترى عينان

من دوحة طابت وأينع فرعها … فسما بها من أينع الأغصان

حلو الشمائل أكسته وسامة … روح الإباء وعزة الإيمان

وابن المحمد من أذل صدوده … كبر العتاة ودولة العدوان

من ناهض المحتل وهو مدجج … وبنى فكان المفتدي والباني

ما كان إلا ماجدا من ماجد … ورضيع عز لارضيع لبان

وسليل عرش لم تزل أمجاده … درراً ترصع مفرق الأوطان

شبل الأُسود من اعتلوا صهواتهم … غزى لنشر الضاد والقرآن

وطنية وأصالة وعروبة … موصولة الحلقات من عدنان

○ ○

من ذا يصدق أن بدراً كاملاً … تطويه أيدي الموت في أكفان ؟

لم يفقدوا فيك الأمير وإنما … فقدوا أخا في زحمة الميدان

ورزية الإخوان خطب فادح … في عالم يشكو من الإخوان !

ما كان نفيك يوم نفي محمد … وأخيك إلا فرصة الشجعان.

قد كنت في ثالوثها شهماً وفي … أحداثها من ألمع الفرسان.

أسندت في المنفى أباك ولم تزل … سندا لعاهلنا الهمام الثاني.

ظلا تواكب خطوه ومسيره … ومؤنسا من أصدق الخلان..

شيم كستك وشاحها يد والد … ربّى فأحسن أيما إحسان

لم تكتمل حتى توفت قطفها … من روضها أيدي المنون الجاني

كالبدر ما بلغ التمام وما انتهى … في الحسن إلا آل للنقصان

○ ○

أو نعش عبد الله من حملوا ومن … خاضوا به في مدمع هتان ؟

أم إنها أكبادهم في نعشه … تهدي إليه قلائد الريحان ؟

لا تعجبوا من حب شعب حبه … لملوكه دين من الأديان

أبناء طه والبتول ومن هم … للدين والدنيا أعز ضمان.

وفوارس الإسلام إن عصفت به … هوج الرياح على مدى الأزمان.

وملاذ يعرب في دجى نكساتها … ومنار كل مناضل حيران.

يا ساكن الجدث المقيم بروضة … ضمت عظيما طاهر الجثمان.

نم في جوار أبيك أسعد ما يرى … ابن وأرغد ما يرى جاران

لم يودعوك الترب إلا أنه … مثوى وغاية رحلة الإنسان

حزنان ! حزن في البلاد ومأتم … يمنى به الأحباب في لبنان

يبكون من نبكي على رغم النوى … جرح الفقيد بقلبنا جرحان !

صبرا هشام فكلنا لك والد … بر رحيب القلب والأحضان.

حقق رجاء أبيك متى تعتلي … قمم العلى ومعارج الفرقان

وتقر عينا كنت أنت ضياءها … وتراك أم زينة الأقران

○ ○

واسلم أمير المومنين لأمة … تفديك بالأرواح والأبدان

في السواعد إن تعطل ساعد … والبانيات إذا توقف باني

وهي التي عبأتها فتعبأت … لمسيرة لم ترو في الأزمان

وصفت منها أمة السلم التي … قهرت مسيرتها قوى الخذلان

أنا لا أحث على العزاء فمن قضى … لا يفتدى بالصبر والسلوان

لكن أخلاق الرجال أبية … تتحمل الارزاء في اطمئنان

وعزاؤنا أنا وإن طال الشرى … وبدا العناء سيلتقي الركبان

فعلى الفقيد سحائب من رحمة … موصولة في جنة الرضوان

محمد الحلوي





منذ أكثر من ثلاثة عقود، كان على جماعتنا المنتمية إلى حزب الإصلاح الوطني أن تخترق الحواجز من تطوان إلى الرباط بأي وسيلة من الوسائل المتاحة لنصل إلى هدفنا المنشود. وبمبادرة كريمة من «أبي سليمان» لم يخطر ببال أحد منا أن نحققه بالسرعة الفائقة التي تم بها.

أدلينا فورا بما لدينا من أخبار عن نشاط هيئات الشباب للدفاع عن قضايانا في البلاد العربية وعن المتخرجين في الجامعات والحركة الوطنية ورجالها والدور الذي تضطلع به المؤسسات الثقافية في الجهة التي نقوم بمهمتنا فيها، وتتعلق كلها بالمصالح الكبرى للوطن في المقام الأول.

وبعد أن تلقينا التوجيه الصحيح والنصح السديد من المنبع الصافي، خرجنا مزودين بما سمعنا لنبلغه لغيرنا، ولنعد أنفسنا للقاء جديد من نوع آخر في اليوم التالي.

كان الجلوس في اللقاء الأول بسيطا، هو على مقعد متواضع، وبجواره جهاز واحد للهاتف، ونحن على الزرابي، أذن لنا - رحمة بنا - بالتربع عليها وتغيير الوضع غير المريح على الركبتين، وكان الآخر على مقاعد مائدة مربعة صفت عليها بعض ما يستأنس به أثناء الحديث المركز حول سياسة البلاد في الداخل والخارج مما لم نألفه من متحدث في مثل سنه.

وكان - كأي زعيم وطني - يعتبر التجزئة إلى مناطق من أعظم الجنايات، ويردد : اننا تربينا في مدرسة فيها الحق يؤخذ ولا يعطى، ولا يتفوه بكلمة إلا ونصب عينيه تاريخ بلده وسمعته مع التصميم على فكه من الطوق الذي يقيده. وقد تحقق بفضل كفاحه السلمي مع مرور الزمن بعودة أجزاء شاسعة منه إلى أصلها التاريخي والجغرافي. وما عرفت بلاده في عهد من عهودها السابقة هذه المنشآت وهذا الاقبال العظيم على استشارة عاهلها وعقد المؤتمرات بقيادته والترحيب الذي يحظى به الوافدون من أقطاب السياسة والآداب والعلوم والفنون من مختلف البقاع.

ومع حلول هذه الذكرى، لا يسعنى إلا أن أعرب عن اعتزازي بأن لقاء المائة وخمسين دقيقة الأولى كان مع العظمة في بساطتها وحنوها الأبوي متجسمة في شخص أمير المؤمنين المجاهد محمد بن يوسف بن الحسن عشية الأحد ثامن سيتمبر عام 1946 وأن لقاء التسعين دقيقة في اليوم التالي كان مع من يتربع اليوم على عرش أجداده المناضلين مثله لتحقيق الوحدة الكاملة لهذا الوطن الوفي لمن كافح لتدعيم كيانه وعمل عملا صالحا لأجله.

أحمد مدينة

● النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية :

خزانة الجامع الكبير

بمدينة مكناس

للأستاذ محمد العرائشي

يرجع تاريخ تأسيس خزانة الجامع الكبير بمدينة مكناس إلى عهد ملوك الدولة المرينية، الممتد من سنة (668هـ) إلى سنة (869هـ).

وقد كان موقعها الأول في الجهة الغربية من الجامع الكبير، ثم نقلت منه إلى (مجلس الأسبوع) الواقع في اعلا (ساباط الأسبوع) المحمول على الجدار الشرقي للجامع الكبير، وعلى الجدار المقابل له من المدرسة الفلالية، ويقع بابه في الصف الأول من الجامع الكبير.

ومجلس الأسبوع هذا هو من مؤسسات أبي زكرياء الوطاسي (1) وزير عبد الحق المريني.

أما مركزها الحالي، فيقع بشارع العدول حذو أحد أبواب الجامع الكبير الغربية، المعروف قديما (بباب الكتب) نقلت إليه الخزانة في عهد ما قبل الاستقلال، أوائل الخمسينات.

وهو مبنى خاص، محمول في دكاكين سماط العدول في القديم، والطريق العمومية المؤدية شرقا إلى شارع حمام الجديد، وغربا إلى شارع قبة السوق، كان في أول الأمر طرازا، ولما لم يعد صالحا للاستعمال لأنه أصبح خرابا، هدم وأقيم مكانه المركز الحالي للخزانة.

والظاهر من كلام صاحب (اتحاف أعلام الناس، بجمال اخبار حاضرة مكناس) (2) ان موقعها الأول كان قريبا من موقعها الحالي، لأنه ذكر عند كلامه على أبواب الجامع الكبير الأحد عشر، ان أحد أبوابه يسمى (باب الكتب) ثم قال : وإنما اكتسب هذه الاضافة لقربه من المكتبة العلمية (3).

وقد ورد ذكر هذه الخزانة عند ابن غازي في (الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون) وذلك عند تعرضه لترجمة أحد علماء مكناس : ابن الفتوح محمد بن عمر التلمساني أصلا المكناسي مقرا ووفاة (4) حيث قال : (أصابه الطاعون وهو يقرأ البخاري بالجامع الأعظم من مكناسة عند خزانة الكتب عام 818هـ).

وقد كانت الخزانة في العهد القديم، تزخر بنفائس الكتب، لكن جلها تعرض للنهب والاختلاس وهذا ما يحدثنا عنه صاحب الاتحاف السابق الذكر حيث يقول :

(وفي الجهة الغربية منه (الجامع الكبير) المكتبة العلمية، الجامعة لمحاسن الكتب القديمة، لولا اختلاس جل نفائسها، ومد اليد العادية في ذخائرها الثمينة، وإضاعة باقيها من ولاة الأحباس، بعدم التعاهد والاصلاح أولا.

---

1) هو أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي قتل غدرا سنة : 852 هـ.

2) المؤرخ الشهير المولى عبد الرحمن ابن زيدان المتوفى يوم السبت 21 ذي الحجة 1365 هـ موافق 16 نونبر 1946.

3) ج. 1 من الاتحاف ص. 100.

4) ابن الفتوح هذا هو أول من أدخل مختصر الشيخ خليل إلى مدينة مكناس عام : 805 هـ.

وتعطيل منفعتها بغلق أبوابها عن القراء ثانيا، حتى آل الأمر بسبب ذلك، إلى أن صار الكثير مما بقي من كتبها التي يعز أن توجد في غيرها إلى حد لا ينتفع به لتمزقه وتلاشيه، ووضعه في محل الكناسة والأزبال، وذلك من المفاسد التي لاتباح، ومن العظائم التي أوقعت في الجناح (5).

وهذه وثيقة تاريخية تنشر لأول مرة تلقي الضوء على ماكانت تزخر به هذه المكتبة من نفائس الكتب ونوادر المخطوطات، مؤرخة بـ 26 جمادى الأولى عام 1305 هـ / 1888 م كان بعث بها محتسب مكناس آنذاك الحاج محمد بن العربي أجانا الذي تولى الحسبة عام 1298 هـ وتوفى عام 1306 هـ / 1889 م إلى وزير الشكايات «العدلية» في عهدالسلطان مولاى الحسن الأول العلامة السيد علي المسفيوى (6) ليبلغ فحواها إلى السلطان مولى الحسن الذي كلفه بذلك (7).

ونص المقصود من تلك الوثيقة :

الحمد لله وحده، يعلم الفقيه الوزير سيدي علي المسفيوي أنه وصلني كتابك بما أمر به مولانا اعزه الله من سؤالي عن خزانة كتب العلم بالجامع الأعظم من الحضرة المكناسية آمراً لي أعزه الله ونصره، بالبحث، هل لازالت كتبها مصونة كما كانت ومن القائم بها : وهل لها كناش : وعند من هو : فليكن في علمك حفظك الله، اني بحثت عن ذلك وتتبعته، فتحصل لي على لسان بعض علماء البلد (على سبيل السر) انهم يعرفون الخزانة المذكورة معرفة تامة، وانها مملوءة بالكتب المتنوعة : عدة من كتب التفسير، وعدة من كتب الحديث، وعدة من كتب الفقه، وعدة من كتب النحو، وكذلك كتب الحساب، والتنجيم، والتوقيت، والتعديل، وعلم الموسيقى، والهندسة، وعلم الكيمياء، وعلم التدبير، وعلم الطب، واللغة، وعلم الأدب، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

ومن جملة ما هو بها : السمين، في إعراب القرآن المبين في اسفار 18 وكانت أخذت منه نسخة للقاضي مولاى عبد الهادي على يد القاضي السيد العباس ابن كيران، وكذا حاشية ابن عبد الصادق تلميذ أبي علي ابن رحال على الخرشي والزرقاني في اسفار 8 وكذا ابن الحاج علي الهمزية في اسفار 10 من القالب الكبير، وكذا شرح مولاى عبد القادر علي الهمزية، المسمى : ازهار البساتين القدسية، في شرح ألفاظ الهمزية، في اسفار 8 وعلى التحفة، المسمى : وشي المعاصم، على تحفة ابن عاصم في أجزاء : 4 وعدة نسخ من الخرشي والزرقاني، وبناني، والحطاب والمواق والمعيار للونشريسي والتبصرة لابن فرحون ونوازل البرزلي والصحاح للجوهري في اللغة وحواشي ابن برى عليه والمشارق للقاضي عياض والتنبيهات، وشفاء الغليل له أيضا ونسخ من ابن قبروس والشهاب عليه ونسخ من الموطا وشروحه، كسيدي أحمد الصدراتي، ونسخ من القاموس في اللغة، وابن خاتمة الأنصاري فيها، وكذا العلامة الحريفشي والدوحة، والممتع وكذا تفسير سيدي أبي بكر بن العربي المعافري من البقرة إلى سورة التوبة في أجزاء 16 والارتشاف لأبي حيان، والبحر المحيط له أيضا في أجزاء 12 وفتح القدوس في شرح خطبة القاموس لسيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي بخطه، والقسطلاني على صحيح البخاري، وشرح العارف بالله ابن أبي جمرة عليه، وجه كتب أحد عمال دكالة وقتئذ محمولة على عدة من الإبل، وقال في كتابه الشريف : الكتب الواردة، تزاد في خزانة المسجد الأعظم، وكتب عليها باجمعها بعدلين، وعلى يد من دخلت من النظار إذذاك، وهو السيد الطاهر ابن عثمان وكان المكلف بمباشرتها ومسحها العدلان : السيد العربي بن عمر والسيد المفضل الفلوسي، ولما توفيا ولي بدلهما سيدي إدريس الشبيهي والسيد محمد بن عبد الله الفلوسي.

ولما انتقلا إلى رحمة الله بقيت بيد النظار الحاج الطيب غريط، والحاج محمد بن عمر ولما أخر الأول بقيت بيد الثاني، كما أخبر البعض أيضا أنه يعرف بها نسخا من التنوير في اسقاط التدبير، ونسخا من لطائف المنن للشيخ أبي العباس المرسي، وسيدي أبي الحسن لابن عطاء الله، ونسخا من الأحياء للغزالي، والتجريد في كلمة التوحيد له أيضا، والانسان الكامل للجيلي، ورسائل القشيرى وشروحها،

5) ج. 1 من الاتحاف. ص: 105 ـ 106.

6) ولاه هذه الوزارة السلطان مولاى الحسن الأول عام 1298 هـ / 1881 م وبقي يشغل منصبه الوزارى إلى أن توفي المولى الحسن ليلة الخميس 2 ذي الحجة عام 1311 / 1894 م.

7) توجد نسخة من هذه الوثيقة، بقسم الوثائق بخزانة الجامع الكبير تحمل رقم 620 حبسها أحد حفدة المحتسب على الخزانة عام : 1398 / 1978.

ونسخا من المصباح للفيومي في اللغة، ونسخا من ربيع الأبرار للزمخشري، والسيرة الحلبية في الأحاديث النبوية، ونسخا من دلائل الخيرات وشروحه الكبير والصغير لسيدي المهدي الفاسي وسيدي المعطي السلاوي ونسخا من سيرة الكلاعي واختصاره لسيدي زنيبر، ونسخا عدة من كشف الغمة عن هذه الأمة للشعراني، وكشف الران، عن جواب اسئلة الجان، له أيضا، كما له : العهود المحمدية والطبقات.

وقد كان للخزانة المذكورة، كناش مخصوص، كل ترجمة على حدتها، يتداوله النظار، من جملة حوالة أملاكها إلى أن وصل الكل ليد ابن عمر المذكور، وبقي الأمر بين ولده وبينه يدور ومن جملة ذلك، وجه مولانا المقدس، فنسخ له عدة نسخ من شرح الشيخ ميارة على التحفة، وعلى المرشد مضروبة بمطبعته الشريفة الفاسية، ودخل الكل للخزانة المذكورة.

وجميع الكتب التي تعرضت لها هذه الوثيقة لا يوجد لها أثر بالخزانة، سوى قلة لا تذكر في الحديث والفقه مبتورة، وبالرغم عن ذلك كله، فان قسم المخطوطات، لازال يضم عدة كتب مهمة.

وفيما يلي لائحة ببعضها :

1) المجيد في اعراب القرآن المجيد «لبرهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد السفاقسي القيسي المالكي».

2) تفسير غريب القرآن على حروف المعجم «لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني».

3) ج. 2 من نظم الدرر في تناسب الآي والسور «للبقاعي إبراهيم بن عمر الشافعي».

4) التسهيل لعلوم التنزيل «لابن جزي محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي المالكي».

5) اللباب في مشكلات الكتاب «لأبي عبد الله محمد بن الأندلسي الشهير بالحاج الشطيبي».

6) النكث في شرح البخاري لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة 656 هـ كتب بخط شرقي وبآخره تقييد بخط العلامة محمد الفضيل بن الفاطمي الإدريسي الشبيهي يذكر فيه أنه طالعه ونقل منه مادعت الحاجة لنقله في 11 شوال 1311 هـ.

7) مطالع الأنوار على صحيح الآثار وفتح ما استغلق من كتاب الموطا والبخاري ومسلم «لابن قرقول إبراهيم الحميري».

8) المجتبى في أحاديث المصطفى «للقاسم بن أصبغ القرطبي».

9) شرح الجامع الصحيح للبخاري بأقوال العلماء واختلافهم «لابن بطال علي بن خلف».

10) اتحاف ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق «لابن غازي أبي عبد الله محمد ابن أحمد العثماني المكناسي».

11) شرح على مختصر الشيخ خليل «لأحمد بابا التمبكتي».

12) شرح قواعد القاضي عياض «للقباب أحمد بن قاسم» ضمن مجموع.

13) التنبهات المستنبطة على كتاب المدونة «للقاضي عياض».

14) المسائل المستخرجة «للقاضي محمد بن رشد».

15) الكتاب الجامع للمدونة «لابن يونس محمد بن أبي بكر».

16) بشائر الفتوحات والسعود في أحكام التعزيرات والحدود «لأبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن أبي البركات».

وهناك عدة مخطوطات محبسة على الخزانة من طرف ملوك سعديين وعلويين نجد في طليعتها.

1) أجزاء 6 من فتح الباري حبسها السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي.

2) منتخب الأحكام «لأحمد بن وصول حبسه أحمد الذهبي المذكور.

3) ج. 9 من صحيح البخاري حبسه زيدان بن أحمد المنصور كتب على أول ورقة منه التحبيس مصادق عليه بإمضاء زيدان السعدي.

ونص التحبس مع الامضاء :

الحمد لله حبس مولانا الإمام أبو المعالي زيدان بن مولانا الإمام المنصور بن الأئمة الكرام الشريف الحسني جميع هذا الجزء من البخاري المكتوب على أول ورقة منه على الخزانة التي بقبلة الجامع الأعظم من مدينة مكناسة حاطها الله تعالى لينتفع به بالقراءة والنظر، تحبيسا مؤبدا، بحيث لا رخصة في إخراجه من والزاما..... على مقتضاه وذلك في رجب عام اثنين بعد عشر مائة.

وبعده بخط زيدان : صح... وكتبه بخط يده عبد الله ووليه زيدان بن أحمد المنصور بن محمد الشيخ خار الله سبحانه له.

4) المورد الأحلى لابن حزم حبسه السلطان مولاي رشيد ونقل للخزانة العامة بالرباط وحبس السلطان مولاي علي بن السلطان المقدس مولاي إسماعيل ابن الناظم علي ابن عاصم أواسط جمادى الثانية عام 1130 هـ.

أما السلطان سيدي محمد بن عبد الله فقد حبس عدة كتب من جملتها :

1) شفاء الغليل في حل مقفل خليل «لابن غازي» يقع في جزء واحد، أوضح فيه هفوات وقعت لبهرام ومواضع مشكلة من المختصر حبسه سنة 1175 هـ.

2) ج. 10 من جمهرة اللغة «لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن» نسخة مقروءة على المؤلف.

3) شرح البرهان «للابياري أبي الحسن علي الصنهاجي».

4) ج. 1 من نفائس الأصول في شرح المحصول «للقرافي أحمد بن إدريس».

5) الجواهر الحسان «للثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري الجعفري المالكي يقع في مجلدين، وكتب على أول ورقة منه :

الحمد لله حبس مولانا أمير المومنين سيدي محمد بن أمير المومنين مولانا عبد الله هذا الجزء من تفسير سيدي عبد الرحمن الثعالبي على خزانة الجامع الأعظم من مكناسة، وحازه من له النظر في الحبس وقيد في سابع عشر من جمادي الثانية عام 1175.

6) المقدمات «لابن رشد»

وحبس السلطان مولاي عبد الرحمن نسخة من صحيح البخاري تشتمل على 26 جزءا ونص صيغة التحبيس كما جاء في أول ورقة من الجزء الحادي عشر.

الحمد لله وحده بشهادة شهيديه في غيره بهذا السفر المبارك المكتوب على أول ورقة منه من صحيح الإمام المعظم سيدي محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه حبسه مولانا الإمام الأعظم ظل الله في الأرض مولانا عبد الرحمن مع خمسة وعشرين جزءا على خزانة المسجد الأعظم من محروسة مكناسة الزيتون تقبل الله من سيدنا عمله، وبلغه في الدارين أمله بواسطة ناظر المسجد الفقيه السيد الطاهر بن عثمان وحازه للمسجد، وبضمنه شهد على الناظر المذكور في رابع شعبان المبارك عام سبعة وأربعين ومائتين وألف.

وكانت الخزانة قبل أن تنقل إلى مركزها الحالي خاصة بالمخطوطات لا يستفيد منها إلا الخواص.

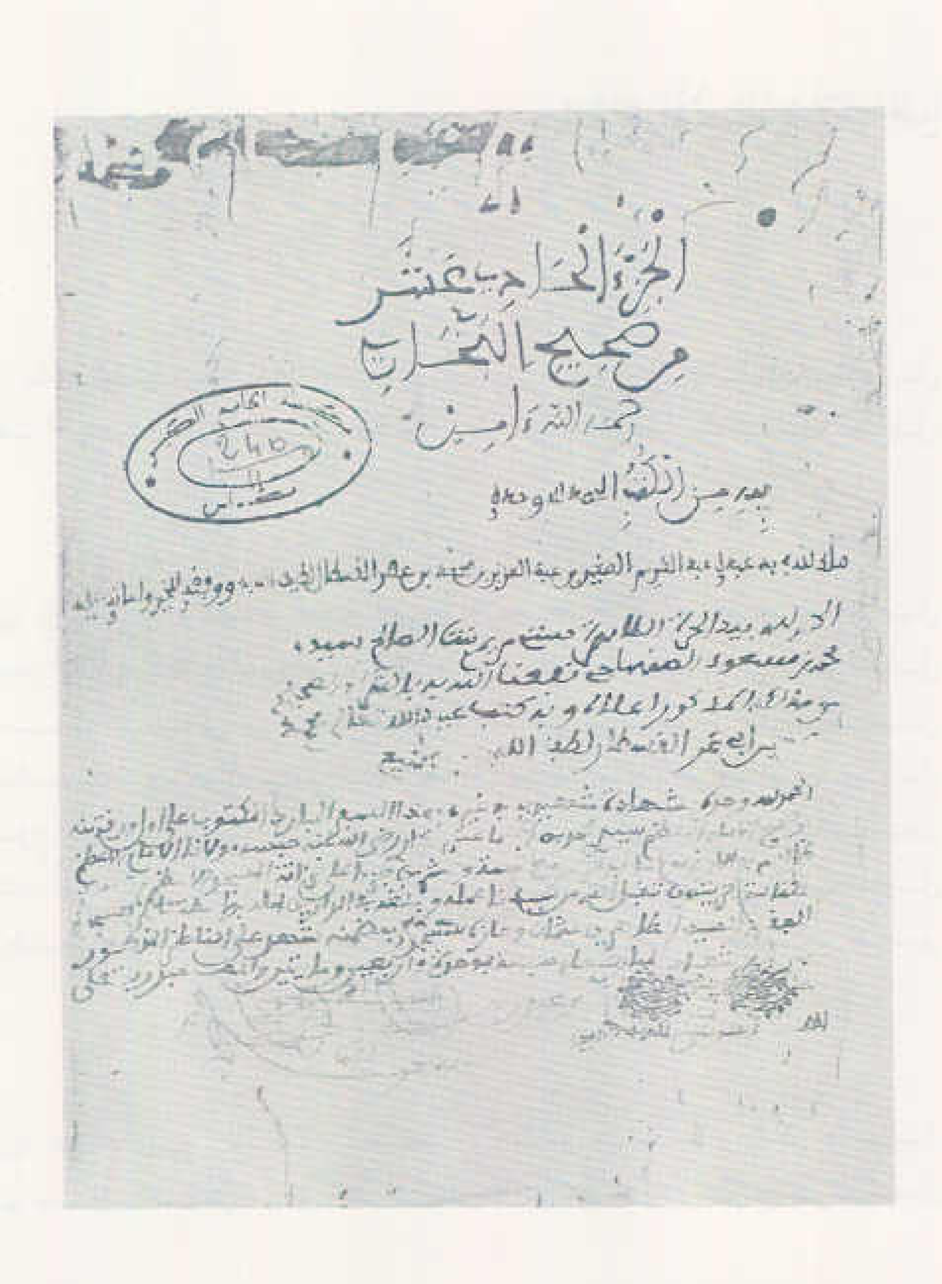
أما بعد نقلها فقد زودت بقسط مهم من المطبوعات، يبلغ عددها الآن : أربعة عشر ألف مجلد، وأصبحت مفتوحة في وجه العموم.

ولازالت وزارة الشؤون الثقافية تمدها بكل ما جد في عالم المطبوعات، بواسطة الخزانة العامة بالرباط، وذلك بفضل العناية السامية، لصاحب الجلالة الحسن الثاني الساهر الأمين على تراثنا الأصيل.

كما يوجد بقسم المطبوعات عدد مهم من ذخائر المطبعة الحجرية التي أصبحت نادرة الوجود، كشرح أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي لخطبة الشيخ خليل بهامشه شرح الزرقاني عبد الباقي على شرح اللقاني ناصر الدين على المختصر. وشرحه لمنظومة القادري في علم المنطق المسماة «الجواهر المنطقية، ونوازل أبي عبد الله محمد العربي بردلة الأندلسي الفاسي ونوازل العلمي أبي الحسن علي بن عيسى، ونوازل المسناوي» أبي عبد الله محمد بن أحمد الدلائي، ووثاق الفشتالي أبي عبد الله محمد بن محمد، وسلك فرائد اليواقيت، في الحساب

والفرائض والمواقيت لابن الصباغ العقيلي، والأجوبة الكبرى والصغرى للشيخ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، والمعيار الجديد للشيخ المهدي الوزاني، والقانون لليوسي : أبي الحسن علي بن مسعود، ودليل الرفاق على شمس الاتفاق للشيخ ماء العينين، وهو كتاب جامع لمذهب الصحابة والأئمة، والدرر البهية لأبي العلاء مولاي إدريس ابن أحمد العلوي، والأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب، لأبي عبد الله محمد ابن الطيب العلمي، ورحلة الدرعي : أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر، ورحلة أبي سالم العياشي ونزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي : لأبي عبد الله محمد اليفرني، ونشر البنود على مراقي السعود للشيخ عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنجيطي بهامشه : الضياء اللامع في شرح جمع الجوامع لابن حلولو. إلى غير ذلك مما هو مدون في السجلات العامة للخزانة.

مكناس **محمد العرائشي**


الجزء الخامس عشر
من صحيح البخاري
رحمه الله آمين



مهرجان الذكرى

للشاعر الأستاذ علال الخياري

أي بشرى تشـدو بحلم جميـل ... بين خضر الربى وظـل النخيـل

رفت الأمنيـات.. واختـال زهـواً ... مـوكب الأطلس الشـذي الظليل

☆ ☆

في روابينـا رائـد العصر يبني ... مجدنا العالي مجد شعب أصيل

حسن المكرمـات... ثـورتـك الكبر ... ى منـار السلام في كـل جيـل

يسـأل النـاس عن مسيرة شعب ... عبقري الهـوى وفي نبيـل

صنتـه... وابتكرت نهـج عـلاه ... نهجـك الحر مستنير السبيـل

يـوم قـالـوا من للعروبـة يبني ... وحـدة الصف للغـد المـأمـول

كنت أنت الفتى الـذي يتحـدى ... كـل شعب.. وكـل خطب جليـل

أرضنـا ملتقى يشـع سنـاه ... نحن للمجـد والفخـار الأبيـل

☆ ☆

يـا حيـاة المنى.. نحبـك.. فـاسلم ... لقلـوب تشـدو بشكر جـزيـل

مهرجـان الـذكرى يضوء بهـاء ... أي بشرى.. وأي حلم جميـل

قصة واقعية :

بطل

دون أن يدري

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

هذه صفحة من تاريخنا الوطني المعاصر، تحكي قصة رجل بسيط أحبط مؤامرة استعمارية خبيثة كانت ستغير مجرى الأحداث في مرحلة بداية الاستقلال الدقيقة.. أحبطها دون أن يدري...

لم ينتبه جليسي، وهو يروي لي هذه القصة، إلى خطورتها.. فقد وردت عرضا، وكاستطراد من استطراداته الشهيرة، في سياق حديثنا في موضوع آخر..

كنا نتحدث عن الفجوة الزمنية بيننا، وبين الأجيال التي جاءت بعدنا وخلفتنا على ملاعب صبانا في مدينتنا الصغيرة على المحيط.

قال لي :

ـ كثيرا ما أجد نفسي في مواقف حرجة حين يأتي أحد الشباب إلي، ويصافحني بحرارة واحترام، ويخاطبني باسمي الأول، ويسألني عن العائلة بأسمائها.

قلت له :

ـ أنت وجه تليفزيوني معروف، وكثيرا ما يحدث ذلك للمشاهير..

قال :

ـ أنا لا أعني ذلك النوع من الناس.. بل أعني الذين يتحدثون إلي بلهجتي المحلية ويسألونني عن أبي وأمي فكيف حال ماما رحيمو وبابا عبد السلام حتى أكاد أرى فيهم صورة من نفسي حين كنت في سنهم خذ على سبيل المثال، الشاب الذي وجدني واقفا انتظر الحافلة. فأوقف سيارته، وسألني عن وجهتي. فلما عرف اني ذاهب إلى

الرباط، فتح الباب، وقال لي إنه، هو الآخر، ذاهب إلى هناك، وأنه سيكون سعيدا لو أكرمته بمرافقته.

«ولما كانت زوجته وطفلاه معه حاولت الاعتذار، ولكنه أصر على ركوبي معهم، كما أصرت زوجته. ولم أملك، إلا أن ركبت شاكرا لطف الأسرة الشابة.. ومددت يدي مصافحا الزوج معتذرا :

ـ اسمح لي.. لم أتذكر إسمك، ولا أين التقينا..

فضحك الشاب، وقال :

ـ كيف لا تذكرني، وأنا ابن حومتك ؟!

«والتفت إليه لأمعن النظر في وجهه، ولكن أسفل وجهه كان مغطى بلحية معزية، فلم استطع تخيله كطفل صغير يلعب في دروبنا.

«وكان لطيفا خفيف الظل فلم يمتحني بما يمتحنني به بعض الثقلاء الذين رأيتهم مرة واحدة في حياتي، فيقول : «حاول أن تتذكر !» أو «كيف نسيتني بهذه السرعة ؟!» ولو كان قال ذلك لفتحت باب السيارة وقفزت إلى الخارج ولو كان يجري بمائة وستين في الساعة !

ولكنه بادرني بقوله :

ـ أنا ولد ميمون الطباخ الذي كان مع الجنرال ليسمو (فرانكو) حين كان ضابطا شابا هنا ثم مع الكولونيل (كاسطيانو)..

وبمجرد ذكر (ميمون والكولونيل كاسطيانو) فتح الله علي وانفتحت لي نافذة النجاة في ظلام المجهول والحرج، فضربت جبهتي بيدي، ومددت إليه اليد الأخرى مصافحا بحرارة الجار لجاره، هذه المرة ـ وقلت :

ـ كيف أنى ! الآن تذكرتك وأنت تركب حصان القصب، وتجري خلف بنات الحومة بالفأرة الميتة !

وضحكت زوجته الشابة من الخلف وقفز الطفلان فوق الكرسي طربا لمشهد ابيهما وهو في سنهما.

وانخرطنا في أحاديث أيام الصبا وذكرياته الجميلة.. وانطوت الطريق أمامنا، فلم نشعر إلا ونحن نخترق قرية (علال التازي).. وهناك لاحظت تغيرا مفاجئا على وجه صاحبي وعلى تصرفاته. فقد كف عن الكلام والضحك، وبانت علامات الجد والقلق على ملامحه..

ولاحظت أن زوجته الشابة، هي الأخرى، كفت عن الحديث، وضمت طفلها الأصغر إليها..

واقتربنا من قنطرة نهر (سبو) على المخرج الجنوبي للقرية، فلاحظت أن صاحبي يمسك بعجلة القيادة بقوة حتى إن أصابعه أبيضت من الضغط. وارتعشت شفتاه من العصبيه، وانتفض عرقه بجانب عينه اليمنى. وأخذت السيارة، رغم أنها لم تكن مسرعة، تزيغ ذات اليمين وذات الشمال داخل سياج القنطرة وكأنها أفلتت من قياده..

ولاحظ أنني اكتشفت انفعاله فقال لي، وهو يخرج بالسيارة من نفق الجسر الحديدي :

ـ لا تقلق ـ هذا يحدث لي كلما اقتربت من هذه القنطرة المشؤومة يخيل إلي أن حادثا سيقع لي. !

فقلت متفهما :

ـ لا ألومك.. فالقنطرة ضيقة جدا عن سيارتين ـ آن الأوان لتوسيعها.

وكان قد استرخى قليلا، بعد أن ترك الجسر الحديدي وراءه، فحرك رأسه غير موافق، وقال مصححا :

ـ ليس بسبب ضيق القنطرة.

وسكت قليلا وأضاف :

ـ بل لسبب سيكولوجي..

ـ فقاطعت :

ـ حقيقة.. هناك ناس كثيرون لا يطيقون الأماكن الضيقة أو المظلمة.. أو المصاعد.. أعرف صديقا أوروبيا.

وقبل أن أبدأ في الحكاية، قاطعني محركا رأسه غير موافق، مرة أخرى :

ـ لا .. ليس ذلك هو السبب.. السبب الحقيقي أن هذه القنطرة الملعونة اقترنت في ذهني بمحنة الوالد ووفاته..

فسألته مندهشا :

ـ وهل توفي الوالد ؟

ـ ألم تعرف ؟ أنه توفى بعد الحادث الإجرامي بقليل..

فقلت مظهرا التأثر :

ـ الله ! لا إله إلا الله ـ رحمه الله ـ رحمه الله.. ولكن أي حادث تعني ؟

وثقلت ملامح وجهه وهو يسترجع تفاصيل الحادث

الذي لابد أنه ترك على خياله الشاب أو المراهق أثرا عميقا جدا، وقال :

ـ حدث ذلك في أواخر سنة 955.. في أوائل أيام الاستقلال.. بعد عودة محمد الخامس بأيام قلائل ـ طرق علينا الباب رجلان من المنطقة الجنوبية بعد العشاء، ففتحت أنا لهما الباب، ودخلت لأخبر والدي. وخرج هو إليهما، فتحدثا معه لحظة فتح لهما بعدها الباب، وأدخلهما إلى الغرفة الكبيرة، وطلب من الوالدة صنع الشاي، وجلس يتحدث إليهما.

واغتنمت فرصة انشغال الوالدة بعمل الشاي، فوقفت أسترق النظر إلى الرجلين من وراء الستار. كانا يلبسان جلبابين صوفيين، ويتكلمان بلهجة جنوبية بأصوات خافتة.. وترامت إلى سمعي كلمات كبيرة لم أكن أفهمها في ذلك الوقت مثل «الفدائيين» «والشهداء» و«الاستعمار» و«الاستقلال»..

وحين هيأت الوالدة الشاي قالت لي أن أنادي الوالد لإدخال الصينية، ففعلت، وخرج الوالد، وعلى وجهه علائم الجد، والحيرة، والتفكير، فأدخل الصينية، وأقفل خلفه باب الغرفة، وكأنه يخشى أن يسمع أحد شيئا مما يقال بداخلها.

ونمت قبل أن يخرج الرجلان.

وفي اليوم التالي، وفي نفس الوقت، حضر الرجلان، ومعهما آخران..

ووقفت أنا خلف الستار انصت لحديثهم بفضول، وانظر إلى وجوههم القاسية، وهم يتحدثون جميعا إلى والدي ويرفعون أيديهم مؤكدين أقوالهم، وكأنما يريدون إقناعه بأمر خطير.. وترامت إلى سمعي شذرات من حديثهم، وكلمات كبيرة أخرى فهمت من بينها «إسبانيا» و«الجيش» و«فرانكو» و«الجهاد». ورأيت زعيم الأربعة يخرج من جيب صدريته قنينة ملفوفة في رقعة قماش، ويفسخ القماش عنها، ويعرضها أمام عيني والدي.

ورأيت أبي يمد يدا مرتعشة للامساك بالقنينة الصغيرة، ثم يعيد لفها في قماشها، ويضعها في جيب صدريته.

وجاءت الوالدة فأمسكت بيدي معنفة لي على سوء أدبي، وفضولي، وأخذتني إلى فراشي.

وفي الصباح خرج والدي مبكرا، كعادته، لإعداد وجبة الإفطار لدار الكولونيل (كابيطانو). ولكنه أخذ معه حلته الجديدة التي لا يلبسها إلا إذا كان الكولونيل سيقيم مأدبة فاخرة لعدد كبير من الضيوف المهمين سيأتون من إسبانيا، أو تطوان، أو سبتة، أو مليلية.. وهم غالبا ما يكونون من رتب أعلى من رتبته.

وتأخر الوالد في تلك الليلة على عادته حين يقيم الكولونيل حفلا كبيرا. وانتظرناه نحن إلى منتصف الليل، والنعاس يثقل اجفاننا ونحن نمني أنفسنا بما سيحمله إلينا من دار الكولونيل من حلاوي إسبانية لذيذة.

وحين سمعنا طرقا على الباب، قفزنا جميعا فرحين لفتحه.. ولكن بمجرد ما فتحته دفعه في وجهي أحد الرجال الأربعة الذين جاؤوا لزيارة الوالد في الليلتين السابقتين. وتبعه آخر أقفل الباب خلفه، وتوجه إلى أمي سائلا بخشونه :

ـ أين زوجك ؟

فتراجعت إلى الوراء خائفة وقالت :

ـ لم يعد من دار الكولونيل بعد..

فنبح الرجل في وجهها بصوت غاضب مكبوت حتى لا يسمع من الخارج، وقال :

ـ بل إنه هنا.. أين يختفي ؟

وأشار برأسه إلى صاحبه ليدخل الغرف لتفتيشها، وبقي هو يحاصر الوالدة وينظر إلينا بعينين يطير منهما شرر أسود.

وخرج صاحبه يحرك رأسه :

ـ ليس هنا..

فاقترب الآخر من الوالدة أكثر، وأمسك برسغها ولواه وراء ظهرها فصرخت من الألم.

ـ أين هو ؟

فأجابت باكية :

ـ لا ندري ! إنه لم يعد بعد..

ـ إنه هنا.. قولي أين يختفي ؟ لقد رأيناه خارجا من دار الكولونيل وتبعناه حتى دخل الزقاق..

وهنا جاء الرجل الثاني فجثا أمامي وأمسك بذراعي، وسألني بلطف :

- إذا قلت لي أين يختبئ أبوك أعطيتك ريالين.. ماذا تقول.؟

فقلت :

- إنه لم يأت بعد - وقد كنا ننتظره ليوزع علينا الحلوى..

فصفعني على وجهي صفعة قوية أوقعتني على الأرض، وصرخت أمي فأمسك الرجل بها من الخلف، وأقفل فمها بيده..

وأمسك الرجل الآخر بأختي الصغرى، وأخرج من جيبه سكينا وضعها على عنقها، ونظر إلى أمي مهددا بذبحها إذا هي لم تبح بمخبإ أبي..

ورأيت الوالدة المسكينة، وقد جحظت عيناها من الرعب، تحاول البحث في ذهنها المرهق عن طريقة لانقاذنا من أيدي القتلة..

واسعفها خيالها فهمهمت :

- إنه صعد إلى السطح ! وألقى الرجل الثاني بالطفلة المرتاعة أرضا، ورفع السلم، وتسلقه بسرعة القرد إلى السطح..وهناك وقف يحلق في الظلام في عشرات السطوح المختلفة الاحجام والارتفاعات والمحيطة بمنزلنا، وقد تراكمت فوقها الامتعة البالية، وارتفعت من داخل بعض المنازل أدواح التين، وعرائش الدوالي..

وفي هذه اللحظة سمعنا طرقا على الباب، فترك الرجل الأول أمي، وذهب لفتحه، وقد أخرج من جيب سترته مسدسا.. وخشينا على الوالد من أن يقع في الفخ.. ولكن الطارق كان واحدا من العصابة، فهمس لصاحبه شيئا، فعاد هذا، وتسلق السلم، ونادى صاحبه فنزل، وخرجا..

ولم يعد الوالد في تلك الليلة، ولا في اليوم الثاني إلى الدار.. وذهبت الوالدة للسؤال عنه في منزل الكولونيل (كاسطيانو).. وكان هو الآخر، قد بعث في طلبه. ولما علم، بعدم عودته إلى داره، أقام الدنيا وأقعدها بحثا عنه في كل مكان. وجاء بنفسه إلى منزلنا، وقابل الوالدة، وألقى عليها عددا من الأسئلة، فعرف أن جماعة جاءت لزيارته في اليومين السابقين لحفلته الكبيرة.. جماعة من الغرباء عن المدينة. وحين سألها :

- هل قال لك شيئا عنهم ؟

قالت : لا - رفض تماما الحديث عنهم.. ولكنه أصيب بقلق شديد بعد زيارتهم، لدرجة أنه لم ينم تلك الليلة إلا لماما، وكان يستيقظ من نومه منزعجا يصيح «لا ! لا». والعرق يتصبب عليه !

وطمأن الكولونيل الوالدة، وأخرج محفظته، ووضع في حجرها مبلغا كبيرا من الأوراق المالية، وأعطانا نحن الصغار ريالين للواحد، وهو مبلغ ضخم بالنسبة لطفل صغير مثلي..

ولم نعرف ما وقع للوالد حتى قيل لنا إنه يوجد بأحد مستشفيات (العرائش). وجاءت سيارة جيش أرسلها الكولونيل إلينا لتحملنا إلى العرائش لنراه. وذهب معنا خالنا.

وحين دخلنا عليه في غرفته بالمستشفى العسكري الإسباني، وجدناه ملفوفا كله في الضمادات لا تبدو منه إلا يمناه، وشفتاه. وكان ذراعه موصولا إلى زجاجة دم معلقة إلى جانب السرير بأنبوب من البلاستيك الشفاف، يسري منها السائل الحيوي إلى عروقه..

وبكت أمي لمنظره.. وبكينا نحن لبكائها.. ووقفت الممرضة الإسبانية، في حلتها البيضاء، تهون عليها وتنصحها بعدم إثارة مشاعره، وتركه يستريح، وقالت لنا إنه فقد، في محنته، كثيرا من الدم، وهو في حاجة إلى عناية خاصة.

ومنعته من الكلام، فكان ينظر إلينا في صمت وحسرة، وقد اغرورقت عيناه بالدموع..

ومر أسبوع كنا نزوره فيه كل يوم مرتين، ونحمل إليه الفواكه، وأمي تسليه بأحاديثها، حتى أذنت له الممرضة في الجلوس، وأزالت عن وجهه الضمادات فبدا مخيفا بما كسا وجهه من كدمات، ورضوض، وجروح مخيطة لم تندمل بعد..

وسأله خالي عما حدث فحكى له عن الرجال الأربعة الذين زاروه في البيت (بأصيلة)، وكيف أنهم أفهموه أنهم جاؤوا من (الدار البيضاء) في مهمة سياسية ووطنية سرية خطيرة. وأن الذين أرسلوه هم فلان وفلان، من كبار الزعماء وقادة الخلايا الفدائية السرية، وأن نجاح المهمة يعتمد عليه، وعلى إيمانه وغيرته الوطنية كل الاعتماد.. وأنهم أخبروه بأن (فرنسا) قررت الانسحاب من (المغرب)

ومنحه الاستقلال.. ولكن (إسبانيا) تدبر لاحتلاله بمجرد انسحاب الجيش الفرنسي، وأن المجاهدين قرروا اعلان الحرب على (اسبانيا) لإرغامها، هي الأخرى، على الخروج من الشمال.. وأن مهمته هو، هي أن يضع لضباط الجيش الإسباني الذين حضروا مأدبة الكولونيل (كاسطيانو)، السم في طعامهم. ووعدوني بمنصب كبير في الحكومة الوطنية.

قال الوالد :

«واقتنعت بالفكرة.. فقد كنت دائما أتحسر على عدم مشاركتي في معركة التحرير، وأنا جندي، وقادر على القتال.. وكان يعزيني أن (إسبانيا) تقف في صفنا، وتؤوي الفدائيين في الشمال، وتغمض العين عن تهريب السلاح إلى الجنوب..».

«ولكن الجماعة أوغرت صدري عليهم حين فسرت لي ذلك بأنها مجرد عملية انتقام من (فرنسا) التي رفضت إعطاء (إسبانيا) نصيبا أكبر من (المغرب)، كما كان الاتفاق بينهما أيام الاحتلال.. وأن اللقاء الذي تم في (العوامرة) بين المقيمين العامين الفرنسي والإسباني، كان لمحاولة إقناع (إسبانيا) باقفال الباب على الفدائيين، وان هذه طلبت في مقابل ذلك تنازل (فرنسا) لها عن جزء أكبر من الشمال يصل إلى (القنيطرة) و(فاس) و(تازة) و(وجدة). ولكن (فرنسا) رفضت، فاستمرت (إسبانيا) في مساعدة المغاربة إلى أن تخرج (فرنسا) لتنقلب عليهم وتحتل بقية التراب المغربي.

«وعقدت العزم على صب زجاجة السم كلها في جميع الأطعمة التي طبختها للمأدبة. ولكنني حين حضرت الساعة الرهيبة لم أستطع.. تذكرت العشرة الطويلة التي جمعتني بالكولونيل (كاسطيانو)، وجميع أفراد عائلته، وخصوصا أطفاله الذين ولدوا وتربوا أمامي كأولادي.. تذكرت شركة الطعام، وعشرة الأيام، فأخزيت نفسي، ورميت بالزجاجة القاتلة بعيدا.. أحسست أن مثل ذلك العمل الجبان غدر للعشرة، وخيانة للطعام وحاشا للمسلم المؤمن أن يفعل ذلك».

«ومرت يومان على المأدبة. وفي ليلة اليوم الثاني، وأنا عائد إلى منزلي بعد صلاة العشاء، نزلت على رأسي ضربة قوية لم أفق منها إلا وأنا بعيد عن (أصيلة).. فتحت عيني فوجدت نفسي مكبلا بحبل في كوخ صغير..

«ودخل علي الزبانية الأربعة..»

وسكت.. وأغمض عينيه، وقطب جبينه كمن يسري في جسده ألم حاد.. ثم فتح عينيه، ونظر إلينا، ثم إلى خالنا ففهم هذا قصده، وطلب منا مغادرة الغرفة، والخروج للعب في حديقة المستشفى..

ولكني، رغم صغر سني، أدركت سبب إخراجنا من الغرفة.. وعلمت فيما بعد أن الرجال الأربعة تناوبوا على تعذيب الوالد، وإهانته، ودعوته بالخائن لوطنه، والبصق في وجهه، ولكمه وركله، وكيه بالحديد الملتهب، وتمزيق لحمه بالسكاكين، ووضع الملح في جروحه، مدة خمسة أيام بدون طعام ولا ماء حتى استسلم وأغمى عليه، ودخل في غيبوبة، فظنوا أنه مات. وأخذوه في سيارة ليلا إلى جسر نهر (سبو) جنوب قرية (علال التازي)، وحاولوا الالقاء به إلى النهر.. ولكن سيارة فاجأتهم فالقوا به على جانب الطريق ولاذوا بالفرار..

وتوقفت السيارة، وأخذوه إلى نقطة الشرطة بالقرية، وأخبروهم بما رأوا، فانطلقت سيارة في أثرهم. وكادت تدركهم في مدخل مدينة (القنيطرة) لولا أن سيارتهم اصطدمت بشاحنة عسكرية فرنسية ضخمة خرجت لها من جانب الطريق دون ضوء وقتل جميع من كان في السيارة الهاربة.

ولم يجد رجال الدرك الذين كان مايزال أغلبهم من الفرنسيين بطاقات تعريف على أي واحد من الأربعة، فأخذوهم إلى مستودع الأموات (بالقنيطرة) في انتظار أن يفتقدهم أحد..

وهكذا طوي ملف هذه القضية وعاقب الله المجرمين الأربعة وأيديهم ماتزال مخضبة بدم ضحيتهم، وصراخ آلامه واستغاثته مايزال يرن في آذانهم.

قال جليـلي :

«وسكت ميمون، ونحن على أبواب (القنيطرة)، ونظرت إلى وجهه وقد ارتسمت عليه آثار الإرهاق، وكأنه كان يحمل عبئا ثقيلا. وهكذا عرفت، بالصدفة، قصة من أغرب ما سمعت..

وسكت جليسي، وأنا ما أزال انتظر أن يخرج من الحدث الذي رواه باستنتاج ما.. ولكنه عاد إلى موضوعنا الأول قبل استطراده الواسع، ليتحدث عن الفجوة بين الأجيال، فاستوقفته سائلا :

«ألم تستنتج شيئا من هذه الواقعة ؟ وأنت الصحافي، والتلفزيوني، والإذاعي ؟».

وكأنما فوجئ بسؤالي فنظر إلي مستفهما، فقلت :

«ألم تدرك أن العملية، أعني محاولة تسميم الضباط الإسبان لها أبعاد سياسية خطيرة ؟».

«كيف» ؟

فقلت : «لنفرض أن ميمون الطباخ سم الضباط. ماذا كان سيكون رد فعل (إسبانيا) ؟».

ولمعت الشعلة في عيني جليسي وبدأ يرى بعين خياله خيوط المؤامرة، فأسرع إلى القول :

«لا بد أنها كانت ستغضب غضبا شديدا.. وكان الرأي العام الإسباني سيطالب بدم القتلة، فكانت ستقلب سياستها في الشمال، وتنضم إلى (فرنسا) وتسحق جميع الفدائيين الذين كانوا يملأون مدن الشمال..».

وتوقف ثم سأل :

«ولكن.. إذا كانت (فرنسا) ببرلمانها، وحكومتها قد صادقت على منح (المغرب) الاستقلال، فلماذا تحاول التراجع بهذه الطريقة الملتوية المشبوهة ؟».

قلت :

«لا أعتقد أن (فرنسا) الرسمية فعلت ذلك..».

«إذن ؟» وأبرقت في ذهني الفكرة : «فمن كانت له مصلحة في ذلك ؟».

وأجاب عن سؤاله : «الجيش الفرنسي إذن ! والوجود الفرنسي !».

فضرب جبهته بيده :

«كيف لم يخطر هذا ببالي ؟!».

قلت : «إذا كان ملف القضية قد طوي في حينه، فلا أعتقد أن أحدا عرف بهذا الحادث.. فنحن إذن، أمام فذلكة مجهولة من تاريخ (المغرب) الذي لم يحدث ! فماذا، ياترى، لو كانت نجحت المؤامرة ؟».

فقال : «لابد أن دما كثيرا كان سيهرق قبل أن نتمكن من إيقافه. وأن تاريخ (المغرب) الحديث كان سيتغير تغيرا كبيرا.. وربما كان سيتأخر استقلاله سنوات أخرى..

وقد حقن ذلك الدم بفضل وفاء ذلك الطباخ البسيط لمبادئه الإنسانية المتأصلة في نفسه.. ومات المسكين، وهو يعتقد أنه خان قضية بلاده..».

وسكت لحظة ثم أضاف :

«وحتى ابنه يتذكر الحادث بمرارة، وكأنه، هو الآخر، يعتقد أن أباه رفض التعاون مع الوطنيين، وتعاون مع المستعمر..».

قلت : «عليك إذن، أن تبحث عنه لتحل عقدته، وتبشره بأن أباه مات بطلا وهو لا يدري !».

أحمد عبد السلام البقالي





قدر الصحراء

للشاعر الدكتور باقر سماكة

(الشاعر العراقي الضيف، الدكتور باقر سماكة، صوت متميز بين شعراء العربية برسالته الواضحة، وأسلوبه الشفاف، وغيرته العربية الصادقة على وحدة كلمة الأمة العربية، وعودة مجد الإسلام.

فاضحت عواطفه بهذه القصيدة الرائعة بمناسبة ذكرى المسيرة الخضراء، مسيرة التحرير والتوحيد، ننشرها بمناسبة عيد هذا العرش الذي أبدع المسيرة وقادها...).

صحراء يومك في الأقدار مرصود ... منورات به أسحارك السود

ولليباب الذي قاسيت غلته ... دهرا يؤججه هم وتنكيد

فيض روي على جنبيه حائمة ... عطشى الحواصل منه تخصب البيد

يحتبر شهدا وتطفي القيظ وارفة ... ندية ظلها الفينان ممدود

سترجعين إلى الحضن الحنون كما ... يعود للأهل غب البعد مفقود

عناق لقياك عيد تستعاد به ... أحلى وأمتع ذكرى دونها العيد

لا شيء إن عدت إلا كل صادحة ... وصادح منهما قد أورمه العود

والدهر أغنية تشدو مجنحة ... يلذ من لحنها المسحور ترديد

وللمواكب أفراح مباهجها ... نشوانة والأماني والأغاريد

- فللمسيرة - أصداء يرددها ... الخافقان لها عود وتجديد

- خضراء - آمال كل الوامقين لها ... وإن عرا أعينا تهواك تسهيد

يندي بها كل صدر ملء خافقه　　حب ويهفو لها أبناؤك الصيد

وفي الحنايا من الأشواق لاعجة　　حرى يصعدها ما انفك تنهيد

يرعاك أكرم من يرعى النبيين أب　　من ذكره عاطر دوما ومحمود

العاهل (الحسن الثاني) الهمام له　　في الشرق والغرب تعظيم وتمجيد

السيد العلوي الفذ من جمعت　　فيه الفضائل منها النبل والجود

يسعى لجمع شتات العرب ديدنه　　ضم الصفوف وتقريب وتوحيد

فكم له موقف صلب يسجله　　تاريخ أمتنا في الكون مشهود

بالأمس، والأمس ما غابت وقائعه　　في (فاس) صوت له يعلو ومجهود

يلقي الكلام كسمط الدر مؤتلفا　　يزينه منه تنظيم وتنضيد

و ـ القدس ـ ترنو إلى علياه شاخصة　　وقد أحاط بها عسف وتهويد

ومن رعاياه أكباد الورى فلها　　من حوله إن ألم الخطب تحشيد

ولا تزال كما كانت مسيرته　　لها من الله تأييد وتسديد



مساهمة الفقيه محمد بن محمد الفلاق في الدعوة إلى إعداد جيش منظم على عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

واجه المغرب في أواخر القرن الثالث عشر صعوبات جمة في مقاومة التدخل الأجنبي وكان يحاول بكل قواه أن يثبت وجوده ويقر كيانه ويحمي نفسه من كيد المعتدين ولقد شعر أن التكافؤ العسكري لم يكن ميسرا خصوصا بعد الحرب الكبرى التي قامت بينه وبين فرنسا في مدينة إيسلي عام 1260 هجرية موافق 1844 ميلادية وفي الحرب التي قامت بينه وبين إسبانيا في تطوان عام 1276 هجرية موافق 1860 ميلادية.

وفي كلا الحربين تبين أن سبب الانهزام الذي أصيب به المغرب لم يكن مرجعه إلى فقد الروح المعنوية في الجانب المغربي وإنما كان مرجعه إلى إنعدام التنظيم وقلة التجهيز وإلى فقد الوسائل الحربية الحديثة لذلك هبت أريحية المغاربة لتحليل أسباب الهزيمة وللدعوة إلى تلافي كل ما يمكن أن يثبط العزائم وساهم الفقهاء والأدباء بدورهم في هذا الباب فألفوا الكتب ونشروها بين الناس ليستوعبوا حقيقة أمرهم وليبينوا ماهم في حاجة إليه سواء في الميدان العسكري أو في الميدان الاقتصادي أو في الميدان السياسي وتكونت بسبب ذلك حركة قوية حاولت أن تقارن بين النظام السائد آنذاك في الجيش المغربي المبني على الهجوم لتشتيت جموع العدو دون القدرة على حماية الأرض حماية كافية وبين النظام الذي كان سائدا في الجيش الأوربي الغازي المعتمد على الزحف المنظم المقتبس من نظام الأتراك ودعت هذه الحركة إلى وجوب الاقتداء بالنظام الثاني لتكون المواجهة إيجابية ولتؤدي نتائجها المرجوة.

وكان هناك تكامل مطلق بين العرش العلوي وبين الفقهاء الذين ألفوا الكتب في هذا الشأن لإبراز أهمية الموضوع وتحليل كل ما يتعلق به ولتفسير البواعث الضرورية التي تلزم كل مواطن بالمساهمة العملية في إنجاح هذه المشاريع الإنقاذية الكفيلة بتحرير البلاد وإبعاد الدخلاء عنها.

وبالفعل فقد شرع المولى عبد الرحمن بن هشام في إدخال عناصر الإصلاح واقتدى به في ذلك من بعده ولده المولى محمد الذي شجع الحركة العلمية والصناعية الذي دعاإلى وجوب التفتح على ما في أوربا من تقنية لنستغلها في كل حاجياتنا وخصوصا فيما يتعلق بوسائل الدفاع.

ومن المعلوم أن كل حركة إصلاحية لاتتم إلا بمساندة فكرية وتوعية شعبية تبين للناس ضرورة مساندتها وتشرح لهم فوائدها وتهيب بهم أن يؤازروها ماديا ومعنويا وتلك هي المساهمة المرجوة من المثقفين سواء كانوا علماء أو أدباء فليس هناك رأي يسود إذا عدم السند من رجال الفكر الذين يربطون بين قيمته في ذاته وبين ما ينتج عنه من نفع للبلاد والعباد.

وحيث أن المغرب أصبح يشعر بالخطر الداهم من قبل أعدائه فأن الدعوة إلى تنظيم الجيش أصبحت دعوة صريحة وضرورية كما أصبح إشعار المغاربة بوجوب الإنفاق على جيشهم من أهم الضرورات التي لم يجد الفقهاء بدا من توضيحها وتبرير صلاحيتها ومن الإفتاء بشرعية إلزامها.

وإذا كان الجانب الأول قد ألحت عليه الضرورة بعد حرب إيسلي فإن الجانب الثاني قد فرضته ظروف البلاد بعد إرهاق المغاربة بنتائج حرب تطوان وما خلفته من مشاكل اقتصادية كبرى حينما التزم المغرب بتقديم عشرين مليونا من الريالات الذهبية لإسبانيا مقابل انسحابها من المدينة المغربية الأسيرة.

ومن الكتب الممثلة للاتجاه الأول كتاب كشف الغمة ببيان أن حرب النظام واجب على هذه الأمة للفقيه محمد بنعبد القادر الكردودي المتوفى سنة 1268 هجرية فقد تحدث فيه مؤلفه عن نظام الحرب وعن وسائل الدفاع وعما يجب أن يتسلح به الجيش المغربي ليكون في المستوى المرغوب فيه وقد ذاع هذا الكتاب بين الناس ونقل منه المؤرخون ما يتلاءم مع أهدافهم الإصلاحية ومن بينهم الناصري في كتابه الاستقصا.

وأما الاتجاه الثاني فقد ألف فيه كتاب مازال مخطوطا إلى الآن وهو موجود بخزانة القرويين لفاس مسجل تحت عدد 1997 عنوانه تاج الملك المبتكر ومواده من خراج وعسكر للفقيه محمد بن محمد الفلاق السفياني المغيطي المتوفى سنة تسع وثلاث مائة وألف.

إن هذا الكتاب ألف في ظروف وطنية دقيقة كانت تدعو إلى تبيان الواقع وإبراز الحقائق وتسجيل الآثارالخطيرة التي نتجت عن الغزو الأجنبي لبلادنا وما خلف هذا الغزو من اضطراب اقتصادي وما نتج عنه من أزمة مالية كان من الواجب أن يبحث الشعب نفسه عن حلولها ليلا يبقىالتسلط الأجنبي مهيمنا بعسكره وقوته فالمقاومة لا تحقق بمجرد الإيمان بها إذ لابد أن يكون مع الإيمان استعداد قوي ولا يتأتى هذا الاستعداد إلا بتنظيم الجيش ولاجيش إلا بمال ولا مال إلا بالشعب الواعي الذي يستجيب لنداء الواجب كلما دعا. ولكن من هم هؤلاء الذين يتحملون مسؤولية التوعية في الأمة إنهم العلماء والفقهاء ورجال الفكر الذين يبينون للجمهور ماله وما عليه والذين يحرصون على تبرير المواقف الوطنية تبريرا شرعيا يدفع إلى الإخلاص والوفاء.

ولقد كان المغرب في هذه الحقبة التي نتحدث عنها يتوفر على عدد من هؤلاء المثقفين الذين يعرفون قيمةالمواجهة للاستعمار ويعرفون ما يستفيده المغرب من المقاومة المسلحة المنظمة المنضوية تحت لواء العرش العلوي المجيد.

وكان من بين هؤلاء المثقفين الواعين الفقيه الفلاق الذي ألف هذا الكتاب فجمع فيه نظريات سديدة في أغلبها وربط بين دفتيه بين الجانب العقلي في التسيير السياسي وبين الجانب الشرعي في هذا التسيير وبذلك كان كتابه هذا كتاب فقه وسياسة في آن واحد. فقد ذكر في مقدمته أنه لاحظ أن الجيش المغربي لم يكن قبل السلطان المولى عبد الرحمن وولده سيدي محمد مبنيا على قانون واضح ونظام دقيق ولكنه في عهدهما قد قويت شوكته واتبع خطة تفيد البلاد في المواجهة والمقاومة.

ودفعته هاته الملاحظة إلى الحديث عن الجيش وتاريخه وضرورة وجوده وطرق الإنفاق عليه وقال إنه لم يقف علىأحد من الأئمة رضي الله عنهم قد استوفى المرام وحصل مطالبه على التمام إلا كلمات صدرت من أنو شروان اعتمدت على العقل والطبع واستغلها بعض الباحثين كابن خلدون استغلالا عمرانيا فاحتاجت إلى من يربطها، بالجانب الشرعي لتكتمل أبعادها وتتحقق غاياتها وذلك ما حاول أن يتكفل به خصوصا بعد مقارنته بين ما كتبه ابن خلدون في هذا الشأن وبين ما كتبه الطرطوشي في كتابه سراج الملوك الذي اعتبره ابن خلدون أقرب إلى كتب الوعظ منه إلى كتب السياسة الرشيدة.

قال المؤلف بعد هاته المقارنة : «وكتابه أراد الأخذ بالمذهبين ناقلا عنهما بعض معاني الكتابين ممزجا الطبيعة بالشريعة راجيا أن يعم نفعه بين الخليقة ويتم حسنه بأكمل السيرة والطريقة وكل من الإمامين رضي الله عنهما أفاد فيما قصده وأشفى للطالب مطلوبه وغليله وجزاهم الله عنا وعن المسلمين خيرا».

ثم ذكر بعد ذلك المنطلق الأصلي الذي ورد عن أنو شروان وهو قوله الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل بإصلاح العمال وإصلاح العمال باستقامة الوزراء وأس الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه.

ومن هذه الكلمات كون موضوع كتابه الذي قسمه إلى عشرة أبواب مرتبة على الترتيب التالي :

الباب الأول في الملك
الباب الثاني في الجند
الباب الثالث في المال
الباب الرابع في الخراج
الباب الخامس في العمارة
الباب السادس في العدل
الباب السابع في إصلاح العمال
الباب الثامن في استقامة الوزراء
الباب التاسع في افتقاد الملك حال رعيته
الباب العاشر في اقتدار الملك على رعيته حتى يملكها ولا تملكه.

وتتميما للفائدة فإننا سنقدم ملخصا لهذه الأبواب ليعرف القراء مضمون الكتاب ومنهج مؤلفه الذي كان يلقي دروسه في المحافل والمساجد سواء في ناحية سوق الأربعاء حيث كانت قبيلته أو في مدينة فاس حينما أصبح قاضيا بها.

الباب الأول في الملك

تحدث المؤلف هنا عن حقيقته وغايته وشروطه وحكمه كما تحدث عن الخلافة والإمامة وأشار إلى ما ذكره ابن خلدون من أن الملك إذا صرفه صاحبه باعتبار طبعه حمل الكافة على مقتضى الغرض الشهواني وإذا صرفه باعتبار السياسة العقلية حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في المصالح الدنيوية أماإذا صرفه على مقتضى النظر الشرعي في المصالح الأخروية والدنيوية فذلك هو المقصود بالخلافة. وشروطها عند المؤلف خمسة هي العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل والنسب القرشي.

وقد عد المؤلف النسب القرشي شرطا من الشروط وخالف في ذلك ابن خلدون الذي كان يرى أن مسألة الخلافة لا تتعلق بالنسب وإنما تتعلق بالعصبية ولعل الخلاف بين المؤلف وابن خلدون في هذا الباب يعتبر خلافا ناتجا عن منظور كل منهما للأحوال السياسة من خلال الأحداث التي تربط كلا منهما بعصره فابن خلدون عاش في حقبة كانت العصبية في غالب الأحيان عند غير القرشيين فلم يعبأ بها في شروطه أما المؤلف محمد بن محمد الفلاق السفياني فقد رأى أن الدولة الحاكمة بالمغرب تستمد قوتها من ارتباط المواطنين بها ومن تقديرهم لقائدها المتفاني في خدمتها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن المتصف بالحزم والجدية والإخلاص.

وناقش المؤلف في هذا الباب نقطة تتعلق بأهل الحل والعقد فابن خلدون نظرا لإيمانه بالعصبية يرى أن أهل الحل والعقد هم أهل الشوكة والعصبية والقدرة والقهر والتغلب في حين يرى المؤلف باعتباره يمثل رأي الفقهاء أن أهل الحل والعقد هم العلماء الذين يملكون القدرة على التمييز بين الصالح وغيره والذين يكون لهم السند المعنوي القادر على امتلاك النفوس واستمالتها إلى الخير والصلاح.

والغالب أن هذا الخلاف مرجعه إلى الدور الذي يمثله العلماء في البلاد فإذا كانوا خاملين غير مشاركين في المشاكل العامة فهم ليسوا من أهل الحل والعقد أما إذا تحملوا الأمانة وساهموا بوجودهم الفعال في إثبات أركان الحق وقاوموا وجاهدوا وبينوا الحق من الباطل فهم ولا شك سيملكون زمام التسيير وسيكونون من أركان الدولة وسيكون لوجودهم معنى ولرأيهم قوة.

والظاهر أن المؤلف كان يهدف من كتابه هذا إلى إقرار سلطة العلماء وإلى ربطها بالمجرى السياسي والعسكري ليعمل الكل على مساندة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي كان يمثل الرأي العام المتشوق إلى الحرية والرفاهية والتخلص من الضغط الأجنبي.

الباب الثاني في الجند

وهو من أهم الأبواب في الكتاب ولا يسع القارىء إلا التأمل والتدبر في معانيه وقد استقرأ هذا الموضوع من مختلف الكتب الفقهية والتاريخية وحاول تحديد معنى الجند سواء من حيث إطلاقه على مجرد العسكر أو من حيث إطلاقه على كل من يعين الإمام على تحقيق وظيفته وتنفيذ أمره وتطبيق مقرراته فيدخل في ذلك صاحب السيف وصاحب القلم وصاحب الرأي وصاحب الحجاب ولقد استمد عناصر موضوعه فيما يتعلق بصاحب السيف من كتاب أستاذه الشيخ محمد بن عبد القادر الكردودي السابق الذكر فأشار إلى طريقة نظامه وترتيب درجاته حيث يجعل على كل ثمانية من الجنود ناظرا ويعقد له عقدة وعلى كل خمسة من النظار عريفا وعلى كل خمسة من العرفاء نقيبا وعلى كل خمسة من النقباء قائدا ويعقد له علما وعلى كل خمسة من القواد أميرا ويعقد له راية إن كثر الجند (ص 21).

ويتدخل المؤلف هنا فيذكر أن هذا الترتيب لو عمل به في الرعية كلها لأغنى عن الجيش واعتمد في ذلك على قول الإمام العلامة قاضي الحضرة الفاسية أبي الحسن التسولي حين عجز الإنفاق على الأجناد.

وما هذا التدخل على ما يبدو إلا إشعار بوجوب النظام والترتيب والإعداد للمقاومة والجهاد فليس من المعقول أن تبقى المقاومة دون رقيب وهذا من الأهداف الرئيسية التي كان يتوخاها المؤلف من كتابه هذا ليلا يبقى الجيش مهيض الجناح فاقدا للرأس المفكر وللقائد المدبر.

وتحدث بعد ذلك عن شروطه وموانعه وفرائضه وسننه ومنهياته ويهدف من وراء ذلك إلى تقوية معنوية الجيش ودفعه إلى الالتزام بمحاسن الصفات والابتعاد عن كل المساوىء فإن الجندي عنوان المجد وحامي الدولة وحارس البلاد فلا يصلح إلا إذا كان يتحلى بجميع صفات الفروسية فلا يكذب ولا يختلس ولا يغل ولا يتقاعس ولا يفر من المعركة ولا يختال ولا يخون ولا يفسق ولا يزني وقد اختار المؤلف آيتين من القرآن الكريم تجمع الصفات الضرورية للجندي وتبين ما يجب أن يتحلى به المومن إذا أراد النصر والظفر قال تعالى في سورة الأنفال : «**ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين**».

ففي هاتين الآيتين خمس خصال ما اجتمعت في جيش إلا كان النصر حليفه أولها الثبات في المواجهة وعدم الاستسلام للخذلان وثانيهما استمرارية الذكر لله لأن من يذكر الله في حالة الحرب يستحضر هيبته ويتجنب سخطه ويحرص على أن تكون مواجهته خالصة لله وثالثها طاعة الله وطاعة الرسول ليكون الجهاد مبنيا على أساس شرعي سليم فلا يكون بغيا ولا تمردا ولا حرابا ولا غضبا ولا عدوانا، والصفة الرابعة التآزر والتضامن وعدم التنازع فإن أي تنازع في الجيش يؤدي إلى الفوضى والفشل.

أما الصفة الخامسة فهي الصبر، قال المؤلف وهو ملك النصر ثم نقل نصوصا تتعلق بالموضوع منها قول ابن النحاس : «...ما اجتمعت هذه الخمسة في فئة قط إلا ونصرت وإن قلت وكثر عدوها»ومنها ما نقله من كتاب شيخه الكردودي عن كتاب فلك السعادة وهو قوله : «إن هذه الصفات لما اجتمعت في الصحابة رضي الله عنهم لم تقر لهم أمة من الأمم ففتحوا البلاد شرقا وغربا ودانت لهم العباد سلما وحربا ولما تفرقت فيمن بعدهم آل الأمر قليلا إلى ما ترى فلا حول ولا قوة إلا بالله».

ثم تحدث بعد ذلك عن شعار الجيش ولباسه وألوانه واستعماله للطبول والبنود وتطرق إلى حكم الله في الموسيقى التي تستعمل في الجيش فرأى أنها جائزة سواء كانت تستعمل لإرهاب العدو كما ذكر أرسطو أو كانت لدفع النفس إلى المقاومة وحثها على الإقدام كما ذكر ابن خلدون واستند في حكمه هذا إلى ما قال ابن عباد من أن الأمور المحدثة إذا قصد بها تعظيم الله وإجلال ما عظمه الله فهي جائزة (ص 32).

ومن هذا المنطلق أفتى بجواز الاحتفال بالأولاد حين ختم القرآن أو حين دخول المسجد وجواز الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم وحجته في ذلك أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قفوله من

بعض غزواته فقالت له إني كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب على رأسك بالدف فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفي بنذرك أو كلاما هذا معناه قال والحديث الآن لا نذكر من اخرجه من الأئمة وهو عندهم ثابت مشهور ثم قال ولا شك أن الضرب بالدف من أنواع اللهو والنبي صلى الله عليه وسلم أمرها بالوفاء بنذرها لما كان سبب ذلك فرحها بسلامته، وحرص المؤلف هنا على ذكر بعض القواعد الأصولية الهادفة إلى تحقيق مناط الأحكام وربطها بالمقاصد فذكر أن كثيرا من الأشياء ليست مذمومة لذاتها وإنما هي مذمومة لما يترتب عنها من شر وضرر فإذا خلصت من الشرور وصارت هادفة للخير فإنها تصير مشروعة مقبولة ويتجلى ذلك في كثير من الأشياء كالغضب إذا كان لله وكان من أجل الحق كان حسنا فإن كان للنفس والهوى كان مذموما وكذلك الشهوات لا يمكن أن يشرع إبطالها بالكلية فهي محرمة إذا كانت ناتجة عن هوى أما إذا كانت خاضعة لأوامر الله ونواهيه فإنها تكون امتحانا للعباد وكذلك أمر العصبية فهي إذا كانت جاهلية حرمت أما إذا كانت لإقرار أوامر الله فهي أمر مطلوب واجب.

الباب الثالث في المال

تحدث فيه عن كيفية قسمه على الجند وغيره كما تحدث فيه عن طريقة الوصول إليه وكيفية فرضه على الرعية.

وفي هذا الباب عرف المال بقوله : «هو المجتمع من الرعية وغيرها على قانون الشرع أو من الرعية فقط على قانون متعارف عند الاحتياج إليه وفقد الأول وهو المسمى بيت المال (ص 35) فيدخل بالأول الزكاة وخمس الغنيمة وهو المال الذي أخذ بقتال أوحكمه كفرار الكفار بعد نزول الجيش ببلادهم، وخمس الركاز والفيء وهو ما أخذ من الكفار بغير قتال كهدية الطاغية وفرار العدو قبل دخول المسلمين أرضه. ومال الصلح والجزية وخراج الأرضين ومال من لاوارث له من المسلمين والمقتول ردة.

ويراد بالثاني المكس ولعل من أهداف المؤلف في هذا الكتاب إبراز حكم الله فيه نظرا لكون القسم الأول معروفا متداولا فذكر أنه يجب بطريقين : طريق عقلي وطريق نقلي.

أما الطريق العقلي فواضح لأن المال ضروري لبناء الدولة ولا يتم انتصار جيش بدونه فإذا لم يتيسر هذا المال في الخزينة فعلى الإمام أن يبحث عنه من وجوه تقر المصلحة العامة فيؤخذ بحق وينفق في حق وأحال على ما في مقدمة ابن خلدون وعلى ما في كتاب سراج الملوك من وجوب ذلك بالبديهة.

أما الطريق النقلي الذي يعتمد على أصول شرعية فثلاثة أنواع :

النوع الأول هو نص في المراد واعتمد فيه على ما جاء في كتاب المستصفى للغزالي من وجوب فرض خراج على المسلمين إذا احتاج الجيش إلى مال ولم يكن في بيت مال المسلمين ما يكفيه بناء على أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة وأنه إذا تعارض شران أخذ بأخفهما ضررا. ومن المعلوم أن الضرر الذي يحدث بأخذ جزء من مال شخص أقل من الضرر الذي يحدث للمسلمين بانهزامهم إذا ما فقد الجيش العدة والعتاد، ويستنبط هذا الحكم من قول الله تعالى (ص 38) : قالوا ياذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا، قال ما مكنني فيه ربي خير، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما. (سورة الكهف 94 - 95).

ثم نقل بعد ذلك حكما عن الشاطبي وحكما عن اليوسي في أجوبته لأمير المومنين المولى إسماعيل فقد قال فيها : «نص علماؤنا أنه إن لم يكن بيت مال يكن على جماعة المسلمين أن تجمع ما لا يرتب به الجند وحملة العلم».

النوع الثاني يتعلق بالقياس الجلي.

ويتضح من النصوص الفقهية التي استدل بها أن هذا النوع يقاس على أجرة العون الذي يشعر الخصم أثناء الدعوى فإنها تؤخذ من بيت المال فإذا تعذر ذلك فرضت على المدعي الذي يؤتى الخصم إليه فكما أن هذا الأمر لم يكن واجبا عليه لأنه داخل في ترتيب القيام بواجب الإمام فلما عجزت الخزينة كلف بها المدعي فكذلك هذه الجزئية

المتعلقة بالدفاع عن حوزة الأمة فالأصل فيها أن تكون من بيت المال فإذا عجز وجب فرضها على المسلمين عامة لأن الضرورة إذا كانت قد دفعت إلى فرض الإنفاق على الشخص في إحضار خصمه فكيف لا تكون واجبة في حماية الكيان العام وفي إعداد الجيش الذي لا يستقر الأمن بدونه ولا تتم حصانة الدين والدنيا إلا بحمايته وجهاده.

النوع الثالث فحوى الخطاب.

ويكاد يكون هذا النوع قياسا أيضا حيث ربط المؤلف هذه الجزئية بمسألة من يأخذ أجرا على حماية الطرق بالسلاح وهو ما يعرف عندنا في المغرب بالزطاطة حسب ما هو منظوم في العمل الفاسي وبمسألة ما يأخذه الجندي على بدرقة الحاج أي خفارتهم وحراستهم ليدفع عنهم كل غائلة فإذا كان ذلك جائزا فيما يتعلق بصون المال فكيف لا يكون جائزا في صون الدماء والدين وسد الثغور وحفظ مصالح الدولة العامة.

ومن هنا توصل إلى الحكم الشرعي الذي يجعل للإمام الحق في أن يلزم الناس بدفع الأموال لتمويل الجيش وتزويده بكل ما يحتاج إليه بل إنه أباح للإمام أن يلزم من تقاعس عن الدفع بشرط العدالة وعدم الإجحاف.

الباب الرابع في الخراج

وفيه تحدث عن وجوه المعاش وعما يصلح منها لاستدرار الخراج الشرعي ولا يتم ذلك إلا بجهد وعمل ولهذا كانت الضرورة تدفع أولي الأمر إلى استعمال المكوس وأخذ الجبايات على قانون متعارف لما في ذلك من المصالح.

وقد أشار في هذا الباب إلى وجوه المعاش حسب ما ذكرها ابن خلدون سواء كانت جباية ومغرما أو كانت اصطيادا أو فلحا أو صناعة أو تجارة كما أشار إلى تقسيم أخر من وجوه المعاش ذكره ابن جزي في كتابه القوانين الفقهية حيث جعل الكسب نوعين.

النوع الأول كسب بغير عوض وهو أربعة أشياء : الميراث والغنيمة والعطايا وأخذ ما لم يملكه أحد كالحطب والصيد وإحياء الموات.

النوع الثاني كسب بعوض وهو أربعة أشياء أيضا عوض عن مال كالبيع وعوض عن عمل كالإجارة وعوض عن فرج كالصداق وعوض عن جناية كالدية.

ثم قال : (ص 44) : «وهذه الأمور كلها تصلح أن تكون في الشرع رزقا للجند سوى الوجه الأول من كلام ابن خلدون والأخير من كلام القوانين لكن قد تتعذر هذه الأوجه في ابتداء الملك لأنها أعمال وهي لابد لها من استعمال وهو لازم له الإهمال. والإهمال يؤدي إلى الاضمحلال والعدم في هذا المعنى فلم يكن حينئذ بد من الوجه المذكور من أخذ المال على قانون متعارف وهو المسمى بالمكس ويباح لأجل المصلحة ويخرج عن معنى المكس ولم يبق له إلا اللقب لأن مصالح المسلمين ليست من المكس في شيء».

وأشار بعد ذلك إلى ما يعتري الدولة من الخراب إذا قلت الصنائع أو كثر الرفه والإسراف والجشع والتبذير حسب ما هو معروف في المقدمات التي نبه عليها ابن خلدون ولذلك اضطر إلى الحديث عن العمارة بعد ذلك وهي موضوع الباب الخامس.

الباب الخامس في العمارة

ويقصد به العمران وهو من خصائص الإنسان حيث ميزه الله بكل المؤهلات التي يسعى بها إلى إقرار حضارته وضمان عيشه سواء من حيث استعداده للصناعات أو من حيث اهتمامه بنظام حياته وتنسيق سياسته وإقرار وجوده على أساس من التعاون المشترك والتعايش المطلق والالتزام بالقوانين السياسية والإدارية لحماية مصالحه في الإطار الداخلي وفي المجال الدولي.

ومن البديهي أنه لا يتم عمران إلا بدولة قائمة ولا يتصور وجود دولة إلا بعمران بحيث يوجد التكامل بينهما إلى أبعد الحدود فإذا وقع الخلل في أحدهما أثر على الآخر.

ومن أسباب اندثار العمران سيطرة الرفاهية على الإنسان وهيمنة الترف عليه ومن المعلوم أن الفرد حينما يستلذ النعمة تستبد به الشهوات وتستولي عليه الغرائز ويصبح الرزق الذي يملكه قليلا في عينيه فيبحث عن

المال من أي طريقة كانت ولو أدى به الأمر إلى ارتكاب المحرمات وحينئذ تنعدم المروءة ويموت الضمير وتتضخم الأنانية ويسود الظلم، وويل للإنسانية من الظلم إذا ساد فيه خراب الأمة وضياع البلاد والعباد ونقل في هذا الموضوع فقرة من مقدمة ابن خلدون تتحدث عن الظلم وأثره في خراب العمران فقد قال ابن خلدون : «لا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه بغير عوض كما هو المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طلبه بغير حق أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه. فجباة الأموال بغير حقها ظلمة والمتعدون عليها ظلمة والمنتهبون لها ظلمة والمانعون من حقوق الناس ظلمة وغصب الأملاك على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله وأعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم».

وعليه ففي تقوله هذه ما يبين روحه الإصلاحية التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب وإلى إظهار ما يجب إظهاره من قواعد الدين وقوانين الأخلاق وأصول التدبير السياسي والعسكري مع بيان طبيعة العمران الذي لا يكون له كيان إلا بالعدل والإنصاف.

الباب السادس في العدل

وهذا الباب هو في الواقع نتيجة لما قبله لأنه إذا تحقق العدل انعدم الظلم وعمت الطمأنينة وحرص الناس على البناء وتسارعوا إلى كل أسباب الازدهار واجتهدوا في تحقيق كل صنوف التنمية واقتبس في كتابه كثيرا من أقوال الحكماء فيما يتعلق بالمنافع التي تعود على الدولة إذا ما انتشر العدل بين الناس فإن الظلم يقلل الرزق ويؤذن بالخراب ويذيع الرعب وينزع الطمأنينة من النفوس ويبعث على القلق والهلع والفزع ولهذا كان الالتزام بالصدق والنزاهة وعدم إذاية الآخرين من أجل مايتصف به الحاكمون ومن سار في ركابهم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وفي الوقت ذاته هو خراب للعمران كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في الباب السابق.

الباب السابع في إصلاح العمال

وهنا ذكر أن الإصلاح موكول إلى العلماء الذين هم أهل المعرفة وأرباب الحل والعقد فإذا فسد العلماء ضل غيرهم ولا يقع الفساد إلا من إيثارهم للدنيا على الدين ومن المعلوم أنهم إذا فسدوا انتقل فسادهم إلى الأمراء فإذا فسد الأمراء فسد الناس ولذلك كانت المسؤولية الكبرى في الإصلاح متصلة بهم لأنهم الموجهون العالمون بالحلال والحرام.

ثم تعرض بعد ذلك إلى وجوب الاهتمام بنوعية ما للولاة فعلى الأمراء أن يختاروا من هؤلاء من يكون وفيا صادقا حازما غير منساق للجور أو منقاد للعدوان، فالولاة هم العنوان الذي تتميز به الدولة فإذا جاروا انقلب جورهم عليها وإذا عدلوا كانت عدالتهم أساسا لاستقرارهم وثباتها.

ونقل من كتاب الطرطوشي ما يتعلق ببيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال وهو قوله : «اعلم أرشدك الله أنه يجب أن يولى على الأعمال أهل الحزم والكفاية والصدق والأمانة وتكون التولية للغناء لا للهوى، وملاك الولايات وأساسها إلا يولى الأعمال طالب لها ولا راغب فيها» كما نقل ما روي عن بزر جمهر وقد قيل له ما بال ملك آل ساسان صار أمره إلى ما صار إليه قال لأنهم قلدوا كبار الأعمال صغار الرجال وعقب على ذلك بقوله والمراد بصغار الرجال الذين لم توجد فيهم الأوصاف المطلوبة.

وبعد تحليله لبعض الجزئيات نقل عن الطرطوشي أيضا ما يأتي : «اعلموا أن معظم ما يدخل على الدولة من الفساد بتقليد الأعمال أهل الحرص عليها لأنه لا يخطبها إلا لص في ثوب ناسك وذئب في مسلاخ عابد وحريص على جمع الدنيا نابذ لدينه ومروءته يبتغي عرض الحياة الدنيا يتخذ عباد الله خولا وأموالهم دولا وإذا اهتضمت حقوق المسلمين وأكلت أموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم فانتقضت الأمور ودب الفساد إلى الممالك قال المامون ما فتق علي فتق إلا وجدت سببه جور العمال».

وهكذا نلاحظ أن المؤلف في هذا الباب كان حريصا على تحديد المسؤولية وتوزيعها توزيعا دقيقا يتدرج به من مسؤولية العلماء إلى مسؤولية الأمراء إلى مسؤولية

الموظفين فحمل الأمر الأكبر لذوي العلم والمعرفة بشؤون الدين ثم إلى الأمراء الذين يجب عليهم أن ينقادوا لأقوال العلماء وأن يقتدوا بسلوكهم ثم إلى العمال وحينئذ تزدهر البلاد وتقل الفوضى ويعيش الناس آمنين بعداء عن كل ما يدعو إلى التمرد والعدوان.

الباب الثامن في استقامة الوزراء

وقصد بالاستقامة اتباع الطريقة المحمدية التي تحث على العدل والإنصاف والنزاهة والصدق وعدم إهمال الواجبات ولهذا نقل عن ابن حجر القولة التالية إن الاستقامة درجة عظيمة بها كمال الأمور ومن لم يستقم ضاع سعيه.

أما المراد بالوزراء فقد حاول أن يربط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ونقل ما يتعلق بذلك من مقدمة ابن خلدون ومن كتاب سراج الملوك للطرطوشي والغالب أنه لم يكن يهدف من هذا الباب إلى تحديد كل عمل يقوم به الوزير سواء كان إداريا أو عسكريا وإنما كان الهدف منه إبراز الشروط التي يجب توفرها في كل من يعين الملك سواء كان يسمى وزيرا أو صاحب رأي أوصاحب سيف.

ومن المعلوم أن الشروط التي تحدث عنها نوعان شروط صحة وشروط كمال فأما شروط الصحة فقد جعلها كالشروط المعتد بها في الإمامة وأما شروط الكمال فقد ذكرها حينما تحدث عن هؤلاء الموظفين فقال عنهم (ص 58) ينبغي أن يكونوا على ما وصف به ابن صرحان عمر رضي الله عنه من أنه كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من الكفر قبولا للعذر مصون الباب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي ولا جاف للقريب ثم يزاد لصاحب السيف المعرفة بعواقب الأمور من التجربة والمقاساة للشدائد. قالوا مرآة العواقب بيد التجارب وقالوا النظر في العواقب نجاة وقال أبو العلاء المعري :

ومن خبر الليالي علمته خداع الإلف والفيل المحالا

وقد ورد هذا البيت محرفا في الكتاب فصححناه ليتلاءم مع ميزان الوافر.

الباب التاسع في افتقاد الملك رعيته

وقد بين في هذا الباب ما يجب القيام به إزاء كل الموظفين من مراقبة سلوكهم وتتبع أعمالهم ليلا يستأنسوا بالظلم أو ينساقوا إليه وهم آمنون من المتابعة والمراقبة ونقل في هذا الموضوع فقرة من رسالة عبد الحميد الكاتب كما نقل أقوالا من كتاب سراج الملوك وركز الحديث على جزئية من الرسالة التي وجهها الشيخ الحسن اليوسي إلى المولى إسماعيل لما تتضمنه من أصول سياسية واجبة تتعلق بالمال والجهاد والقضاء فقال عن المال إنه يجب أن يجمع بحق وأن يفرق بحق وقال عن الجهاد إنه ضروري لإعلاء كلمة الله ولتعمير الشعوب ونشر الأمن بها وذكر عن القضاء أنه يجب أن يبني على العدل وعلى انتصاف المظلوم من الظالم.

وقد أشار المؤلف إلى ما ذكره اليوسي ليكون ذلك تنبيها مباشرا إلى أحوال الرعية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وليجعل من تلك الرسالة تذكيرا عمليا يبعث على الحذر وتقصي الأحوال حتى لا يبقى لأي ظالم أو جائر وجود في عهد هذا السلطان العادل.

الباب العاشر في اقتدار الملك على رعيته حتى يملكها ولا تملكه

وقد بناه على ثلاثة فصول

الفصل الأول في معنى الاقتدار وقد ربطه بالعصبية التي لا يستقر حكم إلا على أساسها واستدل على ذلك بآراء ابن خلدون في الموضوع ولم يناقشه هنا فيما يتعلق بشروط الخلافة لأننا قد ذكرنا من قبل أنه لا تناقض بين المؤلف وبين ابن خلدون لأن كلا منهما نظر من زاويته الخاصة وفقا لمقتضيات الأحوال السياسية والاجتماعية التي يعايشها.

وأما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن المقدور عليهم وهم الكفار والبغاة وعن المقدور به من أنواع التأديبات سواء كانت حدودا أو تعزيرات أو حروبا وقد حرص على تحديد أحكامها الشرعية والبحث عن أيسر الطرق لجمعها في حيز يسهل حفظها واستظهارها واعتمد في ذلك على

كثير من أقوال الفقهاء كابن جزي وابن شاس وابن الحاجب وغيرهم.

وقد نقل عن صاحب القوانين الفقهية أنواع الجنايات الموجبة للعقوبة وهي القتل والجرح والزنى والقذف وشرب الخمر والسرقة والبغي والحرابة والردة والزندقة وسب الله وسب الأنبياء والملائكة وعمل السحر وترك الصلاة والصيام.

وذكر أن تعداد هذه الأنواع اعتباري فقط لأنه قد يتداخل بعضها مع البعض الآخر ولذلك ارتأى أن يختار في تفصيل الحديث عنها ما سار عليه صاحب اللباب من أن أسبابها ستة وهي الأديان والنفوس والأموال والأنساب والأعراض والعقول.

أما الأديان فيدخل فيها الردة وهي الكفر بعد الإيمان نصا أو ضمنا والزندقة والسحر وسب الله والملائكة والأنبياء. وعقوبة من ارتكب ذلك القتل على تفصيل وشروط مذكورة في المطولات.

وأما النفوس فنوعان عمدا وخطأ ويدخل فيهما الجرح فأما الجناية على النفس عمدا فعقوبتها القتل إذا حصلت وفق شروط معينة وانتفت الموانع وقد بين ذلك في كتابه وأما الجناية خطأ فعقوبتها الدية والكفارة.

وأما الأموال فيدخل فيها المحارب وهو من يقصد أخذ الأموال على وجه يتعذر معه الاستغاثة عادة كإشهار السلاح والخنق والسكران وقتل الغيلة ويدخل السارق وهو من يأخذ المال من حرز لا ملك له فيه على وجه الحقيقة.

وقد أشار إلى عقوبة كل من المحارب والسارق وفق ما جاء في كتاب الله وحدد ذلك تحديدا فقهيا شاملا لمختلف الصور والحيثيات.

وأما الأنساب فهي شاملة للزني واللواط وذكر ما يترتب على ذلك من المفاسد وبين العقوبات الشرعية اللازمة في ذلك.

وأما العقول فعقوبة الجاني عليها ثمانون جلدة للحر بسوط معتدل إن حصلت الشروط الموجبة لذلك.

وأما الأعراض فنوعان.

النوع الأول ما عقوبته الحد وهو القذف.

النوع الثاني ماعقوبته باجتهاد الحاكم وهو أدب واستصلاح وزجر على ذنوب لم يشرع فيه حدود ولا كفارات لمعصية الله أو لحق آدمي.

وبعد ذلك انتقل إلى الفصل الثالث وفيه تحدث عن الترابط المتين الذي يحصل بين الملك والرعية حينما تشعر بحرصه على منفعتها وبسهره على حفظ مصالحها وحماية حقوقها.

وبهذا الفصل انتهى الكتاب الذي كان نموذجا حيا للخطة السياسية التي تقوم على أساسها الدولة وسجلا حافلا بالقوانين العامة المبنية على أصول من الشريعة لحماية الجيش ولضرورة تمويله وإعداد أجهزته من مختلف وجوه المعاش التي يساهم فيها كل فرد من أفراد المجتمع على قدر طاقته وكفايته.

ولاريب أن الذي سيطلع عليه سيعلم أنه أمام إنتاج فقهي يعبر تعبيرا حيا عن إحساس المغاربة بالمسؤولية وعن مساهمتهم الكبرى في البحث عن الحلول الإيجابية كلما دهمهم أمر شديد أوحل بهم بأس من قبل أعدائهم.

وقانا الله شر الأعداء وهدانا إلى سبيل الرشاد إنه سميع مجيب.

فاس   محمد بن عبد العزيز الدباغ



هيهات لو جادت الدنيا به شبها

للشاعر شهاب جنبكلي

تبسم الكون، وازدانت به لمم   واستقبل الطير صداحا له نغم

وعاودت كائنات الأرض هاتفة :   يحيا المليك؛ ومنه الفضل والنعم

دانت له من عظيم الشأن منزلة   تقرها صفوة الأخلاق والهمم

ما كان إلا بدرب الحق تشغله (1)   عرب الصدارة والإسلام، والرحم

ويحمل الهم مكدودا إذا استعرت   بين الأحبة نار ما بها شمم

ذاك الذي أوهب الساعين مقدرة   على التصافي، فكان البر والعظم

ذاك الذي حطم البغضاء بينهم   منه الرجاء، ومنه الخير والكرم

أوفى الحبيب لدين الله معلمة   حين التصدي، وحين «القدس» تنقسم

ولبى نداء، وقاد المسلمين ليو   م، ينضح الآفة حقا، ويعتصم

لا تعجبوا، إخوتي، من قدره شرفا   فالقول عنده إلهام ومنتظم

ترونه «عمرا» في نجدة سلفت   ترونه في «صرار» (2) وهو محترم

يصارع القهر مدفوعا بعدته   والعرب في محن مذ بانت القسم

إذا المروءة قد ضلت مرابعها   ضاءت بظل له إذ هالها الظلم

وإن يجد في خيار الناس مرحمة   يمدد يدين لها، حيث الورى نهم

وإن يغث نائحات العرب من صلف(3)   يلقينه منقذا، يسخى ويلتزم

يلقينه في جفاء الأرض منعطفا   يذودعنهن ضيحا كان يلتهم

---

1) رئيس لجنة القدس، ورئيس اللجنة الساعية المنبثقة عن مؤتمر القمة العربي في فاس ـ واجتماع لجنة القدس تحت رئاسته في نيويورك بتاريخ 3 ـ 10 1983.

2) معسكر «صرار» قرب المدينة المنورة، حيث تجمع جيش المسلمين الذي وجهه «عمر بن الخطاب» بقيادة «سعد بن أبي وقاص» لقتال «يزدجرد» ملك الفرس.

3) الصلف : من قل خيره.

ما أحوج العرب والإسلام في حرج ... أن يقتفوا ظله عونا ويرتسموا
هيهات لو جادت الدنيا به شبها ... في شرقنا، لا ستبان النصر والقيم

☆ ☆ ☆

ما أسعد المرء أن يحيا بعزته ... بدرا يضيء الملا إن سادت العتم
يا من رأى الحسن الثاني، فيعجبه ... حسن العقيدة يبدو وهو يعتزم
جهد ووعد على الدنيا تؤلقه ... عين المحبة، لاعسف ولا تهم
يعانق العهد مرجوا بقدرته ... وحكمه في جليل الأمر منسجم
هو الصفاء لكل الناس تردفه ... عين الوفاء، فلا قهر ولا سقم
هو الضياء لكل الضائعين بوهـ ... ـدة، (4) فينقذ أفذاذا (5) ويتسم
كم كان يحمي ديار الأهل من بدد (6) ... كم كان يرقى، ووجه الحق مبتسم
يصعد السلم مفتونا بساحته ... ويقهرُ الظلم مصداقا به حمم
يبني ويبني صروحا ثم يجعلها ... درب الحضارة مزدانا له علم
ويبسط الكف مأمونا على سنن (7) ... من صفوة الخلق يهدي ثم يحتكم
ويرتدي من ثياب العدل آنقها ... ويمسح الجرح من عمق فيلتئم
قامت على غرر الأيام دولته ... عزم، وحزم مع الإشراق تلتحم

☆ ☆ ☆

والشعب واف إذا الأخطار قد أزفت ... والشعب واف إذا الأيام تحتلم
تهون عند اقتحام الموت طاعته ... وتسعد الشعب من أقواله الحكم
«شعبي العزيز» بحب الله يلفظها ... ريحانة في قلوب الناس تغتنم
يحيا لشعب كدر الأرض منبته ... له السعادة، والآمال، والشيم
يحيا لشعب كسبع الغاب يتبعه ... فيه الوفاء، ومنه الصارم (8) اللهم
يضفي على رائق الأيام مكرمة ... شعارها بحقوق الله مرتسم
إن الجحافل (9) تحني عند طاعته ... أعناقها بحنان ليس ينفصم

---

4) الوهدة : الحفرة العميقة أو المأزق.
5) الأفذاذ : ج فذ : وهو الفرد ليس له مثيل. يتسم : يجعل لنفسه سمة يعرف بها.
6) البدد : الضياع.
7) سنن من صفوة الخلق : سنن النبي ﷺ.
8) الصارم : السيف. اللهم : كثير الخير، كثير العطاء.
9) الجحافل : الجيوش.

للمغرب الحر صـــولات تشرفهـــــا   أيدي المليك، مع الأيام تحتـدم (10)

للمغرب الصوت (11 يـدوي حين يغمره   صـوت المليـك، بعـون اللـه يصطلم

للمغرب البـــدر آمـــال يحققهـــا   ولـد النبي، وقـد أصغت لـه الأمم (12)

خطت يـــداه على الصحراء ملحمـــة   بــاتت لــه راسيــات البيــد ترتنم

خير البــلاد بــلاد بـــات يرأسهـــا   والله يحرســـه، والروح والــــذمم

---

10) تحتدم : احتدم النهار اشتد حره.

11) في الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 30 ـ 9 ـ 1983.

12) // // // // // // // // // // // // // // // // // // //.

> ●● مشكلة الصحراء ليست مشكلة الحسن الثاني بل : هي مشكلة إدريس الأول وإسماعيل الأول والحسن الثاني لأن مغرب إدريس ومغرب إسماعيل ومغرب الحسن كان دائمـــا مطلا على بحرين لأن مـوقعـــه الاستراتيجي يبرر كل عمل هدام من أعمال الشغب وكل عمل من أعمال عدم الاستقرار ●●
>
> جلالة الملك الحسن الثاني

القراء وائتلاف الكلام

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

1 ـ مدخل

يعلم جميع المهتمين بفن القراءات القرآنية لماذا تختلف قراءة قرآنية عن قراءة قرآنية أخرى. وإنه ليقودهم في هذه المعرفة الدقيقة ضوابط محكمة يجعلونها، دوما، نصب أعينهم، يحتكمون إليها في كل اختلافاتهم. وكلما اجتمعت هذه الضوابط ـ وهي ثلاثة ـ في قراءة إلا وعدوها قراءة متواترة، يتعبد بها (1).

1. 1 ـ **الضابط الأول هو موافقة القراءة للغة العربية،** لكن هذه الموافقة لها، هي نفسها، ضوابط خاصة بها، إنها ليست موافقة متحجرة، صلبة بل متسعة ولينة بحيث يكفي أن توافق القراءة اللغة العربية، ولو بوجه من الوجوه، لتكون القراءة مقبولة، لأن القراءة، كما هو معلوم عند أئمة القراءة، لا تأخذ بالأفشى في اللغة ولا بالأقيس في النحو حتى تشترط الموافقة التامة الشاملة لتكون القراءة متواترة، لأن هذه الأخيرة تعتمد، أول ما تعتمد عليه على الأصح في النقل وفي الرواية، وهي بهذا، سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها كما قال الإمام الداني رحمه الله.

ولا يهتم أرباب هذا الفن بمكانة هذا الوجه النحوي الذي وافقت فيه القراءة (بضم التاء) العربية (بفتح التاء). قد يكون أفصح وقد يكون فصيحا، وقع عليه الاجماع أو اختلف حوله الناس، لا يهم، المهم عندنا، نحن القراء، أن تكون القراءة شائعة وذائعة ومتلقاة من طرف الأئمة المحققين بالإسناد الصحيح.

وفعلا أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبول قراءات أنكرها النحاة لأن الذي يهم القراء، كما سبق القول، هو النقل والرواية، لقد انكر النحاة، وعلى رأسهم سيبويه (2) قراءة أبي عمرو لقوله تعالى «بارئكم» (3) وأشباهه (4) باختلاس الحركة في حين أنه هو الأصح والأكثر في الأداء.

كما أنكر النحاة ادغام التاء في الطاء في قوله تعالى : «اسطاعوا» (5). أدغمها الإمام حمزة لقرب التاء من الطاء في المخرج ولأنه أبدل من التاء، إذا أدغمها حرفا

---

1) تلاحظ أن التواترة هو الركن المهم في تمييز القراءة المقبولة = المتواترة من القراءة المردودة. ومع ذلك فإن القراء يعززون ذلك بركنين آخرين كما ترى. لذا أرجو اعتبار قولنا هذا، هنا عندما نتعرض للمصطلح «التواتر» لنزيده تحديدا.

2) انظر هذه القضية في «الكتاب» الجزء الرابع صفحة 202 من تحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون وانظر كذلك «الكتاب» الجزء الثاني، صفحة 307 من طبعة بولاق.

3) الآية 54 من السورة الثانية البقرة.

4) مثل «يأمركم» (البقرة 67) «ويشعركم» (الانعام 109) «وينصركم» (آل عمران الثانية في الآية 160).

5) الآية 97 من سورة الكهف.

أقوى منها وهو الطاء. ورغم أن النحاة لا يقبلون ذلك إذ في حالة الادغام جمع بين ساكنين ليس الأول حرف لين فإنها قراءة مقبولة تتعبد بها ولا يجوز ردها، بحال من الأحوال.

إن النحاة لا يترددون في وصف هذه القراءة بالبعد عن الذوق ويكرهون سماعها. لكننا، نحن القراء تقبلها وتقرأ بها في الصلاة وخارج الصلاة لأن الضوابط الثلاثة متوفرة فيها.

إن الإمام حمزة، رحمه الله احترم خط المصحف ولم يرد حذفها بالمرة وفضل ادغامها في الطاء (6). أما الباقون (7) فرأوا أن التاء ليست في الخط ولم يتمكنوا من إلقاء حركتها على السين لأنها زائدة لا تتحرك، فلم يبق أمامهم إلا الحذف. وهم حين يحذفونها إنما يحذفونها لأسباب ثلاثة :

- **أولا :** للتخفيف، وهو أمر معروف متداول في القراءات القرآنية.
- **ثانيا :** لزيادتها، والقراء يحذفون الزوائد كثيرا.
- **ثالثا :** لموافقتها للمصحف الكريم، وهو ركن ركين لابد من توفره لتكون القراءة مقبولة.

وسنرى من خلال أمثلة كثيرة، مدى تحرر القراءة المقبولة من القيود الضيقة التي يفرضها، عادة، النحو المتحجر بقواعده الصلبة على اللغة العربية، خارج القرآن الكريم.

وسيتضح لنا، ولا شك، من ذلك كله أن القراءات القرآنية، أي القرآن الكريم، وظف اللغة العربية بمنطق رفيع، فجعل منها أداة فعالة للاتصال إلى درجة أن اصبحت حاملة لمعان كثيرة سامية بألفاظ قليلة ومعبرة عن اغراض دقيقة بأسلوب شيق جذاب.

1. 2 ـ **أما الضابط الثاني فهو مطابقة القراءة** لأحد المصاحف العثمانية.

وإنه ليؤسفني أن أقول إن الجم الغفير من الناس لم يفهم المقصود من هذه المطابقة أو على أصح تعبير لم يفهم نوعية هذه المطابقة وأين يجب أن يتجلى التطابق وما هي الأشياء التي يمكن أن تكون منطبقة، تبعا لناموس اللغة العربية وخصائصها على الرسم العثماني.

والذي غاب عن أغلبية المهتمين بالقراءات، ولاسيما المتأخرين منهم هو أن في هذه المطابقة مظهرين.

- مظهرا ثابتا لا يجوز، بوجه من الوجوه تغييره لا قليلا ولا كثيرا.

- ومظهرا آخر متحولا يلحقه التغيير والتبديل طبقا لما تسمح به المكونات الثلاثة الرئيسية للغة، من مكون دلالي وصوتي ومعجمي، ومن مكونات خاصة بالقرآن الكريم، **مكونات** أسميها **سامية** وأقسمها إلى **مكون سام صوتي** وسام دلالي وسام معجمي وأزلي وجواري ولغيي.

أما **المظهر الثابت** الذي لا يجوز بحال من الأحوال أن يلحقه التغيير والتبديل في القراءة المتواترة وأيا كان القارىء فهي **الصوامت** (الحروف الهجائية).

أما المظهر الذي يمكن أن يتغير ويتبدل ويتحول بالقلب والحذف والتقديم والتأخير والإعلال والإسكان فهي الصائتات (الحركات) سواء كانت حركات بسيطة كالحركات القصيرة وأختها الطويلة أو الحركات المركبة كالإمالة وغيرها.

1. 3 ـ وأما **الضابط الثالث فهو صحة السند.** وإنني لمضطر أن أقول هنا كذلك، وبكل أسف أيضا، أن جل المهتمين بهذا الفن من المعاصرين (8) لم يفهموا هذا

6) انظر حكم ادغام التاء في الطاء في كتابنا «بعض مظاهر التطور اللغوي الطبعة الأولى، صفحة 40.

7) الباقون هم. نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي من السبعة وأبو جعفر المدني، يزيد بن القعقاع ويعقوب ابن ثعلب البزار من الثلاثة المتممة للعشرة.

8) ناهيك بأولئك الذين نلتقي بهم في مناسبات فيُهَرْتِلُون أمامنا وأمام الجمع بهراء في فن القراءات معتقدين أنهم يقولون شيئا يجهله الناس ظانيين أنهم بسماعهم قارئا يقرأ أو بمطالعتهم لكتاب في الموضوع يستطيعون الخوض في هذا الفن كما يخوضون في غيرها بدون علم وبدون خجل، ناسين أن هذا علم دقيق دقة الرياضيات والفيزياء، يحتاج لمن يريد أن يفيد الناس فيه أن يكون : أولا حافظا لكتاب الله، ثانيا قارئا مستظهرا لمتون هذا الفن ثالثا مطبقا لها، عارفا بخفاياها، وهذا يحتاج إلى أعوام طويلة يقضيها في الحفظ والدرس والتطبيق. ولم يتيسر لهؤلاء من هذا شيء لأنهم لم يكونوا استعدوا لهذا الأمر من البدء. وكثيرا ما ينفض المرء من هذه الاجتماعات ولسان حاله يقول : اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

الضابط فاعتقدوا، كما اعتقد بعض المتقدمين أن صحة السند هو التواتر.

لكننا نحن القراء لا نشترط التواتر في القراءات لأننا لو اشترطناه لما احتجنا إلى الضابطين السابقين، ومعلوم أننا نعني بـ «صحة السند» في القراءة أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله حتى تنتهي وتكون مشهورة عند الأئمة المهرة في هذا الفن. وأقل ما يشترط فيها، إذا لم يتفق التواتر في بعضها أن تجتمع على نقلها الطرق وتتفق عليها الفرق من غير نكير لها مع شيوعها واشتهارها واستفاضتها.

ومن هنا جاز أن نقول إن القراءة الصحيحة هي التي جمعت الأوصاف الثلاثة التي تحدثنا عنها أعلاه، ولا يهم إلى أي قارىء هي معزوة لكن أنفسنا ركنت إلى هؤلاء السبعة لكثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءتهم بحيث صار ما ينقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم.

2 ـ ماذا نقصد بائتلاف الكلام ؟

نقصد بقولنا «ائتلاف الكلام» انتظامه على نسق واحد، بحيث يكون وسطه منسجما لامع أوله ولكن أيضا مع آخره. فإن كان الوسط يتحدث، مثلا، عن مفرد مذكر، وجب، ليتصف بالإنسجام، أن يكون ما قبله وما بعده يتحدثان عن نفس الفرد.

وقد يكون الإنسجام في الصيغة أو الدلالة أو في الصوت وقد ينسجم الكلام في الآيات المجاورة فنسميه انسجاما جواريا وقد ينسجم مع مقاطع قرآنية بعيدة فنسميه انسجاما بعديا.

أعتقد أنه يحسن، لتكون فكرة كاملة عن الموضوع أن نستعرض الإنسجام من أول القرآن إلى آخره.

3 ـ ائتلاف الكلام الموجود في «سورة البقرة»

1. 3 ـ في قوله تعالى : «بما كانوا يكذبون» (9)، قراءتان : قراءة بالتخفيف (10) وأخرى بالتشديد (11).

أ ـ أما قراءة التخفيف فتأتلف ائتلافا جواريا مع ما قبلها مما يدل على الكذب، وهو قوله : «ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين».

كما تأتلف مع ما بعدها مما يدل دلالة واضحة على كذبهم، وهو قوله : «وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون» (12).

وهكذا يكون عندنا هذا الائتلاف الجواري الذي يوحي كل جزء من اجزائه الثلاثة بـ **«الكذب»** أو بمفهومه على الشكل الآتي :

1) وما هم مومنين ← 2) يكذبون ← 3) خلوا إلى شياطينهم يقرأ بهذه القراءة عاصم وحمزة والكسائي.

ب ـ أما قراءة التشديد فتأتلف ائتلافا بعديا. إنها تنسجم مع قوله تعالى : «**ولقد كذبت رسل من قبل فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين**» (13).

في هذا الائتلاف البعدي قوة في الوصف لا توجد في الائتلاف الجواري السابق، لأن

مكذب > كاذب

وإذن فإن كل مكذب كاذب وليس كل كاذب مكذبا.

2. 3 ـ أما قوله تعالى : «**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه....**» (14) فتأتلف ائتلافا من نوع آخر.

---

9) في البقرة، الآية 10 : «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون».

10) أي يقرأون «يكذبون» بفتح الياء واسكان الكاف.

11) أي «يكذبون» بضم الياء وتشديد الذال.

12) الآية 14 من سورة البقرة.

13) الانعام الآية 34.

14) الآية 36 من سورة البقرة وهي بتمامها : «فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين».

أ ـ أما من قرأها «**فأزالها**» فيؤلفها تأليفا جواريا مع مقابل ما توحي به الآية قبلها، وهي قوله : «يآدم اسكن أنت وزوجك الجنة...» (15).

وائتلاف الكلام قد يكون بمقابلة الشيء بضده، وهنا قابل

الثبات ≠ الزوال

ومما يؤكد هذه المواجهة قوله بعده : «فأخرجهما مما كانا فيه»، فقابل الزوال بما يقارب أن يكون مرادفا له :

الزوال = الاخراج

ب ـ أما من يقرأها : «**فأزلهما**» (16) فيجعلها من زللت وأزلني غيري، أي أوقعهما في الزلل وهو أن يزل الانسان عن الصواب إلى الخطأ والزلة. أقول من يقراها «**فأزلهما**» يؤلفها تأليفا بعديا مع آية موجودة في سورة آل عمران، وهي قوله : «إنما استزلهم الشيطان» (17).

3. 3 ـ كما أن قوله تعلى «**نغفر**» في الآية : «**وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين**» (18) فمؤتلفة ائتلافين بعديا وجواريا.

أ ـ أما الذين يقرأونها «نغفر» بالنون فيؤلفونها تأليفا جواريا، أي يجعلونها منسجمة :

أولا مع ما قبلها وهو قوله : «وإذقلنا ادخلوا هذه القرية» بحيث انسجم قوله : «وإذ قلنا» مع «نغفر» ولم يقل لا «تغفر» (19) ولا «يغفر» (20).

ثانيا مع ما بعدها وهو قوله : «وسنزيد المحسنين» لذا لم يقل : «وسيزاد المحسنين».

ب ـ وأما من يقرأها «يغفر» فيؤلفها تأليفا بعديا مع آية في سورة الانفال، وهي (21)، «**قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين**».

---

15) الآية 35 من نفس السورة، وهي بتمامها : «وقلنا يآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين».

16) أي يقرأها بتشديد الدال، والذين يقرأوب سكذا هم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي والذي يقرأها «فأزالها» هو حمزة وحده.

17) الآية 155 وهي : «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور رحيم».

18) الآية 58 من سورة البقورة.

19) قرأ بها ابن عامر.

20) قرأ بها نافع.

21) الآية 38 من سورة الانفال.

أبو عمران موسى ابن العقدة الأغصاوي

توفي : 911 هـ 1505م

للأستاذ عبد القادر العافية

عرف القرن التاسع الهجري بمختلف أقاليم المغرب مجموعة من العلماء الكبار ذوي التخصصات المختلفة.

ومترجمنا هذا تنسبه الوثائق إلى قبيلة غصاوة بشمال المغرب. وهو صلتاني ينتسب إلى بني صلتان من هذه القبيلة.

وغصاوة ـ ويقال لها غزاوة ـ تقع شمال شرقي مدينة وزان، وجل سكانها أصلهم من صنهاجة. وقبيلة غصاوة أنجبت عددا وافرا من العلماء والفقهاء، والقراء، والصلحاء... ونجد من أفراد هذه القبيلة من كانت له شهرة في التدريس بجامع القرويين بفاس، كمترجمنا هذا ابن العقدة، والشيخ أبي الحجاج يوسف الاغصاوي، والشيخ أبي الحسن علي بن برطال الاعزاوي الشهير. والشيخ أحمد بن علي الأغصاوي وغيرهم.

وفي القرن العاشر الهجري اشتهر ببلاد غصاوة الشيخ العلامة محمد بن أحمد البقال، الذي تصدر للتدريس والإفتاء، وكان متمكنا من أصول الفقه وفروعه، توفي سنة : 920 / 1515.

وذاع صيت حفيده سيدي علال الحاج البقال (ت : 981 / 1573) الذي كانت له حظوة عند السلطان عبد الله الغالب السعدي، والذي تصدى للتدريس بالقرويين، وهو شيخ شيخ الجماعة : أحمد المنجور وغيره من علماء عصره (1) وقائمة الاغصاويين في ميدان العلم والتدريس قائمة طويلة.

البيئة الثقافية :

بما أن مترجمنا أحد المبرزين من شيوخ القرويين في هذا العصر فمن المناسب أن نعطي بعض الملامح عن جو الدراسة بالقرويين في هذه الفترة.

كانت جامعة القرويين في هذا العدد تضم رحابها الواسعة علماء متضلعين في عدد كبير من فنون المعرفة وشعبها.

ويستفاد من رسالة كتبها أحد تلامذة مترجمنا ابن العقدة وهو الشيخ علي بن ميمون الإدريسي الغماري (ت : 917 هـ) (2).

أن الحياة الثقافية بجامعة القرويين كانت نشيطة، وتشق طريقها بجدية وحزم.

1) فهرس أحمد المنجور بتحقيق د. محمد حجي ط : الرباط : 1976.

2) انظر : رسالة الإخوان لعلي بن ميمون مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : 1780 د. لوحة 67.

كان جامع القرويين تكتظ جنباته ورحابه بحلقات تدريس العلم آناء النهار، وزلفا من الليل، وكانت هذه الحلقات العلمية يجلس بها عدد كبير من طلاب العلم وعشاق المعرفة، فمن الحلقات التي تحدث عنها ابن ميمون حلقات لتفسير القرآن الكريم، وبيان معانيه ومقاصده، حلقات للقراءات وعلم التجويد، ورسم القرآن وضبطه، ووقفه... حلقات لدراسة الحديث النبوي بأصح كتبه المشهورة كموطأ الإمام مالك، وصحيحي البخاري ومسلم، وكتاب العمدة للمقديسي، حلقات لتدريس اللغة العربية وعلومها من نحو واشتقاق، وبلاغة ومعاني وبيان وبديع...

حلقات لتدريس علم الأصول، وأسرار التشريع، حلقات للحساب والجبر والمقابلة، وحلقات لعلوم الفلك، والتوقيت، ومن المعلوم أن علم الفرائض جعل المسلمين يظلون على صلة دائمة بعلم الحساب بمختلف فروعه وأنواعه، وحرص المسلمين على معرفة أوقات الصلاة، وموسم الصيام والحج وغيرهما من المواسم الدينية جعلهم على صلة قوية بعلم الفلك والتنجيم، والبروج والمنازل... ويقول علي بن ميمون : «فلما أتيت إلى فاس وجدتها روضا من رياض الجنة، وذلك على أيام المريني الشيخ ابن أبي زكرياء رحمه الله، وبارك في ذريته (3) وكان في هذا الزمان الرجال الأفاضل من العلماء قراءة وفهما...ج.

وبعد هذا يذكر مجموعة من شيوخه : «فأما القراءة فالشيخ الأستاذ المصمودي، والأستاذ أبو بوقوين (4) والأستاذ المجاصي، والشيخ الوالي أبو الفرج الطنجي، والأستاذ الهبطي، (5) والأستاذ الزجني، والخراط، والدقون...».

ونظرا لتعدد فروع علوم القرآن الكريم، وكثرتها فإنه كان لا يتخصص فيها إلا الفطاحل من كبار العلماء، أما الفقهاء الذين يقول عنهم ابن ميمون «فقهاء دون قراءة» فهؤلاء كانوا من كبار العلماء المتضلعين في مجموعة من العلوم، كعلوم العربية والبلاغة، والأصول والتفسير والحديث، والفرائض والتوثيق، والقضاء والحساب، والتنجيم والأدب، والعروض وما إلى ذلك... ويقول : «فأما الفقها القراء فالمفتي ابن موسى الزموري، وابن غازي المكناسي، وسعيد المكناسي، والهبطي المذكور. أما الفقهاء فالوريا جلي، والزواد، وموسى العربي، والحميدي، وابن علال القاضي حينئذ والكزنائي، والزقاق، وابن أبي جمعة، ومحمد بن إبراهيم، وابن عقدة الأغضاوي» الذي هو مترجمنا هذا، وبعدما أعطى ابن ميمون قائمة بأسماء مشاهير علماء القرويين في نهاية القرن التاسع الهجري حسبما أسعفه به ذاكرته وهو بالمدرسة الصالحية بدمشق، في الأيام الأولى من شهر جمادى الثانية لسنة : (915 / 1509) يقول : «كنت أحضر مجلس الأستاذ الصغير في مدرسة مصباح، في التفسير والألفية وجر السطر، حسبما هو معلوم في اصطلاحهم، ومجلس في البري والحزازي والضبط (6) ومجلس أبي الفرج الطنجي، ومجلس المعمودي في الألفية والجرومية، وجددت سلكة على أبي الفرج المذكور، بقالون (7) وورش (8) وقرأت على الزجني علم الوقت، ثم شرعت في درس المدونة باللوح، وأول من استفتحت عليه الزقاق...

ندرك من خلال هذا النص مقدار الجدية التي كان يتحلى بها طالب العلم في هذا العهد، ومما يلفت النظر : أن المدرس الواحد يدرس لطلبته عدة مواد في جلسة واحدة.

ومادام هدفنا إعطاء نظرة عن الجو الثقافي الذي كان على عهد مترجمنا ابن العقدة فلا بأس أن نتابع وصف تلميذه ابن ميمون الذي يقول : «ولزمت مجلس الحميدي

---

3) خلف محمد الشيخ الوطاسي ولده محمد الملقب بالبرتغالي، (910 هـ ـ 931 هـ) ونلاحظ أن ابن ميمون ينعت محمد الشيخ الوطاسي بالمريني وهذا درج عليه بعضهم.

4) ذكره أحمد المنجور في شيوخ ابن غازي المكناسي الفهرس : 17.

5) محمد بن أبي جمعة (ت : 930 هـ) صاحب وفق القرآن الكريم.

6) علي بن محمد (بن بري) (ت : 730 هـ) والمقصود مؤلفه في القراءات : الدرر اللوامع في قراءة نافع، والخرازي المقصود به، مؤلف الخراز محمد بن إبراهيم (ت : 818 هـ) له (مورد الظمآن في الرسم).

7) عيسى بن ميناء المقرىء النحوي (ت : 769 هـ)

8) ورش : عثمان بن سعيد المصري قرأ على نافع بالمدينة وانتهت إليه رياسة الإقراء.

في الموطأ، وكنت قارئه، ولزمت مجلسه في المدونة والرسالة، والعمدة في الحديث مدة من الزمن... ولزمت مجلس أبي عبد الله المكناسي الحيوبي، قاضي الجماعة يومئذ في قرائض الحوفي، (9) وتلخيص ابن البناء (10) إلى أن فتح لي في ذلك، وقرأت عليه نظم ابن الياسمين (11) في الجبر والمقابلة، وقرأت على محمد بن إبراهيم المذكور الوثائق للفشتالي (12) وقرأت عليه السيرة لابن إسحاق، وحضرت غير مرة مجلس ابن عقدة في تلخيص ابن البناء، وقرأت عليه في التعديل : (منهاج الطالب في تعديل الكواكب السبعة لابن البناء، وحصلت ذلك على ما ينبغي...» (13).

هذا النشاط الثقافي الذي جاء في وصف ابن ميمون للدراسة بالقرويين في هذه الفترة، يسجل بكل اعتزاز وفخر حرص المفكرين والمثقفين على المضي في أداء رسالتهم رغم المثبطات والمعوقات المحيطة بهم.

فالقرويين في هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب ظلت مركز إشعاع ثقافي داخل البلاد المغربية ويمتد إشعاعها عبر مسافات بعيدة في القرة الإفريقية. وتظهر قيمة هذا الإشعاع إذا عرفنا أن المراكز الثقافية ببلاد الأندلس كانت قد تهاوت الواحد منها تلو الآخر. وكذا المراكز الثقافية الشهيرة بشمال المغرب كسبتة، وطنجة، وأصيلا... أصابها هي الأخرى ما أصاب مثيلاتها بشبه جزيرة إيبيريا.

مكانته العلمية :

ندرك من خلال الوثائق التي بين أيدينا والتي تحدثنا بإيجاز عنه، أن ابن العقدة كان أحد الأعلام الكبار بجامع القرويين، فالذين أرخوا وفاته، يضيفون أنه كان من الأساتذة المبرزين، وبأنه كان مبرزا في تدريس مادة الحساب، والفرائض، وعلم الفلك... بالإضافة إلى كونه من أكابر فقهاء عصره ومن الذين برزوا في تدريس أهم كتب الفقه إلى درجة أنه وصف : «بفحل المدونة» (14) ويقول أحد مترجميه : «كان المذهب نصب عينيه» (15).

وينسب إليه كتاب التراجم : أنه أول من أدخل إلى القرويين تدريس كتاب (الشامل لبهرام) (ث : 805 / هـ 1402م)، وهو كتاب هام في الفقه المالكي. (28) والشيخ بهرام الذي ينسب إليه الكتاب هو تلميذ للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت : 767 هـ) وبهرام شرح كتابه في عشرة أجزاء، ويلاحظ أن عناية الفقهاء المتأخرين بمختصر الشيخ خليل كان أكثر من عنايتهم بشامل تلميذه بهرام. فمحاولة ابن العقدة في توجيه الناس إلى شامل بهرام لم يصادفها النجاح الكامل، ومهما يكن من أمر فإن مترجمنا لفت أنظار الناس إلى شامل بهرام الذي هو مؤلف هام في الفقه المالكي.

ويذكر أبو عبد الله محمد بن غازي المكناسي (ت : 919 هـ) في فهرسه أن الشيخ أحمد زروق البرنوصي استجاز له ولجماعة الشيخ الإمام تاج المحدثين فخر الدين عمرو بن عثمان بن محمد الديمي المصري.

وسمى هذه الجماعة فذكر : ولده أحمد، والفقيه أبا مهدي عيسى المواسي، والفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي - صاحب المعيار - والفقيه أبا عمران موسى بن العقدة، وقاضي الجماعة محمد بن عيسى بن علال المصمودي، وذلك سنة 885 هـ (16).

وهكذا نرى أن الشيخ أحمد البرنوصي يطلب الإجازة لمجموعة من أكابر علماء المغرب في ذلك الوقت من بينهم مترجمنا ابن العقدة الأغصاوي، ولم يذكره ابن غازي من بين هؤلاء إلا لمكانته العلمية ولشهرته بين علماء عصره.

---

9) هو أبو القاسم الحوفي الاشبيلي الفرضي اختصرها ابن عرفة التونسي (ت : 803 هـ).

10) أحمد بن محمد الازدي المراكشي (ت : 721 هـ).

11) عبد الله بن محمد حجاج الرياضي الحيسوبي ت : (601 هـ) له كتاب العدد... والجبر والمقابلة.

12) عبد الملك بن شعيب الفقيه الموثق (ت : 706 هـ).

13) رسالة الإخوان لعلي بن ميمون سبق ذكره.

14) الدوحة : 27 ط : فاسية.

15) نفس المصدر.

16) فهرس ابن غازي تحقيق محمد الزاهي : 128 ط : البيضاء 1979

ابن العقدة عند مؤرخي الوفيات وكتاب التراجم

قال عنه صديقه أحمد الونشريسي في وفياته : «وفي سنة (911 هـ) توفي يوم السبت ثالث عشر رمضان صاحبنا الفقيه الحيسوبي الفرضي أبو عمران موسى بن علي الغصاوي الشهير أبوه بالعقدة. رحمه الله تعالى...» (17).

وذكر ابن القاضي اسمه في المتوفين سنة : (911 هـ) بلقط الفرائد. وترجم له باختصار في كل من الدرة، والجذوة، وترجمه أحمد بابا في نيل الابتهاج (18). وترجم له ابن عسكر في الدوحة، وعرف به في خمسة أسطر (19). وترجم له الحضيركي بطبقاته، في آخر حرف الميم، وأحمد بن عجيبة في أزهار البستان الذي قال عنه : «الفقيه الراوية الصدر الفهامة أبو عمران موسى بن العقدة الأغصاوي كان فقيها عالما نبيها، محصلا أخذ عن المشاهير الكبار مثل القدومي والعبدوسي والمواسي، وغيرهم، كان يدعى بفحل المدونة مات في أوائل القرن العاشر (20) وترجم له الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في السلوة وكناه بأبي محمد قال : «المعروف بابن العقدة، أورده في التنبيه، وذكر أن ضريحه قريب من باب الحمراء، وقال فيه الشيخ المدرع :

«ومنهم الشيخ الجليل الجاه ☆ وهو الأغزاوي وعبد الله»

«شجر ما النار نج قامتا عليه ☆ وأثر القبول لا يخفى لديه»(21)

والملاحظ من خلال تتبع حياة الرجل أنه كان من أنشط علماء عصره فهو إلى اشتهاره في التدريس لمواد هامة كالحساب والفرائض والفقه بأمهات مصادره، نجد كتاب النوازه ينقلون فتاويه في نوازل فقهية كان يدلي فيها برأيه وبتوجيهاته، وتخريجاته... وفتاويه تناقلها القضاة والحكام وكتاب النوازل، كالعلمي، والزياتي وغيرهما. فالعلمي في نوازله نقل عنه فتوى مطولة تقع في عشر صفحات صدرها العلمي بقوله : «وكتب موسى بن علي بن العقدة» والفتوى في حكم الوزيعة، لكن الكلام فيها شمل كثيرا من مسائل ربا الفضل (22).

وقبل ذلك نقل عن العلمي فتوايين، صدر الأولى منهما بقوله : «والذي أفتى به الحافظ الحجة سيدي موسى بن العقيدة ...» (23).

ويبدو من ثنايا الكلام عن فتاويه أن الرجل كان له فقه مدون، وبكل أسف أن كتاب تراجمه لم يشيروا إلى شيء مما كتبه، وكل ما عثرت عليه، ما نقله كتاب النوازل عنه ويصدر العلمي أحيا النقل عنه بقوله : «ووجدت معزوا للفقيه ابن العقدة ومنقولا من خطه». (37) ومهما يكن من أمر فشخصيه ابن العقدة الاغصاوي كانت شخصية بارزة، وعرفت رحاب القرويين نشاطه الجم خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وفي العقد الأول من القرن العاشر، رحم الله مترجمنا ابن العقدة رحمة واسعة.

عبد القادر العافية

---

17) وفيات الونشريسي ضمن ألف سنة من الوفيات.
18) أحمد بابا السوداني التنبوكتى نيل الابتهاج : 343.
19) الدوحة : ص : 27.
20) مخطوط الخزانة الملكية بالرباط : 417.
21) سلوة الأنفاس 2 / 127 ط : حجرية فاسية.
22) نوازل العلمي ط : فضالة : 371.
23) نفس المصدر ص : 369.

المجتمعات الإسلامية

في القرن الأول

تأليف : الدكتور شكري فيصل
عرض وتعليق : الأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

ما تزال قضية استقرار العرب المسلمين بالأراضي المغربية وما تبعه بالطبع من انتشار اللغة العربية في هذا الاقليم تفرض نفسها بالحاح على الباحثين والدارسين رغم ما ظهر حتى الآن من كتب ودراسات وأبحاث لها أهميتها وقيمتها. فبالإضافة إلى تلك الأبحاث التي لا تزيد التراث العربي إلا غنى وخصبا يقع اليوم بين أيدينا هذا الكتاب القيم (1) الذي جرت الرغبة إلى تحليله ودراسته مع التعليق عليه لاظهار، جهد الإمكان، ما حواه من فائدة وما اشتمل عليه من متعة لا تنكر. لكن رغم الجهود التي بذلها صاحب هذا الكتاب في تحليل العوامل، ليست كل العوامل، التي عاشت على استقرار قدم المسلمين في بلاد المشرق والمغرب إلا أنه لم يتمكن من وضع يده على الأرضية الاقتصادية التي تستحق أن تكون منطلقا صحيحا لدراسة جدية، بحثا عن الأسباب التي مكنت لازدهار الإسلام من البلاد التي فتحها المسلمون وشيدوا فيها حضارة مزدهرة ما تزال معالمها تدل على اصالتها وعظمتها عبر السنين.

ومع ذلك فالكتاب مفيد، كثير الفائدة من شتى الوجوه، لم أحظ إلا نادرا بقراءة مثله من الكتب من حيث صحة البنيان ودقة البحث وأصالة التحليل لموضوعات تتصل مباشرة بنشأة المجتمعات الإسلامية ومقوماتها، وتطورها اللغوي والأدبي هنا وهناك في المشرق والمغرب.

ويقع هذا الكتاب في 495 صفحة من القطع الكبير مقسما إلى أربعة كتب باستثناء نبذة تمهيدية تتعلق خاصة بموقع الجزيرة العربية وتركيبها الجيولوجي واختلاف تضاريسها مع الإشارة إلى أقاليمها المختلفة و التركيز على ما تمتاز به من وحدة وتنوع في مظاهرها الطبيعية والاجتماعية، قلت إن الكتاب موزع توزيعا منطقيا إلى أربعة أقسام : فالكتاب الأول يتناول الحديث باسهاب عن المجتمع العربي بين الجاهلية والإسلام متعرضا بالخصوص إلى الكلام عن حركة أفراد القبائل وحركة القبائل نفسها داخل الجزيرة وفي اطراف الجزيرة العربية، وما يتبع ذلك كله من اختلاط في اللهجات التي كانت تتحدث بها تلك القبائل نتيجة ذلك الاختلاط الذي تحقق بينها عن طريق السكنى والتزاوج الأمر الذي مهد السبيل إلى توحيدها كما سنشير إلى ذلك كله بشيء من التفصيل في بقية هذا الحديث. أما الكتاب الثاني وهو الذي يهمنا أكثر من غيره فيتعلق بنشأة المجتمعات الإسلامية الجديدة في الأقطار المفتوحة ابتداء من الشام والعراق وما يلاحظ هناك من أثر

1) «المجتمعات الإسلامية في القرن الأول» تأليف الدكتور شكري فيصل دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، 1973 بيروت (لبنان).

فعال للقرابات القبلية القديمة والصلات اللغوية، أعني بذلك الدور الذي قامت به اللغة المشتركة بين عرب الضاحية وعرب الجزيرة في انتشار اللغة العربية في الشام خاصة بسهولة ملحوظة؛ ثم يوضح هذا القسم من الكتاب كيف استطاع المسلمون ان يستقروا في العراق بعد كفاح طويل مرير كان سببا في تحول المجتمع الإسلامي بالعراق من حياة المعسكر إلى حياة المدينة، ومع انتشار الإسلام في هذا القطر الشقيق يحدد المؤلف معالم انتشار اللغة العربية في العراق، ومن هناك ينتقل للحديث عن مصر ذات معالم الحضارة البزنطية العريقة وكيف استطاعت اللغة العربية أن تحل محل اللغة اليونانية، لغة الدواوين والمحاكم والبلاط، أو اللغة القبطية التي كان الناس يستخدمونها في معاملاتهم اليومية، تبعا لانتشار الديانة الإسلامية والأقبال عليها من طرف مجموعات بشرية مختلفة المشارب والاهداف، تتمثل فيها قبل كل شيء طبقة البورجوازيين من أصحاب القوة والجاه الذين انحازوا إلى الفاتحين محافظة على مصالحهم الشخصية كما كانت تتمثل فيها طبقة الجنود الذين خسروا المعركة في محاربتهم للعرب الفاتحين، فلم يبق في يدهم هم الآخرين سوى الإقبال على دين الإسلام والتمسك باللغة العربية استئناسا بالقبائل العربية الواردة عليهم واطمئنانا لما جاء الدين الجديد يدعو إليه بمعاملتهم بالحسنى والدفاع عن أرواحهم وأموالهم طبقا لتعاليم الإسلام.

وفي هذا الكتاب الثاني يندرج الكلام عن المجتمع الإسلامي الجديد في المغرب، وهو القسم الذي سنتخذه فرصة للتعليق على ما جاء في كتاب «المجتمعات الإسلامية في القرن الأول»، إذ يهمنا كثيرا ان نتعرض للدلائل والبراهين التي اعتمدها المؤلف في تبرير الطريق التي سلكها المسلمون في نشر دعوتهم الإسلامية، استنادا إلى الحجة والبرهان، لا اعتمادا على السيف والقهر كما يدعي كثير من المستشرقين وغير المستشرقين كما يهمنا من قراءة هذه الصفحات اللامعة ان نعلم كيف نشأ المجتمع الإسلامي في المغرب بمعناه الواسع الكبير اعتمادا على اللغة العربية، لغة الدين الحق والثقافة والعلم إلى أن أصبح هذا المجتمع الإسلامي في المغرب من طرابلس إلى المحيط بلدا واحدا، ذا كيان متميز، سيكون له شأن في مستقبل الأيام وأي شأن حينما يطلق عليه العرب الفاتحون إسم الجناح الأيسر من المملكة الإسلامية. وفي هذا الكتاب الثاني يتعرض المؤلف إلى ذكر الصعوبات التي وجدها المسلمون في طريقهم عند اقبالهم على فتح بلاد فارس، فكانت مقاومة الإيرانيين العنيفة وسلسلة الانتفاضات التي تعثرت فيها الفتوح كفيلة بأن تلفت نظر الولاة والقواد إلى أن الأمر لن يستقر للمسلمين في هذه الجهة من الأرض مالم يرافق هذا الغلب الحربي أنواع من الاتصالات كاتصال الفاتحين بالأرض، واختلاطهم بالسكان وتوثيق العلائق بهم بشتى الوجوه إلى غير ذلك من طي الفجوات الفاصلة بين الفاتحين وأهل البلاد، ومن ثم تقرر أن تهجر قبائل برمتها إلى إيران لا من القبائل المتاخمة لفارس ولا من القبائل البعيدة عن إيران، ويبدو أن هذه الهجرات لم يترك أمرها إلى القبائل نفسها، وإنما وقع تنظيمها وتوجيهها تنظيما وتوجيها يستجيبان لما كانت السلطة تهدف إليه، ولم يتمثل استقرار المسلمين في إيران في هجرة هذه القبائل التي امتزجت فعلا بأهل فارس امتزاجا زرع فيهم دما عربيا جديدا أدى بطبيعة الحال إلى حدوث انسجام بين العرب الفاتحين والجماعات الفارسية، بل راح المسلمون يشيدون المدن، لا لأن فارس كانت خالية من المدن، لكنهم أرادوها مدنا إسلامية أصيلة خاصة بهم بحيث يطمئنون لها، فتكون لهم بمثابة منطلق ينطلقون منه إلى جهات أخرى من البلاد ينشرون فيها تعاليم الدين الجديد ويعملون على تركيز لغة الفاتحين فيها.

أما الكتاب الثالث فيتحدث عن التطور اللغوي في البلاد التي خضعت للفاتحين، بما فيه التطور الكمي والتطور الكيفي مع تحديد عوامل هذا التطور وتفصيلها الى عوامل دينية وقرابة سامية وقرابة بيئية تفصيلا يرقى بهذا المجتمع من الخلاف إلى التصفية ومن التصفية إلى التقوية والتوثب ومن التقوية إلى التوحد، كل ذلك عن طريق اختلاط العناصر المتاكنة والاتصال بالأرض، وهو اختلاط يتعلق بالجيش والسبي و تقديم الشروح اللازمة عن ماهية هذا الاختلاط وأثره من الوجهة اللغوية.

وأما الكتاب الرابع والأخير فيبحث خاصة عن مكان الأدب والشعر في الدعوة الإسلامية وأثر الاستنفار في

الجهاد وشعر الفتوح ونشوء النثر الأدبي ومقارنته بالقرآن الكريم مع ذكر عوامل التفتح واليقظة اللذين طرآ على المجتمعات الإسلامية الجديدة والتصدي للحديث عن التطور الأدبي مع تقديم صورة واضحة عن حياة الأمويين والعباسيين وما امتازت به حياة بني العباس من تطور شكلي يعطيك نظرة عن الأدب المحافظ والأدب المجدد.

هذا باختصار ما جاء في الكتب الأربعة التي اجحفنا ما في ذلك من شك في تلخيصها وإيجاز ما ضمه هذا الكتاب من معلومات قيمة من شأنها أن تساعد القارئين المستنيرين على معرفة الأسباب التي مكنت الإسلام من الانتشار واللغة أن تعم وتستقر في ظرف وجيز في كل البلاد التي توجه إليها المسلمون بالفتح، من ذلك أننا لم نعهد أن قرر المؤرخون أن القبائل العربية كانت داخل الجزيرة العربية منكمشة على نفسها، أو كانت محجرة ملتصقة بالمكان الذي كانت تعيش فيه، ولا علمنا أن أفراد هذه القبائل كانوا هم الآخرين، وحسب قول المؤلف، منكمشين على أنفسهم، ملتزمين بالقبائل التي كانوا ينتمون إليها، لا يفارقونها ولا تفارقهم، بل هؤلاء الأفراد كثيرا ما كانوا يفارقون قبائلهم ويلتحقون بقبائل أخرى كما أن هذه القبائل كانت تتمتع بحرية كافية تسمح لها بالتنقل من مكان إلى مكان آخر، وذلك داخل الجزيرة أو خارجها، وكان من طبيعة هذه التنقلات سواء تعلق الأمر بالأفراد أو الجماعات أن تمهد السبيل أمام اختلاط مختلف اللهجات التي كانت تلك القبائل تتحدث بها، وبالتالي على توحيدها أو على تقريب المسافة على الأقل بين هذه اللهجة وتلك. وغني عن البيان أن هذه القبائل كانت قبل ظهور الإسلام تعيش حروبا طاحنة فيما بينها، فلما جاء الإسلام كرس جهوده كلها إلى اقرار الوحدة والوئام بين مختلف القبائل العربية حتى لا تعود لتعيش على دماء الماضي، حاملا إياها على أن ترفض من الآن عوامل الخلاف ومظاهر التفرق مؤمنا بالعدل والمساواة والأخوة بين الأفراد. وكان من نتيجة هذه الدعوة المحمدية الكريمة انفجار ديموغرافي عظيم الشأن حمل المسلمين على ترك الجزيرة العربية يضربون اكباد الإبل في اتجاه البلاد التي ستخضع بعد قليل للراية الإسلامية الخفاقة سواء ذلك في المشرق أو المغرب.

ويفيض المؤلف في الحديث عن الصورة التي دخل عليها الإسلام إلى بلاد المغرب على الخصوص فيقول : إن المسلمين حملوا إلى المغرب معهم عقيدتهم السمحة يعرفون الناس بها، ويدعونهم إليها ويتمنون أن يظفروا بدخولهم إليها طائعين راغبين. فالدعاء إلى الاسلام إذن كان هو الخطوة الأولى التي كان المسلمون يقومون بها قبل اللجوء إلى القتال، فلم يكن غرضهم هو الاستحواذ على خيرات البلاد التي دخلوها، ولا للسيطرة على الأراضي التي كانت في ملك أصحابها، و الدليل على ذلك أنهم بادروا بمجرد ما وطئت أقدامهم تلك البلاد إلى تأمين أهلها على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم حتى يطمئنوا إلى سلامة وطهارة العقيدة التي حملوها إليهم، وكان من نتيجة هذا الموقف الحكيم الرامي إلى ترك تلك الأراضي في يد أصحابها أن أعانوا من حيث لا يشعرون على ازدهار الفلاحة وتزايد المحصولات الزراعية والغلات على اختلافها، وليس من الغريب أن يقف المسلمون من طبقات السكان في المغرب موقف هذه الطبقات نفسها من العرب الفاتحين، وهو هذا الموقف الذي تبينا أنه كان متخالفا متداخلا كثير الألوان : بحيث يمكر الروم الذين كانوا يحتلون إفريقيا في القديم فيقسو العرب، ويتصدى البربر لمقاومة العرب فيزداد العرب صلابة وقوة على الطعن، فتتضاعف قوة البربر سكان البلاد الأولين. ومن المؤكد أن سياسة المسلمين في هذه المناطق كانت لا تخالف في جوهرها الأصيل سياستهم في المناطق الأخرى : دعوة إلى الإسلام ورغبة في الانتشار والاستقرار على أساس أن تبقى الأراضي في يد أصحابها، ويكون للسكان بعد دخولهم الإسلام طبعا ما للمسلمين أنفسهم وعليهم ما عليهم، إلا أن يفضلوا البقاء على ملتهم الأولى، وإذ ذاك تحل عليهم الجزية يدفعونها للفاتحين وهم صاغرون، وما كان ليخرج عن هذه الخطة الصارمة إلا عبيد الله بن أبي سرح الذي سمح لنفسه بمصالحة الروم بإفريقيا على أساس قدر من المال يدفعه رئيسهم جرجير شريطة أن يعود العرب الفاتحون من حيث أتوا، ولقد اعتبر هذا التصرف بمثابة غلطة سياسية ألقت على الفتوحات هذا الظل الكالح الذي كان له الأثر السيء البعيد حتى لما جاء بعد ذلك من الولاة من أولى قضية الدعوة الإسلامية الجهد الكافي كما فعل عقبة بن نافع الفهري الذي آثر أن يترك في الجماعات

البشرية بإفريقيا الشمالية، قبل عودته إلى المشرق، طائفة من أصحابه المجاهدين يعلمونهم القرآن الكريم ويبصرونهم بتعاليم دينهم الجديد، وواضح أنه لولا هذا التدبير لتأخرت الدعوة الإسلامية بالشمال الإفريقي نحوا من السنين والأعوام.

ويتابع المؤلف حديثه عن دخول المغاربة في الإسلام بالكلام عن ظاهرتين اثنتين كان لهما أبعد الأثر في انتشار الإسلام بهذه الديار ألا وهما ظاهرة السبي الذي كان يصيبه المسلمون حين دخولهم في قتال مع أهل البلاد من البربر والروم، وظاهرة الرهن الذي كان المسلمون بمقتضاه لا يقبلون أمان البربر حتى يسلموهم من جميع قبائلهم عددا من الرهائن، وكان هؤلاء يعتنقون الإسلام في كثير من الأحوال على يدهم، والمؤرخون الذين نقلوا إلينا أحاديث السبي والرهن هذه لا ينفكون ينقلون كذلك إلينا أن المسلمين عاملوا البربر الذين انضوا إليهم بمثل ما كانوا يعاملون به جنودهم من العرب، لا فرق بين هؤلاء وأولائك.

وهنا يلاحظ المؤلف أن غزوة المغرب اكتست حملات متعددة متعاقبة، ففي أيام عبد الله بن أبي سرح كانت الجيوش الإسلامية عربية صرفة، تنتمي كلها إلى عدة قبائل عربية بمعنى أنه لم يكن فيها ما يحدث الشغب أو يدعو إلى النفور أو العصبية كما لوحظ ذلك في الجيوش الأخرى التي توجهت لغزو بلاد المشرق، ولابد من التذكير مرة أخرى في هذا المقام، أن الجهود التي قام بها عبد الله بن أبي سرح خلال الحملة العربية الأولى على المغرب لم تأت بثمراتها كاملة بسبب ذلك العهد الذي أبرمه مع حاكم إفريقية، أما عن الغزوات التالية التي قاد صفوفها حسان بن النعمان فقد تمكن هذا الأخير من أن يضم عددا من البربر إلى الجيوش العربية، ومن الملاحظ أن هؤلاء الأفراد كان لهم دور فعال في نشر الإسلام في إفريقيا الشمالية، وفي الحملة الثالثة التي تحققت على يد عقبة بن نافع الفهري تم انتشار الإسلام بصورة واسعة حيث راحت الكاهنة تشير على أبنائها، بعد الهزيمة التي أصابتها في مواجهة العرب، بالدخول في الإسلام وحمل لواء الدين الجديد معتصمين بالعربية، لغة الدين والقرآن العظيم، وهذا يعني أن البربر تمكنوا من الإسلام بحيث أصبحوا قادرين على قيادة جيوش المسلمين قياما بدور هام في فتح جهات أخرى شاسعة من البلاد، الأمر الذي أهلهم للمساهمة في فتح بلاد الأندلس حتى كان لهم حظ الأسد في هذه العملية الهائلة وذلك على يد أحد قوادهم المشهورين هو طارق بن زياد.

وهناك ملاحظة أخرى يجب اثباتها في هذا المكان هي أنه إذا كانت الجيوش العربية دخلت بلدان المشرق غازية فاستقرت حيث مكن لها وبدأت حياتها في هذه الأرض بعد فتحها ومصالحة أهلها فإنها دخلت شمال إفريقيا مهاجرة بضغط الأحوال المعاشية التي كانت تعيشها في المشرق أو نتيجة الفتن الداخلية التي كانت تحملها على الهجرة، فهي لم تدخل هذه البلاد غازية، ولكنها دخلتها مهاجرة، باحثة عن الهدوء والاستقرار في أرض ستقد عليها خلال القرنين الثاني والثالث هجرات متعددة هي التي ستمكن الدم العربي من الانسياب بكثرة في المغرب.

ومع كل هذا لا نقول إن العرب ذاقوا طعم الراحة في المغرب بحيث كانوا يندفعون ثم يرجعون على اعقابهم إلى أن فكر عقبة في بناء معسكر يأوي إليه الجنود بعد عودتهم من ساحة القتال ويكون بمثابة نقطة انطلاق بالنسبة لهذه الجيوش بعدما تكون قد أخذت حظها من الراحة والاستقرار، وغني عن البيان أن هذه المعسكرات كانت بالاضافة إلى ما تقدم مستودعا للاسلحة ومستأمنا للنساء اللواتي يشاركن في هذه الغزوات البعيدة. وكانت القيروان بالخصوص حصنا للمسلمين يأويهم كلما عصف بهم الخطر، ويلجأون إليه حين تستبد بهم الهزيمة، وكانت مدينة القيروان فوق ذلك تثبيتا للهجرات الإسلامية العسكرية وتعبيرا عن استيطانها واستقرارها في أرض المغرب.

الرباط ـ **محمد محيي الدين المشرفي**

الخير والشر

للشاعر الأستاذ شبيهنا حمداتي ماء العينين

أيا عجباً للخير والشر في الدهر شراعهما في موج عاصفة يجري

يريد لنور الحق يهرب للدجى فيدخل أوحال الظلام وما يدري

بلوغ المنى للنفس آمال حالم بلمس الهوى أو لثمة الجمر كالزهر

وصمت الدجى جنح الليالي معبر على جهلنا للأمر في وقفة الحشر

تروج بأحشاء الغرير خواطر فتجعل حسو الصبر في الكأس كالخمر

ومن نال في الأيام طعم سعادة يشاهد عند الموت فاجعة الذعر

فتخت عروس جنبه نعش ميت دليل على ضعف البصيرة والفكر

وكم من عظيم ظن أن بناءه خلود، أتاه الموت من مقط القصر

وأنقاض قصر كان للزهو مرتعاً تدين لبذخ النفس حقاً ولا تغري

ومن قال حراً ثم عبداً فقوله خرافات مخدوع بواقع ذا العصر

فكم من زعيم قاد قوماً وسادهم فساقوه عبداً قاصداً غيهب الأسر

وكم سيد عبد ذليل لشهوة وكم ذلها عبد رفيع بلا نكر

ويخترع الأحرار بالعلم حتفهم كما قد يزاح العبد بالجهل عن خسر

ولو كان للإنسان أمر منفذ لما إن طوت أحلامه تربة القبر

أحاط بكل الكائنات ضميره وعن بغتة يلقى من الترب في شبر

وللبحر والبر الرحيب تفاخر فأيهما في الكون أجدر بالفخر

فهذا يمد الناس بالدفء والهنا وذاك يمد الكون بالبرد والقطر

فكم تشهد الأضداد عين يريبها تصارع نهج الدين بالزيغ والكفر

فيبتر سيف القتل كل معارض ولو نجحت أفكاره جاء للصدر

ومخبأ عصفور رمته زوابع   كهيكل بطريق تهدم بالغدر
فهذا عن المحراب يلهث باحثاً   وذاك على العش الممزق في ذعر
فلم يغن للإنسان كل دهائه   ولم تزحم الأقدار أضعف ما يسري
كأنا مروج حل بالحر صيفها   فنحصد بالأيام من حيث لا ندري
أقول أنا : دنيا وأخرى. ومن يقل   بنفيهما، إدراكه ناقص القدر
ومن رام أن الدهر يهمل للفتى   يرى للنهى من قدر دائرة الصفر
ومن ظمأ يكفيك إنهاء غلة   سواء بموج البحر أو وشل النهر
وماريء من بالمال عاش مخلداً   ولكن حليف العلم عاش إلى النشر
وكم من غني مات جوعاً وماله   يزيل عن الأيتام ومسبغة الفقر
ومن لم تعظه الكتب فهو مغفل   وأكثر فهماً منه صلد من الصخر
شغاف فؤاد المرء أخصب ضيعة   لغرس زهور الحب في نسمة الفجر
تعانق أغصان المحبة مبدأً   يقود قلوب المخلصين إلى النصر
جداول واد في ترنم لحظة   تشد قلوب العاشقين إلى القفر
وحين يروا هام الجبال تلفعت   بتاج من الثلج المصاغ من الطهر
لهم تبد آمال الغريق بنجدة   تشد قلوب الصالحين إلى الذكر
يطهر للأرواح من زيغ حيرة   ويملأ للوجدان بالحمد والشكر
ولله يخلي العارفون قلوبهم   فتدرك أن الله ماسك ذا الأمر
فيرهف بالإيمان ذوق نفوسهم   فتسمو عن الآمال واليأس والصبر
فتحكم أن الله فاعل ما يشأ   ويجزي على فعل المكارم والشر

شبيهنا حمداتي ماء العينين

نظرات في تاريخ المذهب المالكي : -7-

الفتوى في المذهب المالكي

للدكتور عمر الجيدي

من الخطط الشرعية التي اهتم بها علماء الإسلام، وحاطوها بسياج من العناية والرعاية : خطة الإفتاء، لمالَها من الأهمية في نظر الإسلام وحياة المسلمين، فعليها تتوقف مصالح الناس، وبها يهتدون في شؤون دينهم ودنياهم، من عبادات، ومعاملات، وسلوك، وأخلاق. وبها تنتظم أمورهم، وتصان حقوقهم، وترعى مصالحهم... فإلى المفتي يفزع الناس حالما تحل بهم الملمات، وتحز بهم الأمور، وتداهمهم المعضلات، وتكثر بينهم النزاعات، وتحدث لهم الخصومات، وتختلط الحقوق، وتتجاذبها المصالح... ولأهمية الفتوى وجلالة قدرها، تولى الله أمرها بنفسه في محكم كتابه، وتولاها رسوله ﷺ، والصحابة من بعده، والتابعون من بعدهم، ومن خلف من بعدهم من أهل العلم...

ولقد أثر عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، أنهم كانوا يحرصون على الإفتاء في كل ما يعرض عليهم، فيروى أن أبا ذر كان جالسا يوما عند الجمرة الوسطى، وقد اجتمع عليه الناس يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه قائلا : ألم تنه عن الفتيا ؟ فرفع رأسه إليه وقال : أرقيب أنت علي ؟ لو وضعتم الصمصامة على هذه، وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم، قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها (1)، بل إنه رضي الله عنه كان لا يرى بطاعة الإمام إذا نهاه عن الفتيا، لأنه كان يرى أن ذلك واجب عليه، لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه، ولأن سمع الوعيد في حق من كتم علما يعلمه (2) كما أثر عن بعضهم أنهم كانوا يكثرون من الإفتاء في مسائل كانت تعرض عليهم حتى عرفوا بذلك، وبلغوا من الكثرة حدا أن أحدهم وهو : عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جمعت فتاويه في عشرين مجلدا، جمعها أبو بكر بن يعقوب، حسبما صرح بذلك العلامة ابن حزم (3)، ومثل الصحابة في ذلك التابعون، فإن الحسن البصري جمعت فتاويه في سبعة أسفار ضخام (4)، وكذلك الشأن بالنسبة لابن شهاب الزهري الذي جمعت فتاويه في ثلاثة أسفار ضخمة على أبواب الفقه (5) كما يذكر ابن حزم أن محمد بن مسلمة المخزومي له ديوان كبير جدا في الفتاوي (6) حتى إذا انتهينا إلى عصر أئمة الاجتهاد، رأينا الاهتمام بالفتوى يكثر، والإقبال عليها يزداد، ذلك أن الإمام مالكا - مثلا - تكلم في سبعين ألف مسألة - كما قالوا -

1) فتح الباري 148/1 ط : بولاق، ومقدمات ابن رشد : 26/1.
2) فتح الباري 148/1.
3) إحكام الأحكام لابن حزم 666/2 واعلام الموقعين 18/1 - 19 وكشف الظنون 1226/2.
4) اعلام الموقعين 19/1.
5) إحكام الأحكام لابن حزم 669/2.
6) المصدر السابق.

حتى إن فتاويه جمعت في مائة جزء، جمعها أبو بكر المعيطي وأبو عمر الإشبيلي (7)... فهذا يدلك على أن أمر الفتوى مما اعتنى المسلمون الأولون به عناية فائقة، وليس هذا بغريب، ما دام الناس محتاجين لمعرفة أمور دينهم ودنياهم، وهذا لا يعني أن هناك من كان يتحرج في الفتوى ويتهرب منها، فقد نقل ابن القيم أن هناك من الصحابة والتابعين من كانوا يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه أياها غيره (8) ونقل عن ابن أبي ليلى أنه أدرك عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا (9)، ولكن هذا لا يعني كذلك أنهم كانوا يمتنعون من الجواب فيما إذا عرض عليهم سؤال عرفوا وجه الحكم فيه، لا سيما ولهم في ذلك قدوة.. فالرسول عليه السلام - وهو المفتي الأول - كانت تعرض عليه قضايا الناس فيجيب عنها بما يتلقاه من الوحي عن ربه تارة، وبما حضره من جواب تارة أخرى.

ونجد كلمة السؤال في القرآن الكريم تتردد في غير موضع، وبمختلف الصيغ، يقول الله تعالى ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس**﴾ (10) ﴿**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾ (11) ﴿**ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير**﴾ (12)، ﴿**يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج**﴾ (13) ﴿**يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين**﴾ (14) ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير**﴾ (15) ﴿**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى**﴾ (16)، ﴿**يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات**﴾ (17) ﴿**يسألونك عن الساعة أيان مرساها، قل إنما علمها عند ربي**﴾ (18) ﴿**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول**﴾ (19) ﴿**يستفتونك، قل الله يفتيكم في الكلالة**﴾ (20) ﴿**ويستفتونك في النساء، قل الله يفتيكم فيهن**﴾ (21) إلى غيرها من الآيات... فالسؤال من الناس، والجواب من عند الله عز وجل، والرسول هنا مبلغ عن الله لعباده، يبلغهم شرع الله، ويبين لهم أحكامه، أما إن لم يكن هناك وحي فيتولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجواب بما يحضره من علم، وفي السنة النبوية ما يدل على ذلك...

أخرج الدارمي في سننه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر ؟ فقال عليه السلام : «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته» (22).

وسئل عليه السلام عن أكل الضب فقال : «لست بآكله، ولا محرمه» (23) وسئل عن فارة وقعت في السمن

---

7) ففي المعيار 358/6 نقلا عن الباجي ما نصه : « وقد جمع أبو عمر الإشبيلي أقوال مالك خاصة دون أصحابه في كتاب كبير زاد على مائة جزء قرأت بعضه ».
8) إعلام الموقعين : 27/1.
9) المصدر نفسه.
10) البقرة : 219.
11) البقرة : 219.
12) البقرة : 220.
13) البقرة : 189.
14) البقرة : 215.
15) البقرة : 217.
16) البقرة : 222.
17) المائدة : 4.
18) الأعراف : 187.
19) الأنفال : 1.
20) النساء : 176.
21) النساء : 127.
22) سنن الدارمي : 81/2.
23) سنن الدارمي : 81/2.

فقال : «ألقوها وما حولها وكلوا» (24)، وسئل عن البتع فقال : «كل شراب أسكر حرام» (25)، وسئل عن مقدار ما يوصي المرء به من ماله فقال : «الثلث، والثلث كثير» وسألوه عن تأبير النخل فقال : أنتم أدرى بشؤون دنياكم»، إلى غير ذلك من الأحكام التي صدرت عنه صلى الله عليه وسلم، تكفلت كتب السنة بحفظها وجمعها...

ثم لا يزال أمر الفتوى يعظم، والإقبال عليه يكثر، مع مرور الزمان، وتقلب الحوادث، واتساع العمران، وكثرة النزاعات والخصومات، واختلاف البيآت، وتنوع الأعراف والعادات، فكان من نتيجة ذلك أن اختلفت الآراء باختلاف الأحداث الواقعة أو المتوقعة، وتعددت بتعدد الأقطار والبيآت والتطورات، التي حدثت في المجتمع الإسلامي، وهكذا تدرجت الفتوى من عصر صدر الإسلام والعصور اللاحقة إلى وقتنا هذا...

تعريف الفتوى :

عرفت الفتوى (26) بأنها : إخبار بحكم شرعي من غير إلزام (27)، وزيادة القيد في التعريف، جيىء به ليخرج حكم الحاكم عند من يرى أنه إخبار بحكم شرعي على وجه الإلزام (28)، أما من يرى أن الحكم إنشاء، كما ذهب إلى ذلك القرافي، فلا يحتاج إلى زيادة هذا القيد. وعرف طاش كبرى زادة علم الفتوى بقوله : «علم الفتوى تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم».

وتطلق الفتوى على الحكم الذي وقع الإفتاء به، فيقال فتوى مشهورة أو ضعيفة، وهي في اللغة أعم منها في الاصطلاح، والواو فيها عن ياء، كتقوى فان ضم أوله صح، فيقال : فتيا، وتجمع على الفتاوى منقوصا ومقصورا قياسا فيهما، والنقص هو الأصل، والقصر تخفيف، وهي اسم مصدر بمعنى الإفتاء (29) وفي اللسان : الفتيا والفتوى ما أفتى به الفقيه، والفتح في الفتوى لأهل المدينة (30) قال ابن سيدة : وإنما قضينا على ألف أفتى بالياء لكثرة (ف ت ي) وقلة (ف ت و) (31)...

كما عرفوا المفتي بأنه المخبر عن حكم شرعي في المسألة المسؤول عنها لا على وجه الإلزام، وهو بهذا التعريف يباين القاضي من حيث إن هذا الأخير مخبر عن الحكم على وجه الإلزام بقوة السلطان، وينبغي التنبيه إلى أن الفتاوي والنوازل والمسائل والأجوبة أسماء لمسمى واحد، غير أن النوازل تختص بالحدوث والوقوع، فهي أضبط في التعبير من الفتوى التي تشتمل سؤال الناس عن الأحكام الشرعية، سواء حدثت أم لم تحدث، بمعنى أن المسائل عبارة عن تفريعات وفروض، في حين أن النوازل تقتصر على الوقائع الحادثة وهكذا تجد هذه الأسماء تتردد في كتب الفقه والنوازل بمختلف الصيغ، والمسمى واحد، فتراهم يقولون : مسائل ابن رشد، ونوازل ابن الحاج، وأجوبة المجاصي وفتاوي ابن عرضون، والكل شيء واحد لا يخرج عن سؤال السائل، وجواب المفتي سواء كان السؤال واقعا أم متوقعا...

والذي يجهل حكم الله في نازلة من النوازل مأمور بأن يسأل عن حكم الله فيها مصداقا لقوله تعالى : ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (32)...

وكما أوجب الله على الجاهل أن يسأل، أوجب على العالم أن يبين للناس ولا يكتم ما عنده من علم، وإلا شمله وعيد الله الوارد في قوله تعالى : ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**﴾ (33).

---

24) المصدر 109/2.

25) المصدر 113/2.

26) في كشف الظنون 1218/2 هي من الفتى وهو الثابت القوي وسميت الفتوى فتوى لأن المفتي يقوي السائل في جواب الحادثة، وجمعه فتاوى كدعوى ودعاوي. ودعاوي.

27) شرح الحطاب لمختصر خليل 32/1 وبغية المقاصد ص : 21.

28) المصدران السابقان.

29) نور البصر ص : 148.

30) لسان العرب 148/15 مادة (فتوى).

31) المصدر السابق.

32) سورة النحل : 43.

33) سورة البقرة : 159.

الأصل في الفتوى :

والأصل في الفتوى أن لا تقيد بقيود، ولا تخضع لتنظيم أو تقنين، بحيث تسند إلى أشخاص بالتعيين من قبل السلطة، بل شأنها أن تبقى مرسلة، يتصدى لها كل من أنس من نفسه القدرة على إفتاء الناس فيما يعرض لهم، وإذا كان المشارقة قد أخضعوها للتقنين واعتبروها وظيفة رسمية، ومنصبا من مناصب الدولة، فإنها في المغرب ظلت مطلقة من كل قيد، فلا تحجر على المفتي، ولا تدخل في شؤونه من طرف السلطة، فكل من أحرز على درجة من العلم تؤهله لأن يرتقي هذا المرقى أن يفتي الناس بما يراه، ولعل هذا كان سببا في ازدهارها في المغرب...

شروط المفتي :

على أن الفتوى وان ظلت هكذا مرسلة، فان هذا لا يعني أن كل واحد في استطاعته أن يتولى الإفتاء في قضايا الناس، ولا ترك باب الفتوى مفتوحا يلج منه كل من هب ودب، ولا أغمض أولو الأمر أعينهم عما يلحق هذه الخطة من ضرر وفساد، ولا سكت العلماء عن كل ما لا يليق وقداسة هذا المنصب الجليل، بل اشترط فيمن يتولى الإفتاء، أن يكون عدلا عارفا، كي لا يقدم عليها من لا يراعي حرمتها وقداستها، فالمفتي كما قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - قائم في الأمة مقام النبي صلى الله عليه وسلم، ونائب عنه في تبليغ الأحكام فهو من هذه الناحية شارع اما بواسطة النقل، أو بإنشاء الأحكام بسبب نظره واجتهاده، فهو مخبر عن الله كالنبي، وموقع للشريعة على أفعال المكلفين بحسب نظره، وأمره نافذ في الأمة (34). ومن شرط هذا أن يكون عالما لا جاهلا، فالجاهل لا يكون مخبرا عن الله، لذلك حدد العلماء شروطا لا بد من توافرها في المفتي، فحتموا أن يكون عالما بالأدلة التفصيلية، مع إلمام تام بالعلوم العربية، ماهرا في علم أصول الفقه، يعرف كيف يطبق النصوص على النوازل، ويعرف تنزيل الأحكام على القضايا، مدرجا الجزئيات تحت الكليات، عارفا بأحوال الناس وعاداتهم وأعرافهم، عالما بما يجرى به عملهم، مستحضرا نصوص المذهب الذي يفتي به، مفرقا بين مطلقها ومقيدها، وعامها وخاصها، مطلعا على اصطلاحات العلماء، سالكا في فتواه سبل التبصر والأناة، بعيدا عن التسرع والاندفاع، مكثرا من مطالعة أقوال الأئمة، ومراجعة الكتب المتخصصة، لتحصل له ملكة الفتوى، وتعمق فكره، وتقيه من الزلل، إذ فقه الفتوى يحتاج إلى تقنيات خاصة، زيادة على تحصيل القواعد (35).

فالفتوى صنعة لا يحسنها كل فقيه، فلا بد فيها من الدربة والممارسة، ومعرفة نفسيات المستفتين، ومراعاة أعراف البلد الذي يفتي فيه، روى ابن سهل عن الفقيه أبي صالح أيوب بن سليمان قال : «الفتيا دربة.. وقد ابتليت بالفتيا فما دريت ما أقول في أول مجلس شاورني فيه سليمان بن أسود، وأنا أحفظ المدونة والمستخرجة الحفظ المتقن» (36)، ومن ثم فرقوا بين علم الفتيا وفقه الفتيا، ففقه الفتيا، هو العلم بتلك الأحكام الكلية، وعلمها هو العلم بتلك الأحكام، مع تنزيلها على النوازل (37)...

ولما ولي الشيخ أبو عبد الله بن شعيب قضاء القيروان، وكان من كبار علماء عصره، صعب عليه الفصل بين الخصوم، فرجع إلى منزله أسفا مقبوضا فاستفسرته زوجته عن السبب، فأجابها قائلا : عسر علي حكم القضاء، فقالت له : رأيت الفتيا عليك سهلة، فاجعل الخصمين كالمستفتيين سألاك، فاعتبر ذلك، فسهل عليه أمر القضاء (38).

نقل الحافظ ابن العربي عن مالك أنه قال : لايكون الرجل عالما مفتيا حتى يحكم الفرائض والنكاح والطلاق والأيمان، ولا مفهوم لهذه الأبواب بل إن المفتي لا يجوز له أن ينتصب للفتوى إلا إذا كانت له معرفة تامة ودراية شاملة، واطلاع واسع على أبواب الفقه كلها، وقيل للإمام مالك : لمن تجوز الفتوى ؟ فقال : لا تجوز الفتوى إلا لمن علم ما اختلف الناس فيه، قيل له : اختلاف أهل الرأي ؟ قال لا، اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الناسخ

34) الموافقات : 244/4.

35) انظر أحكام ابن حزم 693/2 ـ 695.

36) المعيار 78/10.

37) المصدر.

38) المصدر.

والمنسوخ من القرآن ومن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا يفتي (39)...

المفتون طوائف :

وقد قسم أبو الوليد ابن رشد المفتين في مسائله (40) إلى طوائف ثلاثة :

أ ـ طائفة منهم اعتقدت صحة مذهب مالك تقليدا بغير دليل، فأخذت نفسها بحفظ مجرد أقواله وأقوال أصحابه في مسائل الفقه دون أن تتفقه في معانيها، فتميز الصحيح من السقيم.

ب ـ وطائفة اعتقدت صحة مذهبه بما بان لها من صحة أصوله التي بناه عليها، فأخذت نفسها أيضا بحفظ مجرد أقواله، وأقوال أصحابه في مسائل الفقه، وفقهت في معانيها، فعلمت الصحيح منها، والجاري على أصوله من السقيم الخارج عنها، إلا أنها لم تبلغ درجة التحقيق بمعرفة قياس الفروع على الأصول.

جـ ـ وطائفة اعتقدت صحة مذهبه بما بان لها أيضا من صحة أصوله، فأخذت نفسها بحفظ مجرد أقواله، وأقوال أصحابه في مسائل الفقه، ثم تفقهت في معانيها، فعلمت الصحيح منها، الجاري على أصوله من السقيم الخارج عنها، وبلغت درجة التحقيق بمعرفة قياس الفروع على الأصول، لكونها عالمة بأحكام القرآن، وعارفة بالناسخ منها من المنسوخ، والمفصل من المجمل، والخاص من العام، عالمة بالسنن الواردة في الأحكام، مميزة بين صحيحها، عالمة بأقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء، وما اتفقوا عليه واختلفوا فيه، عالمة من علم اللسان ما يفهم به معاني الكلام، بصيرة بوجه القياس، عارفة بوضع الأدلة في مواضعها...

فأما الأولى : فلا يصح لها الفتوى بما علمته وحفظته من قول مالك أو قول أحد من أصحابه، إذ لا علم لها عندها بصحة شيء من ذلك..

وأما الثانية : فيصح لها إذا استفتيت أن تفتي بما علمته من قول مالك أو قول غيره من أصحابه، إذا كانت قد بانت لها صحته، كما يجوز لها في خاصتها الأخذ بقوله.

وأما الثالثة : فهي تصح لها الفتوى عموما...

وعلى هذا التقسيم سار القرافي في الفروق (41) فقد جاء فيه : «اعلم أن طالب العلم له أحوال :

1) الحالة الأولى : أن يشتغل بمختصر من مختصرات مذهبه، فيه مطلقات مقيدة في غيره وعمومات مخصوصة في غيره، فهذا لا يجوز له أن يفتي.

2) أن يتسع تحصيله في المذهب بحيث يطلع على تفاصيل الشروحات والمبسوطات، وعلى تقييد المطلقات، وتخصيص العمومات، فهذا يجوز له أن يفتي بجميع ما ينقله، ويحفظه من مذهبه، إلا أنه إذا وقعت له واقعة ليست في حفظه لا يخرجها على محفوظه، لأنه لا قدرة له على التخريج، ومعرفة رتب العلل، ونسبتها الى المصالح الشرعية وغير ذلك من تفاصيل الأقيسة، ومعرفة القوادح، ولهذا لا يجوز التخريج إلا لمن هو عالم بتفاصيل الأقيسة.

3) أن يصل طالب العلم إلى جميع الشروط التي ينبغي أن يستجمعها المفتي مع الديانة والورع، والعدالة المتمكنة، فهذا يجوز له أن يفتي في مذهبه نقلا أو تخريجا، ويعتمد عليه فيما يقوله..

وقد أطال ـ رحمه الله ـ في شرح هذه الحالات فلينظر في محله.

ولا يختلف رأي الشاطبي عن رأي هذين العالمين، ففي الموافقات ما يفيد ذلك (42) ونقل ابن فرحون عن المازري مامعناه : أن الذي يتصدى للفتوى، أقل مراتبه أن يكون قد استبحر في الاطلاع على روايات المذهب، وتأويل الأشياخ له، وتوجيههم لما وقع من الاختلاف فيها، وتشبيههم مسائل بمسائل سبق إلى الذهن تباعدها، وتفريعهم بين مسائل يقع في النفس تقاربها، إلى غير ذلك (43).

---

39) جامع بيان العلم 47/2.

40) مخطوط خاص. وقد قام بتحقيق الكتاب بلدينا الأستاذ الحبيب التجكاني

41) الفروق 107/2.

42) الموافقات : 283/4.

43) التبصرة 53/1.

آداب المفتي :

من آداب المفتي أن يتثبت في فتواه، ولا يتسرع في الجواب، فقد سئل الإمام مالك عن مسألة فقال : لا أدري، فقيل له، إنها مسألة سهلة، فغضب وقال : ليس في العلم خفيف، أما سمعت قول الله : ﴿**إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**﴾ وقال : لا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلا لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه، وما أفتيت حتى سألت ربيعة ويحيى بن سعيد، فأمراني، ولو نهياني لا نتهيت، وقال : من سئل عن مسألة ينبغي له أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب فيها، وقال : ماأفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك (44) وكان كثيرا ما يردد : «أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار» ولا يجوز للمفتي أن يتبع في فتواه غرفه وهواه، أو يحابي في دين الله أحدا، أو يخضع لسلطة ما، وينبغي أن يفتي الناس بالمعروف المألوف، ولا يحملهم على الشدة، ففي الموافقات ورد أن المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذاهب الشدة ولا يميل بهم إلى طرق الانحلال، ولأن ذلك من مقاصد الشريعة، فما حملت الناس إلا على التوسط من غير إفراط ولا تفريط، فلو خرج المفتي عن ذلك خرج عن قصد الشرع، وهذا مفهوم من سيرة رسول الله ﷺ، وعلى هذا يكون الميل إلى الرخص في الفتيا باطلاق مضاد للتمشي مع التوسط، كما أن الميل إلى التشديد مضاد له أيضا، وهذا من أدب المفتي ينبغي أن يتحلى به (45).

أحوال الفتوى :

يبدو أن خطة الفتوى تعرضت ـ في مختلف مراحل حياتها ـ لكثير من الإهمال، وانتحلها من ليس لها أهل، فنقرأ في بعض المصادر أن طائفة من الفقهاء سجلوا ضجرهم وسخطهم، وأبدوا تحسرهم عما آلت إليه الفتوى في عصورهم، وتحدثنا بعض المراجع أن القاضي أبا الوليد الباجي حكى عن أحد أهل زمانه، أخبره أنه وقعت له واقعة، فأفتاه جماعة من المفتين بما يضره، وكان غائبا، فلما حضر قالوا : لم نعلم أنها لك، وأفتوه بالرواية الأخرى، قال : وهذا مما لا خلاف بين المسلمين المعتد بهم في الإجماع أنه لا يجوز (46)

وروى الحافظ ابن حزم ـ وهو معاصر الشيخ المتقدم ومناظره ـ أنه كان عندهم مفت قليل العلم، فكان لا يفتي حتى يتقدمه من يكتب الجواب، فيكتب تحته ـ على طريقة الكذلكة ـ جوابي مثل جواب الشيخ، وقد اتفق يوما أن اختلف مفتيان في جواب فكتب تحتهما : جوابي مثل جواب الشيخين، فقيل له : إنهما تناقضا، فقال : وأنا أيضا تناقضت كما تناقضا (47)، وقد ابدى القاضي أبو الوليد ابن رشد أسفه لهذه الظاهرة في مسائله وهو يتحدث عن طوائف المفتين (48) كما أن عصريه القاضي أبا بكر ابن العربي اعتبر هذا من المصائب التي نزلت بالعلماء في طريق الفتوى كثرت بسببها البدع (49).. إلى غير ذلك من الحكايات المؤلمة التي تبين الحالة التي كانت تنزل إليها هذه الخطة، وإذا كان هؤلاء قد عبروا عن سخطهم، وسجلوا ضجرهم، وقد عاشوا في عصر ازدهار العلوم، وعزة الفقه والفقهاء، فما ظنك بالعصور التي أعقبته ؟ لا شك أن حالتها كانت أسوأ في معظم الأحيان، ولقد عثرنا في بعض المصادر على كثير من التشكي والتذمر من بعض الفقهاء في مختلف عصور التاريخ أمثال : القرافي والشاطبي والمقري الجد وابن غازي، والهلالي.. وغيرهم كثير ممن تأسفوا على الحالة التي آلت إليها الفتيا بعد أن امتدت إليها أيد جاهلة، وتجرأ عليها من لا يتقي الله، ولا يخاف عذابه، والوقوع في المهالك، وبعد أن عم الجهل وغلب الفساد، وذاك شر عظيم، وخطب جسيم، وقد كان علماء قرطبة أيام مجدها، لا يقدمون أحدا للفتوى، ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، وتعقد له مجالس المذاكرة، ويستظهر المدونة وغيرها من أمهات كتب الفقه، كما يروي ذلك صاحب «النفح».

---

44) التمهيد 65/1 وبيان العلم وفضله 47/2 والمدارك 179/1.

45) الموافقات 258/4.

46) التبصرة لابن فرحون 64/1 والمعيار 12/12/وبغية المقاصد ص: 24.

47) الفكر السامي 430/2.

48) مسائل ابن رشد عند جوابه عن الفتوى وشروط المفتي (مخطوط).

49) العواصم من القواصم 489/2 تحقيق عمار طالبي.

الذي تجوز به الفتوى :

تجوز الفتوى بأربعة أشياء :

1) القول المتفق عليه في المذهب،

2) القول الراجح،

3) المشهور،

4) القول المساوي لمقابله، حيث لا يوجد في المسألة رجحان.

وفرقوا بين المشهور والراجح بأن الراجح قوته ناشئة من قوة الدليل نفسه من غير نظر للقائل، بينما المشهور نشأت قوته من القائل، فإن اجتمع في قول سبب الرجحان والشهرة ازداد القول قوة، وإن تعارضا بأن كان في المسألة قولان راجح ومشهور قدم الراجح، وتفصيل القول في هذه النقطة يخرجنا إلى موضوع تكفلت ببسطه كتب الأصول...

الكتب التي يفتى منها

قال القرافي في الأحكام : «كان الأصل أن لا تجوز الفتيا إلا بما يرويه العدل عن المجتهد الذي يقلده المفتي حتى يصح ذلك عند المفتين، كما تصح الأحاديث عند المجتهد، لأنه نقل لدين الله في الموضعين، وغير هذا كان ينبغي أن يحرم، غير أن الناس توسعوا في هذا العصر، فصاروا يفتون من كتب يضاهونها من غير رواية، وهو خطر عظيم في الدين، وخروج عن القواعد، غير أن الكتب المشهورة بعدت بعدا شديدا عن التحريف والتزوير، فاعتمد الناس عليها اعتمادا على ظاهر الحال. ولذلك أيضا أهملت رواية كتب النحو واللغة بالعنعنة، بناء على بعدها عن التحريف، وإن كانت اللغة هي أساس الشرع في الكتاب والسنة، وعلى هذا تحرم الفتيا من الكتب الغريبة التي لم تشتهر، حتى تتظافر عليها الخواطر، ويعلم صحة ما فيها، وكذلك الكتب الحديثة التصنيف إذا لم يشتهر إعزاء ما فيها إلى الكتب المشهورة، أو يعلم أن مؤلفها كان يعتمد هذا النوع من الصحة، وهو موثوق بعدالته، وكذلك حواشي الكتب تحرم الفتيا بها لعدم صحتها، والوثوق بها» (50). إلا أن الفقهاء لم يكونوا دائما يسيرون على النهج، ويتحرون الفتوى من الكتب المعتمدة، بل كانوا ينقلون عن الكتب الغريبة والشاذة، يظهر هذا من قول القاضي أبي عبد الله المقري الذي يذكر أن الناس «استباحوا النقل من المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها لأمهاتها.. ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف، وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب لا يدرى ما زيد فيها ومما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف فصار يؤخذ من كتب المخوطين كالأخذ من المرضيين. بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ولم يكن هذا فيمن قبلنا حتى تركوا كتب البرادعي على نبلها، ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب».. (51) وهكذا سارت فتاوي المتأخرين عبارة عن سرد الفروع بلا دليل، وقد تعجب البعض من فتاوي المتأخرين لكونهم يأتون «بالحكم موجها توجيها فكريا ساذجا دون أن يستدل عليه صاحبه بنص من نصوص القرآن أو الحديث، ولو كان الدليل واردا في المسألة المستفتى فيها فعلا، بل إنهم كانوا يستعظمون الفتوى بنص القرآن أو السنة، ولم تكن الفتوى تقبل إلا إذا أخذت من كتب المتأخرين، وخاصة مختصر خليل وشروحه، وبعض كتب نوازل المتأخرين، ولم يكونوا يرجعون إلى أصول المالكية في هذا الشأن، وهي كثيرة كالتمهيد والتهذيب، والنوادر، والواضحة، والمدونة، وجامع ابن يونس، والبيان والتحصيل... علما بأن هذه الأصول ما ورد فيها أسهل وأوضح، وهي التي كان يفتى بها قديما، فقد سئل الفقيه الرقسطي عن الكتب المعتمدة في الفتوى، فأجاب : إن المعتمد في ذلك : الموطأ، والمنتقى، والمدونة، وابن يونس (يقصد جامعه وهو تعليق على المدونة) والمقدمات، والبيان والنوادر (52).

واعلم أن العلماء حذروا من الفتوى ببعض الكتب مثل : أجوبة ابن سحنون، والتقريب والتبيين المنسوب لابن أبي زيد، وأجوبة القرويين، وأحكام ابن الزيات، وكتاب الدلائل والأضداد المعزو لأبي عمران الفاسي، فقد قال الإمام القوري في شأنها : إنها أباطيل وفتاوي الشيطان (53). كما حذروا من الفتوى بالكتب إذا لم يكن

---

50) الأحكام في تمييز الفتاوي من الأحكام وتصرف القاضي والإمام والتبصرة

51) نيل الابتهاج 247 وتعريف الخلف 97/1.

52) المعيار 109/11.

53) نوازل عبد القادر الفاسي 40/2 ونور البصر ص : 161.

المفتي قد قرأها على الشيوخ، فقد سأل بعضهم ابن رشد هل يجوز لأحد أن يناظر في الموطأ ولم يسمعه على أحد ولا عنده كتاب صححه أم لا ؟ فأجاب بأنه لا يصح لمن لم يعن بالعلم ولا سمعه ولا رواه، ولا جلس لتعلمه أن يناظر أو يفتي الناس، وقد أفتى أئمة المذهب كالقابسي، واللخمي، وابن رشد، بأنه لا تجوز الفتوى من الكتب المشهورة لمن لم يقرأها على الشيوخ فضلا عن الغريبة (54)، كما أفتى بعض الشيوخ بأن من أفتى من التقاييد يؤدب (55)، وفي هذا ينشد بعضهم متعجبا :

أمدعيا علما وليس بقارئ
كتابا على شيخ به يسهل الحزب !!

ومن الأبيات السائرة في هذا الشأن :

إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تكون أضل من توما الحكيم

وللفقهاء في اعتماد الكتب والأقوال المعتمدة في الإفتاء، اصطلاح ساروا عليه فقالوا : يفتى بقول مالك في الموطأ، فإن لم يوجد في النازلة، فبقوله في المدونة، فإن لم يوجد فبقول ابن القاسم فيها، وإلا فبقوله في غيرها، وإلا فبقول غيره في المدونة وإلا فبأقاويل أهل المذهب (56) على ما بينهم من تفاوت في الرواية والترتيب.. وعللوا ذلك بأن مالكا هو الإمام الأعظم، وابن القاسم أعلم الناس بفقه مالك، وأن ما في المدونة يقدم على غيرها لما هي عليه من الصحة (57)، وصح عن الباجي أنه قال : لا يخرج عن قول ابن القاسم ما وجد.. وقد كان فقهاء المغرب يعتمدون في فتاويهم على مختصر ابن الحاجب وشروحه، وكتاب التهذيب للبرادعي قبل دخول مختصر الشيخ خليل للمغرب، لكن بعد مجيئ هذا الأخير، انصرفوا إليه، ولم يخلطوا به غيره، - أو كادوا - حتى صار مرجعهم الأول والأخير، فاعتمدوه في الفتوى، وشرطوا لمن يفتي به أن يراجعه مرة كل عام (58).

المصنفات في هذا الفن :

سبق القول في بداية هذا الكلام، أن حركة التأليف في هذا الفن بدأت في عصر مبكر، وضربنا أمثلة بما دون من فتاوي ابن عباس، والحسن البصري، والزهري وغيرهم.. إلا أن المؤلفات في هذا الفن ازدادت كثرة مع مرور الزمان، وتنوعت كما وكيفا، ولا شأن لنا هنا بتتبع كل ما دون في هذا المجال، ولا نقصد إلى استقصاء ذلك، وإنما هدفنا ضرب الأمثلة لتبيين المجهودات التي بذلها المغاربة في هذا السبيل فلقد اسهموا بقسط وافر، فألفوا مجلدات ضخاما حفظت لنا الأيام بعضها، وغاب عنا البعض الآخر فيما غاب من تراث، غير أن ما وصلنا منه يدلنا على ما كان لهم من إسهامات مشكورة، وتعطينا صورة مشرقة على العقلية المغربية التي استطاعت أن تساير التطور الزماني والمستجدات التي كانت تحدث للمجتمع طوال عصور التاريخ، فقد كانوا يلاحقون هذا التطور بإيجادهم الحلول الملائمة للحوادث التي تحل بالناس، وتطرأ على المجتمع، فكان الفقهاء يقيسون النظير على النظير، والفرع على الأصل، يعملون فكرهم في النصوص، ويستنتجون منها الأحكام، ويستنبطون القواعد، يشهرون ويرجحون، ويخلصون إلى رأي في كل قضية إما جريا مع المصلحة، أو درءا المفسدة، أو جريا مع الضرورة، ولم يجمدوا مع النصوص، ولا تحجروا مع الأقوال المشهورة في المذهب كما يزعم البعض، ولكنهم كانوا يفتون بالقول الشاذ والضعيف متى رأوا المصلحة تقتضيه، وتعذر عليهم الذهاب مع المشهور، ويدافعون عن رأيهم في ذلك، ويعللونه تعليلا يجعلك تقتنع بما وصلوا إليه من اجتهادات، فأثبتوا بذلك أن الفقه الإسلامي بما احتواه من أصول وقواعد ومبادئ عامة، صالح لكل زمان ومكان، وكفيل بإعطاء الحلول لكل ما يحدث من تطورات ومعضلات، ما دام التشريع الإسلامي احتوى على قدر هائل من القواعد تندرج تحتها كل الجزئيات والتفصيلات التي يمكن أن تحدث مع مرور الزمان.

---

54) فتاوي عبد القادر الفاسي 191/1 ونور البصر 149.

55) نور البصر 162.

56) المعيار 23/12 وبغية المقاصد 24.

57) تبصرة ابن فرحون 62/1 والمعيار 23/12.

58) الفكر السامي 427/2.

إن ما خلفه أسلافنا في هذا الباب، يجعلنا نقف مع هذا الأثر وقفة إعجاب وتقدير لعقلية الفقهاء، الذين أعطوا الدليل على أن هذا الفقه ثابت بأصوله وقواعده، ومتحرك بقياساته واستنباطاته، يلبي حاجات الناس جميعا، ويرضي تطلعاتهم، وليس قاصرا كما يزعم أعداؤه وخصومه، ويفتري عليه المفترون من المتشرعين والمتفيهقين، ونورد فيما يلي طائفة من المؤلفات في هذا الفن، بعضها طبع طبعة حجرية محدودة العدد، وأغلبها ما يزال مخطوطا في المكتبات العامة ولدى الخواص تنتظر جهود الباحثين لنشرها وإخراجها للناس. ونبدأ أولا بما طبع :

1) نوازل أحمد بن يحيى الونشريسي المعروفة بالمعيار، طبع طبعة حجرية وأعيد طبعه مؤخرا ببيروت، وهو من أجمع الكتب المؤلفة في هذا المضمار (12 مجلدا).

2) نوازل المهدي الوزاني المعروفة بالمعيار الجديد، وهي كسابقتها من حيث الحجم (11 مجلدا) وإن كانت من حيث القيمة أجود، وتمتاز عن سابقتها بنقلها فتاوي المتأخرين، وقد طبعت طبعة حجرية وحبذا لو وقع الاختيار عليها لطبعها...

3) أجوبة عبد القادر بن علي الفاسي (مطبوعة).

4) أجوبة أبي الحسن الصغير، جمعها أبو القاسم ابراهيم بن عبد الرحمن التسولي وتسمى الدرر النثير (طبعت).

5) أجوبة محمد بن ناصر الدرعي المعروفة بالأجوبة الناصرية، من جمع محمد الصنهاجي (طبعت).

6) نوازل أبي الحسن علي بن عيسى بن علي المعروف بالشريف العلمي، طبعت على الحجر ويعاد طبعها بعناية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد صدر منها الجزء الأول.

7) نوازل ابن هلال أبي اسحاق ابراهيم الصنهاجي السجلماسي من ترتيب علي بن أحمد الجزولي (طبعت).

8) نوازل المناوي محمد بن المهدي البكري (طبعت).

9) نوازل القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بردلة الفاسي، جمعها أحمد الخياطي الدكالي (طبعت).

10) نوازل أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد العباسي السوسي، من جمع أحمد بن ابراهيم السملالي طبعت في جزئين.

11) نوازل الشيخ التاودي ابن سودة (ط).

12) نوازل محمد بن الحسن المجاصي الفاسي (ط).

13) أجوبة محمد بن المدني كنون المستاري (ط).

أما التي لا تزال مخطوطة فمنها :

14) فتاوي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (تحفة الفتاوي) نور البصر ص : 149.

15) فتاوي عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ابن سودة (عمدة الراوي في جمع ما من به المولى من الفتاوي) مخطوطة الخزانة الملكية رقم 724.

16) فتاوي محمد بن علي المنبهي من جمع البوسعيدي - الخزانة الملكية رقم 4500.

17) مسائل أبي الوليد محمد بن رشد سبق التنبيه إلى أنها حققت ولعلها تحت الطبع.

18) نوازل أحمد بن علي الهشتوكي البوسعيدي (مخطوطة الخزانة الملكية 7144).

19) نوازل أحمد الشدادي نسبها إليه الحجوي في الفكر السامي 2 / 285 والأزهري في اليواقيت 1 / 46، ويمتلكها أحد الأشخاص بمدينة تطوان.

20) نوازل العربي بن محمد الهاشمي العزوزي الزرهوني تقع في مجلدين.

21) نوازل عمر بن عبد القادر الرندي يقول عنها أستاذنا عبد العزيز بنعبد الله : إنها من أجمع نوازل المتأخرين.

22) نوازل القاضي عياض اليحصبي (مذاهب الحكام من نوازل الأحكام) مخطوطة بالخزانة الملكية رقم 4042 وينوي أحد خريجي دار الحديث الحسنية تحقيقها.

23) نوازل عيسى بن عبد الرحمن السكتاني الركراكي (مخطوطة الخزانة العامة رقم 1728، د بالرباط).

24) نوازل محمد بن أحمد العبادي نقلها ابن أبي القاسم السجلماسي.

25) نوازل محمد بن أحمد العبدي الكانوني (الجامع الحاوي للنوازل والفتاوي).

26) نوازل محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الكيكي (مواهب ذي الإجلال في نوازل السائبة والجبال).

27) نوازل محمد بن محمد الورزازي (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 1947 د).

28) نوازل محمد بن المختار بن الأعمش الشنقيطي (مخطوطة الخزانة الملكية 5742).

29) نوازل المكي بن عبد الله البناني المتوفى 1255 هـ (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 1852 د).

30) نوازل يحي بن أحمد بن عبد الله المغيلي المازوني (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 883 د) وتوجد نسخ منها متعددة عند الخواص.

31) نوازل ابراهيم بن حسن المكنى بابن عبد الرفيع (مخطوطة الخزانة الملكية 8119).

32) نوازل محمد بن محمد بن محمد التاوادي.

33) نوازل عبد العزيز بن الحسن الزياتي الغماري المسماة بالجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة توجد نسخ منها متعددة إحداها بالخزانة العامة بالرباط برقم 1698 د في مجلدين ضخمين.

34) أجوبة ابن غازي المسماة الإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان.

35) فتاوي أبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي امديدش، في مجلدات (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط برقم 882 د والموجود فيها مجلد واحد.

36) نوازل أبي الفضل ابن تركات وهي عبارة عن جمع ما أفتى به أبو سعيد ابن لب، توجد عند الزميل محمد متانا أحد باعة الكتب بتطوان.

37) نوازل أبي عبد الله محمد بن الحاج القرطبي توجد عند بعض الخواص، وتوجد نسخة غير تامة بالمكتبة العامة برقم 55 ج وهي نادرة.

38) نوازل أبي الوليد ابن هشام صاحب كتاب المفيد المتوفى 606 هـ.

39) نوازل أبي علي الحسن بن يوسف الزجلي الشهير بابن عرضون الغماري نقل عنها الشريف العلمي، وأشار إليها في مطلع نوازله.

40) نوازل عبد الرحمن الحايك التطواني، لا تزال نسخة منها عند بعض حفدته وقد ضمنها المهدي الوزاني معياره.

41) نوازل أبي العباس أحمد الرهوني التطواني طبع بعضها بتطوان.

42) أرجوزة فيما تجب به الفتوى وما يعتمد من الكتب لمحمد النابغة الشنقيطي ـ المطبعة الملكية بفاس.

43) نوازل إدريس الحسني يوجد منها مجلد واحد مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم 885 د.

44) أجوبة أبي الخيرات محمد المصطفى الرماحي (1136 هـ) مخطوطة بالمكتبة العامة بالرباط رقم 1641 د.

45) أجوبة أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي (1102 هـ) توجد مخطوطة بالمكتبة العامة رقم 1241 د.

46) الأجوبة المهمة لمن له بأمر دينه همة، للمختار الكنتي مخطوطة بالخزانة العامة رقم 1429 د.

47) أجوبة الشيخ أحمد القباب الفاسي (778 هـ) مخطوطة الخزانة العامة رقم 1447 د.

48) نوازل أبي سالم العياشي (الخزانة العامة بالرباط رقم 896 ك).

49) نوازل محمد القصري (الخزانة العامة بالرباط رقم 877 ك).

50) نوازل أبي محمد بن القاسم الغرناطي (الخزانة العامة بالرباط رقم 1839 د).

51) فتاوي محمد بن أبي القاسم السجلماسي مخطوط الخزانة الملكية رقم 6822.

52) مختصر نوازل البرزلي لأحمد بن يحيى الونشريسي الخزانة الملكية رقم 6307.

53) مختصر أجوبة العباسي لمحمد بن أحمد بن ابراهيم ايكون (الخزانة الملكية رقم 1103).

54) جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين والأحكام لأبي القاسم البرزلي (الخزانة الملكية 4887).

55) نوازل أحمد بن محمد المعروف بابن العباس البوعزاوي الفاسي (ت 1337 هـ) في ثمانية أسفار (المعيار 1/ي).

56) فتاوي ابن عبد النور التونسي (التبصرة لابن فرحون 1 / 67).

57) فتاوي أحمد بن محمد بن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني (أعلام الجزائر ص 39).

58) مسائل الفتوى لأحمد بن محمد بن زكري التلمساني (أعلام الجزائر 41) وتعريف الخلف 1 / 43.

59) فتاوي أحمد بن عيسى البطيوي التلمساني (أعلام الجزائر 32).

60) فتاوي عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي التلمساني (أعلام الجزائر 105).

61) فتاوي الشريف التلمساني محمد بن أحمد بن يحي (أعلام الجزائر 139).

62) فتاوي محمد بن أحمد التلمساني المشهور بالجلاب (أعلام الجزائر 144).

63) فتاوي محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني (أعلام الجزائر 153).

64) فتاوي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي صاحب مسألة فتوى يهود توات (أعلام الجزائر 160).

65) فتاوي أحمد بن محمد بن ذاقال الجزائري (أعلام الجزائر 42).

66) فتاوي علي بن محمد الحلبي الجزائري (أعلام الجزائر 120).

67) فتاوي عبد القادر الراشدي القسنطيني (أعلام الجزائر 94).

68) فتاوي حميدة بن محمد العالي الجزائري (أعلام الجزائر 71).

69) فتاوي محمد بن عبد الرحمن بن أبي العيش الخزرجي التلمساني (أعلام الجزائر 155).

70) فتاوي عمران بن موسى المشدالي البجائي (أعلام الجزائر 126).

71) فتاوي علي بن عثمان المنجلاتي الزواوي البجائي (أعلام الجزائر 117).

72) فتاوي عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني الشهير بالوزان تعريف الخلف 81/1 (أعلام الجزائر 125).

73) فتاوي عبد الرحمن بن أحمد الدغليسي (أعلام الجزائر 83).

74) فتاوي علي الدنيسي (أعلام الجزائر 122).

75) المسائل المطرة في النوازل الفقهية لحسن بن علي بن باديس القسنطيني المعروف بابن قنفد (أعلام الجزائر 67).

76) نوازل فقهية لأحمد أحوزي (النبوغ 301).

77) نوازل أبي عبد الله محمد التماق (النبوغ 302).

78) أجوبة بن عزوز المراكشي الصوفي (النبوغ 303).

79) اختصار نوازل ابن رشد لابن عبد الرفيع (مجلة جوهر الإسلام ص 8 عدد 9 ـ 10 السنة 14).

80) أجوبة ابن قداح التونسي (مجلة جوهر الإسلام ص 8 عدد 9 ـ 10 السنة 14).

81) محمد بن عثمان النجار التونسي له فتاوي في 8 مجلدات (شجرة النور 421 وطبقات الأصوليين 165/3).

82) أبو محمد عبد الله بن إسحاق ابن التبان له كتاب في النوازل (معالم الإيمان 94/3).

83) أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي له كتاب في النوازل قيل عنه إنه مفيد جدا (المدارك 187/8 والمعيار 111/7).

هذا ما أمكننا الإطلاع عليه والتثبت منه، ولا ريب أن مافاتنا من المصنفات في هذا الفن أكثر بكثير، إذ لو أننا استزدنا الموضوع بحثا لزادنا مؤلفات أخرى بالتأكيد غير أن ما ذكرناه كاف في التدليل على أن المغاربة قد ضربوا بهم صائب في هذا الميدان، واستطاعوا بذلك أن يغنوا الثقافة الإسلامية في ميدان التشريع والأحكام.

د : عمر الجيـــدي

العرش لواء

للشاعر الأستاذ محمد أجانا

ضجت الألحان في قلبي وصدري   وجرت فوق لساني مثل بحر
وغدت أصداؤها فوق الروابي   وعلى الأطلس تري سير فجر
سمع الدهر بها فابتسمت أيا   مه بسمة بستان وعطر
قبس البلبل منها نغمات   حلوة الصوت طليقا مثل حر
وصفا النهر كما تصفو القلوب   وانثنى يجري بلا قيد وحصر
وبدا الصبح رقيقا وشفيفا   ومضى ينشر أضواء بغمر
وإذا الأرض الرحيبة عطشى   لضياء تتلقاه بصدر
وعلا البشر وجوها قد غدت تر   نو إلى الدنيا بحب وببشر
وإذا الكون جميعا جنة أبـ   دعها الله لإنسان بخير

☆ ☆

ضجت الأنغام في لبي ونفسي   تعلن الناس بعيد مستمر
هو عيد العرش رمزاً لبلادي   قد حمى وحدتنا من كل شر
إنه يجمعنا في وحدة مثـ   ـلى وينفي كل تمزيق ونكر
يجمع الشمل وقد كان شتيتا   يجعل الشعب قويا دون كسر
إنما العرش لواء تحته نحـ   ـيا جميعا دون تمييز وعسر
قد وضعناه على ركن القلوب   ثم صغناه من الحب الأبر
من قديم كان مجدا لبلادي   سوف يبقى بيننا أعظم ذكر
إنه يحمي التراب مصونا   ويرد المكر عن كل شبر
صامدا رغم الدواهي والخطوب   في نضال مستميت مشمخر
إنه الراسخ في قلب الحنايا   لم تزعزعه رياح كل دهر

عرشنا كنز ثمين قد عشقنا / ه وتهنا في الغرام المستقر
عرشنا عز ومجد دائم ما / حافظ الكون على طبع وسير
عرشنا ضحى بغال ونفيس / كي يعيش الشعب حراً دون قهر
كيف نحيا دونه ياويلنا من / ضيعة القلب وفقدان لفكر ؟
لم نعد نعرف عنه من بديل / كيف نهوى غيره من دون خسر ؟
إنه الحكمة والعقل الرزين / صالح في كل وقت سوف يجري
وأرى فيه ضمانا للحياة / تسعد الشعب ولا يشقى بمر
ولنا فيه أمان وهدوء / لم نجد فيه سوى العيش الأغر
بالرواسي لم تمد أرض الإله / وستبقى تحمل الناس بوفر
هكذا العرش مثيل بالرواسي / هكذا المغرب كالأرض بصخر
فنعمنا بالتوازن فيه / وارتبطنا مثل شهر تلو شهر
اسمعوا صوت الليالي والقرون / تنشر اليوم عن العرش بفخر
صفحات دهش التاريخ منها / إنها المجد أتى في ثوب نصر
إنه يبدو كفرع في السماء / مثلما يعمق في الأرض بجذر
طيبا كان كأشجار العبير / فاح من أعماله اليمن بعطر
وله توأم روح عبقري / يحفظ المغرب من حيف بعطر
إنه الدستور أمنا وسلاما / يضبط الشعب فلا يخشى من الضر
إنما المغرب دستور ـ مليك / إذ هما العيش مريئا غير مزر

☆ ☆

رنت الأنغام في دنيا شعوري / تخبر الشعب بعرش مستمر
يجلس اليوم عليه سيد من / سيد من دوحة الملك وفخر
يحمل العبء ثقيلا مثل قد / حمل الرسل وقد قاموا بنشر
لم يكن غير مليك (حسن) يسـ / ـعى لنقل الشعب من ضيق وفقر
ماحيا عنه صنوف التخلـ / ـف يبغي رغدا يجري كنهر
ساهرا كل الليالي باحثا عـ / ـما يفيد الناس من خير وبر
عقله يجري مع الدنيا سليما / قلبه يمشي مع الله بذكر
فهنيئا لمليك جمع العقـ / ـل بقلب وامتطى أسلم بر
قاوم الأحداث من غير ظلال / ومضى يقضي على الطيش بوكر
رفع الدين مقاما عاليا لم / يتواجد فيه يوما أي بدر
ولقد أرسى مبادي البرلمان / وابتنى العدل بحزم لا بقسر
قاد للعرب سفينا في عباب / صاخب الموج بتيار وغور
آه منا ـ وفلسطين ـ غدت في / يد عرب كرة ترمى لقبر

حاربوها وهم الأهل فماذا ؟ تركوا للأجنبي من سوء مكر ؟
إن «رسيا» قد خبرناها طويلا لم تكن غير بروق دون قطر
«وأربا» و «أمريكا» هل تريدا ن بنا ربحا وخيرا أي خير ؟
لا تظموا، إن هم شر جميعا من قديم قد عرفناهم بكفر
لو تمادينا على حالاتنا يا ويلنا منهم فقد صرنا لحشر
وإذا شئنا التحرر حقا فبأيدينا ولو حتى بظفر
مع إخلاص وتوحيد القلوب وارتباط الصف والمسعى بأزر
وبتخطيط الغد المأمول تلو الـ ـفكر يمشي في زوايا الخلق يدري
فبذا نصنع كل المعجزات نربح المعركة الكبري بنصر

☆ ☆

غربة مكتوبة فوق جبين الـ ـلفسطيني ليس يحظى بمقر
لاجئا ينتظر الغوث ليحيا كطريد في خيام خاسر العمر
حاملا بين الحنايا فلسطينه باحثا عن وطن كالمستقر
قدر يحيا رحيلا في رحيل وانشقاقا سحق الحق بغدر
محن مرت عليه ومآسي ومصيبات بأخرى سوف تغري
إن «صبرا وشتلا» عار إسرا ئيل لن يمحى ولا يبقى كسر
وبنو صهيون يبغون ابتلاع الـ ـشرق طوعا أو بحرب أو بنحر
تركوا الأردن - لبنان وسوريا وكذا مصر هشيما بمر
آه من لبنان قد أضحت دمارا وخرابا دمر النفس بعهر

☆ ☆

بينما المغرب في حزن عميق برحيل الفلسطيني من الحر
إذ رأى حزنا جديدا وكثيفا كان دمعا جاريا بل قصف ظهر
إذ فقدنا عنصرا من دوحة المل ـك أميرا كان ذا فضل وقدر
وشقيقا للمليك الحسن الثا ـني أصيلا ذا وفاء مثل صخر
فارحم اللهم ابنا كان «للخا مس» أنسا يوم نفي يوم أسر
فنتقبل - يامليكي - التعازي من فؤادي صادق القول بطهر

☆ ☆

عهدك الفاخر غصن ذهبي ملئت آفاقه تمرا كتبر
عهدك الزاخر قد أمسى مليئا مكرمات ومزايا دون حصر
أصبح المغرب في دنيا الحياة بك مشهورا وفي كل قطر
يوم ناديت لعقد اجتماع كان للإسلام فيه خير دور
فاستجابت قادة الإسلام تبغي وحدة الصف وتبغي نيل أجر

وإذا «البيضاء» تضم الرؤساء ... لبناء سوف يعلو كل قصر
وحدوا الأهداف حقا والأماني ... وأرادوا خدمة الله بجهر
مثلما يبغون تحطيم القيود ... وعن الأمة جمعا كل نير
وإذا القدس على الحفل الكريم ... تتمنى عتقها من أي حجر
وفلسطين تناديكم جميعا ... طهروا أرضي من «اللوبي» المضر
هذه «الأفغان» تبكي من أساها ... حطم الروس عليها كل جسر
مثل صحرانا أراها تستغيـ ... ـث من الخصم الذي يرمي لقعر
إن «إيران» تمادت في الضلال ... عشقت كل لهيب ـ كل جمر
أنقذوا منها «غراقا وخليجا» ... ليس للداء سوى قطع وبتر
إن مليارا من المسلمينا ... كدواة ما بها سائل حبر
أي نفع منهم إن لم يخوضوا ؟ ... كل أصناف النضال المستعر ؟
فلماذا لم يكونوا كجنود ؟ ... أو لتحرير ببر أو ببحر ؟
أو يكونوا مثل إعصار مبيد ؟ ... يرفع الفأس لهدم أو لحفر ؟
كمشة من كل آفاق الوجود ؟ ... ركزوا أعلامهم في أرض غير
باسم صهيون أحبوا أن يقيموا ... دولة تحميهم من أي ذعر
خسئوا بل ضل مسعاهم وخابوا ... وعلى أعقابهم عادوا بخسر
يا مليكي هذه عاطفة الـ ... ـنفس قد صورها حبي وشعري
إنني أرجو من الله لكم ... رفعة الشأن عزيزا طول عمر
وولي العهد يحيا في ظلال ... من أمان باسمات مثل زهر

مكناس : محمد أجانا

●● يحكى أن النبي ﷺ جاءه رجل سأله عن عواطف أسرته نحوه فأجابه النبي ﷺ وقال.. استفت قلبك. وشعبي العزيز هو قلبي النابض وحينما استفتيه دائما يرد علي بنعم وبالاستجابة وبالاستجابات السريعة الفاهمة العاقلة المتعقلة ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

الصّحوة الإسلاميّة

تاريخا ومنهجا
ودور المغرب في تدعيم أسسها.

للأستاذ أحمد بودهان

حقيقة الصحوة ـ نشأتها وتطورها ـ جذورها السلفية ـ مبادئها وأهدافها ووسائل تحقيقهما ـ دور مغرب الحسن الثاني في تدعيم أسسها ـ روادها الحاليون ـ موقف الغرب منها ـ أثرها ومستقبلها ـ

كثر الحديث عن الصحوة الإسلامية المباركة، وذلك بكثرة مايكتب ويؤلف وينشر من حين لآخر في الجرائد والمجلات ووسائل الإعلام عموما... حتى أن المرء المسلم المؤمن الصادق لا يسعه ـ والحالة هذه ـ إلا أن يتفاءل بهذه الصحوة خيرا، منتظرا منها تحقيق ذلك الأمل المأمول المتوخى من صحوتها المباركة وخاصة إذا خلصت النيات، وحسنت النوايا، وساير الفعل القول، وواكب التطبيق النظر حتى تصبح الصحوة فعلا قوة عالمية ثالثة كما يقول عنها الخصوم المتخوفون منها، وثورة دينية إنسانية إصلاحية متطورة شاملة معنويا وروحيا وماديا وإجتماعيا كما يتوقع أنصارها وروادها المخلصون...

إلا أن المتتبع لكل ما يكتب ويقرأ وينشر عن هذه الصحوة، يلاحظ أحيانا، وكأن هناك نوعا من التفكك والتمزق في «الوحدة الهيكلية بخصوص البحث المنهجي العلمي» لها، ذلك المنهج الذي ينبغي أن يكون منهجا قارا وثابتا ومترابط العناصر والحلقات والأفكار والبرامج، واضح المعالم والمبادىء والأهداف، حتى يتسنى للجميع أن يستوعب أهداف الصحوة وحقيقتها، وأن يكون على بصيرة من مبادئها ومسارها ونشأتها وتطورها، مما يسهل الأمر على الأجيال الصاعدة لتحذو حذوها، حالا أو آجلا إن شاء الله، وخصوصا وان هذه الصحوة قد آن لها الأوان أن تدخل التاريخ من بابه الواسع لا محالة، أحب من أحب من الخصوص، أو كره...

ومن أجل هذا فانني سأتناول موضوع «الصحوة الإسلامية» هنا لا كحديث إنشائي، أو كلام خطابي، أو بأسلوب وجداني، أو ما شابه ذلك من الخواطر العفوية، بل ارتأيت أن أتناول الموضوع هنا تناولا منهجيا علميا تاريخيا، أربط السابق باللاحق، مرتبا مراحل نشأتها وتطورها وأثرها، معتمدا على بعض المصادر والوثائق التي تمخضت عنها جل المؤتمرات الإسلامية والعربية واللقاآت والندوات التي انعقدت في إطار هذه الصحوة المباركة، انطلاقا من مؤتمر القمة الإسلامي الأول المنعقد بالرباط تحت الرئاسة الفعلية لجلالة الحسن الثاني نصره الله، ثم المؤتمرات التي تلته إلى الآن، على أن أترك الباب مفتوحا لغيري من الباحثين والمؤرخين والمفكرين الإسلاميين ليستدركوا ما فاتني ويصوبوا ما غاب عني، حتى يصبح

للصحوة الإسلامية منهجها التاريخي الواضح المعالم والمبادىء والأهداف كحركة تاريخية اصلاحية دينية سلفية متطورة حديثة، وبالتالي قوة عالمية ثالثة تهيمن لا محالة على القوتين الطاغيتين الحاليتين الشيوعية منها والإمبريالية...

وبتعبير وجيز... أريد بمحاولتي هاته «ان أورخ للصحوة» وذلك حسب تسلسل العناصر المشار إليها اعلاه واحدة تلو الأخرى فأقول :

أولا ـ حقيقة الصحوة في المبنى والمعنى :

من حيث المبنى الشكلي اللغوي، يعتبر لفظ «الصحوة» هذه الذي أطلق خصيصا على هذه الحركة الإصلاحية الدينية الحديثة لفظا حديث الاستعمال من حيث دلالته في هذا المجال، أما من حيث مدلوله الاصطلاحي الديني المراد له فهو لفظ مرادف للفظ «النهضة» مثلا، أو لفظ «اليقظة» أو لفظ «الانبعاث» أو ما شابه ذلك من دلالات الألفاظ الحضارية التي برز استعمالها إبان النهضة العربية الحديثة منذ بداية القرن العشرين وإذا كان من غير اللازم أن نبحث عن الشخص الذي استعمل لفظ «الصحوة» هذا لأول مرة في سياق موضوع هذه الدعوة إلى الله على أسس متطورة ـ فإنني أرجح أن يكون اللفظ بدىء في اطلاقه بهذا المفهوم الإصلاحي منذ بداية السبعينات، ثم عم استعماله بسرعة حتى اختير ليطلق على هذه الحركة الدينية السلفية الحالية، وخصوصا بعد أن تعددت تلك اللقآت والمؤتمرات والندوات الإسلامية والعربية من أجل جمع الشمل وتوحيد الصف العربي على أسس إسلامية صافية، انطلاقا من «مؤتمر القمة الإسلامي بالرباط». مع الإشارة إلى أن لفظ الصحوة هذا، والذي أطلق خصيصا على البعث الإسلامي الحالي الجديد، هو لفظ يعتبر أبلغ وأنسب في دلالته المعنوية والمجازية بالقياس إلى الألفاظ الحضارية الأخرى التي سبقته في الاستعمال إبان بداية القرن العشرين، كلفظ الحركة ـ النهضة ـ الانبعاث ـ الثورة.. الخ.. وذلك ان دلالة هذه الألفاظ هي دلالات كانت تركز معانيها أساسا على «العقيدة الوطنية» رغبة في التحرر السياسي الوطني ورغبة في الانعتاق والحرية والاستقلال بمحاربة الدخيل عن طريق أثارة الحماس الجماهيري ضد الاستعمار بإسم الوطنية، وحتى إذا سلمنا بحضور «العقيدة الدينية الروحية» بجانب العقيدة الوطنية كما رأينا في الدور الذي قام به الأزهر والقرويين مثلا فانه مع ذلك تبقى «العقيدة الوطنية» هي المرتكز الأول نظرا للظروف المعاشة المتمثلة في المواجهة المباشرة للعدو، ونظرا لمخلفاته وأساليبه التي كانت مجسدة بالدرجة الأولى في سياسة التفقير والتجهيل والتجويع وتشويه العقيدة الدينية بمعالم الخرافات والشعوذة والاستسلام والرضا بالقضاء والقدر...

أما لفظ «الصحوة» هذا والذي اطلق حديثا على هذه الحركة الإسلامية الحالية، فهو لفظ ترتكز معناه أساسا على «العقيدة الإيمانية الروحية التوحيدية» التي قال عنها الرسول محمد ﷺ :«لايصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أوله»، وهو الرجوع إلى التعاليم الإسلامية الصحيحة والشاملة للقول والفعل عقيدة وسلوكا ومعاملات وكل ما يستلزم ذلك من التفتح العلمي التكنولوجي الحديث...

هذا عن حقيقة لفظ «الصحوة» من حيث المبنى عموما...

أما حقيقة «الصحوة» من حيث المعنى الاصطلاحي الديني الإسلامي المعاصر، فانها تعني «تلك الحركة السلفية المتطورة الحديثة المباركة القائمة على أساس الدعوة إلى الله، والرجوع إلى ما كان علي السلف الصالح من نكران الذات ووجوب الثبات على العقيدة، مع تطبيق الشريعة والأخذ بكل وسائل التطور العلمي والفكري ماديا وروحيا وإجتماعيا وثقافيا وسياسيا وعسكريا وحضاريا وتاريخيا وكل ما يدخل في إطار مفهوم الصحوة من أجل ترك الجمود والخمود والتزمت والركود والغفلة والتقهقر جانبا، ثم الأخذ بكل وسائل التقدم العلمي بكل آفاقه وشعبه ومعارفه تكنولوجيا وجيولوجيا وبيولوجيا واقتصاديا وتربويا...»

إذ بهذا المفهوم المنطقي الموضوعي الواقعي لحقيقة «الصحوة الإسلامية هاته» يستطيع المسلمون فرض وجودهم، وهذا بدوره لا يتأتى لهم إلا إذا تسلحوا بسلاح العلم وقوته وسلطانه مع سلاح الإيمان...

ثانيا ـ نشأة الصحوة الإسلامية تطورها : (من السلفية إلى الصحوة) :

بفضل الإسلام الذي جاء مجددا للحنيفية على يد محمد الرسول خاتم الأنبياء ـ استطاع العرب أن يصبحوا أمة قوية متحدة موحدة تهابها الشعوب والأقطار بعد أن كانوا قبائل متناحرة يسودهم الظلم والشرك والطغيان. ولما انتهى عهد الرسول ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين، وانتهى بعد ذلك عهد الاجتهاد والازدهار العلمي والحضاري والفكري والمادي في القرن الرابع الهجري ـ ارتكن الناس بعد هذا التاريخ الزاهر إلى الجمود والخمول والتقليد والتعصب لهذا المذهب أو ذاك، إما جهلا أو رغبة في تلبية النزوات والشهوات والأغراض الذاتية مما أدى إلى الانحراف عن جادة الصواب، والحياد عن جوهره تعاليم الإسلام، والميل إلى العديد من المظاهر والشكليات والسطحيات والخرافات المشوهة للعقيدة التوحيدية الصحيحة والمحرفة للعديد من تعاليم الشريعة الإسلامية...

أقول... بعد انتهاء تلك العصور الزاهية الأولى من تاريخ الإسلام، وظهور معالم الانحراف في القول والفعل والسلوك والمعاملات ـ قامت حركة دينية اصلاحية أولى بعيد القرن الرابع الهجري على يد بعض الفقهاء، وخاصة منهم الحنابلة، إلا أن الحزازات المذهبية التي كانت سائدة آنذاك، والاوضاع السياسة والاجتماعية والفكرية المتدهورة حالت دون فعالية هذه الحركة، وبقى الأمر يزيد تدهور أو خاصة بعد هجمات التتار والصليبية حتى القرن السابع الهجري حيث ظهرت حركة دينية اصلاحية أخرى على يد «ابن تيمية» و«ابن القيم الجوزية» ثم الحركة الوهابية في القرن الثالث عشر الهجري وكانت هذه الحركات كلها تدعو المسلمين إلى الرجوع إلى النبع الصافي من تعاليم الأسلام من أجل اصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية، والعودة بهم إلى ما كان عليه السلف الصالح حتى سميت هذه الحركات بـ «السلفية» أو الحركة السلفية التي كادت أن تؤتى اكلها لولا الزحف الاستعماري الذي منيت به الأمة العربية ابتداء من أواسط القرن التاسع عشر الميلادي...

وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري موافق بداية القرن العشرين الميلادي ظهرت حركة اصلاحية دينية أخرى تعتبر امتدادا لسابقتها إلا أنها كانت متطورة ومتفتحة أكثر على يد زعماء ومفكرين إسلاميين ومصلحين في المشرق والمغرب حتى أطلق عليها «السلفية الحديثة». ومن روادها في المشرق والمغرب «الأفغاني» و«عبده» و«السنوسي» و«قبادو» و«الثعالبي» و«ابن باديس» و«الدكالي» و«العلوي» و«علال الفاسي» و«الوهبي» وغيرهم...

والملاحظ أن هذه السلفية الحديثة كانت «العقيدة الوطنية» والسياسية فيها أقوى من العقيدة الدينية التوحيدية الصحيحة نظرا لظروف الحال، ومراعاة لمحاربة الاستعمار. وقد اعطت هذه الحركة السلفية أكلها، وانتهت أو تكاد جذوتها تنتهي بتحرير الشعوب التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار كجهاد أصغر.

ثالثا ـ من السلفية الحديثة إلى الصحوة الإسلامية الحالية :

استطاعت الشعوب العربية والإسلامية أن تتحرر سياسيا وعسكريا من الاستعمار نسبيا أو على الأقل ظاهريا، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية إلى بداية الستينات...

إلا أن رواسب الاستعمار ومخلفاته وأساليبه الإيديولوجية وغزواته الفكرية الإلحادية التي حاول بها استعمار تلك الشعوب استعمارا إيديولوجيا عن طريق تشويه العقيدة لتفتيت صفوف المسلمين بترويجه لقولته الخبيثة «الدين افيون الشعوب». جعلت استقلال هذه الشعوب استقلالا صوريا...

أقول ... كل هذه الأساليب الخبيثة تجعل الأمر ادهى بالنسبة للشعوب العربية والإسلامية، ولعل خير دليل على هذا ما قامت وتقوم به الصهيونية العالمية من تمزيق صفوف المسلمين تمزيقا سياسيا وعسكريا واقتصاديا وإيديولوجيا، بالإضافة إلى بث وزرع مظاهر الإلحاد والتشكيك لتشويه العقيدة الإسلامية في نفوس بعض الشباب المسلم. حتى أصبحت المادة هي المعبود المفضل، والعلم والقوة هما المتحكمان في مصير الإنسانية، وبالتالي تمزقت صفوف الدول العربية والإسلامية وانقسمت على نفسها في شكل تكتلات متناحرة بعضها منحاز لهذا المعسكر، وبعضها منحاز للمعسكر المضاد من المعسكرات الغربية شيوعية كانت أم إمبريالية... وكل هذا جاء نتيجة

للتدخل الاستعماري عن طريق تشويه عقيدة الإسلام بعد أن فشل في الميـــدان العسكري في تفريق صفوف المسلمين...

وامام هذا الوضع الراهن المتدهور صحا المسلمون صحوتهم تلك، وتنبهوا لما يحدق بهم عن طريق ترويج «الدين افيون الشعوب»، فعرفوا مكمن الداء الذي ينخر جسمهم فإذا بهم يجددون تلك الحركة النضالية المجاهدة الإصلاحية الدينية السلفية على يد دعاة إسلاميين علمانيين متفتحين متطورين، وعلى يد شعوب عربية إسلامية فأطلق على هذه الحركة السلفية الدينية الجديدة إسم «الصحوة الإسلامية» كدعوة ثورية عقيدية إيمانية مناهضة للأساليب الاستعمارية الإلحادية الرامية إلى تجريد المسلمين من العقيدة الروحية التي كانت وما تزال تجمع شملهم...

وهكذا، ومنذ بداية السبعينات، انعقدت في إطار هذه الصحوة الإسلامية مؤتمرات وندوات ولقاآت وتجمعات بإسم الإسلام وبإسم تعاليمه قصد توحيد الصف، وإعادة الكرة من جديد، حتى تعود للمسلمين عزتهم تلك التي أضاعوها، وحتى يترفعوا عن تلك الحزازات الشخصية ليعملوا من أجل مصلحتهم العامة سياسيا وعسكريا واجتماعيا واقتصاديا...

ومن بين أهم هذه اللقاآت الدولية والعالميــة التي انعقدت في إطار «الصحوة الإسلامية» نذكر على الخصوص :

- مؤتمر القمة الإسلامية الأول بالرباط برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله...
- مؤتمر مكة الإسلامي سنة 1974
- مؤتمر رسالة المسجد بمكة سنة 1975
- مؤتمر نواكشوط بموريتانيا
- مؤتمر رسالة الصحافة الإسلامية سنة 1979
- مؤتمر لجنة القدس بفاس الذي ترأسه جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله...
- مؤتمر كراتشي الإسلامي بباكستان
- مؤتمر الإعلام الإسلامي بجاكرطا
- مؤتمر الإسلام العالمي باندونيسيا 1980
- مؤتمر عالمية الإسلام سنة 1982
- مؤتمر الإعلام الإسلامي العالمي بنيويورك
- مؤتمر العالم الإسلامي بباريس سنة 1983
- مؤتمر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط سنة 1983

وهذا بالإضافة إلى ما ينبثق عن هذه اللقاآت والمؤتمرات من اللجان والاجتماعات المصغرة كلجنة القدس السباعية التي لم تدخر جهدا من أجل إيجاد الحلول الناجحة لقضايا العرب والمسلمين... ومن خلال تتبعنا لجل هذه اللقاآت عن طريق الإعلام، واستقصائنا لأهم ما صدر ويصدر عنها من بيانات وقرارات وتوصيات يمكن لنا أن نضع لهذه الصحوة ما ينبغي أن ترتكز عليه مستقبلا من أهم المبادىء والأهداف والغايات والمقاصد النبيلة، مع بيان أهم الوسائل العملية لتحقيق تلك الأهداف. وسوف نجمل ذلك في النقطة الرابعة الموالية من هذا الموضوع فنقول :

رابعا - مبادىء الصحوة وأهدافها ووسائل تحقيق ذلك :

- أ - بالنسبة لمبادىء «الصحوة الإسلامية» المباركة هذه، نجد أن لهذه الحركة الدينية الأسلامية المتطورة «مبدءا» واحد ووحيدا تعمل من أجله، وتسعى لتحقيقه، وهذا المبدأ الأساسي الوحيد يتمثل في «الرجوع إلى الله» وإلى ماكان عليه السلف الصالح... الرجوع إلى الله بكل ما تحمل الكلمة من معان من ترسيخ للإيمان في النفوس، وتدعيم لثقة المسلمين بنفوسهم، وتقوية عنصر التقوى والخشية من الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه مع نكران الذات في سبيل المصلحة العامة حسب ما هو مبين ومفصل في القرآن والسنة قولا وفعلا وسلوكا ومعاملات، مع فتح باب الاجتهاد من جديد فيما يصح فيه الاجتهاد من الأمور والقضايا والنوازل المستجدة التي لا نص لها...

- ب - أما بالنسبة لأهداف الصحوة الإسلامية التي تسعى جاهدة في تحقيقها، فان ذلك أيضا يتمثل أساسا في هدف واحد... ذلك الهدف الذي سوف يتحقق قطعا بحول الله إذا ما تحقق المبدأ الأساسي الأول الذي هو «الرجوع إلى الله» قولا وفعلا واخلاصا وسلوكا، ونعني بهذا الهدف : «اعادة العزة للمسلمين».. تلك العزة، وتلك القوة وتلك الشوكة والمنعة التي كانت لهم في صدر الإسلام، والتي جاءت مصداقا لقوله تعالى لهم يومئذاك : **«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»...**

وإذا كانت الصحوة الإسلامية تعمل جادة في كل الميادين والمجالات قصد تحقيق هذا الهدف، المتمثل أساسا في «اعادة العزة للمسلمين»، تلك العزة التي اضاعوها من أيديهم لأسباب يعرفها الجميع ـ فان هدف العزة هذا يشمل كل ما من شأنه أن يرفع رأية الإسلام والمسلمين علميا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا وفكريا وروحيا وماديا واجتماعيا...

ـ ج ـ أما كيف تحقق الصحوة الإسلامية «مبدأها» و«هدفها» المشار إليهما والمتمثلان أساسا في «الرجوع إلى الله» و«اعادة العزة للمسلمين». فان ذلك سوف يتحقق بإذن الله طبقا لما هو منصوص عليه في جل القرارات والتوصيات والبيانات الصادرة عن المؤتمرات المذكورة التي أشرنا إليها والتي انعقدت وتنعقد باستمرار في إطار هذه الصحوة... ونحن هنا سوف نجمل أهم الوسائل الفعالة التي وردت في تلك اللقاآت من أجل تحقيق تلك المبادىء والأهداف، فنلخصها في الوسائل التالية :

الوسيلة الأولى : العمل على تقوية الجانب الروحي الفكري الإيماني التوحيدي حتى يصير جنبا إلى جنب مع الجانب المادي. وذلك بنشر الوعي الديني الصحيح، بحمل الناس على التفكير في «جنب الله» وعظمته ومشيئته وارادته حتى يتسنى للجميع، وخاصة الشباب أن يؤمن بالله إيمانا لا تزعزعه التيارات الالحادية الدخيلة، ولا الفلسفات الماركسية الجاحدة، ولا النظريات العلمانية الكافرة، مع إعادة النظر في أساليب ومنهجية الوعظ والإرشاد الحالية حتى تصبح منهجية متطورة مسايرة لروح العصر، مقنعة لطموحات الشباب، وأفكارهم المتفتحة.

الوسيلة الثانية : العمل على تقوية الجانب العلمي بكل فروعه وشعبه ومعارفه، وخاصة منها الجانب العلماني التجريبي والبيولوجي والجيولوجي والتكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي عموما وذلك بتطوير المناهج التربوية والتعليمية ومراكز التكوين البيداغوجي (أنظر بيان مؤتمر جاكرطا).

الوسيلة الثالثة : العمل على تقوية الجانب الإعلامي الصحافي الإسلامي في ميدان الدعوة إلى الله، وذلك بتشجيع البحث العلمي والإسلامي لدى الدارسين والباحثين حتى يتصدوا لدحض شبهات الغرب عن الإسلام.

الوسيلة الرابعة : العمل على تقوية الجانب الاجتماعي والأخوي والتعاوني بتوحيد صفوف العرب حتى يترفعوا عن الذاتية والأنانية والخلافات الهامشية (انظر بيان مؤتمر القمة بالرباط ومؤتمر الإعلام الإسلامي).

الوسيلة الخامسة : العمل على تقوية وتوحيد الخطة العربية والإسلامية بخصوص إيجاد نظام إقتصادي إسلامي موحد يخضع للظروف المحلية بعيدا نسبيا عن المذاهب الشرقية أو الغربية (انظر مؤتمر جاكارطا).

الوسيلة السادسة : العمل على تقوية وتوحيد التكتيك العربي السياسي والعسكري (انظر مؤتمر لجنة القدس).

خامسا ـ دور المغرب في تدعيم أسس الصحوة الإسلامية :

لا أحد ينكر أن كل الدول العربية والإسلامية تأمل في هذه الصحوة كل خير، وتتفاءل منها كل أمل، وكل ما من شأنه أن يرفع شأن العرب والمسلمين، لذا كان الجميع يسعى لتدعيم هذه الصحوة سواء على مستوى الحكومات أو الشعوب أو الأفراد... ويعتبر المغرب بحق في طليعة الدول العربية والإسلامية التي تعمل جاهدة لتحقيق مبادىء وأهداف الصحوة المذكورة اعلاه، وهكذا نجد أن المغرب ملكا وحكومة وشعبا كان له الشرف في احتضان أول مؤتمر للصحوة بالرباط، كما نجد بعد ذلك أن جلالة الملك كان دائما حاضرا في كل المؤتمرات واللقاآت العربية والإسلامية المنعقدة هنا وهناك في إطار هذه الصحوة، وذلك إما بحضوره شخصيا، وأما من طرف ممثلين عنه، بالإضافة إلى رسائله ونصائحه وبرامجه التي تلقى نيابة عنه في تلك المؤتمرات (انظر الرسائل التي وجهها لهذه المؤتمرات في مجلة «الإيمان» في جل أعدادها وخاصة الإعداد : 98 ـ 99 ـ 100 119 ـ 120 ـ ... الخ..) هذا بالإضافة إلى وسائل الاعلام المغربية التي جندت كل إمكاناتها للتعريف بأهداف هذه الصحوة ومبادئها ونخص بالذكر هنا مجلة «دعوة الحق» ومجلة «الإيمان» وجريدة «الرسالة»...

سادسا ـ بعض الشخصيات من رواد الصحوة الإسلامية حاليا :

الحقيقة إن الذين كرسوا جهودهم، ووهبوا أنفسهم وأفكارهم وكل طاقاتهم الفكرية لخدمة هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة، هم شخصيات عديدة، يصعب حصرها، أو الإحاطة بذكر كل أسمائها، وسوف نحاول فقط التعرض لبعض الشخصيات المناضلة والمجاهدة بفكرها وقلمها في هذا المجال، سواء منها تلك الشخصيات المغربية أو المشرقية، وسواء منها تلك التي قضى نحبها، أو التي مازالت تواصل الجهاد...

وأهم رجالات هذه الصحوة حاليا والتي تتبعت دائما دورها حسب طاقتي المحدودة ما يلي : الحسن الثاني ملك المغرب ـ علال الفاسي رحمه الله ـ أبو الأعلى المودودي تغمده الله برحمته ـ أبو بكر القادري ـ عبد الكريم غلاب ـ محمد العربي المساري ـ قدور الورطاسي ـ الشيخ محمد علي الحركان ـ محمد عبد الرحمان الكتاني ـ محمد الخطيب ـ محمد المجذوب ـ نجيب البهاوي ـ معروف الدوالبي ـ عبد القادر الإدريسي ـ محمد البهي ـ الدكتور ماهر حسن صبري ـ الدكتور عبد الله بلفقيه العلوي ـ محمد الفاسي ـ قاسم الزهيري ـ عبد القادر العافية ـ محمد أحمد اشماعو ـ روجيه جارودي ـ الشيخ محمد الغزالي ـ الدكتور محمد أحمد العزب ـ الدكتور عماد الدين خليل ـ الدكتور حامد ربيع ـ الدكتور محمد شامة ـ الشيخ محمد السايح ـ الدكتور رفعت العوضى، ـ الدكتور يوسف القرضاوي ـ الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود ـ الدكتور عبد الجليل شلبي.. وغيرهم كثير وكثير والحمد لله... ومعظمهم يكتب في «دعوة الحق» أو «الإيمان» أو «الرسالة» أو «الأمة» القطرية أو «الوعي الإسلامي» الكويتية أو غير ذلك من الصحف والجرائد والمجلات التي تهتم بهذه الصحوة الإسلامية المباركة...

سابعا ـ موقف الغرب من هذه الصحوة :

من خلال تتبعنا لبعض ما يكتب ويؤلف وينشر من طرف المفكرين الغربيين، يبدو واضحا أن الغرب متخوف من «الصحوة الإسلامية» هذه، بل ان بعض المفكرين الغربيين يرون أن هذه الصحوة ستكون لا محالة هي «الثورة العالمية الثالثة» التي ستهيمن مستقبلا على الثورتين الشيوعية والرأسمالية، لأن هاتين الثورتين لم تقدما للبشرية شيئا يصلحها، ويقيم اعوجاجها، بل انهما اساءتا لكرامة الإنسان بنشر الظلم والطغيان والفساد بتقديس المادة والعلمانية مع إهمال العدالة الاجتماعية والجانب الروحي...

فهذا عالم أمريكي مشهور «سميث» لم يستطع أن يخفي تخوفاته من هذه الصحوة منذ أزيد من ثلاثين عاما حيث جاء واضحا في كتابه «الإسلام اليوم» الذي ألفه في الخمسينات ان الصحوة الإسلامية القادمة والتي بدت معاليمها جليا ستكون هي القوة الإصلاحية المهيمنة... (الأمة القطرية عدد 39) وكذلك العالم الإنجليزي «وات» في كتابه عن «الإسلام والعصور الوسطى» الصادر سنة 1964 حيث يقول عن هذه الصحوة : «إنها سوف تقود العالم بإيديولوجية رابعة ستتحكم في هذا القرن الحالي» أما العالم الروسي «تروجانوسكي» فيبدو أنه أكثر تخوفا من هذه الصحوة في مؤلفاته التي نشرها اثر الثورة الشيوعية إذ ليقول عن هذه الصحوة : «إن الثورة العالمية الثالثة التي ستأتي بعد الثورة الفرنسية والشيوعية هي تلك الثورة التي ستقوم عن طريق الإسلام لتصحح مسار الحركة الإنسانية...» (انظر تخوفات الغرب بتفصيل في الاستجواب الذي أجرته مجلة الأمة القطرية عدد 39 مع الدكتور حامد ربيع) ولعل انصف كاتب غربي في إطار هذه الصحوة الإسلامية هو المفكر والفيلسوف الفرنسي المسلم «روجيه غارودي» الذي أصبح إسمه بعد أن اسلم «رجاجارودي». فالذي يقرأ كتابه الأخير «مبشرات الإسلام» يرى أنه وقف موقفا موضوعيا تجاه الغرب، وما يقوم به من عداء للإسلام والمسلمين، حيث يرى أن لا إصلاح أنسب للإنسانية من الإصلاح الشامل الذي سوف يأتي عن طريق الدعوة الإسلامية بدليل أن ماوصل إليه المسلمون في صدر الإسلام لم يكن عن طريق السلاح والقوة بقدر ما كان عن طريق التضحية والإيمان ونكران الذات...»

أما كتاب «الإسلام والغرب» الذي ألفه أخيرا «ميشال للون» فهو كتاب جدير بأن يقرأه كل الذين يهتمون بهذه الصحوة حتى يتأكد أكثر من تساؤلات الغرب وتخوفاته من هذه الصحوة...

ولذا نجد أن الغربيين بقيادة الصهيونية العالمية يضاعفون كل مكايدهم ضد الإسلام والمسلمين بدعم حركات التبشير، وحركات المأسونية الهادفة المغرضة...

ثامنا ـ أثر الصحوة الإسلامية ومستقبلها :

بعد كل ما ذكر عن هذه الصحوة الإسلامية في هذا الموضوع، ابتداء من بزوغها منذ السبعينات كامتداد للسلفية القديمة والحديثة والمعاصرة، وبعد كل ما ذكر عن مبادئها وأهدافها ووسائل تحقيقها، وذكر دور المغرب والدول العربية والإسلامية لتدعيم صحوتها، مع بيان موقف الغرب منها...

أقول بعد كل هذا يمكن أن يطرح سؤالان اثنان هما :

أولا ـ هل بدأت الصحوة الإسلامية تحقق أهدافها المتوخاة منها عقيديا وسلوكيا واجتماعيا بحيث اجتازت المرحلة النظرية إلى المرحلة التطبيقية ؟؟؟

ثانيا ـ وسواء كان الجواب بالإيجاب أو النفي فماذا سيكون مستقبلها على الأجيال الصاعدة ؟؟

بالنسبة للإجابة على السؤال الأول لابد من الإشارة والتذكير إلى أن عندما تكون المسألة تتعلق بالصالح العام للمسلمين ـ وهو ما تصبو إليه هذه الصحوة ـ فان تحقيقه لا يمكن أن يحصل بين عشية وضحاها دفعة واحدة، بل أن ذلك يحصل تلقائيا وتدريجيا جيلا عن جيل مرورا بمرحلة تغيير الهياكل والمفاهم والعقليات ثم مرحلة العطاء والنتائج وخاصة إذا ماصلحت النيات وحسنت النوايا.

ولعل أهم خطوة خطتها هذه الصحوة المباركة هي تلك الخطوة التي تتجلى في اشغال واهتمام الخصوم بها، مع ابداء تخوفاتهم وحذرتهم منها، وكذلك ما نلاحظه من إقبال متزايد على اعتناق الإسلام من طرف الغربيين، ثم اهتمام الشباب المسلم بحالهم من أجل التقدم العلمي والتكنولوجي...

أم الإجابة على السؤال الثاني الخاص بمستقبل الصحوة فان ذلك سيكون مرهونا بمزيد من الوعي والتقدم من أجل تدعيم وتقوية وتنفيذ الوسائل المحققة للصحوة كما أشرنا إليها روحيا وماديا وإصلاحيا عاما...

أحمد بودهان   الناضور

●● ... إن الإسلام اليوم يجتاز مرحلة من أخطر المراحل إلا أن الإسلام هو الدين الحقيقي، الإسلام فيه يتساوى جميع الناس لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأسود على ابيض إلا بالتقوى، الإسلام هو ديانة مستمرة خالدة عالمية والإسلام يظهر اليوم بمظهر شنيع جدا مظهر السنيين والشيعيين وهذا موضوع خطير جدا لأنه لا يكون خطرا على العقيدة فحسب ولا يكون خطرا على المستقبل فحسب ولكن يكون خطرا سياسيا واهيا ولكنه موجود على المجتمع الإسلامي والأسرة الإسلامية ●●

جلالة الملك الحسن الثاني

في العقيدة والأخلاق

للأستاذ محمد بن ابراهيم بخات

(« لقد كرم الله المسلم ـ كرمه بأن وضع بين يديه دستور القرآن الخالد، ليقوم، وباستمرار، كحجة على الزيف والفساد والتحريف ـ كرمه بربط قيمته بتقواه، بصرف النظر عن لونه وسلالته، ـ كرمه إذ أبعده عن التقليد الأعمى، التقليد الذي يسيء إلى الإصالة ويسمح بالتبعية ويصرف عن طلب الحقيقة، إن أهم ما يجب أن ينتبه إليه المسلم هو ما تعمد إليه الإيديولوجيات الهدامة في معالجة الأخلاق كشيء مجرد، ومعالجة الإنسان منفصلا عن الأخلاق، فهذا الإنفصال هو ما يجب أن نتصدى له بكل قوانا، لأن الديانة هي العمود الفقري لكيان الإنسان والأمر أكثر وضوحا بالنسبة للمجتمع، فلا مجتمع بدون قانون خلقي وشريعة روحانية، وإذا كان التقدم المادي قد خطا خطواته العملاقة بموجب ذلك التقسيم، أي على حساب القيم الإنسانية فإنه يسير، ولعله قد وصل الآن إلى متاهات الضياع، فأصبحت المجتمعات المتقدمة تبحث عن نصفها الضائع، وهذا البحث يشكل إحدى معضلات العصر الكبرى، وأبرز أسباب القلق فيه ») من الحديث الإسلامي الذي خص به جلالة الحسن الثاني مجلة (دعوة الحق) بمناسبة عيد العرش ، العدد (8) السنة (15).

تميز ديننا وامتاز على غيره بأنه الدين الوحيد الذي لم يفصل بين العقيدة والأخلاق فهما كالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وهذا الترابط والتكامل بين العقيدة والأخلاق كانا من أجل (وجودية مؤمنة بالله : وجودية قويمة يتجسد بها وفيها الفارق الوحيد والفيصل البيّن بين حقيقة الإنسان وحقيقة الحيوان، هذه الحقيقة التي تبرز في الاخلاقية البانية لوجود الإنسان المحافظة على قيمته، المجسمة لماهيته، فالأخلاقية الفاضلة نتاج الضير الواعي الذي يؤمن ويقتنع بمكارم الأخلاق كضرورة في الحياة، ويرى بالتالي حتمية العيش بالوازع والحس والشعور المرتبط بالأخلاق الصالحة.

إن هذا النوع الفريد من الأخلاق حقيقة أكيدة لديمومة الحياة السعيدة ولبقاء الإنسان المهتدي لربه، المدرك لكرامته في الوجود، الخليف بأن يكون الإنسان الفذ، القائد لكل خير، الهادف لكل نفع في هذه الأرض، صامدا للباطل ومقاوما للشر لا يفتر ولا يكل.

إن هذه الضرورة الأخلاقية هي النتيجة المشرفة للإنسان، وهي التي جاء بها الإسلام وأكدها بل هي العلة في بعثة رسول الإسلام :

(أنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق) وفي رواية (انما بعثت لأتم صالح الأخلاق) وبما أن هذه الحقيقة الأخلاقية المانعة لكل انحلال وضياع منطقية لإيجابيتها، بديهية لواقعيتها فقد آمن بها من المفكرين المومنين بالله

((داروين)) (1) الـــذي تـوصـل إلى أن الضمير أو الحس الأخـلاقي هـو أظهر فـاصـل بين الإنسـان والحيوان و ((كـانط)) (2) الـذي اتخذ من الشعـور الأخلاقي منطلقـا لإثبات خلود الأرواح ويوم الحساب ووجود الله (3)) بعد هذه المقدمة أقول : بما أن البرهان على صدق إسلام المرء هو العمل الصالح كما في كتاب ربنا «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» فكذلك بالنسبة لصحة أخلاق المرء فإنما تتمثل هذه الأخلاقية الصحيحة في صحة عقيدته ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾، ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...**﴾، ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم...**﴾.

وجاء في صريح السنة قوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ولا يزيغ عنه» (4) ففي حديث الإلتزام هذا نكتشف بوضوح ونستشف دعوة صريحة إلى الإلتزام والإلزام : أن نلزم أنفسنا بطاعة ربنا وأن نلتزم حقا وصدقا بصحة وسلامة السلوك والعمل الصالح بيننا وبين خالقنا وفيما بيننا نحن المسلمين بل وفيما بيننا وبين غير المسلمين لأن الرسول الصادق يقول : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...) وفي رواية ثانية (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده).

إن المسلمين في عهودهم الزاهرة كانوا أقوياء بأنهم عاشوا دينهم وطبقوه، فما كانوا يفرقون بين النظرية والتطبيق ولا كانوا يفرقون بين العقيدة والأخلاق ولذلك لم يعرفوا أزمة خلق ولا أزمة ضمير لأنهم فهموا الدين على أنه خلق : ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾، ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾.

إن فَهْمَ الدين على أنه خلق هو المنطلق الأول للإسلام كعقيدة واقعية وكشريعة رحيمة، ويكفي في هذا الصدد قول رسول الله ﷺ حينما سئل : ما الدين ؟ فأجاب : حسن الخلق. من هنا ندري ونعي لماذا (اعتبرت الأخلاق دعامة أساسية في بناء الشخصية الإسلامية السوية المستقلة المتميزة للوصول بها إلى الإنسان المتكامل المنتج على مدى الأجيال.

وما ذكر القرآن الكريم للأخلاق في مواطن كثيرة إلا أدلة واضحة لاعتبار الأخلاق أمرا أساسيا بعد أمر العقيدة) (5).

وما كان الإيمان إلا قوة دافعة للخير وفعله ونشره، وقوة عاصمة واقية لصاحب الإيمان، رادعة له ومانعة عن التدنّي والتردي لأن الإيمان قول وعمل، برهان لا أدعاء : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**﴾، ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾.

وقد (وضح صاحب الخلق العظيم أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتما وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه) (6) مما يؤدي إلى فعل الشر وإيذاء الناس : (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل مَنْ يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه !!).

وقد سمع عمر بن الخطاب رجلا يثني على رجل فقال : «أسافرت معه قال : لا، قال : أخالطته في المبايعة والمعاملة قال : لا، قال : فأنت جاره صباحه ومساءه قال : لا، فقال : والله الذي لا إلاه إلا هو لا أراك تعرفه» (7).

إن هذه القولة الفاروقية قد وضعت النقط على الحروف لأنها لم تترك عذرا لشاك ولا مجالا لمن يزيد، فقد كانت قولا فصلا جعلت المعاملة ميزان الأخلاق ومفتاح معرفة الرجال، فبدون كبير عناء ولا طول بحث اهتدينا إلى أن الدين هو حسن الخلق : فلا دين لمن لا خلق له، ولا عهد لمن لا خلق له، ولا أمانة لمن لا خلق له.

---

1) رسالة (شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين) للشيخ نديم الجسر.
2) نفس المصدر.
3) من بحث لي بعنوان (دلالة المولد النبوي) نشر بمجلة (حضارة الإسلام) بدمشق السنة 11، أعداد 8، 9 و 10 1390، 1970 - 1971، ص 100.
4) رواه الطبراني بزيادة ولا يزيغ عنه.
5) من مقال بمجلة (الرائد)، بون، عدد 62 صفحة 37.
6) كتاب (خلق المسلم)، صفحة 10 للشيخ محمد الغزالي.
7) كتاب (ألف كلمة لأمير المومنين عمر بن الخطاب) بقلم يونس السامرائي الكلمة 607، صفحة 61.

ورغم صراحة ووضوح قولة الفاروق عمر إلا أنني أضيف فأقول : إننا نرى أصالة الرابطة بين العقيدة والأخلاق ونلمسها وهي تعلن عن نفسها في قوله رسول الله ﷺ : (... وخالق الناس بخلق حسن) (8) وفي قوله : (رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس) (9) ونلمسها أيضا وهي تعلن عن نفسها في ذلك القول الحكيم الشهير الذي دل بحق على العلاقة الوثيقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام، إنه **الدين المعاملة**، هذا القول اشتهر بين الناس على أنه حديث نبوي، ولكن لم تصح نسبته إليه ﷺ، إلا أنه كاف للإستشهاد به من حيث المعنى أي معناه صحيح في هذا الشأن، فهو يشير ـ كما فهمنا في حوار عمر بن الخطاب مع الرجل ـ إلى أن المعاملة الحسنة بين الناس من الدين، فهي ضرورية ومطلوبة وتنم عن صلاح واستقامة المسلم، وحديث (الدين النصيحة...) ليس عندنا بمجهول. قال ابن بطال رحمه الله عن حديث الدين النصيحة : في هذا الحديث دليل أن النصيحة تسمى دينا وإسلاما، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول. ولكي نزداد اطمئنانا في هذا الصدد ونرسخ في الإدهان حقيقة العلاقة بين العقيدة والأخلاق نورد هذا الحديث القصير الجامع البليغ، يرشد فيه الرسول الكريم ﷺ سفيان بن عبد الله الأنصاري إلى أن الاستقامة نتيجة للإيمان، قال أبي سفيان : قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال : «قل : آمنت بالله ثم استقم» (10).

لقد كان المسلمون منذ عهد الصحابة خير أمة أخرجت للناس : لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وهذا الإيمان بصدق ومن الأعماق هو الذي جعل لهم واصّل فيهم حبا وإلزاماً ووازعاً أخلاقيا، انه ثالوث إيجابي واقٍ كان ولا زال وسيبقى عاملا أساسياً وحيداً لصيانة الفطرة وللحفاظ على القيم الخلقية.

وما كان المسلمون أمة وسطا وما جعلهم الله شهداء على الناس إلا لكونهم أصحاب مبادىء ورسالات في الحياة انطلاقا من وسطيتهم التي ترتكز وتعتمد على أصالة الفطرة، وصحة العقيدة، وسلامة الأخلاق، فبهذا الثالوث الرباني تتجلى عظمة وقيمة وأهمية الوسطية الإسلامية لخير المسلم ولصالح الغير : ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج...**﴾، ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس..**﴾.

بهذه الوسطية اهتدى المسلمون وسعدوا وسادوا وهدوا غيرهم بما يتصفون به من صلاح وإخلاص وبما يتحلون به من مكارم الأخلاق ودعوة للحق فكانت لهم العزة والسيادة : ﴿**وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾ ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾.

لماذا يعيش المسلمون في ذلة ومسكنة منذ القرن الماضي ؟ ولماذا هم في انهزام واندحار، وكأن الذلة والمسكنة المتأصلتين في اليهود الخاصّتين بهم انتقلتا إليهم ؟ إن الجواب عن السؤالين هو **الوهن** ان الجواب عند رسول الله الصادق المصدوق، فكأنه يقيم الحجة علينا، كأنه يخاطب مسلمي القرن العشرين محذرا ومنبها : (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال لا أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله الرهبة منكم من قلوب أعدائكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت).

إن ضعف المسلمين حدث لعدة عوامل لا مجال لذكرها هنا، وقد فرض وجوده خلال هذا القرن، وهذا الضعف إنما طرأ على المجتمع الإسلامي بسبب نضوب مَعين الإيمان كنتيجة حتمية مما أدى إلى فقدان الحاسة الاخلاقية لديهم : (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) (11). وفقدان هذه الحاسة أصل ضعفهم وسهل الاستيلاء عليهم وبالتالي عاشوا في استيلاب وضاع منهم ذلك الانتساب الرفيع إلى الدين القيم : (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وبعد فترات الاستعمار الأجنبي لهم استقلوا وتحرروا ولكن صوريا وجغرافيا، وهذه هي الحقيقة المرة فقد ظهر في ربوع وبقاع الإسلام استعمار جديد هو الأخطر

---

8) رواه الترمذي، ويبدأ بقوله (اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها...).
9) أخرجه القضاعي والبزار عن أبي هريرة رفعه، ورواه البيهقي في شعبه والعسكري، ورواه أبو نعيم عن أنس وعلي.
10) رواه مسلم.
11) رواه البخاري.

والأخبث : انه الغزو الفكري الذي قضى على أخلاقيتهم الصحيحة، وطمس عقيدتهم السليمة في نفوسهم وأدى بهم إلى انحراف ظاهر مازالوا يعانون ويلاته وآثاره، وانجراف قاهر يعيشون في خضمه العاتي وتياره الطاغي، ولا خلاص لهم إلا في دينهم ولا ملجأ لهم إلا إلى ربهم.

لقد دخلوا عدة معارك ضد اليهود ولكن بلا عقيدة صحيحة فانهزموا لأنهم فرطوا في دينهم واليهود مافرطوا فيه شروى نقير فكان انتصار عُبّاد التّلْمود على أدعياء لا على دعاة.

يجب أن نعتقد ونقتنع بأن موضوع المحافظة على العقيدة والأخلاق في الإسلام هو موضوع الساعة بالنسبة لمسلمي القرن العشرين، أنه موضوع حياة أو موت، فهو إحدى الوسائل الأساسية اللازمة لتجديد الدين وأسُّ العودة إليه :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعُهُ
فقَوِّم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها في خير عافية
والنفس من شرها في مرتع وخم (12)

بنيت لهم من الأخلاق ركنا
فخانوا الركن فانهدم اضطرابا
وكان جنابهم فيها مهيبا
وللأخلاق أجْدَرُ أن تُهابا (13)

12) من قصيدة نهج البردة لأحمد شوقي في الشوقيات، جزء 1، طبعه 1946.
13) من قصيدة ذكرى المولد لأحمد شوقي، نفس المصدر.

• كما أن من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء فبالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات، ويتصدى بفعالية ونجاح لمواجهة كثير من التحديات ويمارس مسؤولية تطوره ونموه بنفسه وفي نطاق حضارته، دون أدنى تبعية، ولا ضغوط خارجية •

جلالة الملك الحسن الثاني

في صحافة المغرب منذ 50 سنة

ذكرى العائلة العلوية الشريفة

ثلاثة قرون على عرش الدولة المغربية

حادثة وحيدة في التاريخ المغربي

بقلم: أبي الفداء

عن مجلة «السلام»

العدد الخامس - شوال 1352 / فبراير 1934

●● من ضمن المجموعات الصحافية القديمة التي صدرت في المغرب اخترنا مقالاً نشرته مجلة (السلام) التي كانت تصدر بتطوان في عددها الخامس المؤرخ بشوال سنة 1352 الموافق لفبراير سنة 1934 تحت عنوان: (ثلاثة قرون على عرش الدولة المغربية: حادثة وحيدة في التاريخ المغربي) مذيلا بتوقيع (أبي الفداء) وهو الاسم المستعار الذي كان ينشر به أحياناً الأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري، مقالاته في (السلام) وغيرها من المجلات والصحف المغربية ●●

قامت على رأس الدولة المغربية في الإسلام، عدة عائلات ممتازة لها مفاخر جليلة محفوظة أبد الدهر في تاريخنا الوطني العظيم، إلا أن هذه العائلات لم تعمر طويلا فوق العرش المغربي لأسباب كثيرة، اجتماعية وسياسية، داخلية وخارجية، تعاونت على إسقاطها وإقامة غيرها مقامها.

وليس هذا جحوداً من الأمة المغربية وكفرانا بالإحسان كما نجده في كثير من الأمم. فالأمة المغربية أُمة شديدة الوفاء قوية الإخلاص لمن تضع بين أيديهم مقاليد أمورها، وتكل إليهم حراسة مصالحها ومصيرها، حتى إذا ما رأتهم يستعملون هذا الحق في غير مكانه بظلم داخلي أو تساهل خارجي، استرجعت منهم أمانتها، واستردت بيعتها. وهكذا كان الحال عند استواء العائلة العلوية على العرش المغربي وإسقاط العائلة الأخرى. فقد بلغ الظلم من العمال السابقين، أنهم ضربوا الضرائب، وفرضوا الخراج على كل شيء

يمكن الانتفاع به. ونظام سياسي كهذا يقوم على استغلال المواطنين واستعبادهم، لا يمكن صبر الرعية عليه طويلا.

ثارت الأُمة وقتئذ، والتفتت إلى عائلة أُخرى تكون رمزاً لإرادتها، ومؤئلا للدفاع عن مصالحها، فكانت هي العائلة العلوية الشريفة التي على رأسها علي الشريف.

ذلك أن علياً هذا كان بيته في ذلك الحين ملجأ الخاصة والعامة، يقصدونه في المعضلات، ويهرعون إليه في الملمات، وشهرته بالدفاع عن الإسلام والذب عن حوزة المسلمين، تجاوزت المغرب إلى العدوة الإسلامية في اسبانيا (الأندلس)، حيث كان يذهب مجاهداً في سبيل حرية المسلمين الدينية، ضد التعصب المسيحي الكاثوليكي المنتشر باسبانيا المسيحية، الأمر الذي جعل الأندلسيين يرغبون في إقامة ملكه ومبايعته، والتزام نصره وطاعته، وما كاد يعود إلى بلده سجلماسة، حتى أخذت رسائل علمائهم ورؤسائهم، وقصائد أدبائهم، تأتيه تباعاً، يطلبون إليه الجواز إلى العدوة للقضاء على عدوان المسيحية وتعصبها البغيض. ومن بينها قصيدة العلامة أبي فارس بن أبي الربيع الغرناطي التي يقول فيها :

أبا الحسن المولى الشريف الذي به
على الغرب شمس النصر أشرق بالضحا

أجر جارك اللهفان من عثراته
أبا حسن، وانصر جزيرتك الخضرا

أرى كل من في الغرب أصبح قانطاً
وأندلس ترجو بطاعتكم نصراً

فكأنها وقف عليكم رجاؤهم
كبيرهم والطفل والكاعب العذرا

لقد طمع الكفار ملك رقابنا
بإهلاكهم في أرضنا الحرث والثمرا

فكم من ضعيف لا حراك لجسمه
وشيخ بها أربى على مائة عشرا

وسمر وبيض من أوانس كالدمى
وصبية مهد لا تعي النفع والضرا

فدونكم الكفار تفني طغاتهم
وتشبع من قتلاهم الوحش والطيرا

فأنتم لنا الحرز القوي ونحوكم
تشوفنا، فاستعجلوا نحونا السير

فمن هذه القصيدة وأمثالها، يعرف الباحث مبلغ الشهرة التي كانت لعلي الشريف بين المسلمين، مغاربة وأندلسيين، ويقدر الثقة المطلقة التي حصل عليها بيت الشرفاء السجلماسيين. وهكذا لم تكد تعلن الثورة، ويتم إجلاء عمال الحكومة الجائرين، وتدخل سجلماسة في قبضة الثوار، حتى رفعت الأُمة إلى عرش ملكها ابن علي الشريف، السلطان محمد العلوي، وكانت هذه المبايعة الأُولى بسجلماسة، سنة خمسين وألف 1050 سنة خمسين وألف. هي إذن سنة خطيرة في تاريخنا القومي، وهي فاتحة القرون الثلاثة، التي قضاها المغرب تحت قيادة العائلة العلوية الشريفة، هذه القرون الثلاثة التي ربما كانت هي أصعب الأدوار في حياة الأُمة المغربية منذ وجودها في التاريخ. هذه القرون التي تكونت فيها نهضة العالم المسيحي ومدنيته الغربية، بما معها من مطامع استعمارية، وغارات متوالية. هذه القرون الثلاثة التي أصاب فيها العائلة العلوية ما أصاب المغرب من سراء وضراء، وسعادة وشقاء، والتي تقاسم فيها الشعب المغربي وعائلته الملكية، حلاوة الانتصار، ومرارة الانكسار. هذه القرون التي استطاعت فيها عائلة العلويين، رغماً عن صروف الدهر الجائرة، أن تحفظ لهذه الأُمة كيانها السياسي والقومي، فلم يزل دينها الإسلام، ولغتها العربية، وأرضها مغربية، وجنسيتها مغربية، ورئيسها الشرعي الوحيد، هو سلطان البلاد. واستطاع التاريخ المغربي أن يسجل لأول مرة فوق صفحاته الخالدة، أن عائلة مالكة استوت على عرش الدولة المغربية ثلاثة قرون، وخرجت ظافرة منتصرة من المعركة،

رغما عن الثورات الداخلية، والغارات الخارجية... فمرور ثلاثة قرون على انتصاب العائلة العلوية، فوق عرش الدولة المغربية، هو في الحقيقة حادث قومي خطير، جدير بالذكرى والإحياء، في جميع الأنحاء. وإحياء ذكرى هذه القرون الثلاثة، هو إحياء لذكرى الراعي والرعية. وإحياء ذكرى العائلة العلوية التي هي جزء لا يتجزأ من الأمة المغربية، هو إحياء لذكرى هذه الأمة نفسها، وتعريف للعالم أجمع، بأن لها دولة قائمة ثابتة أمام جميع العواصف، وأن لها حكومة نظامية، مركزية، مستمرة منذ مئات السنين !

لهذا نلفت نظر نقيب العائلة العلوية، الشريف المعظم والمؤرخ الكبير، وأنظار أصحاب الدولة والسعادة، وزراء الحكومة المغربية المحترمين، وأنظار كافة الموظفين المخزنيين وممثلي الجلالة الشريفة من «خلفاء» في المناطق المغربية المختلفة، وقواد، وعمال، وقضاة، إلى وجوب القيام بإحياء هذه الذكرى العظيمة، في جميع أطراف المملكة المغربية، لأن حادثة كهذه الحادثة الكبرى لا تمر كل يوم، ولا تأتي كل عام، ولأن وجود هذه الطبقة نفسها إلى اليوم، وتمتعها بما لها من نفوذ وكلمة، إنما هو بفضل العائلة العلوية الشريفة، وبفضل بقائها واحتفاظها بعرش الدولة المغربية !

ونلفت أنظار مفكري المغرب ومؤرخيه وأدبائه، شيوخاً وكهولاً وشباباً، إلى وجوب تنظيم لجنة مركزية ذات فروع، تقوم بالدعاية لهذه الذكرى، وتتصل بجميع حملة الأقلام، ليقوموا بأبحاث تاريخية، تشرح حياة هذه العائلة منذ استوائها على عرش الملك إلى الآن. وهذه اللجنة المركزية تعين بالاتفاق مع السلطات المخزنية، أسبوع الذكرى متى يكون ؟ وتعمل على جمع أدباء المغرب من المناطق الثلاثة : السلطانية، والخليفية، والطنجية، داخل أسبوع الذكرى في صعيد واحد، حيث يعقدون اجتماعا تاريخيا عاما تحت رياسة جلالة مولانا السلطان سيدي محمد بن يوسف، وبحضور خلفائه في تطوان، وطنجة، وفاس، ومراكش، وتافيلالت، يعرض فيه الباحثون أبحاثهم عن تاريخ العائلة العلوية المالكة، ويعلنون إلى العالم أجمع، ما بذلت هذه العائلة الشريفة من جهود جبارة في سبيل خدمة الشعب المغربي والدفاع عن كيانه القومي والسياسي. نعم لا ننكر أن القرون الثلاثة التي نريد إحياءها، قد مضت عليها سنة وثلثا سنة... إلا أن إحياء الذكريات أمر اصطلاحي. ومرور سنة أو سنتين بالنسبة لثلاثة قرون لا يعد شيئا مذكوراً. وإذا كان الشعب المغربي قد أحيا ذكرى تتويج جلالة السلطان بإخلاص وحماس عظيمين، فإنه لا بد سيحيي هذه الذكرى الكبرى التي هي ذكرى مرور ثلاثة قرون على صعود عائلته الشريفة وأجداده المقدسين فوق عرش المملكة المغربية. وإن إحياء الأمة لهذه الذكرى، سيكون اعترافاً بالجميل لتلك الأرواح الطاهرة، ومظهراً علنياً بارزاً لالتفاف الشعب المغربي حول ملوكه الشرفاء، في السراء والضراء ؟.

أبو الفداء



الوجادات (922-933)

للأستاذ عبد القادر زمامة

922 ـ مسلسل الجبن والجوز...!

وجدت في رحلة ابن رشيد السبتي ج 2 ص 350. ط تونس 1982 م تحقيق د. محمد الحبيب ابن الخوجة.

«...دخلت على أبي محمد الخلاني بتونس. فقرب جبنا وجوزا فقال : كل باسم الله.. فإني دخلت على الحافظ أبي المكارم جمال الدين ابن مسدي بمكة. فقرب إلي جبنا وجوزا... فقال : كل باسم الله.. فإني دخلت على أبي العباس أحمد بن ابرهيم بن عبد الملك. فقرب إلي جبنا وجوزا فقال : كل باسم الله...

(ثم تابع هذا المسلسل بالجبن والجوز إلى أن وصل إلى العباس عم الرسول. عليه الصلاة والسلام). فقال : «دخلت على رسول الله ﷺ فرأيته يأكل الجبن والجوز. فقالت : يا نبي الله... **جبن وجوز...!** قال : نعم.

ـ **الجبن.** داء...! **والجوز.** دواء...! فإذا اجتمعا صارا دواء بإذن الله...!!»

923 ـ المزياتي..!

وجدت في رحلة ابن رشيد ج 2 ص 158 ـ 160 نتفا تتعلق بأبي القاسم المزياتي. من جملتها هذان البيتان اللذان خاطبه بهما. أبو العباس بن القصير. الاشبيلي نزيل تونس.

من رام رؤيـة آيـة فليـات
فقـد أتى عجـزا بها المـزيـاتي
أدب كمـا ابتسمت أزاهر روضـة
نفـخ الحيـا فيهن روح حيـاتي

924 ـ جواب المزياتي..!

وجدت في نفس المصدر جواب المزياتي لابن القصير الاشبيلي نزيل تونس :

لعمرك مـا رأيت الشعر سحرا
سوى مـا حـاك منـه ابن القصير
وقـد أقصرت عنـه. ومن يجاري
مـديـد البـاع. بالبـاع القصير
لـزمت العجـز منتـوبـا لعلمي
بـأن إليـه منتهيـا مصيري
ونـاديت ابن حجر مستغيثـا
فقـال : وهـل لمثلـك من نصير
اتهـدى الشعر زيفـا لم يخلص
بتنقيـح لنقـاد بصير

قلت مساويا لك في قريض
ولو أصبحت فيه أبا بصير
لأمر ما أجبتك فاعذرني
كجدع جز أنفا من قصير

925 ـ جواب آخر للمزياتي

ووجدت في نفس المصدر قصيدة أخرى جوابية أجاب بها أبو القاسم المزياتي. صديقه ابن القصير جاء فيها :

يا أبا العباس والدهر ممل غير آس
اصطبر تلبس من الحمد به خير لباس
وازهون في ذكر ناس كلهم للعهد ناس

926 ـ في دكان اسطوانه..!

وجدت في رحلة ابن رشيد ج 2 ص 403. عند كلامه على ابن أبي الدنيا الطرابلسي.

وصلت إلى تونس. وهو بحالة مرض متزايد. فقصدت بعض الطلبة المشتغلين بالرواية هنالك ـ وكان له به اتصال ـ في رؤيته. وسرت معه إلى منزله... فاستأذن ودخل وتركني **في دكان أسطوانه**... فمكث ساعة وخرج إلي وقال :

ـ إن الشيخ بحالة لا يدخل عليها فيها..! وما نصح في ذلك... ولا أراه صدق في استئذانه..!!

927 ـ هذا مما يصلح بك..!

ووجدت في رحلة ابن رشيد ج 2 ص 404 مما يتعلق بابن أبى الدنيا الطرابلسي..

حدثنا أصحابنا عنه أنه كان يجالسه الطلبة في **اسطوان** منزله. يخرج إلى من يحس منه بحاجة. كتابا من كتبه. فيناوله اياه. ويقول له :

ـ هذا مما يصلح بك. ويعينك على طلبك ونحو هذا..!

ويتركه في يده. ويدخل إلى منزله. وإذا ذهب الطالب به يجد فيه **كاغدا** بجملة دنانير أو دراهم..!

928 ـ الإسم لأبي حيان..!!

وجدت في الدرر الكامنة ج 3 ص 21 ط. ثانية في ترجمة عبد اللطيف الحراني. المعروف بابن المرحل (بكسر الحاء).

...وقد أخذ عنه الشيخ جمال الدين ابن هشام وهو الذي نوه به وعرف بقدره. وكان يطريه ويفضله على أبي حيان وغيره..! ويقول :

كان الإسم في زمانه **لأبي حيان**... والإنتفاع **بابن المرحل...!!**

929 ـ من الغرائب..!

وجدت من غرائب ما خطته الأقلام..! ما جاء في كتاب : مجموع النسب والحسب. والفضائل والتاريخ والأدب. لمؤلفه : بلهاشمى بن بكار ط. تلمسان سنة 1961 م ص 34.

...وقيل أن راشد بن المرشد القرشي هو الذي بنى مدنية معسكر. في القرن الثاني ثم نزل عليه بها ادريس بن عبد الله الكامل وأخوه سليمان...!! ومكثا عنده في معسكر ستة أشهر..!! ومنها انتقل ادريس وراشد إلى المغرب الأقصى..!! كما في كتاب روضات الأزهار..؟..

930 ـ الخرطال...!

وجدت في أوراق بها فتوى في موضوع وجوب الزكاة في ـ **العلس** ـ جاء فيها :

العلس. وسط بين الشعير والقمح. ومنه الخرطال الذي تأكله الدواب ويسمى الهرطمان كما يسمى أيضا عند بعضهم بالشقالية..!!

931 ـ القبقب = البطيخ..!!

وجدت في كتاب طوق الحمامة. المطبوع ضمن رسائل ابن حزم تحقيق احسان عباس. ج 1 ص 268 ط. بيروت 1980 م.

وقديما ورد: من وقي شر **لقلقه. وقبقبه. وذبذبه.** فقد وقي شر الدنيا بحذافيرها..! **اللقلق:** اللسان... **والقبقب:** البطن. **والذبذب:** الفرج...

وقد أخبرني أبو حفص الكاتب. وهو من ولد روح بن زنباع الجذامي. أنه سمع بعض المسمين باسم الفقه من أهل الرواية... وقد سئل عن هذا الحديث...!! فقال:

القبقب: البطيخ...!!!

932 ـ لتكون تذكرة عند البين...!!

وجدت في كتاب «طوق الحمامة» للإمام ابن حزم الظاهري.. في الفصل الخامس والعشرين... باب القنوع:

«..وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعنبر... مرشوشة بماء الورد... وقد جمعت في أصلها بالمصطكى والشمع الأبيض المصفى... ولفت في تطاريف الوشي والخز... وما أشبه ذلك... **لتكون تذكرة عند البين...!!**»

933 ـ حفصة...!

وجدت في رحلة ابن رشيد ج 2 ص 421.

وانشدني الأديب أبو الحسن علي بن عمر الشاطبي لنفسه في وصف تمر يسمى بحفصة...

ولقد خلوت بحفصة لا ريبة ... تخشى علي لعفتي وعفافها

أشكو قساوة قلبها فيجيبني ... للحين ما قد لان من أعطافها

ففضضت خاتمها ولست بآثم ... عدنية. قد حرت في أوصافها

فاس — عبد القادر زمامة

> ●● أنا لست متشائما، أنا متفائل، أنا رجل واقعي ومتفائل بالطبع. هذا كله، يجب أن تعلموا جميعكم على أساس أنكم جميعكم مغاربة، الجهاز التنفيذي أو الجهاز التشريعي، أو الجهاز الإداري، يجب أن يعرف على أنه إذا جاء الفقر كلنا سوف نتحمله، وإذا جاء الغنى كلنا سوف نتحمله، وإذا جاء الغنى كلنا سوف نتقاسمه، ونحمد الله عليه ●●
>
> جلالة الملك الحسن الثاني

المغرب الصامد

للأستاذ أحمد مجيد بن جلون

عاش المغرب قرونا وهو يدافع عن وجوده وكيانه، ويواجه الأطماع بجلده واباءه، ويقاوم التيارات في سبيل معتقداته. وعرف حقبا أذاق فيها خصومه مرارة الانهزام، فنالوا مصير اللئام، وتكبدوا ثمن مغبتهم، ونتيجة تطاولهم، وعواقب فجورهم.

إنه القلعة المنيعة، والمعين الذي لا ينضب، والحصن القوي العتيد، فكلما ظن أنه ضعفت صلابته، أو قصر باعه أو فلت شوكته، إلا وانتفض مجاهدا، يذكر بماضيه التليد، وباستمرار نظامه المجيد، وباستقرار وضعه الفريد، وبعدم استسلامه لكل شره بليد، وجائر بغيض، ومتسلط عنيد. ويستمد المغرب دوما من عبقرية ملوكه، وشهامة أبنائه، وسواعد رجاله، تلك المعطيات الخلاقة، والعناصر المفيدة المثيرة التي توقف المترامي عند حده، وتعيده إلى رشده، مقنعة اياه بأن المغرب عرين الأبطال، وانه يعرف حق الجار، ولكنه يرفض العمل الضار، والخراب والدمار، ولا يريد باستقلاله بديلا، ولا يرضيه أن يكون مهاناً، ولا يمكنه أن يعيش إلا محترما جليلا مهاباً.

إن الملاحم التي خاضها أجدادنا الأشاوس، بقيادة ملوكهم العظام، لتثير التقدير والإعجاب بتعددها وتكرارها، وأهميتها وتضحياتها، وضخامتها ونتائجها، ولتكون باعث اعتزاز وافتخار، وإجلال وإكبار، ولتوحي بوجوب عبارات الشكر، والاعتراف بمزايا وخصال أولئك الذين صنعوا أمجادنا، وصانوا كياننا، وبلوروا غاياتنا ومطامحنا، وجدوا إباءنا بتضحياتهم وجهادهم، ومناعتهم ونضالهم، وقوتهم وإشعاعهم، وإيثارهم للسلم قبل استعمال القوة، والتفاهم بدل العنف والشدة، والمفاوضة تفاديا للخطإ أو الغفلة، والاستشهاد في سبيل الدين والملة.

وإن الاعتزاز بهذه الملاحم، ليدعو كذلك وقبل كل شيء إلى العمل الصالح، والمجهود الهادف، حتى نكون بأجدادنا معتزين، وعلى درب عبقريتهم سائرين، ولخلافتهم مستحقين، نشيد ونبني، ونحرث ونسقي، ونعلم ونربي، ونوزع الرفاهية المثلى، في انطلاقة مباركة نحو التكامل المادي والخلقي، لنجعل من أمتنا تلك الأمة الوسط التي تجنح إلى السلم، بإرادة المومن القوي، عندما يكون السلم عادلا، ولا تخشى المجابهة، كلما كانت المجابهة ضرورية لصيانة حقوقها، أو الذوذ عن كيانها، أو الحفاظ على مكتسباتها، أو وقاية قيمها وتقاليدها ومعتقداتها.

إن المغرب اختار منذ القدم طريق العدل والإنصاف، وفرض بين أفراد أمته المحبة والتقدير والتآزر، وجعل من مبادىء دينه الحنيف قاعدة حياته، ومنطلق مبادراته، ومنبع واجباته، وأساس اختياراته، ومرجعه الأصيل في معاملاته.

وان الأسر الملكية العريقة التي تعاقبت على الحكم فوق ترابه، وجندت طاقاتها في خدمته، وضحت بجهودها وأرواحها في سبيل كرامته ومناعته، وفرضت احترام سيادته واستقلاله، آثرت الاستناد، عبر القرون والأحقاب، والمشاكل والأتعاب، على سواعد أبنائها، وشهامة أفرادها، وصمود جنودها، وحنكة مسيريها، وحسن تدبير قادتها، ودهاء روادها، لتشق طريقها نحو الاستقرار والاطمئنان، والتضامن والالتحام، والانفتاح والازدهار. فنسجت بعزيمة لا تلين، مميزات عبقريتنا، وخصائص أوضاعنا، وعراقة تقاليدنا، ووجاهة طموحنا، واستمرار انقيادنا إلى التضحية في سبيل الإيمان، والاستشهاد دفاعا عن الأوطان، والاستماتة نصرة لحقوق الإخوان والجيران.

وكم من معركة خضناها، وملحمة عشناها، ومشاق قبلناها، وتضحيات قدمناها، وخسائر تكبدناها، لا دفاعا عن الأوطان فحسب، ولكن كذلك لنشارك إخواننا في العقيدة محنهم، ونؤازر أصدقاءنا فنغيثهم، ونتمادى في خطة اخترناها منذ القدم فأصبحت مثالا يقتدى، ونموذجا يحتذى، وعربونا مستمرا عن حسن نيتنا، وصفاء طويتنا، وسلامة قصدنا. وما مشاركتنا في مقاومة جيراننا للاستعمار إلا ظاهرة لتلك العزيمة التي لا تلين، والتي جبلنا عليها من غير تردد، وأقنعنا الخصوم، بوجوب اعتبارها، ولزوم احترامها.

وكم من مراحل اجتزناها، وأشواط قطعناها، وتحديات واجهناها، وأخطار جابهناها، وراء ملوكنا الميامين، نبادلهم الحب بالوفاء، والشغف بالإخلاص والثناء، والتوجيه السديد بالامتثال والولاء، والطموح الوثاب بقلوب ملؤها التقدير والصفاء.

إن الشعب المغربي أعطى لكلمة الأمة مدلولها الحقيقي بوحدة صفوفه، وتلاحم أفراده، وتوحيد كلمته، وعبقرية أبنائه، وشهامة أبطاله، وقوة إيمانه، ورباطة جأشه، وثبات إرادته، وصفاء طويته، وتصديه لكل خديعة ومكر، ما دام من المسلم به أن لا وجود لأية أمة، إذا لم يكن جميع أفرادها مومنين بوجود تحقيق حلمهم في مستقبل مشترك.

هذا هو المغرب الذي نحبه ونعتز به، ونصونه ونموت من أجله، لأنه الإرث الذي آل إلينا من الأجداد، والوصية المقدسة التي لا يجوز التفريط فيها مهما كانت الأحوال، وبصمات التضحيات والصيانة والإيثار من الأجيال، ماثلة في كل جنباته عبر العصور. ولم يمكن - من الوجهة الحضارية - نحته وترصيعه، وإتقانه وإبداعه، وتحقيقه وفرضه، وإقراره واستمراره، إلا بفضل تلك النخبة الفريدة من الملوك الأكفاء الأجلاء المخلصين الذين امتازوا باليقظة والطموح، والتفاني والتجرد، والحكمة والتبصر، والرأفة والسماح، ونصرة العدل والإنصاف، والضرب على أيدي المتربصين المحتالين، والمتقاعسين المخذولين، لا تأخذهم في الله لومة لائم، يسوسون الرعية بالحق والصدق، ويحكمونها بالعدل القائم، ويحملونها على الجد والنزاهة والتجرد.

لقد أرادوه، قدس الله أرواحهم الطاهرة، مملكة مسلمة مومنة، فزرعوا فيه بذور العقيدة، ونموا فيه روح التضامن والتكافل، ولقنوا أبناءه تلك المبادىء السمحة، والقيم الإنسانية الكفيلة بتجنيبهم المعاصي النكراء، وعواقب التنكر والبغضاء. وجندوا طاقاته وطموحه خدمة للمقاصد العليا، وشيدوا صرحه وكيانه بعزيمة وإباء، وصانوا حدوده، وفرضوا خاصياته ومعالمه. وكانوا سباقين إلى إبرام الاتفاقيات مع غيرهم من الدول، فأبرزوا من خلالها مزايا الحوار النافع، والتآزر الدولي الناجع، وضربوا مثلا يحتذى في الممارسة الدولية المسؤولة للمعاهدات والأوفاق. وامتد إشعاعهم الحضاري عبر البحار والقارات، وعرفوا بشرف مقاصدهم، ونزاهة مبادراتهم، وسمو هممهم، وإخلاص صداقتهم، ووفاء وعودهم، وصدق مواقفهم.

إن تاريخنا مليئ بالإرشادات والعبر، وملاحمنا منحة من جود وكرم القدر، وتصورنا نموذج يحتذ ويعتبر، وأوضاعنا الأخلاقية توصف فتشكر، وشكرنا للعلي القدير معلل ومبرر. وكل هذا ندين به لنظام صنعته السنون والأحقاب، وصقلته التجارب، واستمد مناعته وقدراته من جودة مقوماته، ونضال مؤسسيه، واستماتة مسيريه.

وشاءت الأقدار أن تفرض علينا المؤامرات حجرا بغيضا، واحتلالا مغرضا. فما وهن شعبنا الباسل، وما ضعف ولا استكان، بل اعتبره امتحانا جديدا، واختباراً آخر، قاومه

بنفس العزيمة والإباء. وكانت مناسبة أبرز فيها المغرب من جديد أصالة المبادىء التي يومن بها ملوكه وقوة العرى الوشيجة الرابطة بين العرش والشعب. وتحقق التحرير والاستقلال على أيدي ملكنا البطل، جلالة محمد الخامس، قدس الله روحه. وكم يطول الشرح، لو أردنا استعراض تلك الصفحات الخالدة من جهادنا المبارك.

وتربع جلالة الحسن المحبوب على عرش أسلافه الميامين، فأعلنها صيحة مدوية ضد الفقر والتخلف، والجهل والمرض، والجور والتفرقة، والكسل واللامبالات. وشرعنا في مسيرتنا المظفرة، نضع اللبنات تلو الأخرى، تنفيذا لتخطيط محكم، رسمه ملكنا القائد، بعبقريته الواسعة، وطموحه الوثاب، وعزمه الأكيد على تحقيق الازدهار المادي والتكوين الخلقي.

فكم من ميدان امتحناه فأخضعناه، وكم من مشروع نسقناه فأنجزناه، وكم من مبادرة اتخذناها فأدت إلى تحقيق منجزات جسام غطت الحاجة، وتغلبت على الفاقة، ووفرت الرغد، وأعطت السند، لانطلاقة مباركة جعلتنا نقترب من صفوف الدول المتقدمة، ونتكلم بلغة المخاطب المقنع، ونبذل النصح عن إلمام واستحقاق، ونشارك بأوفر نصيب في المجهود البشري الرامي إلى إقرار الأمن بين دول العالم، وخلق جو من التفاهم الإيجابي، والتضامن الإنساني.

وإنه لنوع آخر من الصمود المثالي في وجه التخلف والبهتان، والتسلط والطغيان، والعنف الأعمى، وعدم الإقرار بالمبادىء والقيم.

لقد قادها جلالته سدد الله خطاه حركة دائبة مباركة لم تعرف انقطاعا : فعزز الإخاء ووحد الصفوف، وجند الهمم، وتصدى للتحديات، ورسم الأهداف، وبلور المطامح، وحقق في إباء مقدس، ما كنا نصبو إليه من عزة وسؤدد، حتى تبوأنا المكانة المرموقة على مستوى الدول، وضمنا للأجيال الصاعدة وسائل حياتهم، ورسمنا لهم معالم الطريق، واندمجنا ن موكب الأمم التي نسجت لحاضرها ثوب المناعة والازدهار.

وما التظاهرات التي يتلو بعضها البعض باستمرار، فوق تراب مملكتنا الشكور، إلا مظهر لتلك العبقرية الحسنية الموفقة التي لم تألو جهدا في تنسيق وإبراز حقيقة لا مراء فيها، وهي أن النضال المغربي متنوع الجهات والغايات، متعدد الأركان والواجهات، لا تواجهه صعوبة إلا وتغلب عليها، ولا تعترض سبيله مشكلة إلا وعالجها ولا تدبر ضده مكيدة إلا وسفهها. وإنه لفهم فريد في ممارسة القيادة.

إن نضالنا إيجابي لأن غايته نبيلة، وشريف لأن قصده إحقاق الحق، وهادف لأن مرماه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقويم لأنه ينبذ التسلط ويرفض المساس بالمبادىء أو الاعتداء على النفس والمال أو محاولة احتلال الأراضي واكتساح التراب الوطني.

وإن موقفنا من قضية أقاليمنا الصحراوية لخير مثال على أسلوبنا في المعاملة وصمودنا أمام التحديات، ودفاعنا عن حقوقنا، وتشبثنا بالقيم والمبادىء، وحرصنا على العدل والمشروعية. لقد رجعت أقاليمنا الصحراوية إلى حظيرة الوطن، بفضل كفاح ملكنا الغيور المقدام، ومقاومته المظفرة للادعاء والبهتان.

إننا ندين لمحرر بلادنا وصانع نهضتنا، وباعث انطلاقتنا بكل ما أصبحنا نتوفر عليه من طمأنينة واستقرار، ونمو وازدهار في الداخل، ومن سمعة طيبة في الخارج. وما المؤتمر الرابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد أخيرا بالدار البيضاء. والذي صادق على «ميثاق الدار البيضاء» المقترح من طرف عاهلنا المفدى، إلا حلقة من تلك السلسلة الذهبية التي صنعها قائدنا العظيم بعبقريته وإرادته، وحنكته وتجربته، ويقظته وإبائه.

هذه محجتنا : تضامن وتفاهم، ودفاع عن المبادىء والقيم، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وتشبث بالعدل والإنصاف، وعمل مستمر لصالح الجميع، وصمود أمام كل التحديات.

ولن نزيغ عنها لأننا أفراد رعية قائد ملهم، وملك مصلح، ورائد عظيم، فليدم ملكنا، وليدم عرشه المجيد.

أحمد مجيد بن جلون

المستشار القانوني، بالديوان الملكي

المعيار المعرب

والجامع المغرب

عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تصدر موسوعة "المعيار" للونشريسي في 13 مجلداً

●● صدر الجزء الثالث عشر من الموسوعة الفقهية «المعيار» للإمام المغربي العلامة الونشريسي. وقد طبع هذا الجزء في مطبعة فضالة بالمحمدية بينما طبعت الأجزاء الاثنا عشرة في لبنان عن «دار الغرب الإسلامي» وقد جاءت الطبعة المغربية في حلة قشيبة وفي إخراج ممتاز.

وبصدور الجزء الثالث عشر من (المعيار) يكون طبع الكتاب قد استكمل. وهذا الجزء خاص بالفهارس المفصلة من وضع الأساتذة : محمد حجي، وأحمد الشرقاوي إقبال، ومحمد العرائشي، الأمر الذي يعتبر مدخلا للموسوعة التي تتناول موضوعات فقهية ودينية وتاريخية تسجل تطور المجتمع المغربي في فترة هامة من تاريخه اجتماعياً واقتصادياً وأدبياً وسياسياً.

وتعتبر موسوعة (المعيار) من أمهات الكتب العربية الإسلامية التي تنفرد بها المكتبة المغربية الغنية بنفائس المخطوطات.

وقد حرصت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال طبع ونشر كتاب المعيار على إبراز جوانب مشرفة من تاريخ الفكر الديني والاجتماعي بالمملكة ووضع أهم مرجع فقهي بين أيدي الباحثين وطلبة الجامعات والمهتمين بالدراسات الإسلامية.

وتجدر الإشارة إلى أن طبع كتاب (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب) لأبي العباس الونشريسي المتوفى سنة 914 هـ، تم بأمر من جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

وقد وضع الأستاذ الهاشمي الفيلالي أمين وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية مقدمة لهذا الجزء أبرز فيها أهمية الكتاب وحاجة مجتمعنا المعاصر إليه في مرحلة تطوره الجديد انسجاما مع الصحوة الإسلامية في مجالات الفكر والفقه والعلم والدعوة.

يقع هذا الجزء في 554 صفحة من الحجم الكبير ويشتمل بالتفصيل على الفهارس التالية :

- جرد مفردات الفهرس الأبجدي العام.
- فهرس أبجدي عام للموضوعات الفقهية.
- جرد مفردات فهرس نوازل الجامع.
- فهرس أبجدي لنوازل الجامع.
- جرد مفردات فهرس الإشارات التاريخية والاجتماعية.
- فهرس أبجدي للإشارات التاريخية والاجتماعية.
- فهرس أعلام الأشخاص والقبائل والأمم والفرق.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الكتب الواردة في متن المعيار.
- استدراكات وتصويبات ●●



(الدار البيضاء : 16. 17. 18. 19 يناير 1984)



شعار مؤتمر القمة الإسلامي الرابع واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

مؤتمر القمّة الإسلامي الرّابع فتح جديد في العمل الإسلامي الدّولي.

كان مؤتمر القمة الإسلامي الرابع الذي عقد بمدينة الدار البيضاء، أيام 16 - 18 - 19 يناير المنصرم فتحاً جديداً في العمل الإسلامي الدولي نظراً لما أسفر عنه من نتائج بالغة الإيجابية وبحكم الوزن الذي مثله على مسرح السياسة الدولية.

ولقد اضطلع المغرب بدوره البارز والكبير في هذا المؤتمر وظهر جلالة الملك الحسن الثاني الذي اختاره قادة الدول الإسلامية رئيساً للمؤتمر كأبرز رواد التضامن الإسلامي في هذا العصر. وقد شهد الجميع لجلالته بالتفوق والمقدرة والكفاءة العالية في تسيير المؤتمر وإدارة شؤونه. وبذلك يكون المغرب بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني، وفياً لرسالته الإسلامية التاريخية ومستجيباً إلى تطلعات العالم الإسلامي نحو قيادة إسلامية واعية وفي مستوى العصر.

ويعتبر ميثاق الدار البيضاء الإسلامي الصادر عن المؤتمر إضافة عميقة الدلالة إلى وثائق منظمة المؤتمر الإسلامي تكمل وتعزز ما جاء في بلاغ مكة التاريخي الصادر عن القمة الإسلامية الثالثة سنة 1981.

وجرياً على العادة التي اتبعتها مجلة (دعوة الحق)، فإنها خصصت ملفاً كاملاً لمؤتمر القمة الإسلامي الرابع. وكانت المجلة قد نشرت ملفاً مماثلاً سنة 1969 بمناسبة مؤتمر القمة الإسلامي الأول.

وقد حرصت المجلة على نشر الوثائق الأساسية للمؤتمر. وتشمل خطب وكلمات جلالة الملك الحسن الثاني رئيس مؤتمر القمة الإسلامي الرابع وجلالة الملك فهد بن عبد العزيز رئيس مؤتمر القمة الإسلامي الثالث، ومعالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي والبيان الختامي للمؤتمر وميثاق الدار البيضاء الإسلامي ونص الرسالة التي وجهها جلالة الملك الحسن الثاني، إلى قادة الدول الإسلامية في ختام المؤتمر.

خطاب جلالة الملك فهد بن عبد العزيز
في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الإسلامي الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، القائل في محكم التنزيل ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**﴾ صدق الله العظيم.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الإخوة الكرام قادة الأمة الإسلامية.

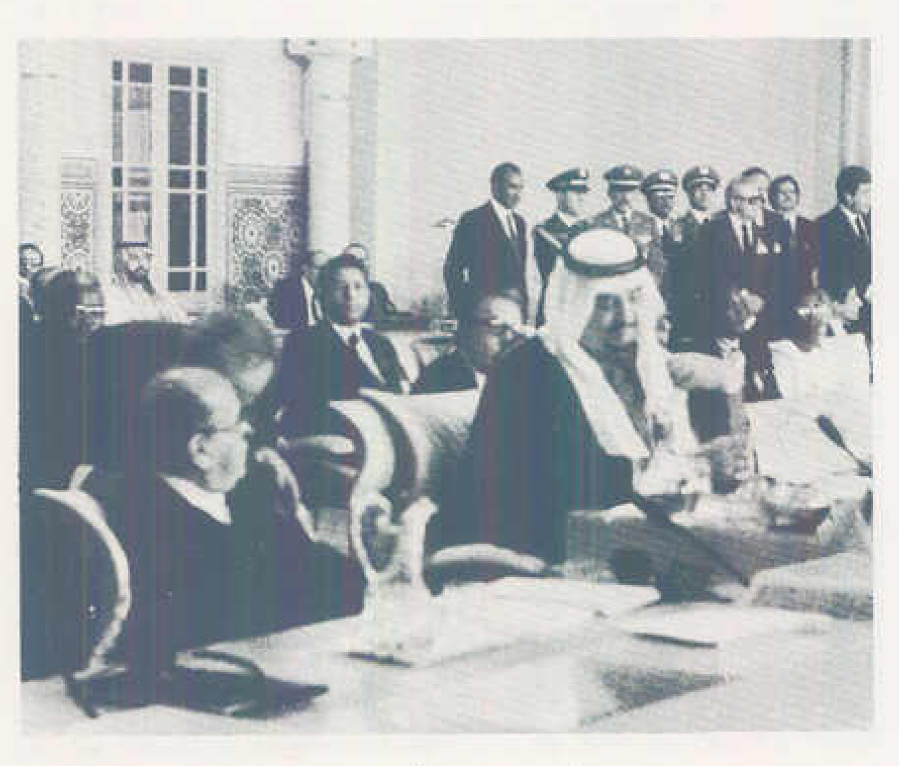
أحييكم بتحية الإسلام وأحمل إليكم من مهبط الوحي وقبلة المسلمين دعاء، خالصاً بأن يوفق الله سبحانه وتعالى جمعكم هذا على طريق الخير والسداد وأن يجعل أعمالكم كلها خالصة لوجهه الكريم.

وأود في البداية أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير لجلالة أخي الملك الحسن الثاني، وللحكومة والشعب المغربي الشقيق المضياف لما لقيناه من حسن استقبال وكرم الضيافة النابعين من روح الأخوة الإسلامية المتأصلة في هذا الشعب النبيل العريق بتراثه الإسلامي الحافل بسجل كفاحه المجيد وانتصاراته في ساحة الجهاد والعمل البناء.

ويسعدني أن أشير بمزيد من التقدير والإكبار إلى الجهود الموفقة التي بذلها كل من جلالة الملك الحسن الثاني، في رئاسته للجنة القدس وبعض اجتماعات اللجنة السباعية، وإلى جلالة الملك حسين، لبعض اجتماعات اللجنة السياسية أيضا، وإلى فخامة الرئيس أحمد سيكوتوري، برئاسة لجنة المساعي الحميدة، وإلى فخامة الرئيس عبدو ضيوف برئاسته للجنة الدائمة للإعلام والشؤون الثقافية، وإلى فخامة الرئيس محمد ضياء الحق، برئاسته للجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي، وإلى دولة السيد طه محيي الدين معروف، نائب رئيس الجمهورية العراقية برئاسته للجنة التضامن الإسلامي مع شعوب الساحل، لقد كان لتلك الجهود أثر ملموس في تعزيز مسيرة التعاون بين دولنا وتحقيق الأهداف المشتركة التي نسعى جميعا إلى تحقيقها.

كما أتوجه بالشكر إلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي السيد الحبيب الشطي وزملائه المخلصين عن الجهود الدائمة التي يبذلونها لخدمة الإسلام ورفعة شأن المسلمين وأرحب نيابة عنكم بضيوفنا الكرام الذين توفقوا لحضور مؤتمرنا هذا وفي مقدمتهم معالي الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة ومعالي الأمين العام لجامعة الدول العربية ومعالي الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

أيها الإخوة، لقد كان للقاءات القمة الإسلامية في الماضي دور كبير في تحقيق الكثير من الإنجازات الهامة على صعيد العمل الإسلامي المشترك أدت إلى نتائج إيجابية مثمرة. ومنذ ثلاث سنوات خلت اجتمعنا بمكة المكرمة، في مؤتمرنا التاريخي الكبير واستطعنا من خلال ذلك اللقاء أن نشخص الداء ووهن الأمة وعوامل تفرقتها وأن نحدد مواطن ضعفها ومواطن قوتها ونصف العلاج الناجع لمشكلاتها والوسائل الفعالة لتحقيق أهدافها، وتمكنا بذلك من العمل على إرساء قواعد



جلالة الملك فهد بن عبد العزيز أدى خدمات جليلة للأمة الإسلامية خلال رئاسته لمؤتمر الإسلامي الثالث

العمل الإسلامي المشترك الذي يمهد لتجاوز المشكلات والانصراف إلى تحقيق الأهداف الكبرى لأمتنا المجيدة. ولقد كان ذلك إنجازاً كبيراً لا يستهان به فيما إذا أخذنا بالاعتبار التحديات والمشكلات التي تجابه الأمة الإسلامية.

لقد جاء ذلك اللقاء التاريخي المجيد مؤكدا الصحوة الإسلامية المباركة التي أصبح يشهدها العالم الإسلامي ومحدداً للعمل الإسلامي المشترك بالوسائل والمؤسسات اللازمة التي تساعد على النمو والازدهار وتحافظ على اتجاهاتها المرسومة لها بخطى ثابتة وبما تتضح فيه الرؤية وتستقيم عليه الأمور.

أيها الإخوة.

لقد كان لي شرف رئاسة الدورة الثالثة للقمة الإسلامية وتلك أمانة كبرى جاهدت معكم على تحمل مسؤولياتها وسوف يعرض على أنظاركم ضمن وثائق وأعمال هذا المؤتمر تقرير شامل بما وفقنا الله إلى إنجازه خلال السنوات الثلاث الماضية ويسعدني اليوم أن أقف معكم وقفة قصيرة نلم فيها بما هو مهم من الإنجازات التي تم تحقيقها.

لقد جاء بلاغ مكة التاريخي متوجا للأعمال ومؤيدا لأعمال مؤتمر القمة الإسلامي الثالث والذي لم يقتصر على توضيح المنهج الإسلامي فحسب وإنما جاء مؤكدا للحقيقة وهي أن التجمع الإسلامي تجمع الخير ونصرة الحق والعدل.

وانطلاقا من بلاغ مكة وأهدافه السامية تم إنشاء المجمع العلمي للفقه الإسلامي كما تم إعلان وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام، ومشروع النظام الأساسي لمحكمة العدل الإسلامية، وهما معروضان لأنظاركم في هذا المؤتمر.

أيها الإخوة

كما شاهدت السنوات الثلاث الماضية تعزيزاً للتعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية ظهرت نتائج خيرة في عدة اتجاهات من أهمها التصديق على خطة العمل الخاصة لتعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية وبرنامج تطوير العالم الإسلامي الذي خصصت له المملكة العربية السعودية ألف مليون دولار، كما خصصت دولة الكويت خمسمائة مليون دولار ووفاء بهذه الالتزامات فقد قمنا في الواقع بما يفوق ذلك تأكيدا للمصادقة على العمل الإسلامي المشترك في هذا المجال. ولقد قدمت المملكة العربية السعودية للدول الإسلامية من خلال الصندوق السعودي للتنمية منذ مؤتمر قمة مكة حوالي ألف وخمسمائة مليون دولار، استفادت منها أكثر من 25 دولة من الدول الأعضاء في المنظمة، كما قدمت دولة الكويت من خلال الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية، مبلغ 800 مليون دولار.

وهكذا أيها الإخوة، فلقد قطعنا منذ مؤتمر قمة مكة المكرمة شوطاً طيبا بحمد الله وتوفيقه في مجال التعاون الاقتصادي فيما بيننا ووضعنا الأهداف ورسمنا الأبعاد، بل وأنشأنا المؤسسات التي تضطلع بتنفيذ البرامج والمخططات، وعلينا الآن أن نتقدم ونواصل هذه المسيرة الخيرة لتستمر فوائدها الخيرة وتستفيد الأمة الإسلامية منها.

أيها الإخوة.

قال رسول الله ﷺ : «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

واستجابة لهذا الحديث الشريف قام مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بتكوين لجنة للنظر في مشكلة الجفاف التي يعاني منها إخواننا سكان الساحل الإفريقي ولقد شاركت المملكة العربية السعودية في هذه اللجنة وقدمت مبلغ مائة مليون دولار في إطار البرنامج الخاص لمساعدة تلك الدول واستجابة لدواعي التضامن الإسلامي فإنه يجب علينا جميعاً كل بقدر طاقته أن نساعد تلك الدول الشقيقة ونقف إلى جانبها.

أيها الإخوة

وفي المجال السياسي، كما في المجالات الأخرى فقد سارت خطى الأمة الإسلامية وقادتها على النهج الذي حدده بلاغ مكة المكرمة مما مكنها من الوقوف بقوة في وجه أعدائها المتربصين بها ومع أن العدوان الصهيوني على مقدساتنا وأراضينا لا يزال مستمرا وقائما، وفي الوقت الذي لا تزال فيه إسرائيل مستمرة في ممارساتها العدوانية في الأراضي المحتلة واحتلالها للبنان واعتداءاتها المتكررة على الدول العربية، فإن مؤتمر القمة العربية الثاني عشر، في فاس قد تحمل المسؤولية التاريخية ووافق على خطة السلام العربية التي تتضمن الأهداف والمبادىء التي نأمل أن نعيد لمنطقة الشرق الأوسط السلام والأمن والاستقرار، وذلك انطلاقاً من الإيمان الراسخ بقدرة هذه الأمة على تحقيق أهدافها وإزالة آثار العدوان الصهيوني عليها وعلى هذا الأساس فإننا نؤكد مجددا للمجتمع الدولي بصفة عامة وخاصة الدول التي تساند إسرائيل وتدعمها، انه إذا أريد أن يسود السلام في منطقة الشرق الأوسط فلابد من العمل على تنفيذ خطة السلام العربية وضمان الحقوق المشروعة، للشعب الفلسطيني بما في ذلك حقه في إقامة دولة مستقلة على أراضيه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد وانسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة وأن تتخذ من الإجراءات ما هو كفيل بردع العدوان الصهيوني المتكرر.

وانه لما يبعث على الثقة ذلك الصدى الطيب والدعم الواسع الذي لقيته خطة السلام العربية دوليا والذي تجلى بصورة خاصة نتيجة للاتصالات التي أجرتها اللجنة السباعية التي شكلها مؤتمر القمة العربي للاتصال بالدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن بغية شرح أبعاد خطة السلام العربية والتوصل إلى نتيجة إيجابية.

ومن هنا فإننا نؤكد مجددا أن السلام والأمن والاستقرار لن يستتب في منطقة الشرق الأوسط وفي العالم أجمع ما لم يتم الانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة، وفي مقدمتها القدس الشريف ثم الاعتراف الكامل بالحقوق الثابتة والمشروعة



للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على ارضه وإنشاء دولته المستقلة، ولن نصل إلى الحل السلمي إلا إذا شارك فيه صاحب القضية الأصلي والطرف الأساسي في النزاع وهو الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد.

ولا يفوتني في هذا المجال أن أشيد بالخطوات الموفقة والأعمال الهامة التي استطاعت أن تحققها لجنة القدس الشريف برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني، والتي ساهمت بشكل إيجابي ومثمر في شرح أبعاد قضية القدس الشريف واستئثار اهتمام العالم بها في مختلف المحافل الدولية.

أيها الإخوة.

لقد فقدت الأمة الإسلامية المرحوم خالد بن عبد العزيز بعد أن افتتح مؤتمر القمة الإسلامي الثالث، وإننا إذ ندعو الله له بالرحمة والغفران، لا ننسى ما قدمه للأمة الإسلامية من عمل صالح وجهد مثمر لحل قضاياها وإنهاء مشاكلها.

أيها الإخوة

لا يزال لبنان يعاني من استمرار الاحتلال الاسرائيلي وآثره البغيضة ولا بد من بذل كل جهد للعمل على انسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية، فورا، لذلك فإننا نهيب بالمجتمع الدولي أن يتخذ من الإجراءات ما يكفل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة للانسحاب الإسرائيلي غير المشروط من كافة الأراضي اللبنانية والمحافظة على استقلال لبنان وسيادته ووحدته الترابية وفي هذا الصدد فإننا نهيب بالإخوة اللبنانيين تحقيق الوفاق الوطني كما أننا ننظر بتفاؤل إلى ما يمكن أن يحققه مؤتمر الحوار الوطني اللبناني واستئناف أعماله لإيجاد حل جذري للمشكلة يضمن المحافظة على استقلال لبنان وسيادته ووحدة أراضيه.

أيها الإخوة

إنه لما يملأ النفس حزنا وأسى، وبالرغم من الجهود والوساطات الإسلامية والدولية لإنهاء الحرب بين الشقيقتين العراق وإيران فإن هذه الحرب ما تزال مستمرة وتمثل مصدر القلق والخطر على العالم بصفة عامة وعلى العالم الإسلامي بصفة خاصة. وإننا إذ ننظر بارتياح إلى تجاوب العراق مع كافة المساعي السلمية، فإننا نتطلع بأمل أن تتجاوب إيران المسلمة مع تلك الجهود حقنا لدماء الأشقاء المسلمين وصونا لطاقاتهم وإمكانياتهم.

وإنه مما يزيد من ألمنا جميعا أن يكون هذا النزاع خلافا للقضايا الأخرى التي تشغل أمتنا الإسلامية لأنها بين دولتين مسلمتين شقيقتين عضوين في منظمتنا هذه، وكلنا أمل في أن يتوصل البلدان في أقرب وقت لإنهاء هذا النزاع وإحلال روح الأخوة الإسلامية وحسن الجوار محل الشقاق والتناحر.

أيها الإخوة

لقد طال الاحتلال السوفياتي لأفغانستان المسلمة، ومع ذلك فإن الأمل في النهاية يتزايد كلما تصاعد جهاد الشعب الأفغاني الذي أصبح في صموده كالصخرة تتكسر عليها موجات العدوان.

ومما يزيد نفوسنا اطمئنانا تضامن الدول والشعوب الإسلامية، التي أثبتت للعالم أجمع أن أمة الإسلام كالجسد الواحد لا يستطيع طامع أو مستعمر أن ينال جزءاً منه إلا وهبت الأجزاء الأخرى تضامنا معه.

وإننا ننتهز هذه الفرصة باسم هذا المؤتمر التاريخي لنناشد الاتحاد السوفياتي بأن ينسجم في مواقفه مع مبادىء الحق والعدل والحرية، ومع ما ينادي به من شعارات السلام والصداقة بين الشعوب ويبادر إلى الانسحاب

الفوري من أفغانستان ليتسنى للشعب الأفغاني ممارسة إرادته الحرة وحقه في اختيار الحكم الذي يرتضيه لنفسه.

أيها الإخوة

إن العالم كله في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا يرقب باهتمام بالغ التحرك الإسلامي، وسيكون لقاؤنا هذا مزيدا لصلابة ومتانة التضامن الإسلامي وفرصة طيبة لنثبت مجددا أننا بوحدتنا وتماسكنا وتضامننا نشكل قوة خيرة لا يستهان بها في المجال الدولي.

إن عقيدتنا السمحة وتاريخنا المجيد وقدراتنا البشرية ومواردنا المتنوعة والحيوية ومواقعنا الاستراتيجية الفريدة ليست سوى ركائز أساسية تتيح لنا بإذن الله مستقبلا مشرقاً نستطيع فيه أن نملك القوة وأن ندافع عن أنفسنا وأن نصون مبادىء الحق والعدل في العالم كله.

إن مسؤوليتنا في هذا اللقاء الكبير تفرض علينا أن نجعل منه مناسبة للتأمل بعمق فيما وصلنا إليه وفيما ينبغي أن نفعله وفرصة لمراجعة أعمالنا واستعراض ما سبق أن توصلنا إليه من قرارات في مؤتمراتنا السابقة لنحيلها إلى واقع ملموس يعزز مسيرتنا الخيرة لتحقيق الأمن والاستقرار لدولنا والرفاهية والرخاء والتقدم والازدهار لشعوبنا.

وإنه ليسرني وقد انتهت مدة رئاستي للدورة الثالثة أن أعترف باسم هذه الدورة لجلالة الأخ الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية واثقا بأن ما يتميز به جلالته من حكمة وحصافة ومقدرة وسعة الأفق لقادر أن يسير بإذن الله بهذا المؤتمر إلى أهدافه المنشودة الخيرة لأمتنا الإسلامية.

وفقنا الله جميعا لما فيه الخير وسدد أعمالنا. وسيروا بعون الله نحو أعمالكم وسيوفقنا الله.

﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾، صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



معا على طريق التضامن الإسلامي



خطاب جلالة الملك الحسن الثاني في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الإسلامي الرابع

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

أصحاب الجلالة

أصحاب الفخامة والسمو

أصحاب المعالي

إنني أشكركم جميعا جزيل الشكر، على الثقة التي وضعتموها في، وذلك بتجاوبكم مع شقيقي الكبير وأخي المحترم جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حينما اقترح عليكم إسناد رئاسة هذه الدورة لعبد الله الضعيف هذا.

وإنني وأنا أقدر جسامة هذه المسؤولية مدركاً أبعادها العاجلة والآجلة، يمكنني أن أقول انني سأتحملها بأمانة وصدق وإخلاص، وبتفاؤل نظرا للتركة الإيجابية المثمرة التي وضعها بين يدي من سبقني إلى هذه الرئاسة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، فقد بذل وفقه الله وأعانه طيلة رئاسته لدورتنا بذل من الجهود وصرف من أوقاته ما يحمد عليه بالغدو والآصال.

ولست في حاجة أن أضع لائحة لما أدركناه وما حققناه منذ ثلاث سنوات، منذ مؤتمر الطائف، وحققنا ما حققناه ووصلنا إلى ما وصلنا إليه وذلك بسبب استماتة جلالة الملك فهد، في خدمة قضايا المسلمين والإسلام، وفي إخلاصه في عمله المستمر.

ومن منا لا يعرف شخصيته وسيرته مع كل أحد. فهو الرجل ذو الضمير وذو الإيمان وانني، ككلكم، حينما أكون معه في مذاكرة خاصة، دائما أعجب بتحليلاته سواء في القضايا الجهوية، أو في القضايا العالمية، ودائما استنير بما أدخره من تجربة وحنكة. ولكن رغم معاشرتنا كلنا له، يجب علي أن أكون صريحا، فإنه وفقه الله، لم أعرف رجلا عنيدا مثله، فكلما دخلنا أو خرجنا باباً إلا وتفاوضنا عليه الساعات والساعات من يسبق الآخر، ولي اليقين أن هذا هو شأنكم كذلك معه.

ومن حسن الحظ أننا لم نقف قط، أمام المصعد وإلا لكان المصعد صاعدا أو نازلاً ونحن لا زلنا في الطابق الذي نحن فيه. إنني يا صاحب الجلالة، في منصب كملك المغرب وكرئيس لجنة القدس، في منصب يمكنني من أن أعرف الكثير على ما قدمته المملكة العربية السعودية وعلى ما قدمته الدول العربية المنتجة للبترول، لقضايا الإسلام والمسلمين،

سواء على الصعيد الثنائي أو الصعيد العالمي.

وإنني هنا باسم جميع الدول الإسلامية الحاضرة أشكر جلالتكم وأشكر أصحاب السمو الذين يوثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، حتى يمكن للعالم الإسلامي في شرقه وغربه أن يقف على رجليه، وأن يكون كما قال النبي ﷺ، «المومن القوي أحب إلى الله من المومن الضعيف».

وإنني لأرجو الله سبحانه وتعالى أن يبقي هذه الروح، روح التساكن بين جميع أعضاء أسرتنا الإسلامية حتى لا يبقى فينا من هو جاهل، ولا من هو محتاج، ولا من هو دون سكن، ولا من هو دون اطمئنان.

ومما لا شك فيه أن أسرتنا هي اليوم في بحبوحة حيث أنه أضيف إليها عضو آخر من أعضاء أسرتنا ألا وهو سلطنة برناوي التي جلست معنا لأول مرة كعضو كامل العضوية، وإني باسمكم جميعاً إذ أرحب بها، أرجو الله سبحانه وتعالى، أن يكون منها عضوا دائم النشاط، ومستمر النصيحة والعمل.

وكم كانت فرحتنا تكون كاملة لولا تغيب أخوين عزيزين علينا ألا وهما جلالة الملك حسين وفخامة الرئيس حافظ الأسد. فكيفما كان تقديرنا لمن أنابا عنهما فإن حجمهما وشخصيتهما سوف تترك فراغا عاطفيا بيننا، وفي هذه القاعة وفي هذا البلد الذي هو بلدكم.

وإنني لأتوجه إلى صاحب السمو الملك الأمير حسن ولي عهد المملكة الأردنية، وإلى صديقي السيد أبو جمال وزير الخارجية ونائب رئيس الحكومة السورية، ليبلغا جلالة الملك، وفخامة الرئيس، باسمي وباسمنا جميعا، دعواتنا لهم بالصحة والعافية وأن يدل عليهما الله سبحانه وتعالى رداء الطمأنينة ويستعيدا في أقرب وقت عملهما بين ظهرانينا ومعنا وأمامنا وخلفنا.

ان بعد ما قاله جلالة الملك فهد لم يبق لي في خطابي ما أقول. ولكنني إذا سمحتم سآخذ من وقتكم خمس دقائق لا أكثر، سأحاول أن أكون فيها وجيزاً ومبينا للأمور.

اننا نسمي اجتماعنا هذا اجتماع المنظمة الإسلامية إذن ماذا يجمع بيننا ؟

تجمع بيننا عقيدة مرتكزة على الكتاب والسنة، وفي هذا الكتاب المقدس وهذه السنة المحترمة ماذا نجد ؟ أولا أن ديننا هودين الإسلام،



السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية حياه جلالة الملك الحسن الثاني بحرارة مهنئاً إياه على خروجه منتصراً من محنته الأخيرة



وعند اللغويين الإسلام مشتق من السلام أو من السلم، إذن نحن دول سلام وأخوة وتعاطف.

ثانيا : حينما نقرأ القرآن الكريم أو نتصفح السنة النبوية الشريفة نجد ألفاظ الجهاد ونجد ألفاظ الاستشهاد ولكن هل يا ترى هل هي الألفاظ الوحيدة التي نجد في القرآن والسنة ؟ لا، نجد المحبة. نجد الإخلاص. نجد التضامن، نجد ما يكون مجتمعا شريفاً كريماً يعمل دائماً للسلم ولكن يعمل دائما في آن واحد لإعلاء كلمة الحق كيفما كان الثمن الذي يجب أن يدفع لإقرار الحق وإحقاقه وإبطال الباطل. ونجد كذلك في القرآن والسنة طريق المعاملات وكما قال النبي ﷺ، «الدين المعاملة» المعاملات بين الأفراد والجماعات. والمعاملات بين الجماعات نفسها، ونجد في القرآن ﴿إدفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

ونجد في القرآن ﴿إنما المومنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم﴾.

ونجد في القرآن ﴿وشاورهم في الأمر﴾ ونجد في السنة النبوية ما يجعلنا كبنيان واحد متراص. إذا وقع أي عطب في طرف منه إلا وانهار البنيان.

إذن نجد فيما نحن ملتفون حوله ومجتمعون من أجله ما يصلح حالنا ومآلنا وما يصلح علاقاتنا الثنائية أو علاقاتنا الدولية.

فلنكن إذن مخلصين مع أنفسنا وان لا نسمي أنفسنا مسلمين بل أن نكون مسلمين ونعيش مسلمين ونطلب الله سبحانه وتعالى أن يتوفانا مسلمين.

وانه لمن المؤسف جدا أن تكون دولتان مسلمتان ألا وهما إيران والعراق، في الحالة الحربية التي هما عليها ولا يمكننا أولا إلا أن نأسف لهذا الوضع.

وثانيا : ألا نيأس من الوصول إلى نتيجة سلمية وأخوية ومسلمة كيفما كانت العراقيل وكيفما كانت الظروف.

علينا أن نحاول ثم نحاول ثم نحاول لأنه كما قال جمال الدين الأفغاني : لا نهاية للفضيلة، ففضيلة إصلاح الشؤون بين الأخوة المسلمين هي فضيلة لا نهاية لها.

ولي اليقين اننا فرادى وجماعات سنسير على هذا النهج حتى نصل إن شاء الله، إلى ما نبغيه من تسالم وتصالح بين هاتين الدولتين.

وبهذه المناسبة أريد باسمكم جميعاً أن أشكر أخي وصديقي الرئيس الشيخ أحمد سيكوتوري، على ما بذله شخصيا من مجهود بدني وفكري منذ أن ترأس لجنة المصالحة وأن أهنئه على التحمل والصبر اللذين اتسم بهما. وأن نشجعه على السير قدما في مساعيه علما منا أن الله سبحانه وتعالى لايسد ولا يغلق باب الحكمة والتبصر والتعقل أمام كل أو أي مسلم مؤمن وفي مخلص.

انكم أسندتم إلي شرف رئاسة لجنة القدس، ومن منا يمكن أن يذكر القدس دون أن يذكر المأساة الفلسطينية.

ومن منا يمكن أن يذكر الكرامة الإسلامية، وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وكرمنا بني ادم﴾. كيف يمكننا أن نصف المسلمين بالكرامة وديننا بالتكريم دون أن نشور صباح مساء، ضد ما تعيش فيه أطراف الدولة الفلسطينية المغتصبة المحتلة، التي هي كل يوم تعطي دروسا وتلقن دروسا في التضحية وفي الاستماتة وفي الصبر وفي الإيمان.

ولكن الشدائد هي أحسن محك للأفراد والأمم. ولو كانت القضية الفلسطينية قضية مختلقة أو هامشية أو سطحية لانتهى الكلام عليها والكفاح من أجلها. ولكن الأحداث منذ 1948 دلت على أنها قضية حقيقية عميقة تمس بجوهر العرب والمسلمين وبالأخص حينما انتهكت حرمة أولى القبلتين وثالث الحرمين.

فعلينا جميعا إذن أن نوطد العزم وأن نؤدي قسما مع أنفسنا وشعوبنا على دعم هذه القضية كل باستطاعته حتى نمسح العار وحتى يصبح ذلك الشعب المسلم، تلك الأمة المكرمة، بالقيام بمجهود يومي، مجهود سياسي، مجهود اقناعي، مجهود حربي إن اقتضى الحال، حتى نحرر وطننا العربي مما يئن تحته من الذل والاستعمار.

أصحاب الجلالة
أصحاب الفخامة والسمو
أصحاب المعالي

إن أمامنا أعمالا كثيرة وأن جدول الأعمال الذي نحن بصدد دراسته لا يسمح لي أن أطيل عليكم أكثر من هذا، بل يوجب علي أن أقصر في كلامي وأن أعطي الكلمة إلى معالي الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة السيد دي كويلار، وبعده إلى الأمين العام لمنظمتنا، السيد الحبيب الشطي، الذي نشكره جزيل الشكر كما فعل ذلك من سبقني إلى هذه المنصة جلالة الملك فهد، هو وأعوانه والإدارة على ما قاموا به من جهود طيلة هذه المدة.

وليكن مسك الختام في خطابي هذا ما جاء في كتاب الله العزيز: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾. صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.



خطاب السيد الحبيب الشطي
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي
في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الاسلامي الرابع



بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم النبيئين.

أصحاب المعالي، أصحاب السعادة

أيها السادة

ها هو المغرب يحتضن بعد أربع عشرة سنة، من انعقاد القمة الإسلامية الأولى القمة الإسلامية الرابعة تلبية لدعوة كريمة جديدة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني.

واسمحوا لي ونحن في هذا البلد المضياف بأن أتوجه إلى مقام جلالة الملك الحسن الثاني، بعبارات الامتنان والشكر على تفضله باستضافة هذا المؤتمر وعلى الجهود التي بذلها جلالته كي ينعقد في أفضل صورة.

ولا أراني مبالغا إذا قلت أن استضافة المغرب العديد من المؤتمرات والاجتماعات الإسلامية والعربية أصبحت تقليدا مغربيا منسجما مع التقاليد المغربية العريقة المعروفة عبر التاريخ.

وما سياسة المغرب الإسلامية اليوم إلا استمرار لسياسته التقليدية وليس الطريق الذي يسلكه اليوم جلالة الملك الحسن الثاني، سوى الطريق نفسه الذي سار فيه يوسف بن تاشفين، وعبد المؤمن بن علي، والمنصور الذهبي، ومحمد الخامس.

ولا غرابة في بلد غني بتراثه الإسلامي العربي وبرجاله الأفذاذ أن يتصف عاهله جلالة الملك الحسن الثاني، بالحكمة والحنكة والحيوية التي عرفناها في جلالته عن كثب وهو يدير اللقاءات التي طالما تولى جلالته رئاستها في نطاق اجتماعات لجنة القدس وسواها.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو

أصحاب المعالي والسعادة.

أيها السادة

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم إلى جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية، الذي ترأس منظمتنا في السنوات الأخيرة، والذي خطا بها خطوات ثابتة في دفاعه عن قضايا العرب والمسلمين، ولا سيا خلال الأزمات الحادة التي تعيشها أمتنا اليوم. ولا أنسى ما أتاحه لنا جلالته من فرص ثمينة كنا وما نزال نستأنس بآراء جلالته الحكيمة في كثير من قضايا الساعة مما أسهم في تعزيز هذه المنظمة ودعم مكانتها.

وإنه لمن دواعي الابتهاج بأن يحضر اليوم هذا اللقاء الكريم مثل هذا الجمع الكبير من قادة الأمة الإسلامية، واسمحوا لي أن أخص بالذكر عميد المجاهدين فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة الذي يحضر هذا المؤتمر والحال أنه تغيب طويلاً عن مثل هذه المناسبات.

وإنه ليسعدني في هذا اللقاء التاريخي أيضا أن تكون دولة بروناوي، دار السلام العضو الجديد في منظمتنا حاضرة بيننا وممثلة

على أعلى مستوى في شخص رئيس الدولة جلالة السلطان مودا حسن بلقي

فإلى دولة برناوي، دار السلام وإلى جلالة السلطان أوجه كل التهاني بمناسبة ارتقاء هذا البلد المسلم إلى الاستقلال وحرصه على الالتحاق فورا بمنظمة المؤتمر الإسلامي، ليشارك أشقاءه في مسيرة التضامن والتكافل.

وإنه ليطيب لي في هذا المقام أن أحيي معالي السيد بيريز دي كويلار، السكرتير العام لمنظمة الأمم المتحدة الذي حضر شخصياً ليشهد هذا المؤتمر التاريخي.

وقد تم الخطاب القيم الذي ألقاه معاليه على سعة وفهم واستيعاب لقضايا العالم الكبرى ومن ضمنها القضايا التي تضعها الأمة الإسلامية في طليعة اهتماماتها.

إن القضايا المعروضة على بساط البحث في هذه القمة قضايا تؤرق العالم الإسلامي، ولذا فإن أنظار العالم مركزة اليوم على الملتقى الكبير لما سيتمخض عنه من نتائج وفي طليعة هذه القضايا قضية فلسطين التي هي في حقيقة الأمر ليست مجرد قضية الشعب الفلسطيني، بل إنها قضية عربية إسلامية. واهتمام العرب والمسلمين بها اهتمام لا يقل عن اهتمام أي فلسطيني، وكذلك الأمر بالنسبة للنزاع العراقي الإيراني الذي يشكل مأساة يتألم لها كل مسلم، وبالنسبة لاحتلال القوات السوفياتية لأفغانستان، الذي يعتبره كل مسلم جزءاً لا يتجزأ من وطننا الإسلامي.

لقد عقدنا على هذه القمة في أن تكون فاتحة عهد جديد في تاريخنا عهد يقضي الله لنا فيه بأن يبدلنا بالضعف قوة ومكانة وبالهوان عزة وكرامة وليس ذلك بالمطلب العزيز المنال إذا صدقت الإرادة ووضح السبيل وإذا غيرنا ما بأنفسنا بنبذ الشقاق وإحلال الوئام والاتحاد محله.

فليكن هذا المؤتمر بحق مناطاً للرجاء ومحطا للآمال ومعقدا لخير هذه الأمة ومصداقا لنا وعد الله ب المومنين الصادقين من نصر مبين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الرئيس السوداني جعفر النميري



الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري كان له دور بارز في تأمين مسيرة

خطاب جلالة الملك الحسن الثاني في الجلسة الختامية لمؤتمر القمة الإسلامي الرابع



جلالة الملك الحسن الثاني : جمعنا الدفاع عن القدس

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو

أصحاب المعالي

حضرات السادة

ها هو مؤتمرنا الرابع قد انتهى. وها نحن سنرجع إلى مشاغلنا العادية، مقيمين أشغالنا وما كان محل اهتماماتنا .

ولي اليقين اننا ولو نعلم أن مجهوداتنا وان أعمالنا ككل ما يقوم به البشر لا تتصف بالكمال، مع ذلك، سنكون مرتاحين تمام الارتياح، لأننا ما قمنا إلا بما أملاه علينا ضميرنا وما قلنا إلا ما كانت تؤمن به وتحس به قلوبنا أن النقط والمشاكل التي درست في هذا المؤتمر، هي كانت، ولابد أن تكون كذلك، محل نقاشات طويلة، ومبادلات للرأي طويلة، وذلك يسهل تفسيره وتعليله.

أولا : اننا نكون مجموعة من الدول أتت من جميع أقطار المعمورة من شمالها وجنوبها وشرقها وغربها.

ثانيا : اننا نعيش في هذا العالم مؤخرة هذا القرن، ونعايش كذلك مشاكله، كما نعايش مآسيه وآماله، وكان إذ ذاك حتميا أن نتطرق إلى ما تطرقنا إليه بما يستوجبه من النظر العميق والنظرة البعيدة.

اننا نحن أفراد المؤتمر الإسلامي، تجمع بيننا أواصر شتى، ومصالح مختلفة ومتعددة الأطراف، ولكن الذي يجمع بيننا وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله. الشيء الذي يجعلنا كيفما بعدت بيننا الدار، وشط المزار، وكيفما كانت ألسنتنا وألواننا وكيفما كانت ضروريات الجوار الذي نعيش فيه، وكيفما كان اختلاف المشاكل التي تواجهنا، كلا

على قدره، كانت لا إله إلا الله محمد رسول الله، هي القنطرة الذهبية التي تمكننا بها من أن نجتاز جميع المخاوف، وجميع ما كان من شأنه أن يفرق بيننا، أو أن يبعد الشقة بين نظر هذا وذاك.

نعم، ماذا جرى في مؤتمرنا ؟ يمكن أن يظن أن مؤتمرا إسلاميا أغلبية مواضيعه تتطرق إلى مشاكل دينية وثقافية، والذي يظن هذا ربما لا يعرف الأسس التي رفعت عليها الأمة الإسلامية. فأمرنا شورى بيننا ولفظ الأمر هنا بالمفرد يعني تنويع أمرنا أو يعني النوعية المختلفة والمتعددة لأمرنا، ومن يعرف الإسلام كذلك يعلم أنه لانفرق بين الدين والدنيا كما يفرق بعض المسيحيين بين الكنيسة والدنيا فديننا ودنيانا ديننا، هذا ما يجعلنا أحببنا أم كرهنا، ما يجعلنا نعجز في الفرز بين ما هو سياسي وما هو ديني وما هو ثقافي وما هو دنيوي.

ولكن حينما نتطرق للمشاكل الدينية والسياسية نتطرق لها بكيفية منطقية. ذلك، أن كلا منا ينظر إليها من زاوية الجغرافية ومن ضرورية الجوار، ومن زاوية المعاملات التجارية والاقتصادية، كما ينظر إليها كذلك، وهو مكيف أحب أم كره، مكيف بالمناخ الاقتصادي السياسي الذي أراد أن يعيش فيه واختاره لنفسه بحرية.

وكيف يا ترى أمام هذا كله يمكن أن تخرج دول تزيد على الأربعين دولة متفرقة في العالم كأنها حزام للعالم وللكرة الأرضية، تشتمل على مليار من البشر، انظمتها الاقتصادية السياسية مختلفة، ألسنتها مختلفة، أجناسها مختلفة، كيف يمكن يا ترى بعد ثلاثة أيام من العمل والكد والجهد، أن تخرج على كلمة واحدة صفوفها وقلوبها وخطواتها، كل ذلك منسق ومنظم. الجواب في لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إخواني في الله.
أصدقائي أصحاب الجلالة والفخامة والسمو
أصحاب المعالي
حضارة السادة :

لا أريد أن أطيل عليكم، وقد استغرقت بعض جلساتنا ما يزيد على إثنتي عشرة ساعة. ولكن لا بد أن أتطرق بتأثر عميق، وذكرى المؤمن، ولو كان ذلك بإيجاز، إلى أسباب نزول مؤتمرنا، وإلى المثلث كما أقول المثلث المقدس، لوجودنا منذ الرباط سنة ألف وتسعمائة وتسع وستين إلى الدار البيضاء في هذه السنة القدس هو الذي جمعنا أول مرة، والقدس لم يجمعنا وحده بل جمعنا الدفاع عما يحيط بالقدس وهي الأرض المحتلة،



والدفاع عن سكان الأرض المحتلة، ألا وهم الفلسطينيون.

ورحمة الله واسعة ونظرته بعيدة بالغة، ولم نكن في منتصف الشهر الماضي نظن أننا سنرى بين ظهرانينا وبجانبنا صديقنا وأخانا الحبيب العزيز علينا، السيد ياسر عرفات. ففي منتصف الشهر الماضي، كان في بلد عربي يجاهد ويقاتل بجانب المجاهدين والمقاتلين الفلسطينيين، ودار الأمر كذلك أياماً وليالي، وكنا ولو كان منطقنا يدفع بنا إلى اليأس من رؤيته مرة أخرى، كان إيماننا بالله يجعلنا واثقين آمنين

مطمئنين لأن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز : ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾.

وليكن في علمك أخي أبا عمار، أنت ومن تمثله من المجاهدين ومن الأطفال ومن الأرامل ومن المشردين ومن الأيتام، فلتكن على يقين أنك في انتظار أن تطأ أرض بلادك في القريب العاجل إن شاء الله، اعلم أن أرضي هذه الشعوب كلها هي أرضك وأراضي المجاهدين الفلسطينيين رجالا كانوا أم نساء، واعلم وفقك الله كذلك أنت وأصحابك ان الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأنه سبحانه وتعالى يعلم وهو الذي يقدر المصير في بدايته ونهايته ان الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً هيأ له أسبابه، وما هيأ الله منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ما هيأ منظمة التحرير إلا وكان في اللوح المحفوظ قد كتب، جلت قدرته، تحرير فلسطين.

إخواني أصحاب الجلالة والفخامة والسمو

أصحاب المعالي حضرات السادة

إنني أشكر بكيفية خاصة جميع رؤساء الوفود الذين تحملوا بصبر واناة وتعقل الذين تحملوا الساعات الطويلة، التي قضيناها لبحث مشاكلنا، أشكرهم وأهنئهم على هذا كله، وعلى هذه الخصال التي تحلوا بها ليست إلا انعكاساً للخصال الحميدة لشعوبهم، والخصال الحميدة السليمة للأمة الإسلامية. وانني لأشكركم مرة ثانية وعلى رأسكم أخي الكبير جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، الذي جاء بالاقتراح، أشكركم مرة ثانية وبكيفية علنية على الثقة الجديدة والمجددة التي وضعتم في، وذلك بإسنادكم إلى رئاسة لجنة القدس، لجنة القدس لجنة مقدسة، واسترجاع القدس قضية مقدسة والصلاة في القدس وعود مقدسة. فكما كان بالماضي سيكون في المستقبل ستجدون في شخصي المتواضع المسلم، من يخدم بجوارحه وتعلقه وبوجدانه قضية أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ولم يبق لي إلا أن أشكر باسمكم جميع الذين ساهموا في تنظيم أشغالنا. وبهذه المناسبة أن أشكر شعبكم، الشعب العزيز علينا جميعا، الشعب المغربي على ما خص به ضيوفه من اطمئنان وطمأنينة وحفاوة، وما كان ذلك علينا بعجيب ولا بغريب، فالشعب المغربي شعب يقظ يعرف مأموريتكم وأسباب وجودكم، وقدسية قضيتكم، فما كان عليه إلا أن يكون في مستوى أعمالكم ومؤتمركم. وأشكر أخيرا السيد الأمين العام الحبيب الشطي، وجميع أفراد الأمانة العامة الذين أرهقناهم بالطبع والنسخ والنقل، والأخذ والرد راجيا من الله سبحانه أن يثيبهم على ذلك أحسن مثابة.

وأخيراً وقبل أن أودعكم إخواني وأعانق بحرارة كل واحد منكم، عندما سأكون في توديعكم، أرجو الله لكم ولنا جميعاً الهداية والسداد. وأرجو الله سبحانه وتعالى لنا ولكم أن يبقينا دائما على العهد وأن يبقينا دائما على المحجة البيضاء. تلك المحجة البيضاء التي قال فيها النبي ﷺ، ألا وهو الدين الإسلامي، إني تركتكم على المحجة البيضاء ليالها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد أن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ ﴿وقل ربي أنزلني منزلا مباركاً وأنت خير المنزلين﴾ ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.



الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة كان حضوره للقمة مبعث تقدير قادة الدول الإسلامية

ميثاق الدار البيضاء الإسلامي

الحمد لله

إن ملوك ورؤساء وممثلي الدول والحكومات الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي المجتمعين في مدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية في شهر ربيع الثاني 1404 هـ - يناير 1984م ليحمدون الله ويشكرونه على أن وفقهم لعقد هذا الاجتماع لتدارس القضايا المختلفة التي تستأثر باهتمامهم وتسترعي اهتمام القادة والزعماء والأقطاب من مختلف أقطار العالم وعلى أن أتاح لهم فرصة هذا اللقاء للتشاور وتبادل الرأي فيما ينبغي تحديده من خطط واتخاذه من مواقف وسلوكه من سبل في الظروف الراهنة وإزاء الأوضاع الحالية وأنهم ليحمدون الله ويشكرونه بالإضافة إلى هذا على أن أيد خطاهم وسدد مسعاهم وكلل جهودهم المبذولة طوال اللقاء في جو الصفاء والإخاء بالاتفاق الشامل والاجتماع على كلمة سواء.

وان ملوك ورؤساء وممثلي الدول والحكومات المجتمعين إذ يتجهون إلى الله في أعقاب مؤتمرهم بالدعاء أن يهيىء للأمة الإسلامية أسباب الحاضر الباسم المشرق والمصير المزدهر المتألق ليعلنون متفائلين مستبشرين واثقين بأن الله لا يضيع أجر العاملين المحسنين التزامهم بما يقوم عليه الميثاق التالي من أهداف ومبادىء ووسائل...

إن ملوك ورؤساء وممثلي الدول والحكومات الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي المجتمعين :

إدراكاً منهم بأن العالم الإسلامي يجتاز منذ زمن ليس بالقصير مرحلة وعرة عسيرة تتلاحق فيها الصعاب وتتوالى فيها التحديات ولا يدري هل ستتقلص أو تتصل وهل ستقصر أو تطول... واعتقادا منهم بأن ما يواجههم من كل هذا يتطلب الانتفاضة الجادة والعزم الوطيد والتصدي الذي يعتمدفي آن واحد الصرامة والإصرار والتبصر...

واقتناعاً منهم بأن هذه المرحلة التي لاترحم ولا تغفر تستوجب اليقظة المستمرة والصحوة السياسية التي تبرز فيها الأهداف والغايات والوسائل والأسباب محددة جلية وواضحة...

وشعوراً منهم بأن الدور الذي يجب أن تضطلع به الأمة الإسلامية لفائدة شعوبها ولفائدة الإنسانية جمعاء يقتضي أن تخلو الساحة الإسلامية من كل ما من شأنه أن يصرف الإرادات ويعوق العزائم عن تحقيق المطامح السامية وبلوغ الأهداف.

وشعوراً منهم كذلك بأن المشاكل الجانبية والقضايا الهامشية قادرة على أن تفضي بأحوال الأمة الإسلامية إلى أسوإ المغبات وأوخم العواقب إن هي تمادت وتواصلت بصورة يتوارى معها الجوهر عن البال ويستأثر العرض بالاهتمام. واعتباراً لهذه المرحلة الحافلة بالأخطار ولما تتطلبه وتقتضيه واعتبارا لجميع ما سلف فإن العمل المنوط بالعالم الإسلامي عمل خاص وعام ينبغي أن يسير في محورين وينتظم ساحتين قصد التوفيق بين مصالح الأمة الإسلامية والمصالح الدولية وإقراراً منهم بأن العمل الخاص بساحة المجتمع الإسلامي والعمل المتصل بساحة المجتمع الدولي لا يمكن أن يتصل على الوجه الأكمل المرغوب فيه إلا إذا انطلاقا من منطلق ثابت متين واستنادا إلى ركن قوي مكين.

وإيمانا منهم بأن أحسن وأفضل مرجع يجب الرجوع إليه وأصح وأسلم معتمد يتعين الاعتماد عليه هو ما ورد في كتاب الله العزيز، واشتملت عليه الأحاديث النبوية الشريفة من أمر ونهي وتوجيه وإرشاد ومبادىء وقيم صيانا للوحدة الإسلامية، ووقاية من التمزق والشتات، وتثبيتا للإقدام على النهج القويم وتنويها بالصفاء والإخاء والتعاون والعدل والأمن والسلام ورعاية للكرامة الإنسانية وحفظا للأموال والدماء والأعراض كقوله تعالى وهو أحكم الحاكمين : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾. وكقوله : ﴿إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم وتقوا الله لعلم ترحمون﴾. وكقوله : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾. وكقوله : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.



وكقول النبي الأعظم والرسول الأكرم سيدنا محمد ﷺ : «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وكقوله : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». وقوله : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

وتيقنا منهم بأن أهدافهم ومطامحهم المتمثلة في تحقيق التضامن والوحدة الإسلامية المتراصة ومد أسباب التنمية الاقتصادية والاجتماعية الخليقة بنشر الازدهار والرخاء وتيسير سبل التقدم والرقي وفي اكتساب القوة المادية والمعنوية اللازمة والظفر بالمصداقية بين دول العالم وفي الدفاع عن العقيدة الإسلامية وتحرير البقاع المقدسة الإسلامية والأراضي العربية من الاحتلال والاستعمار وفي المحافظة على الهوية الثقافية والشخصية الحضارية العربيتين الإسلاميتين، وفي الاضطلاع على صعيد العالم بالدور الذي يتصف بالفعالية والوزن. كل هذا رهين بأن تخلو الساحة الإسلامية من العوامل العائقة والأسباب المانعة وبأن تتقلص بواعث الخلاف ودواعي الشقاق ويسود أوطان الأمة الإسلامية الصفاء والإخاء والتعاون والتآزر والأمن والاطمئنان.

وانطلاقاً من المبادىء والأخلاق والقيم الإسلامية الآنفة الذكر ومن الضرورات والحتميات التي سبق التصريح بها.

وحرصاً على صفاء الأجزاء الإسلامية من جميع الشوائب والأكدار وعلى بقاء دماء المسلمين وأموالهم مصونة محفوظة.

وإيثاراً للطرق السلمية والوسائل الإسلامية الصرفة فيما يتصل بما يمكن أن ينشأ بين دول المسلمين من خلاف أو نزاع فإن ملوك ورؤساء وممثلي الدول والحكومات الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، يعلنون اتفاقهم وإجماعهم على أن يفوضوا للجان مصالحة ووفاق جهوية مؤلفة من ممثلي دول إسلامية أمر فض النزاع وتسوية الخلاف وحتى يتحقق الاطمئنان إلى موضوعية وتجرد أعمال لجان المصالحة والوفاق الجهوية فإنهم يصرحون باتفاقهم على أن تكون دائرة اختصاص كل لجنة مصالحة ووفاق منطقة غير المنطقة التي ينتمي إليها أعضاء هذه اللجنة.

وتطبيقا لهذا الاتفاق فإنهم يعلنون أنهم قاموا بالتقسيم الجغرافي للعالم الإسلامي تحديدا للجهات وعينوا أعضاء اللجان الجهوية للمصالحة والوفاق وقرروا منطقة اختصاص كل لجنة ونظموا سير أعمال اللجان وفق ما يشتمل عليه الملحق المضاف إلى هذا الميثاق.

إن ملوك ورؤساء وممثلي الدول والحكومات الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إذ يؤكدون استمرار التزامهم بالقرارات التي اتفقوا على إصدارها في مؤتمرات القمة السالفة ولا سيما مؤتمر القمة الثالث المنعقد بالمملكة العربية السعودية ليعلنون وضع الأغراض الآتية في طليعة اهتماماتهم ومنحها الأولوية في سلم الأسبقيات.

☆ توطيد أواصر التضامن بينهم وتوثيق عرى التآزر والتعاون.

☆ فض الخلافات عن طريق المصالحة حسب ما سبق التنصيص عليه.

☆ الدفاع عن العقيدة الإسلامية ومواجهة محاولة الاعتداء عليها بجميع طرق المواجهة.

☆ مواصلة النضال من أجل تحرير القدس.

☆ مواصلة النضال من أجل تحرير الأراضي العربية والإسلامية المحتلة.

☆ مواصلة دعم النضال الفلسطيني قصد استعادة الشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية بما في ذلك حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد.

☆ مواصلة السعي لتحقيق النمو والازدهار ولاكتساب القوة المادية والمعنوية اللازمة.

☆ مواصلة السعي لتوسيع آفاق المعرفة واكتساب التكنولوجيا.

☆ السعي ليكون العالم الإسلامي بقوته المادية وقوته المعنوية وإمكاناته البشرية أداة توازن عالمي، وان ملوك ورؤساء وممثلي الدول والحكومات الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ليجددون تأكيد التزامهم بالمواثيق الدولية وتشبثهم بالسلم والعدل وطموحهم إلى أن يستتب الأمن وتشيع الطمأنينة في جميع رحاب العالم.

وإنهم ليهيبون بالمسلمين كافة حيثما كانوا من أقطار الدنيا أن يواصلوا السعي مستنيرين بنور الهدى المبين معتصمين بحبل الله المتين، أوفياء مخلصين لرسالة النبي الأمين مستحقين ما قال الله فيهم وهو أصدق القائلين : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ﴾.



البيان الختامي لمؤتمر القمة الإسلامي الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

تلبية لدعوة كريمة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، عاهل المملكة المغربية، وبناء على القرار الذي اتخذ في مؤتمر القمة الإسلامي في مكة المكرمة، انعقد مؤتمر القمة الإسلامي الرابع بمدينة الدار البيضاء، بالمملكة المغربية، في الفترة 12 - 15 ربيع الثاني 1404 هـ الموافق 16 و 19 يناير 1984م، وشارك في المؤتمر ملوك ورؤساء وأمراء الدول الإسلامية، كما حضر المؤتمر عدد من المراقبين.

افتتح المؤتمر صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز، رئيس مؤتمر القمة الإسلامي الثالث، بخطاب هام وجه فيه الشكر لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، على حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة، وأشاد بالجهود الموفقة التي بذلها جلالته بوصفه رئيس لجنة القدس ورئيس اللجنة السباعية العربية واستعرض جلالته ما تم تحقيقه خلال السنوات الثلاث الماضية من منجزات تهدف إلى تدعيم العمل الإسلامي المشترك، انطلاقا من بلاغ مكة التاريخي، وأوضح جلالته أن العالم يرقب باهتمام التحرك الإسلامي وأن الأمة الإسلامية بتضامنها تشكل قوة لا يستهان بها في المجال الدولي مشيراً إلى أن مسؤولية الدول الإسلامية في هذا اللقاء تتمثل في مراجعة أعمالها والسعي إلى تحويل قراراتها إلى عمل ملموس. وبناء على اقتراح جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، أسندت رئاسة مؤتمر القمة الإسلامي الرابع إلى جلالة الملك الحسن الثاني. وبعد أن تسلم جلالة الملك الحسن الثاني، رئاسة المؤتمر، ألقى كلمة أوضح فيها أن دين الإسلام مشتق من السلام والسلامة وبالتالي فإن الدول الإسلامية هي دول سلام وأخوة وتعاطف. وإذا كانت توجد في القرآن والسنة ألفاظ الجهاد والاستشهاد فإنه توجد فيهما ألفاظ الوحدة والمحبة والإخلاص والتضامن وطريق التعايش بين



الأفراد والجماعات وقد استدل جلالته بقوله تعالى : ﴿إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

وتحدث السيد بيريز دي كويلار، الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة مبرزاً أن ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي المستوحى من دين الإسلام ينص على البحث عن حلول للمشاكل الدولية بالطريق السلمية ومتناولا جهود هيئة الأمم المتحدة لمعالجة القضايا والمشاكل التي تهم دول العالم الإسلامي.

وألقى السيد الحبيب الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، كلمة ذكر فيها أن القضايا المعروضة على هذا المؤتمر قضايا مصيرية وأن الآمال معقودة على مؤتمر القمة ليكون فاتحة عهد جديد في تاريخ الأمة الإسلامية.

وأعلن رئيس المؤتمر أن الاتفاق قد تم على اختيار ثلاثة نواب للرئيس هم فخامة الرئيس كنعان إيفرين، رئيس الجمهورية التركية،

وفخامة الرئيس عبدو ضيوف رئيس جمهورية السينغال، والمجاهد السيد ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية.

وتحدث خلال الاجتماع المغلق عدد من رؤساء الوفود عن القضايا والمشاكل التي تستأثر باهتمام العالم الإسلامي موضحين وجهات نظر دولهم من هذه القضايا كما تم خلال الاجتماع المغلق طرح الاقتراحات لمعالجة بعض القضايا الإسلامية البالغة الأهمية، واستمع المؤتمر باهتمام إلى السيد برهان الدين رباني، ممثل المجاهدين الأفغان. كما استمع المؤتمر إلى البيان الذي ألقاه الرئيس رؤوف دنكتاش الذي عبر فيه عن القضية العادلة الخاصة بالمسلمين القبارصة الأتراك.

وأكد المؤتمر مجددا قراراتهم السابقة بشأن المسألة القبرصية، وأعرب عن تعاطفه ومساندته للجهود التي بذلتها طائفة القبارصة الأتراك في سبيل الوصول إلى وضع متساو مع القبارصة اليونانيين ونيل حقوقهم العادلة.

وصادق المؤتمر على جدول الأعمال المرفوع إليه مع التقرير العام لاجتماع وزراء الخارجية التمهيدي، ودرس المؤتمر تقرير صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز رئيس مؤتمر القمة الثالث، وتقرير صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس، وتقرير فخامة الرئيس أحمد سيكوتوري رئيس لجنة السلام الإسلامية، وتقرير صاحب الفخامة الرئيس محمد ضياء الحق رئيس اللجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي، وتقرير صاحب الفخامة عبدو ضيوف رئيس اللجنة الدائمة للشؤون الثقافية والإعلام، وتقرير سيادة رئيس لجنة التضامن الإسلامي مع دول الساحل.

وفيما يتعلق بتقرير جلالة الملك فهد بن عبد العزيز رئيس القمة الثالثة، أعرب المؤتمر عن خالص الشكر وبالغ الاهتمام إلى جلالته لما بذل من جهود وما حقق من منجزات تعزيزاً للعمل الإسلامي المشترك، وتدعيماً للتضامن الإسلامي ووحدة الأمة الإسلامية خلال رئاسة جلالته للمؤتمر.

وفيما يختص بتقرير جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس، عبر المؤتمر عن شكره البالغ وتقديره الكبير لجلالته عن الجهود والمبادرات التي اتخذها للدفاع عن قضية القدس الشريف وقضية فلسطين، والتعريف بها في المحافل الدولية وقرر تجديد رئاسة جلالته للجنة القدس لمدة ثلاث سنوات.

وفيما يتصل بتقرير فخامة الرئيس أحمد سيكوتوري، رئيس لجنة السلام الإسلامية، نوه المؤتمر بالجهود التي يبذلها فخامته

وأعضاء اللجنة لوقف القتال وتحقيق السلام بين الدولتين المسلمتين، العراق وإيران. وتوجه بالشكر الجليل إلى اللجنة على ما تقوم به من مساع حميدة وطلب منها استمرار العمل على مواصلة مهمتها النبيلة لحقن الدماء الإسلامية الزكية.

وفيما يتعلق بتقرير فخامة الرئيس محمد ضياء الحق رئيس اللجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي، عبر المؤتمر عن شكره واهتمامه لفخامته لما حققه من إنجازات وما بذله من جهود في سبيل تعزيز التعاون العلمي والتكنولوجي بين الدول الإسلامية.

وفيما يتصل بتقرير فخامة الرئيس عبدو ضيوف رئيس اللجنة الدائمة للشؤون الثقافية والإعلام، أعرب المؤتمر عن شكره العميق لفخامته على ما يوليه من عناية مستمرة من أجل إشعاع الثقافة والفكر الإسلاميين، وأيد إعداد استراتيجية ثقافية تؤدي إلى تنسيق الأعمال الثقافية ودعم البرامج في مجال التربية والثقافة الإسلاميتين، وأيد إقامة نظام إعلامي متماسك ومتكامل داخل منظمة المؤتمر الإسلامي.

وفيما يخص تقرير سيادة طه محيي الدين معروف رئيس لجنة التضامن الإسلامي مع شعوب الساحل، أشاد المؤتمر بما قامت به اللجنة من مجهودات للمساهمة في تخفيف حدة الأزمة التي تواجهها دول وشعوب المنطقة من جراء الجفاف.

ووافق المؤتمر على ميثاق الدار البيضاء، بعد الاستماع إلى العرض الهام الذي قدمه جلالة الملك الحسن الثاني للمؤتمر حول ميثاق الدار البيضاء. وبعد تدخل جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وعدد من السادة رؤساء الوفود حول فلسفة وأهداف هذا الميثاق وأبعاده، قرر المؤتمر بالإجماع الموافقة على ميثاق الدار البيضاء، وكلف مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، في دورته الخامسة عشرة، المقرر عقدها في صنعاء، بتعيين أعضاء اللجان الجهوية للمصالحة والوفاق التي نص عليها الميثاق.

ونظر المؤتمر في قضية فلسطين والشرق الأوسط وفي قضية مدينة القدس الشريف وفي النزاع العراقي الإيراني وفي الاعتداء الجوي الأمريكي على مواقع القوات السورية ومرتفعات الجولان، كما نظر في التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والوضع في أفغانستان وقرر مساندة نضال شعب ناميبيا ومكافحة الميز العنصري في جنوب إفريقيا.

كما تطرق لمشاكل الساحل وأعرب عن قلقه العميق بشأن الجفاف في الساحل الإفريقي وقرر دعمه، وإدراكا منه للنتائج الخطيرة

واستجابة لنداء جلالة الملك الحسن الثاني رئيس المؤتمر كلف الأمين العام ببحث الطرق والوسائل الكفيلة بالحصول على مساهمات وتبرعات الأطراف والمؤسسات في الدول الإسلامية بالإضافة إلى مساهمة الدول الإسلامية في التخفيف من أضرار الجفاف على شعوب الساحل.

وقرر المؤتمر تأجيل البحث في محكمة العدل الإسلامية الدولية كما قرر إعلان حقوق الإنسان في الإسلام وقرر الخطة الإعلامية واتخذ قرارا في شأن احتلال إثيوبيا لمنطقتين من أراضي جمهورية الصومال واتخذ قرارا فيما يخص جزيرة مايوت القمرية ووجه نداء إلى الولايات المتحدة الأمريكية حول انسحابها من اليونيسكو.

وفي المجال الاقتصادي والمالي اتخذ المؤتمر عدة قرارات تتعلق بتنفيذ خطة العمل لتعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء.

وتعزيز برامج التنمية في العالم الإسلامي وحث الدول الأعضاء على إعلان مساهمتها في هذه البرامج وكلف الأمانة العامة بالدعوة لعقد اجتماع للدول الأعضاء وممثلي صناديق التنمية القطرية والبنك الإسلامي للتنمية لوضع تفصيلات وإجراءات برامج التنمية.



واتخذ قرارات في الميدان الثقافي ووافق على تقديم الدعم المادي والمعنوي للمنظمات والمؤسسات الثقافية والاجتماعية المتفرعة والمنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي وكذلك الجامعات الإسلامية والمراكز والمعاهد الثقافية في الدول الأعضاء قصد تمكينها من تحقيق الأهداف السامية التي أنشئت من أجلها، ومن أجل إشعاع الحضارة الإسلامية. كما قرر تقديم الدعم المالي اللازم والتبرعات الطوعية السخية لصندوق التضامن الإسلامي وتقويته لتمكينه من أداء رسالته الإسلامية النبيلة والمساهمة في دعم النشاط الثقافي لمنظمة المؤتمر الإسلامي والأجهزة المتفرعة عنه.

وفيما يتعلق بالمسائل التنظيمية وافق المؤتمر على قرارات الترحيب بانضمام سلطنة بروني دار السلام إلى عضوية منظمة المؤتمر الإسلامي كما دعا المؤتمر جمهورية مصر العربية إلى استئناف عضويتها في منظمة المؤتمر الإسلامي.

كما قرر المؤتمر الإسلامي إسناد رئاسة اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادي والتجاري إلى فخامة رئيس الجمهورية التركية السيد كنعان إيفرين.

واتخذ المؤتمر قرارا حول اللجنة الوزارية للتعاون العلمي والتكنولوجي التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، يتعلق باعتماد الإطار المقترح في الوثيقة الخاصة بمجالات العمل الثمانية التي تركزت عليها خطة عمل اللجنة الوزارية وهي التغذية والزراعة والصحة وتنمية القوى العاملة والإعلام والتنمية وتنمية التكنولوجيا الحالية والمستقبلية وتنمية موارد الطاقة كما يتعلق بمطالبة الدول الأعضاء بتقديمهم المساعدات الممكنة إلى اللجنة لتمكينها من تنفيذ خطة العمل.

كما أكد المؤتمر أن مهمة الأمين العام الحالي للمنظمة تنتهي في شهر دجنبر 1984. كما قرر دعوة وزراء خارجية الدول الإسلامية لانتخاب الأمين العام خلال مؤتمر وزراء الخارجية الخامس عشر المقبل الذي سينعقد بصنعاء. ورحب المؤتمر بالدعوة الكريمة التي وجهتها حكومة الجمهورية العربية اليمنية باستضافة الدورة الخامسة عشرة للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية بمدينة صنعاء، كما طلب من الدول الأعضاء أن تقوم بأداء إسهاماتها في ميزانية الأمانة العامة بانتظام وحثها على مواصلة دعم المنظمة ومساعدتها على تحقيق المهام المنوطة بها، وأعرب المؤتمر عن خالص الشكر وعظيم الامتنان

إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رئيس المؤتمر وحكومته وشعبه على كرم الضيافة وحسن الوفادة وجميل الاستقبال، كما أعرب عن تقدير المؤتمر البالغ لحنكة جلالته وحكمته ومقدرته على إنجاح أعمال المؤتمر وعلى الروح الإيجابية البناءة التي سادته، كما أعرب المؤتمر عن تقديره للمجهودات الجبارة والتنظيم المحكم والترتيبات الممتازة التي كان لها أبلغ الأثر في حسن سير أعمال المؤتمر.

وتلبية للدعوة الكريمة لصاحب السمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت قرر المؤتمر عقد القمة الخامسة في الكويت وعبر لسموه عن جزيل الشكر وبالغ الامتنان.



رسالة من جلالة الملك الحسن الثاني إلى قادة الدول الإسلامية

• إذا وحّدت الأمّة الإسلامية صُفوفها وحقّقتْ تضامن دُولها، فإنها ستكون قوّة لا مثيل لها.

• تأليفُ لجان مصالحة ووفاق بين الدّول الإسلامية لفضّ النزاعات وإقرار الإخاء والوئام

الحمد لله

أخي العزيز

إن الأوضاع التي تعرفها الدول الإسلامية والتي ليست إلا مظهرا جزئياً للحالة التي يعيشها العالم اليوم لتمتاز بصعوبتها وعسرها وإن كل دولة من دولنا أينما وجدت وكيفما كانت القارة التي تنتمي إليها تتخبط في مشاكل مختلفة ومعقدة وتتعرض لعوائق متعددة ومتنوعة كلما حاولت شق طريقها نحو التقدم والازدهار.

ولا تكتسي هذه المشاكل والعوائق نفس الطبيعة ولا نفس الحدة إلا أن التجربة أعطت الدليل القاطع على أنه كيفما كانت الصعاب فإن التشاور بين الدول الإسلامية وتبادل الرأي وإحداث مركز جماعي للمصالح المشتركة كل هذا من شأنه أن يزودنا حتما بأقوى سلاح وأوفر الوسائل لمواجهتها والتغلب عليها.

ولذا فإن تضامننا لم يعد مفيدا فحسب بل أصبح ضروريا بسبب تراكم وتكاثر الصعاب التي تعترض طريقنا باستمرار والتي لم تزده إلا ضخامة مع تعاقب الأحداث.

فقبل كل شيء يجب أن نستند على روح التضامن الذي يكون في آن واحد، طابع عقيدتنا الإسلامية، وسندها ومظهرها الجلي.

إن الأمة الإسلامية تمثل وتحتضن ضمن المجتمع الدولي مجموعة هامة من الإمكانات بعضها خلقي وبعضها مادي وبعضها بشري.

وإن الدور الذي يقوم به كل شعب من شعوب الأمة الإسلامية، وكل دولة من دولها داخل المنتظم الدولي ليس سوى دور محدود لا يتناسب مطلقا والطموح المشروع الذي تتوفر عليه أمتنا الإسلامية في نشر مبادىء الإسلام السامية عبر العالم وفي الدفاع عن الكرامة والسلم والعدل بين بني الإنسان.

وهكذا فإن تضامن العالم الإسلامي سيصبح أمرا ضروريا لابد من أن يشعر به كل فرد منا إذ بدونه ستظل لا محالة مجموعات من الدول المبعثرة لا سبيل لها للتأثير على الأحداث وبالأحرى على مجرى التاريخ وعليه فإن لم نجمع قوانا ونوحد إمكاناتنا الضخمة ستظل مجرد مشاهدين وسط المسرح العالمي ولو تعلق الأمر بمصالحنا بل وحتى بمصير أمتنا.

أما إذا وحدت الأمة الإسلامية صفوفها وحققت تضامن دولها فإنها ستكون قوة لا مثيل لها تستطيع أن تقوم بمهمتين أساسيتين ذلك أنها ستضحى أداة توازن عالمي، كما أنها ستؤثر على التيارات المادية إن لم تقاومها تلك التيارات التي أصبحت في عصرنا الحاضر وسيلة للاستعباد والاحتلال.

إلا أننا على إدراك بأن التضامن ولو تحقق بكيفية تامة لا يكفي وحده لحل جميع المشاكل التي تعترضنا، كما أنه لن يمكننا بين عشية وضحاها من التغلب على كل الصعاب التي نعاني منها.

غير أنه توجد مشاكل وحالات نحن والحمد لله على إلمام تام بحقيقتها، كما أن حلها رهين بعزمنا وإرادتنا. ومن بين ذلك المشاكل الناجمة عن النزاعات القائمة بين دول إسلامية والتي يمكن فضها بفضل الروح الإسلامية التي تدعو إلى التفاهم والتجاوز والأخوة.

وقد لا يكون من باب المفيد ولا من باب الواقعية أن نترك للأطراف المعنية وحدها مهمة حل مثل هذه المشاكل القائمة بينها.

ولهذا نعتقد أن التضامن والإخاء في ظل الإسلام لقادران على القيام بدور لا يستهان به في هذا المجال.

حقا هناك نزاعات بين دول إسلامية وستبرز نزاعات أخرى لا محالة تؤدي كلها إلى عواقب وخيمة لا بالنسبة للدول المعنية فحسب ولكن كذلك بالنسبة لمجموع الأمة الإسلامية، وفي معظم الحالات تتوفر على وسائل فضها وذلك بالتسلح بالنية الحسنة والعزم الصادق والإرادة السياسية اللازمة..



ولن يكون أي حل ناجعا إذا لم يحظ بموافقة الأطراف المعنية وبقبولها له قبولا تاما بدون تحفظ ولا تردد.

ومن أجل هذا بدا لنا تأليف «لجان مصالحة ووفاق» بين الدول الإسلامية.

وتكمن المهمة الأساسية لهذه اللجان في مساعدة الدول الإسلامية على إيجاد الحلول المناسبة للنزاعات أو المشاكل القائمة بينها.

وقد ظهر لنا كذلك أن تشكيل هذه اللجان يكتسي أهمية خاصة إذ أنه من الضروري أن يتحقق الاطمئنان إلى موضوعيتها وتجردها.

وهذا شرط أساسي إذا ما نحن أردنا أن نعطي للقرارات الصادرة القوة والسلطة الضرورية وأن نضفي عليها صبغة إلزامية بالنسبة للجميع.

وتحقيقاً لهذه الغاية فإن دائرة اختصاص كل لجنة مصالحة ووفاق ستكون منطقة غير المنطقة التي ينتمي إليها أعضاؤها.

هذا هو المشروع الذي نقترحه على رأيكم السديد والذي أطلقنا عليه إسم «ميثاق الدار البيضاء».

فإذا ما نال رضاكم وقبولكم فإن مؤتمر القمة الرابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد حاليا بالدار البيضاء سيحدد دوائر الاختصاص حسب تقسيم جغرافي للعالم الإسلامي. كما أنه سينظم سير أعمال اللجان والسلام.

(أخوكم الحسن الثاني ـ ملك المغرب)
«الدار البيضاء في 12 ربيع الثاني 1404 هـ الموافق لـ 16 يناير 1984م»


مؤتمر القمة الإسلامي الرابع - الدار البيضاء
منظمة المؤتمر الإسلامي
Janvier
January
1984
ربيع الثاني
1404
4ème Conférence Islamique au Sommet · Casablanca · 4th Islamic Summit Conference

المؤتمر التمهيدي للقمة الإسلامية الرابعة

(الرباط : 12 . 13 . 14 يناير 1984)

●● وكان المؤتمر التمهيدي لمؤتمر القمة الإسلامي الرابع قد عقد بالرباط على مستوى وزراء خارجية الدول الإسلامية أيام 12 ـ 13 ـ 14 يناير 1984 حيث انكب على إعداد جدول أعمال مؤتمر القمة على ضوء مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عقد في أواخر دجنبر 1983 بدكا عاصمة بنغلاديش.

ونشر فيما يلي الوثائق التالية :

- كلمة سمو الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية.
- كلمة الدكتور عبد الواحد بلقزيز وزير خارجية المملكة المغربية.
- كلمة السيد الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

كلمة السيد عبد الواحد بلقزيز وزير خارجية المملكة المغربية في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾، صدق الله العظيم.

أصحاب السمو والمعالي

السيد الكاتب العام

أيها السادة

إنه لشرف عظيم أن أكلف بمهمة تسيير أعمال هذا المؤتمر التمهيدي للمؤتمر الإسلامي الرابع، الذي سيجمع قادة الأمة الإسلامية، على كلمة سواء، والذي تعلق عليه الشعوب الإسلامية كثيرا من الآمال، وتتطلع إلى نتائجه بكبير من الثقة وعظيم من الرجاء.

ويطيب لي أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى سمو الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية، على الكلمات الذي فاه بها بالنسبة لبلادي ولقائدها العظيم جلالة الملك الحسن الثاني، كما يطيب لي أن أنوه بما قام به سموه من عمل دؤوب لخدمة الأمة الإسلامية وتحقيق التضامن بين دولها بتوجيه من جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية، ورئيس مؤتمر القمة الإسلامي الثالث، كما يطيب لي أن أتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذ الحبيب الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي وإلى مساعديه في الأمانة العامة على الجهود الكبيرة التي بذلوها في إعداد وثائق هذا الاجتماع تسهيلا لمهمة أعضائه.

أيها الإخوة الأعزاء ان المملكة المغربية التي كانت وستظل على الدوام قلعة من قلاع الإسلام ومركزاً من مراكز إشعاعه ليتطلع شعبها الملم بشوق كبير إلى استقبال قادة الأمة الإسلامية ضيوف جلالة الملك الحسن الثاني، وينتظر كما تنتظر شعوب الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها أن يحقق مؤتمر الدار البيضاء التاريخي كل ما يهدف إليه قادة أمتنا من تقوية للتضامن الإسلامي وتعزيز للعمل الإسلامي المشترك وكل ما تصبو إليه شعوب أمتنا من خير وعزة للإسلام وتقدم وازدهار للأمة الإسلامية التي خصها الله بفضله وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

أيها الإخوة.. إنني لسعيد أن أرحب بكم في بلدكم المغرب وإني لأتمنى لكم مقاماً سعيداً بين ذويكم وأهليكم.

واسمحوا لي أن أعرب باسمكم جميعا عن الأمل والرجاء في أن يوفق الله أعمالنا ويهدينا سبل الرشاد حتى نكون عند حسن ظن قادتنا ويتمكن اجتماعنا هذا من أن يرفع إلى مؤتمر القمة الإسلامي الرابع عملا مهيأ بكامل الثقة والعناية والوضوح.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة سمو الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم والقائل في محكم التنزيل : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

والقائل جلت قدرته : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أصحاب المعالي

أيها الإخوة الكرام.

أود بادىء ذي بدء أن أعبر عن الشكر والتقدير لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، ملك المملكة المغربية، على التكرم باستضافة هذا المؤتمر وللحكومة المغربية، والشعب المغربي والترتيبات الممتازة وعلى كرم الضيافة وحسن الاستقبال، والوفادة التي أحطنا بها منذ أن وطأت أقدامنا أرض المغرب الشقيق.

أصحاب المعالي.

لقد تم الاتفاق كما تعلمون في مؤتمر القمة الإسلامي الثالث، الذي عقد بمكة المكرمة، في مثل هذا الشهر، منذ ثلاث سنوات خلت، على عقد مؤتمر القمة الرابع، بالمملكة المغربية الشقيقة. ولذلك فإن اجتماعنا في هذا المؤتمر التحضيري، يضع على عاتقنا مسؤولية هامة وهي أن نعد لذلك المؤتمر الكبير عدته وأن نعمل على تزويده بتقييم موضوعي لكافة نشاطات وأوجه التعاون الإسلامي على كافة الأصعدة، وجميع المستويات، وللمشكلات والعقبات التي اعترضت وتعترضها في هذا السبيل وبتصور واضح وكامل للأحداث والتطلعات وجميع الإيجابيات والسلبيات التي تحيط بالقضايا الإسلامية المطروحة أمامنا وبطرح أفكار محددة لمعالجة تلك القضايا.

ان عملنا هذا أيها الإخوة من شأنه أن يساهم مساهمة فعالة في مساعدة القادة المسلمين على مهمتهم الجسيمة لتذليل الكثير من الصعوبات وتحقيق المزيد من المكاسب الأصيل، على الجهود الموفقة

والمنجزات لشعوبنا الإسلامية في كافة المجالات من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

إن العالم بأسره والعالم الإسلامي بصفة خاصة يرقب باهتمام بالغ لقاء القمة المقبل لا سيما وأنه يجيء في ظل منعطف تاريخي وهام في مسيرة العمل الإسلامي المشترك، وما يحيط هذا العمل من تحديات وعقبات. لذلك كله، فإن اللقاء المقبل الذي سيضم قادة الأمة الإسلامية، وزعماءها على أرض المغرب الشقيق سيكون برهاناً لمدى ومكانة التضامن الإسلامي لما فيه خير الأمة ورفعتها وتقدمها كما أنه يشكل فرصة ثمينة لتثبت هذه الأمة مجددا بملاحمها وتضامنها ووحدتها لتستطيع التغلب على المصاعب والتصدي للعقبات ومواجهة التحديات. وان مبادىء الإسلام السمحة التي تقوم على الحق والعدل والمساواة هي مشاعل تنير الطريق ليس للمسلمين فحسب ولكن للعالم أجمع. ومن ثم فإن اتفاقنا على إعداد التقييم المطلوب والتصور الموحد للقضايا والمواضيع المطروحة على جدول أعمال مؤتمر القمة الإسلامي الرابع سيكون أحد النتائج الهامة التي سيتوصل إليها مؤتمرنا هذا.

وليس بخاف عليكم ما لتلك القضايا والمواضيع من أهمية بالغة ولا سيما في هذه المرحلة الحرجة. فقضية فلسطين والقدس الشريف، لا تزال هي مبعث اهتمامنا الرئيسي وشغلنا الشاغل. ولن يهدأ لنا بال أو يستقر بنا حال إذا لم يتم دحر العدوان الصهيوني الأثيم على أراضينا ومقدساتنا وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي الجاثم على الأراضي اللبنانية وإذا لم تستعاد الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني.

كما أن النزاع العراقي الإيراني لا يزال يؤرقنا ويستحوذ على تفكيرنا ولنا وطيد الأمل في أن يتم التوصل إلى إنهاء ذلك النزاع وإيقاف الحرب الدائرة بين البلدين والتي تسببت في كثير من الخسائر البشرية والمادية بدون مبرر معقول أو سبب مقبول.

وكذلك فإن الوضع في أفغانستان، وما يسببه من تهديد للأمن والاستقرار والسلام، بات يؤكد ضرورة إيجاد الحل الذي يعطي للشعب الأفغاني، الحق في تقرير مصيره بنفسه، وبدون تدخل أجنبي في شؤونه الداخلية. ومن جهة أخرى فإذا كان بلاغ مكة المكرمة، الذي توج أعمال مؤتمر القمة الإسلامي الثالث قد حدد الإطار العام لأهم القضايا والتطلعات التي يرتكز عليها العمل الإسلامي المشترك، سواء في جوانبه السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية والثقافية، فإنه يصبح من الطبيعي أن يقع على كاهل المؤتمر القادم مسؤولية تنفيذ تلك التوجهات ومتابعة ما يترتب عليها من نتائج وتأثيرات.

أصحاب المعالي

لقد بذلت المملكة العربية السعودية، بتوجيهات جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، في خلال السنوات الثلاث الماضية، كل جهد وسلكت كل سبيل يؤدي إلى تدعيم مسيرة العمل الإسلامي المشترك وتذليل كافة العقبات والصعوبات التي تعترض سبيله وهي لم تتوقف في الماضي ولن تتوقف في المستقبل باذن الله على المضي في هذا السبيل والعمل على كل ما من شأنه تماسك وتضامن الأمة الإسلامية، وتقدم ورخاء الشعوب الإسلامية كما أنها لم ولن تدخر وسعاً أو تضن جهدا في سبيل توطيد التعاون بين الدول الإسلامية، وتقويته وترسيخه ليصل إلى الغاية التي يرنو إليها كل مسلم في عالمنا الإسلامي المترامي الأطراف.

أيها الإخوة الكرام، يسعدني أن أنتهز هذه الفرصة لأتقدم بالشكر الكثير والتقدير الوفير، لما لمسه المسؤولون في المملكة العربية السعودية، في خلال السنوات الماضية من تعاون إيجابي وتفهم كامل وتقدير ملموس سواء من جانب الدول الإسلامية الشقيقة، أو من جانب الأمانة العامة بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعلى رأسها معالي الأمين العام السيد الحبيب الشطي، وزملائه المخلصين. لقد كان ذلك التعاون الملموس والتفهم الكامل أثر كبير في إنجاز ما تم إنجازه. ونأمل أن يستمر ليصبح هو السمة التي تميز العمل الإسلامي الموحد والأساس الذي يرتكز عليه التعاون الفعال بين الدول الإسلامية.

وختاماً فإنني إذ أتشرف بأن أطلب من معالي أخي السيد عبد الواحد بلقزيز، وزير خارجية المغرب، أن يتولى رئاسة مؤتمرنا هذا فإني كل ثقة بأن ما يتصف به معاليه من سداد في الرأي وموضوعية في التفكير سيساعد على الوصول بمؤتمرنا هذا إلى تحقيق الأهداف المأمولة منه وإني أسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدينا ويهدينا إلى سواء السبيل وأن يلهم القادة المسلمين النجاح والتوفيق، في مهمتهم الجسيمة لتحقيق العزة والمنعة للأمة الإسلامية، والرفاه والتقدم والازدهار، للشعوب الإسلامية، وأن ينصر الإسلام ويعلي شأنه ويحقق للمسلمين ما يتطلعون إليه من نصر مبين وخير عميم، إنه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة السيد الحبيب الشطي
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي
في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية

بسم الله الرحمان الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

السيد الرئيس،
أصحاب السمو والمعالي،
أيها السادة

أحييكم أطيب التحية وأعرب عن سعادتي بهذا اللقاء الإسلامي الجديد على هذا الصعيد الطيب في مدينة الرباط ولما يمضي شهر واحد على انتهاء أعمال المؤتمر الإسلامي الرابع عشر لوزراء الخارجية بمدينة داكا. وأرجو أن تسمحوا لي في هذه المناسبة بأن اتوجه بأطيب عبارات التحية والإكبار إلى مقام جلالة عاهل المغرب رئيس لجنة القدس الذي ما انفك يصل الجهد بالجهد على صعيد العمل الإسلامي المشترك من أجل رفعة الإسلام وعزة المسلمين.

كما يطيب لي أن أقدم لجلالته عبارات التقدير وعظيم الامتنان لما حظينا به من كرم الوفادة وحسن الرعاية وجودة الترتيبات الخاصة بهذا اللقاء الإسلامي الهام.

ولا يفوتني هنا أن أوجه عبارات الشكر لأخي وصديقي الدكتور عبد الواحد بلقزيز وزير خارجية المملكة المغربية لما بذله شخصيا من جهود متواصلة حتى يضمن لأعمالنا النجاح والتوفيق.

السيد الرئيس،
أصحاب السمو والمعالي،
أيها السادة

ها نحن نلتقي اليوم في الرباط بعد لقاء داكا منذ بضعة أسابيع في عاصمة جمهورية بنغلاديش. وإذا كان لقاء داكا مندرجا في نطاق الدورات العادية لمنظمتنا فإن لقاءنا اليوم يكتسي أهمية خاصة إذ أننا نجتمع كي نمهد لعقد مؤتمر قادة الأمة الإسلامية أعلى جهاز في منظمتنا الذي سينعقد بعد بضعة أيام للمرة الرابعة في التاريخ.

إن القمة الإسلامية التي ستنعقد قريبا، ستنظر في مواضيع بالغة الأهمية في هذه الظروف الدقيقة التي تجتازها أمتنا. ولذا فإن اجتماعنا التحضيري هذا يعتبر مناسبة لتقييم أوضاعنا ودراسة أحوالنا وعرض الأعمال التي أنجزناها خلال السنوات الثلاث الماضية ومعرفة أبعاد التحديات التي اعترضت سبيلنا في الداخل والخارج.

وعلى ضوء ذلك ينبغي أن نعد خطة العمل المناسبة التي تقتضيها المرحلة المقبلة من مسيرتنا إذ لا يخفى على أحد أننا لسنا اليوم أفضل حالا مما كنا عليه لدى انعقاد القمة الإسلامية الثالثة بل يمكن القول أن الوضع قد ازداد، للأسف، سوءا. فالأزمات التي عرفناها آنئذ ما تزال قائمة، بل إنها ازدادت استفحالا حتى أضحت تهدد مصير أمتنا أكثر من أي وقت مضى. وهكذا فإن أوضاعنا الحاضرة لا تدعو إلى الاطمئنان والارتياح ذلك أن الخلافات المستحكمة بيننا تعرقل مسيرتنا وتضعف قدراتنا وتشوه صورتنا أمام العالم بل وتمنعنا من التصدي بفعالية لهجمات خصومنا وأعدائنا.

ومما لا شك فيه أن أعظم التحديات التي تواجه أمتنا حاليا هو استمرار اعتداءات الكيان الإسرائيلي على الأمة في عقر دارها وعلى مقدساتها في فلسطين والقدس الشريف وهي اعتداءات تزداد حدة وعنفا كما هو معروف بدعم من إحدى القوتين العظميين وفق خطة مرسومة.

ولزاما في هذا الصدد، أن أشيد بصمود الشقيقة سوريا في مواجهتها البطولية للعدوان المستمر من قبل الكيان الصهيوني وفي ثباتها أمام المضايقات الأمريكية المتكررة.

ونأمل أن الانفراج الخفيف الذي طرأ مؤخرا على علاقات سوريا مع الولايات المتحدة الأمريكية سيستمر ويدفع هذه الأخيرة إلى مراجعة سياستها في الشرق الأوسط.

وإلى جانب تلك المحنة المزمنة المتمثلة في قضية فلسطين التي لم تشف غليل الأعداء والخصوم، محنة أخرى شهدها

لبنان الذي اجتاحت قوة الغزو الإسرائيلية أراضيه بوحشية وبربرية لم يشهد التاريخ المعاصر لها مثيلا والذي عانى ولا يزال يعاني من ظروف مأساوية دامية منذ سنين.

ولا بد لي هنا من الإشادة بصاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية. كما أشيد بالدبلوماسية السعودية التي حققت خلال الأحداث التي شهدها لبنان على وجه الخصوص، ومنطقة الشرق الأوسط نجاحا تستحق التهنئة عليه، فقد ساعدت بفعالية وجدية بدء الحوار بين الاخوة اللبنانيين قصد التوصل إلى صيغة يلتفون حولها لما فيه صالحهم جميعا وصالح بلدهم.

وإذا كانت قضية فلسطين اكبر التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية في الوقت الراهن فقد عكرت صفو عالمنا الإسلامي، كذلك مشكلات كبرى من بينها استمرار الحرب العراقية الإيرانية التي تفاقمت كما يعلم القاصي والداني تفاقما بعث وما يزال يبعث في نفوس الأمة الإسلامية الأسى والحزن.

وها نحن نرى اليوم الحرب ما تزال قائمة على الرغم من كل المساعي المخلصة التي بذلتها لجنة السلام والأمل معقود على لقاء القمة الإسلامي في العمل على إيقاف النزيف وفي التوصل إلى تسوية يقبل بها الطرفان.

وها هم أبناء الشعب الأفغاني المسلم يعانون من ويلات ومحن مفروضة عليهم ويخوضون مع القوات التي احتلت ديارهم معارك ضارية استحقوا بثباتهم فيها إعجاب العالم وتقديره.

وبخصوص قضية قبرص فإن الوقت قد حان لحلها بصورة تضمن حقوق القبارصة الأتراك ومصالحهم وتخلصهم مما عانوا من أحداث سابقة وخيبات أمل اضطرتهم إلى اتخاذ الموقف الذي نعلمه جميعا.

وإن الأمل وطيد في أن يستأنف الطرفان الحوار تحت إشراف الأمين العام للأمم المتحدة بما يضمن السلام في هذه الجزيرة ويحقق وحدتها الترابية ويكفل استقلالها وعدم انحيازها.

وهناك مشكلة أخرى تؤرقنا هي مشكلة الجفاف الذي ضرب منطقة الساحل الإفريقي. وهي مشكلة استأثرت وما تزال تستأثر كما هو معروف باهتمام منظمتنا. ومن الطبيعي أن تخص القمة هذه المشكلة بما تستحقه من عناية للأخذ بأيدي إخواننا في منطقة الساحل الذين يعانون من ويلات الجفاف الذي يهدد حياتهم بعد أن أتى على الزرع والضرع.

السيد الرئيس

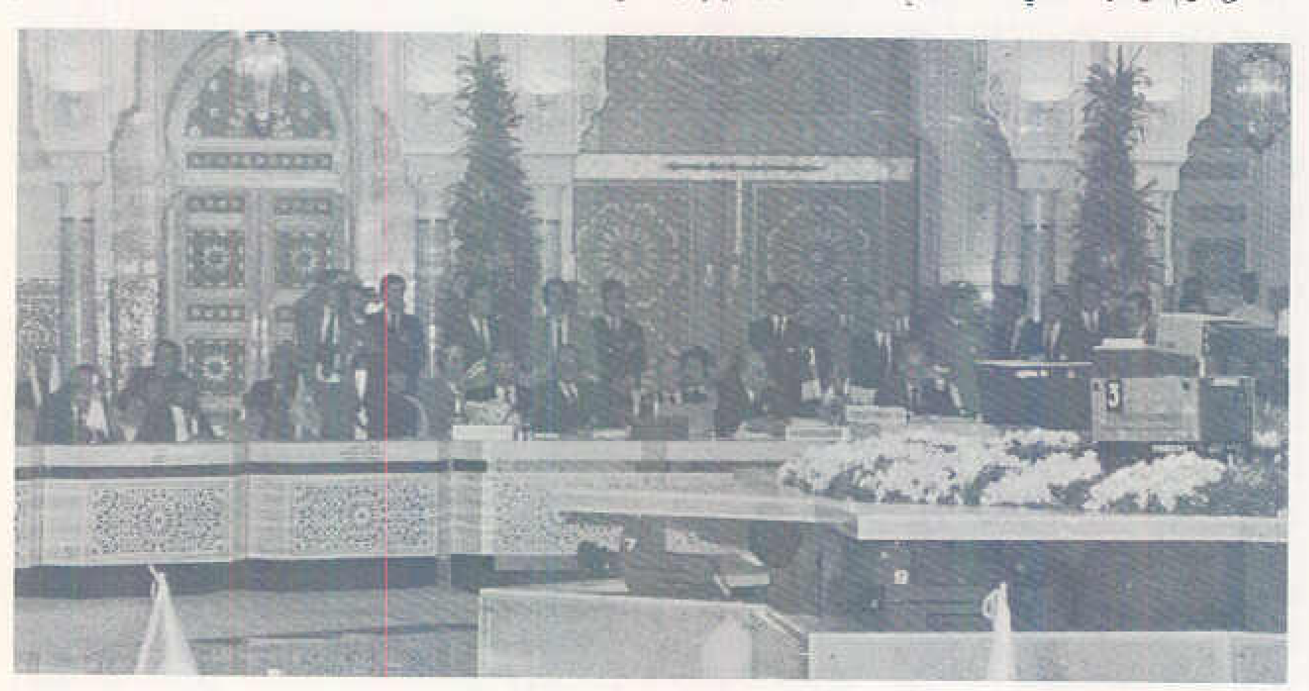
أصحاب السمو والمعالي

أيها السادة

إذا كانت عناية مؤتمراتنا تتوجه إلى القضايا السياسية نظرا لأنها تمس حياة أمتنا بشكل مباشر فإن لنا قضايا اقتصادية وثقافية واجتماعية لا تقل أهمية عن القضايا السياسية. وسينظر مؤتمر القمة عدة موضوعات تتناول شؤون تنمية العالم الإسلامي والتعاون الاقتصادي والثقافي.

وقد أكدت الإنجازات التي حققتها منظمة المؤتمر الإسلامي أن هذه المنظمة جديرة بأن تكون رمزا لاجتماع شمل المسلمين وإطارا لتعاونهم.

وإذا كانت منظمتنا اليوم في حاجة إلى شيء فإنها في حاجة إلى دعم مادي ودعم معنوي مستمرين. وفي حاجة أيضا إلى منحها ثقة متجددة في قدرتها على تحقيق الأهداف المرسومة لها بالتعاون مع حكومات الدول الأعضاء لتتمكن من ناحية من مجابهة التحديات التي تكتنف أمتنا من كل جانب ولتبرز من ناحية ثانية قوة هذه الأمة وهي



القوة الكامنة في التمسك بعقيدتها، وفي وحدتها وتضامنها.

وإذا وفق الله عالمنا الإسلامي إلى تنظيم صفوفه وتوحيد كلمته تمكن من المحافظة على استقلاله وسيادته في عالم اليوم، وكان قوة ذات شأن في الساحة الدولية قوة قادرة على تحرير أراضينا المحتلة وعلى التأثير بصورة فعالة في مسار الأحداث الدولية والدفاع عن قضايانا المصيرية وقضايا العدل والحرية في كل مكان وفي مساندة الجهود المبذولة من أجل استتباب السلام العالمي.

السيد الرئيس

أصحاب السمو والمعالي

أيها السادة

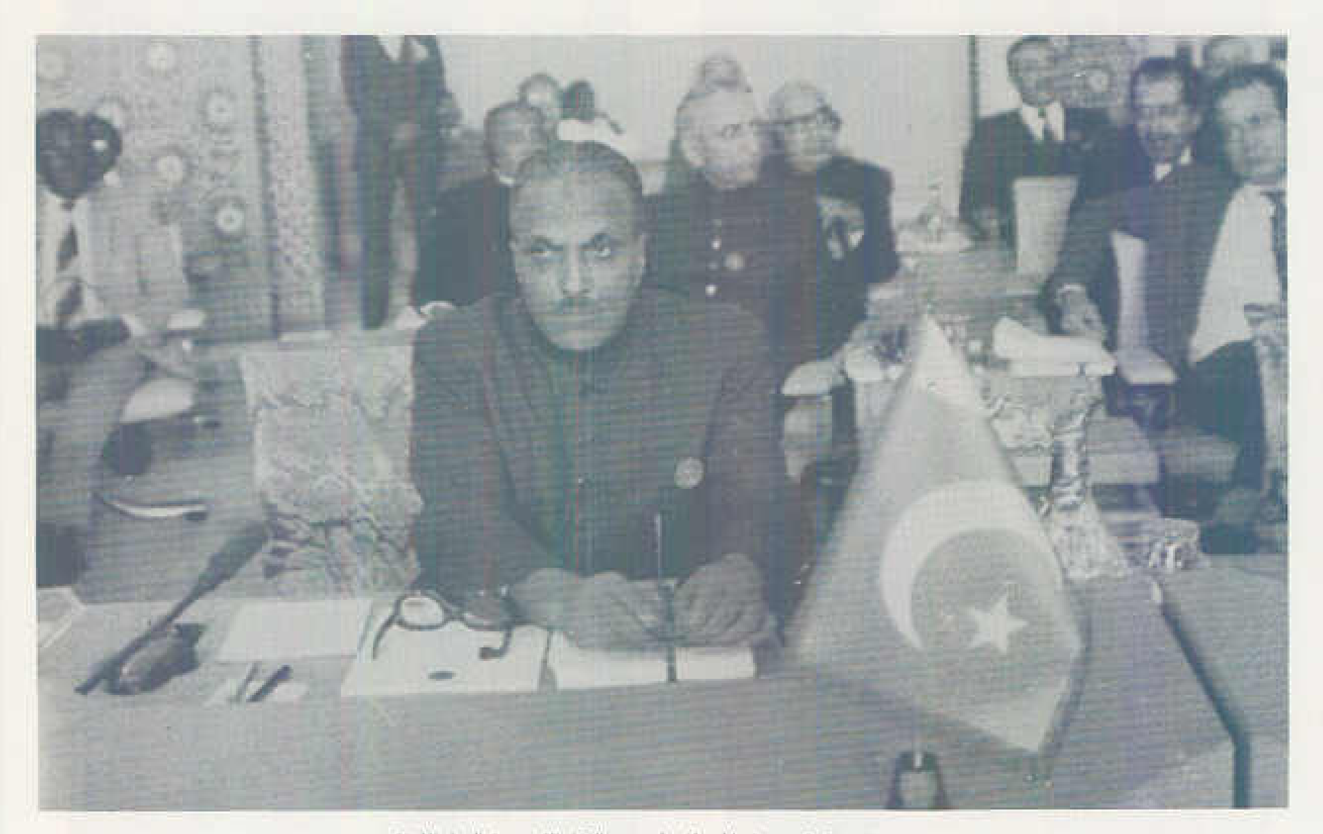
إن الموضوعات التي ستنظرها القمة الإسلامية الرابعة موضوعات هامة وأن أبناء الأمة الإسلامية ليتطلعون بكل لهفة إلى ما ستسفر عنه هذه القمة ويأملون في أن تتمكن من رسم أبعاد خطة شاملة لمعالجة القضايا التي تشغل بال المسلمين معالجة ناجعة.

وإنني لعلى ثقة في أن هذا الاجتماع التحضيري سيضع أمام أنظار قادة هذه الأمة مشروعات وآراء وتوصيات تتجاوب مع مطامح الشعوب الإسلامية.

ولا ريب في أن هذا المؤتمر هو محط أنظار العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ذلك أن عالمنا الإسلامي يرنو إلى إصلاح أساليب حياته في شتى الميادين. كما يرنو إلى انتهاج سبيل التقدم والازدهار.

بل أن أبناء هذه الأمة لم يتطلعوا في وقت من الأوقات خلال تاريخنا المعاصر تطلعهم اليوم إلى القمة المرتقبة باعتبارها مناطا لرجائهم ومعقدا لآمالهم وملاذا يلجأون إليه في الظروف الدقيقة الحالية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



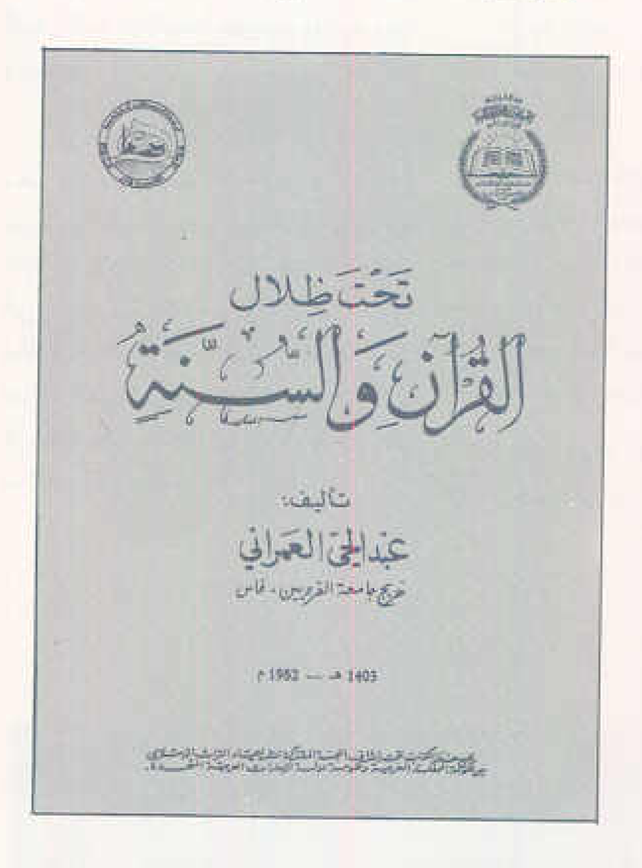
الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق كان لحضوره الثقل الذي عزز العمل الإسلامي

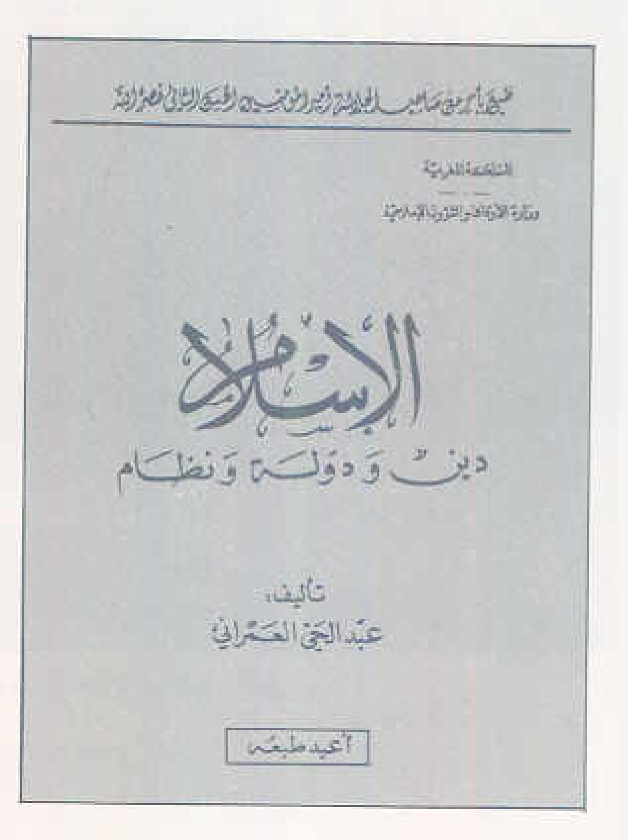
من مطبوعات
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

ROYAUME DU MAROC



Message du commandeur
des croyants,
S.M. le Roi Hassan II,
à la nation musulmane,
à l'occasion du début
du XV^{ème} siècle
de l'ère hégirienne.

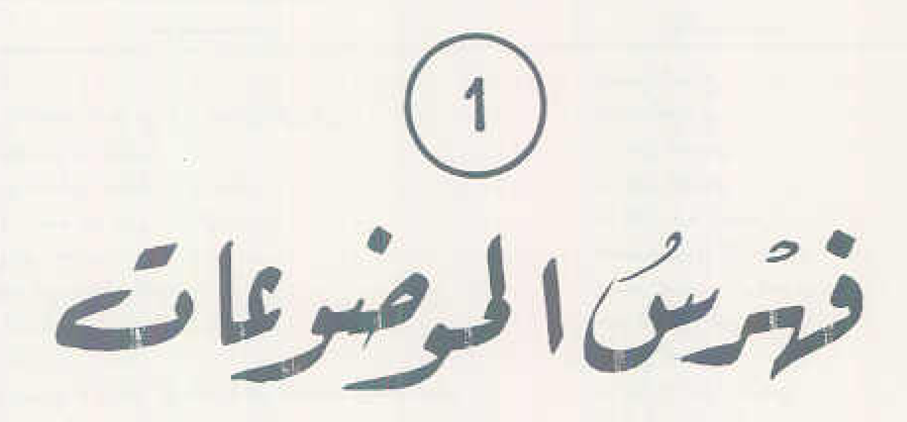






الفهرس العام

لسنة 1983



إعداد : رشيد بوزيد

الافتتاحية

موضوعات إسلامية

موضوعات مغربية

موضوعات عامة

ديوان دعوة الحق

القصيدة	الشاعر	العدد	الصفحة
ـ شمس العرب	أحمد عبد السلام البقالي	232	95
ـ معارضة القصيدة شمس العرب	باقر سماكة	232	96
ـ من الشعر الصوفي : لا يأس من رحمة الله ـ سبحان ربي	محمد بن محمد العلمي	232	106
ـ مناجاة مع الذات	أحمد البورقادي	232	116
ـ دمعة وفاء على روح الفقيد مولاي العباس الأمراني	عبد الكريم التواتي	232	121
ـ ربابة	عبد العلي الودغيري	233	34
ـ من الشعر الصوفي : ومن يغفر الذنوب إلا الله	محمد بن محمد العلمي	232	68

مكتبة دعوة الحق

الكتاب والمؤلف	عرض وتقديم	العدد	الصفحة
ـ المولد النبوي ـ تأليف الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني	زيد العابدين الكتاني	228	46
ـ المنهج الظواهري في كتاب الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ـ تأليف د. عباس الجراري	مصطفى الشليح	228	50
المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب ـ تأليف جلال الدين السيوطي	كمال رشيد	228	60
ـ المقصد الشريف والمنتزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ـ تأليف عبد الحق بن اسماعيل البادسي	محمد بن عبد العزيز الدباغ	228	65
ـ الحركة الوطنية ـ تأليف الحاج الحسين بوعياد	الحاج أحمد معنينو	228	76
ـ الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ـ تأليف محمد بن تاويت	مصطفى الشليح	231	44
ـ اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب ـ تأليف المرحوم محمد بن الأعرج السليماني	زين العابدين الكتاني	231	52
ـ الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في شفشاون وأحوازها تأليف عبد القادر العافية	محمد بركاز	232	109
ـ الرموز السرية في المراسلات المغربية ـ تأليف د. عبد الهادي التازي	دعوة الحق	232	125
ـ كتاب الباهر في الجبر ـ تأليف السموأل	محمد عبد الفتاح الإبراهيمي	233	79
ـ فهارس المخطوطات العلمية بالخزانة الحسنية تصنيف محمد العربي الخطابي	دعوة الحق	233	115

القصة

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
ـ محبة الأرض	محمد الخضر الريسوني	227	268
ـ نادية الصغيرة في فم الوحش	أحمد عبد السلام البقالي	228	88
ـ زواج البنت	محمد أحمد اشماعو	229	113
ـ المياح	أحمد عبد السلام البقالي	232	118

من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



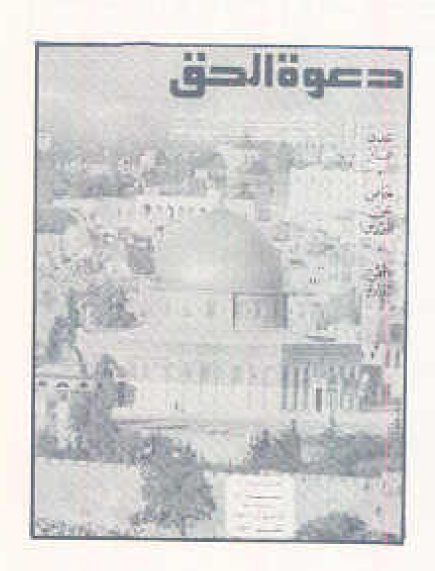




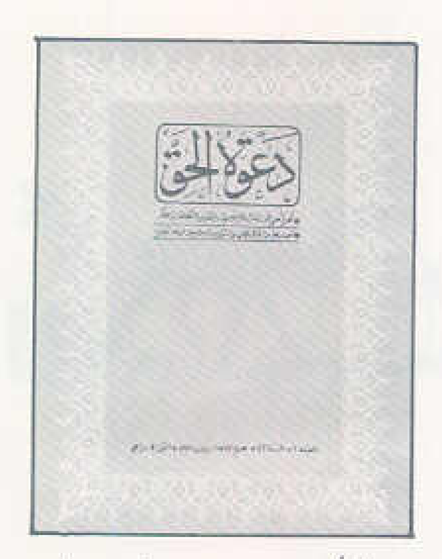














صدر العدد الأول في يوليوز سنة 1957

الفهرس العام

لسنة 1983



حرف (أ)

حرف (ب)

حرف (د)

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
الدباغ محمد بن عبد العزيز	ـ ارتسامات حول كتاب للسلطان سيدي محمد بن عبد الله	227	227
الدباغ محمد بن عبد العزيز	ـ المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ـ تأليف عبد الحق بن اسماعيل البادسي	228	65
الدباغ محمد بن عبد العزيز	ـ الفقيه محمد القري شاعر الالتزام	232	52
الدباغ محمد بن عبد العزيز	ـ من نفائس مخطوطات خزانة القرويين	233	54
الدكالي عبد الرحمن	ـ عبد الرحمن الدكالي يرثي نفسه	230	153

حرف (ر)

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
رشيد كمال	ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ـ تأليف جلال الدين السيوطي	228	60
د. رمضان مصطفى محمد	ـ دور الأوقاف في دعم الأزهر كمؤسسة علمية إسلامية	230	70
الريسوني مبارك	ـ مواقف جلالة الملك الخالدة	227	148
الريسوني محمد الخضر	ـ محبة الأرض	227	268
الريسوني محمد المنتصر	ـ سيد قطب ومنهجه في تفسير القرآن (1)	229	82
الريسوني محمد المنتصر	ـ سيد قطب ومنهجه في تفسير القرآن (2)	231	28

حرف (ز)

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
د. زبادية عبد القادر	ـ حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرو خلال القرن 16	231	91
زعيتر أكرم	ـ الظهير البربري دعم للحركة الوطنية	231	12
الزكاري محمد العربي	ـ أضواء على ملاحم العرش العلوي، محمد الخامس، الحسن الثاني	227	77
الزكاري محمد العربي	ـ الأسلوب القرآني في الجدل	229	63
الزكاري محمد العربي	ـ مقارنة بين حضارتين	232	69
زمامة، عبد القادر	ـ الوجادات (883 ـ 896)	227	271
زمامة، عبد القادر	ـ الوجادات (897 ـ 909)	228	96
زمامة، عبد القادر	ـ الوجادات (910 ـ 921)	231	91
زمامة، عبد القادر	تمرد في قرطبة على المرابطين	233	112
الزهيري قاسم	ـ المغرب وقضية فلسطين على أضواء أعمال لجنة القدس	232	8

حرف (س)

الكاتـــــب	الموضــــــوع	العدد	الصفحة
السلاوي محمد أديب	ـ المبررات التاريخية لغياب الفعل المسرحي في الأدب المغربي	227	251
سماكة، باقر	ـ معارضة لقصيدة شمس العرب	232	96
الساوري عبد العزيز	ـ خطبة طارق ابن زياد مصادرها واختلاف نصوصها	231	89
الساوري عبد العزيز	ـ حول صلح الحديبية	233	85
السائح الحسن	ـ الإيمان بالغيب	227	204
السائح الحسن	ـ الإسلام والتطور الرزين	230	15
السائح الحسن	ـ في التفسير الحضاري، التصوير من وجهة نظر إسلامية	232	42

حرف (ش)

الكاتـــــب	الموضــــــوع	العدد	الصفحة
الشليح مصطفى	ـ لوحات من عرشيات المسيرة	227	155
الشليح مصطفى	ـ المنهج الظواهري في كتاب الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ـ تأليف د. عباس الجراري	228	50
الشليح مصطفى	ـ الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ـ تأليف محمد بن تاويت	231	44
اشاعو محمد أحمد	ـ زواج البنت	229	113
الشاوش محمد العربي	ـ إشارات حول الإشعاع الفكري والحضاري لمدينة تطوان (2)	229	67

حرف (ص)

الكاتـــــب	الموضــــــوع	العدد	الصفحة
صلاح وجيه فهمي	ـ جامع الشمل	227	42
صلاح وجيه فهمي	ـ يا أجمل ما تبصر عيني	230	غلاف3

حرف (ع)

الكاتـــــب	الموضــــــوع	العدد	الصفحة
د. عبد الحميد محسن	ـ الاتجاه الباطني في تفسير القرآن	232	33
د عبد المنعم فؤاد	ـ من قضاة الإسلام كعب بن سور الأزدي	228	84
العرائشي محمد	ـ القاضي محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي	227	238
العرائشي محمد	ـ أوليات	229	117
عزيمان أحمد	ـ في صحافة المغرب منذ 35 سنة	233	106
العسلي كمال جميل	ـ مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس	230	59
العاقية عبد القادر	ـ من المراكز الثقافية بشمال المملكة المغربية ـ مدينة شفشاون	229	95
العلمي، محمد بن محمد	ـ في سبيل الإسلام والعروبة والوحدة الترابية	227	58
العلمي، محمد بن محمد	ـ فلا تحسبن الله مخلف وعده	227	152
العلمي، محمد بن محمد	ـ ياحبيب الله والشعب	230	12
العلمي، محمد بن محمد	ـ من الشعر الصوفي : لا يأس من رحمة الله، سبحان ربي	230	106

حرف (ف)

حرف (ق)

حرف (ك)

حرف (ل)

حرف (م)

حرف (ن)

حرف (هـ)

حرف (و)



توزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة الأدبية حول السيرة النبوية

ترأس السيد الهاشمي الفيلالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بمقر الوزارة حفل توزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة التي نظمتها الوزارة للبحوث والدراسات والقصائد الشعرية في موضوع السيرة النبوية الشريفة.

وقد ألقى السيد الوزير في بداية الحفل كلمة جاء فيها :

«إن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، استرشادا منها بالتوجيهات السديدة، والتعليمات الحكيمة لرائد الصحوة الإسلامية. في هذه البلاد، وقائد العمل الإسلامي، في العالم، جلالة الملك الحسن الثاني، تحرص أشد الحرص على تنظيم مثل هذه المسابقات العلمية والمباريات الأدبية، في أهم موضوع من موضوعات الثقافة الإسلامية، وهو السيرة النبوية الشريفة، دراسة وبحثاً، وإبداعاً وخلقاً، وذلك سعياً من هذه الوزارة - وهي الجهاز المسؤول عن التوجيه الإسلامي في حكومة صاحب الجلالة - لتنشيط الحياة الفكرية، وتطوير أساليب البحث والاستقراء والتحليل، والإسهام بحظ وافر وملحوظ في خلق نهضة أدبية وعلمية وثقافية إسلامية مرتبطة بالأصول الثابتة لحضارتنا المؤمنة.

وهذا العمل، من لدن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إنما القصد منه في المقام الأول إيجاد قنوات سليمة للدعوة الإسلامية في المملكة تكون وسائل معفة للنهوض بمستويات هذه الدعوة في إطار من الانضباط الفكري، والمسؤولية العلمية، والوفاء لقيم ومقدسات المغرب كقلعة للإسلام وحصن للفكر وموئل للحرية.

وإذا كنا اليوم نحتفل بتوزيع الجوائز الرمزية على الفائزين في المسابقتين العلمية والأدبية، فإنما شأننا هنا شأن من يشجع العقول المتفتحة والمواهب المؤهلة لدعم حركة الفكر والثقافة، وتعزيز مسيرة العلم والمعرفة في بلادنا، وفي ذلك ما فيه من فتح للأبواب أمام كل الباحثين والدارسين من العلماء الشباب والمفكرين الواعدين بالعطاء الطيب الحسن لفائدة وطنهم وخير عقيدتهم وتراثهم وحضارتهم.

وهكذا، فإن عملنا هذا تأكيد جديد على أن المسيرة الفكرية الإسلامية في المغرب مترابطة الحلقات متكاملة الفصول، فمن تحرير الأرض، إلى توحيد الصف، إلى تعميق الفكر، إلى تصحيح المفاهيم إلى بناء الإنسان المغربي المسلم المتفتح على العصر».

وإثر ذلك وزعت الجوائز على الآتية أسماؤهم :

أ - **في الأبحاث والدراسات :**

- الجائزة الأولى للسيد بوشتى الريفي وقيمتها 5000 درهم.
- الجائزة الثانية للسيدة خديجة بن عودة التمساني وقيمتها 3000 درهم.



السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ الهاشمي الفيلالي وإلى جواره الأستاذ محمد العربي الخطابي والأستاذ حمداتي ماء العينين ويظهر في الصورة أيضاً الأستاذ محمد أبو الفضل ورئيس التحرير

- الجائزة الثالثة للسيد أحمد بودهان وقيمتها 2000 درهم.

ب - في الشعر :

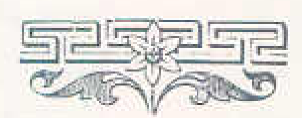
- الجائزة الأولى للسيد محمد بن علي العلوي.
- الجائزة الثانية للسيد محمد بن محمد العلمي.
- الجائزة الثالثة للسيد عبد الواحد السلمي.

وكانت لجنة التحكيم الخاصة بمسابقة البحوث والدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية تتكون من السادة :

- الأستاذ محمد العربي الخطابي رئيساً.
- الدكتور ابراهيم حركات - عضو.
- الأستاذ عبد القادر العافية - عضو.

وتتكون لجنة التحكيم في المسابقة الشعرية من السادة :

- الأستاذ ماء العينين حمداتي.
- الأستاذ وجيه فهمي صلاح.
- الأستاذ علال الخياري.



فهرس العـدد 234

الافتتاحية :

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

منارُ الهُدى

يُغنّي لعرشكَ قلبُ الرّبيعْ — فتخضرُّ جذلى رؤوسُ الجبالْ
ويفديكَ شعبٌ أبيٌّ ولُوعْ — كريمُ السّجايا عظيمُ الرّجالْ
لأنّكَ أنتَ حبيبُ الجميعْ — تنيرُ لشعبِكَ دربَ الكمالْ

لِعرشكَ تهفو قلوبُ العربْ — لأنّكَ أنتَ المنى والطّلبْ
وتدعوكَ يا الحسنُ المرتجى — لِحشدِ الجهودِ ونيلِ الأربْ
فأنتَ الحكيمُ السّديدُ الرّؤى — وأنتَ الشّريفُ العريقُ النّسبْ

أمولايَ يا قبلةَ العاملينْ — لمجدِ العروبةِ والمسلمينْ
نضالك يُشرق فوقَ الجبينْ — وذكرُكَ أعطرُ ما في السّنينْ
فدمْ برعايةِ ربِّ الورى — منارَ الهُدى وضياءَ اليقينْ

وهبه فهمي صلاح

من أعداد "دعوة الحق" الممتازة، الصادرة بمناسبة

